جورج ر. ر. مارتن

فارس من المَمالك السَّبع

مكتبة

A KNIGHT OF THE SEVEN KINGDOMS

رسوم: جاري جياني

ترجمة: هشام فهمي

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود
telegram @soramnqraa

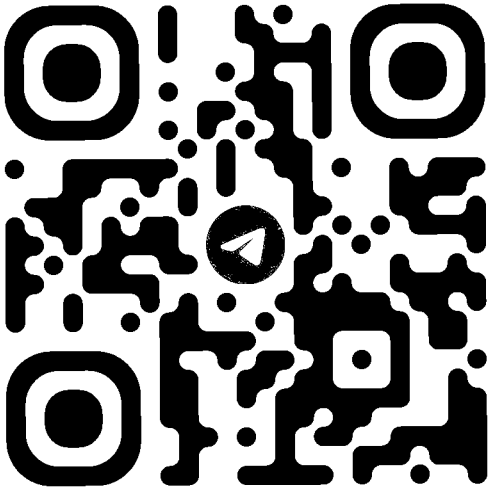

فارس من المماليك السبع

مارتن، چورچ
فارسٌ من الممالك السَّبع: رواية / چورچ ر. ر. مارتن.
التَّرجمة: هشام فهمي
القاهرة : كيان للنشر والتوزيع، 2024.
536 صفحة، 20 سم.
ردمك : 978-977-820-244-1
ا-القصص الأمريكية.
أ- فهمي، هشام (مترجم).
ب- العنوان : 823
رقم الإيداع : 28903 / 2023
الطبعة الأولى : يناير 2024.
جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة ©

مكتبة
t.me/soramnqraa
27 6 2024

كيان للنشر والتوزيع
إشراف عام:
محمد جميل صبري
نيفين التهامي

Copyright © 2015 by George R. R. Martin
Illustrations copyright © 2015 by Gary Gianni
All rights reserved.
Published in the United States by
Bantam Books, an imprint of Random House,a division of Penguin
.Random House LLC, New York

Jacket layout design © Harper Collins Publishers Ltd 2015
Jacket illustration © Larry Rostant

٤ ش حسين عباس من شارع جمال الدين الأفغاني- الهرم- محافظة الجيزة.
هاتف أرضي: 0235918808
هاتف محمول: 01000405450 – 01001872290
بريد إلكتروني: kayanpub@gmail.com
info@kayanpublishing.com
الموقع الرسمي: www.kayanpublishing.com
• إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأى **الناشرين**.

جورج ر. ر. مارتن

فارس من الممالك السبع

ترجمة: **هشام فهمي**

رسوم: جاري چياني

مكتبة
t.me/soramnqraa

إلى رايا جولدن،

لأجل الابتسامات البشوشة والصُّور الجميلة

– ج. ر. ر. م.

***

لأجل القضيَّة النَّبيلة والسيْر دَنك الذي في داخلنا جميعًا

– ج. ج.

فارسٌ
من
الممالك السَّبع

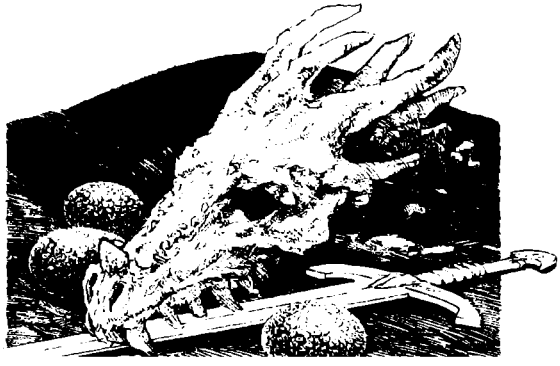

الفارس الجوَّال

تدور القصَّة الواردة هنا قبل نحو مئة عام من الأحداث الموصوفة في «لُعبة العروش».

رطَّبت أمطار الرَّبيع الأرض، ولذا لم يجد دنك صعوبةً في حفر القبر. انتقى بُقعةً على المنحدر الغربيّ لتلّ وطيء، فلطالما أحبَّ العجوز مشاهدة الغروب. «يومٌ آخَر انقضَى». اعتادَ أن يقولها ويتنهَّد. «وتُرى ماذا سيجلب لنا الغد؟ إه يا دنك؟».

طيّب، أحد الأغداء جلبَ أمطارًا غمرَتهما حتى العظم، والتَّالي جلبَ ريحًا عاصفةً بليلةً، واللَّاحق نوبة برد. بحلول اليوم الرَّابع أصبحَ العجوز أضعف من أن يركب، وها هو ذا رحلَ. قبل أيَّام معدودة راحَ يُغنّي وهما راكبان تلك الأغنيَّة القديمة عن الذِّهابَ

إلى (بلدة النَّوارس) لرؤية فتاةٍ رائعة الجمال، وإن غنَّى بدلًا من (بلدة النَّوارس) عن (آشفرد). ببؤس فكر دنك وهو يَحفُر: *إلى (آشفرد) سأذهبُ لأرى فتاتي رائعةَ الجمال، هاي- هُوْ، هاي- هُوْ.*

لمَّا بلغَ عُمق الحُفرة الكفاية، رفعَ دنك جُثمان العجوز بين ذراعيْه وحملَه إليها. كان الرَّجل صغير الحجم، ونحيلًا أيضًا، وبعد تجريده من زرده وخوذته ونِجاد سيفه بدا أنَّ وزنه لا يُجاوِز جوالًا من ورق الشَّجر. أمَّا دنك فهائل الطول قياسًا إلى سنِّه، فتى أخرق الحركة أشعث الشَّعر كبير العظام في السَّادسة عشرة أو السَّابعة عشرة (لا أحد يعلم يقينًا)، قامته أقرب إلى سبعة أقدام منها إلى ستَّة، ولتوِّه بدأ عوده يشتدُّ. كثيرًا ما أثنى العجوز علىَ قوَّته، وقد كان دومًا سخيًّا في ثنائه، فهو لم يملك إلَّاه ليمنحه.

مدَّده دنك في قاعِ القبر ووقفَ فوقه فترةً. تجدَّدت في الهواء رائحة المطر، وعرفَ دنك أنَّ عليه أن يردم الحُفرة قبل أن ينهمر، ولكن كم يَصعُب أن يُهيل التُّراب على ذلك الوجه العجوز المتعَب. *المفروض أن يحضر سِيتوْن ليتلو عليه بعض الصَّلوات، ولكن ليس له غيري.* علَّم العجوز دنك كلَّ ما يعرفه عن السُّيوف والتِّراس والرِّماح، إلَّا أنه لم يُحسِن قَطُّ تعليمه الكلام.

أخيرًا قال معتذرًا: «كنتُ لأترك لك سيفك، لكنه سيصدأ في الأرض. الآلهة ستُعطيك واحدًا جديدًا على ما أظنُّ. ليتك لم تَمُت أيُّها السيِّد»، ثم صمتَ لحظةً حائرًا في ما يجب قوله علاوةً على ذلك. إنه لا يعرف أيَّ صلاةٍ بكاملها، فالعجوز لم يكترِث قَطُّ للصَّلاة. في النِّهاية أمكنَه أن يقول: «كنتَ فارسًا

حقًّا، ولم تضربني يومًا دون أن أستحقَّ، باستثناء تلك المرَّة في (بركة العذارى). صبيُّ الخان هو الذي أكلَ فطيرة الأرملة لا أنا، لقد أخبرتك. لا يهمُّ الآن. فلتحفظك الآلهة أيُّها السيِّد». شاطَ دنك التُّراب في الحُفرة، ثم شرعَ يملؤها بانتظام دونما نظرةٍ واحدة إلى الشَّيء في قاعها. *لقد عاشَ عُمرًا طويلًا. مؤكَّد أنه كان أقرب إلى الستِّين منه إلى الخمسين، وكم رجلًا يُمكنه أن يقول ذلك؟* على الأقل عاشَ ليشهد ربيعًا آخَر. بدأت الشَّمس رحلتها شطر الغرب فيما أطعمَ الخيول. ثلاثة هي: حصانه المعيب[1] الأقعس، ورهوانة[2] العجوز، وثندر، جواده الحربيُّ الذي لا يُركَب إلَّا في المباريات والمعارك. لم يَعُد الفحل البنِّي الكبير كما كان، لكنه لا يزال يتمتَّع بعينه اللَّامعة وروحه الضَّارية، كما أنه أثمن من أيِّ شيءٍ يملكه دنك. *إذا بعتُ ثندر وتشستنت العجوز، وسرجيْهما ولجاميْهما أيضًا، فسأخرجُ من البيعة بفضَّةٍ تكفي...* قطَّب وجهه. الحياة الوحيدة التي يعرفها حياة فارسٍ جوَّال؛[3] الرُّكوب من قلعةٍ إلى قلعة، الخدمة عند واحدٍ أو آخَرَ من اللوْردات، القتال في معاركهم والأكل في قاعاتهم إلى أن تنتهي الحرب، ثم الانتقال إلى مكانٍ جديد. بين حينٍ وآخَر تُقام مباريات أيضًا، ولو أنها أقلُّ تكرارًا، ويعرف دنك أنَّ بعض الفُرسان الجوَّالة تحوَّلوا إلى لصوصٍ خلال الأشتية العجاف، وإن لم يفعل العجوز ذلك قَطُّ.

---

١ ـ الحصان المعيب Stot: أيُّ حصانٍ يُركَب مع أنه غير صالحٍ للرُّكوب، بسبب إصابةٍ أو تشوُّهٍ خلقي أو الشَّيخوخة. (المُترجم).

٢ ـ الرَّهوان Palfrey: حصانٌ وديع مخصَّص بالأساس للرُّكوب لا القتال. (المُترجم).

٣ ـ الفارس الجوَّال Hedge Knight: فارسٌ بلا سيِّد يكسب رزقه من التَّنقُّل في الخدمة من مكانٍ إلى مكان. تعني الكلمة حرفيًّا «فارس الأسوجة»، لأن الفارسَ الجوَّال بلا بيت، ومن ثَمَّ لا مأوى له عادةً إلَّا أسوجة الأشجار. (المُترجم).

فكّر دنك: يُمكنني العثور على فارس جوّال آخر يحتاج إلى مُرافق يرعى حيواناته ويُنظّف زرده، أو قد يُمكنني الذّهاب إلى مدينةٍ ما، إلى (لانسپورت) أو (كينجز لاندنج) لألتحق بحرس المدينة. أو...

كان قد كوَّم أغراض العجوز تحت سنديانة. تحوي الصُّرَّة القُماش ثلاثة أيائل فضِّيَّة، وتسعة عشر بنسًا نُحاسيًّا، وقطعةً من العقيق الأحمر مكسورة الحافة، فكأكثر الفُرسان الجوَّالة، وُقِفَ السَّواد الأعظم من ثروة العجوز الدُّنيويَّة على خيوله وأسلحته. الآن يملك دنك زردًا من حلقات الحديد جلاه ألف مرَّة من الصَّدأ، وخوذةً قصيرةً ذات أنفيَّةٍ عريضة وانبعاج في الصُّدغ الأيسر، ونِجادًا من الجلد البنّي المشقَّق، وسيفًا طويلًا في غِمد من الخشب والجلد. إضافةً إلى هذا، خنجر وموسى ومشحذ، وكلسة وعُنقيَّة، ورُمح حربي طوله ثمانية أقدام يُكلِّله رأسٌ قاس من الحديد، وتُرس من السِّنديان بحافة معدنيَّة مشوَّهة يحمل رمز السيّر آرلان ابن (شجرة البنسات): كأسًا فضِّيَّةً مجنَّحةً على خلفيَّةٍ بنّيَّة.

رمقَ دنك التُّرس، ثم التقطَ النِّجاد وعادَ يَرمُق التُّرس. النِّجاد مفصَّل لأجل وركي العجوز النَّحيفتيْن، ولن يَصلُح له أبدًا، مثله مثل الزَّرد. هكذا ربطَ الغِمد بحبلٍ من القنَّب عقدَه حول خصره، وسحبَ السَّيف الطَّويل.

النَّصل مستقيمٌ وثقيل، فولاذه ممتازٌ مسبوك في قلعة، والمقبض من الجلد الطَّري الملفوف على خشب، والقبيعة من حجر أسود أملس مصقول. على الرغم من شكل السَّيف البسيط، طابَ له

إحساسه به في يده، ودنك يعلم مبلغ حدَّته، فقد عملَ عليه بالمشحذ والقُماش المزيَّت في عديد اللَّيالي قبل خلودهما إلى النَّوم. قال لنفسه: *يُناسِب قبضتي كما ناسبَ قبضته دومًا، وفي (مرج آشفرد) دورة مباريات.*

***

لسويتفُت مشيةٌ أسلس من تشستنت العجوز، لكن دنك كان لا يزال موجوعًا متعبًا عندما لمحَ الخان أمامه، مبنى طويلًا من الجصّ والخشب يطلُّ على جدول. بدا الضَّوء الأصفر الدَّافئ المُراقَ من نوافذه مغريًا إلى درجة أنه لم يقوَ على تجاوُزه، وقال لنفسه: *معي ثلاث قطعٍ فضِّيَّة، ما يكفي لوجبةٍ طيِّبة وكلِ ما أريدُ شُربه من مزر.*

بينما ترجَّل، خرجَ من الجدول غُلام عارٍ يتقاطَر منه الماء، وشرعَ يُجفِّف نفسه بمعطفٍ من الخيش البنِّي. سألَه دنك: «أأنت صبيُّ الإسطبل؟». لا يبدو أنَّ الصَّبي يتعدَّى الثَّامنة أو التَّاسعة من العُمر، مخلوق نحيل باهت الوجه، يُغطِّي الطَّمي قدميْه الحافيتيْن حتى الكاحليْن. أغرب ما فيه شعره، فلا شعر له. «أريدُ أن تُدعَك رهوانتي. وشوفان لثلاثة الخيول. أيُمكنك أن تعتني بها؟».

نظرَ إليه الغُلام بلا حياءٍ قائلًا: «يُمكنني، إذا أردتُ».

عبسَ دنك وقال: «لن أقبل وقاحتك هذه. فلتعلم أنني فارس».

مكتبة
t.me/soramnqraa

ـ «لا تبدو كالفُرسان».

ـ «وهل يبدو الفُرسان كلُّهم سواءً؟».

ـ «لا، لكنهم لا يبدون مثلك كذلك. نِجاد سيفك حبل».

ـ «ما دامَ يحمل غِمدي فإنه يُؤدّي الغرض. والآن اعتنِ بخيولي. ستنال قطعةً نُحاسيَّةً إذا أحسنت العناية بها، ولطمةً على الأذن إذا لم تفعل».

***

لم ينتظر ليرى كيف تلقَّى صبيُّ الإسطبل قوله، بل دارَ مبتعدًا ودخلَ دافعًا الباب بكتفه.

توقَّع أن يجد الخان مزدحمًا في هذه السَّاعة، إلَّا أنه ألفى القاعة العامَّة شبه خاوية. إلى إحدى الموائد يجلس لوْرد صغير يرتدي معطفًا فاخرًا من الدِّمقس، غائبٌ عن الوعي ويغطُّ بخفوتٍ في بركة من النَّبيذ المسكوب، ولكن ليس في المكان أحدٌ آخَر. نظرَ دنك حوله بحيرة، إلى أن خرجَت من المطبخ امرأةٌ قصيرة مكتنزة ممتقعة الوجه، وقالت: «اجلس حيثما شئت. أمزرًا تُريد أم طعامًا؟».

أجابَ دنك: «كليْهما»، وأخذَ مقعدًا عند النَّافذة، بعيدًا بمسافةٍ لا بأس بها عن الرَّجل النَّائم.

ـ «لدينا لحم حملان طيِّب، مشويٌّ بقشرةٍ من الأعشاب، وبعض البطَّات التي اصطادَها ابني. أيُّهما ستَطلُب؟».

لم يأكل دنك في خانٍ منذ نصف عامٍ أو أكثر. «كليْهما».

قالت المرأة ضاحكةً: «حسن، أنت كبيرٌ بما يكفي»، والتقطَت كوزًا من المزر وجلبَته إلى مائدته سائلةً: «هل ستُريد غُرفةً لقضاء اللَّيلة أيضًا؟».

ـ «لا». ما كان شيء ليحلو لدنك أكثر من حشيَّةٍ طريَّة من القشِّ وسقفٍ فوق رأسه، ولكن عليه أن يقتصِد في نفقاته. لا بأسَ بالأرض. «قليلٌ من الطَّعام وقليلٌ من المزر ثم أواصلُ طريقي إلى (آشفرد). كم تَبعُد؟».

ـ «يومًا من الرُّكوب. اتَّجه شمالًا حيث يتفرَّع الطَّريق عند

الطَّاحونة المحروقة. هل يعتني صبيّي بخيولك أم سرحَ ثانيةً؟».

قال دنك: «لا، إنه هناك. لا يبدو أنَّ عندكِ زبائن».

ـ «نصف البلدة ذهبَ للفُرجة على الدَّورة. كان ولداي سيذهبان أيضًا لو سمحتُ لهما. سوف يرثان هذا الخان بعد رحيلي، لكن الفتى يُفضِّل التَّسكع مع الجنود، والفتاة تُبادِر إلى التَّنهُّدات والقهقهة كلَّما مرَّ فارس. أقسمُ أني عاجزةٌ عن فهم السَّبب. الفُرسان مشكَّلون كسائر الرِّجال، ولم أعرف قَطُّ مُثاقفةً تُغيِّر سعر البيض». ثم رمقَت المرأة دنك بفضول، فقد أخبرَها سيفه وتُرسه بشيء، وحزامه الحبل وغلالته الخيش بشيءٍ آخَر تمامًا. «أأنت ذاهبٌ إلى الدَّورة عن نفسك؟».

أخذَ رشفةً من المزر قبل أن يُجيب. لونه بنِّيٌّ كالجوز، ومذاقه ثقيلٌ على اللِّسان، تمامًا كما يُحبُّه. «أجل. أنوي أن أكون بطلًا».

ردَّت صاحبة الخان بقدرٍ كافٍ من التَّهذيب: «حقًّا؟».

عبر القاعة رفعَ اللوْرد الصَّغير رأسه من بِركة النَّبيذ. لوجهه مسحةٌ مصفرَّة سقيمة تحت شعرٍ بنِّي رملي كجُحر جرذان، وتُغطِّي ذقنه جُذامة شقراء. فركَ الرَّجل فمه، وطرفَ بعينيْه ناظرًا إلى دنك، وقال: «لقد حلمتُ بك»، وارتعشَت يده إذ أشارَ بإصبعه مضيفًا: «ابقَ بعيدًا عني، هل تسمع؟ ابقَ بعيدًا تمامًا».

حدَّق إليه دنك متحيِّرًا، وقال: «سيِّدي؟».

مالَت عليه صاحبة الخان قائلةً: «دعك منه أيُّها السيِّر. إنه لا يفعل إلَّا الشُّرب والكلام عن أحلامه. سأحضِرُ الطَّعام»،

وابتعـدَت بخُطـواتٍ نشـيطة.

ـ «طعـام؟». حوَّلـت طريقـة نُطـق الـلؤرد الصَّغيـر الكلمـة إلى شـتيمةٍ بذيئـة. نهـضَ يتـرنَّح واضعًـا إحـدى يديْـه عـلى المائـدة ليمنـع نفسـه مـن السُّـقوط، وأعلـنَ: «سـأتقيَّأ». تُغـطِّي وجـه غلالتـه طبقـةٌ قشـريَّة حمـراء مـن بُـقع النَّبيـذ القديمـة. «لقـد أردتُ عاهـرةً، لكـن الـمكان خـالٍ منهـن. كلُّهـن ذهـبَ إلى (مـرج آشـفرد). بحـقِّ الآلهـة، أحتـاجُ إلى قليـلٍ مـن النَّبيـذ». ثـم انـدفعَ الرَّجـل مغـادرًا القاعـة العامَّة بخُطـواتٍ متقلقِلـة، وسـمعَه دنـك يصعـد سُـلَّمًا وهـو يُغنِّي بصـوتٍ خافـت.

قـال دنـك لنفسـه: *مخلـوقٌ حزيـن، ولكـن لِـمَ حسـبَ أنـه يعرفـني؟* وتفكَّـر في هـذا لحظـةً إذ شـربَ مـزره.

لحـم الحـملان مـن أطيـب مـا أكلَ، والبطَّـة أطيـب وأطيـب، مطبوخـة بالكـرز والليَّمـون، ودسـامتها أقـلُّ كثيـرًا مـن أغلـب البـطِّ. جلبَـت لـه صاحبـة الخـان بـازلَّاء بالزُّبـدة أيضًـا، وخُبـز شـوفان مـا زالَ سـاخنًا مـن الفُـرن. قـال لنفسـه وهـو يمـصُّ آخـر قطعـةٍ مـن اللَّحـم عـن العظـم: *هـذا مـا يعنيـه أن يكـون المـرء فارسًـا. طعـامٌ طيِّـب، ومـزر متـى أردتُ، ولا أحـد يلطمـني عـلى رأسي.* شـربَ كـوزًا ثانيًـا مـن المـزر مع الوجبـة، وثالثًـا ليُبلِّعهـا، ورابعًـا لأن أحـدًا ليـس هنـا ليمنعـه، ولمَّـا فـرغَ نقـدَ المـرأة أيَّلًا فضِّيًـا وأخـذَ منهـا البـاقي حفنـةً مـن القـطع النُّحاسـيَّة.

كان الـظَّلام قـد دمـسَ عندمـا خـرجَ دنـك أخيـرًا، معدتـه ممتلئـة وصُـرَّة نقـوده أخـفُّ قليـلًا، لكنـه شـعرَ بالارتيـاح وهـو مـاشٍ إلى الإسـطبل. مـن أمامـه سـمعَ حصانًـا يصهـل وصـوت غُلامٍ يقـول:

«اهدأ يا فتى»، فحثَّ خُطاه وقد قطَّب وجهه.

وجدَ صبيَّ الإسطبل ممتطيًا ثندر ومرتديًا درع العجوز. الزَّرد يُجاوِزه طولًا، كما اضطرَّ إلى إمالة الخوذة إلى الخلف فوق رأسه الأصلع وإلَّا لغطَّت عينيْه. بدا الغُلام مصمِّمًا للغاية، وسخيفًا للغاية، وتوقَّف دنك عند باب الإسطبل وضحكَ.

رفعَ الغُلام بصره، واحتقنَ وجهه، وقفزَ أرضًا قائلًا: «سيِّدي، لم أقصد أن...».

قاطعَه دنك محاولًا أن يُغلِّف نبرته بالصَّرامة: «لص! اخلع هذه الدِّرع، وانبسِط لأن ثندر لم يَرفُسك في رأسك الأحمق. إنه جوادٌ حربيٌّ لا فرس قزم يركبه غُلام».

خلعَ الغُلام الخوذة ورماها فوق القشّ، وبكلِّ جرأةٍ قال: «يُمكنني أن أركبه بمثل مهارتك».

ـ «أغلِق فمك. لا أريدُ شيئًا من وقاحتك. الزَّرد أيضًا، اخلعه. ماذا حسبت نفسك فاعلًا؟».

ردَّ الغُلام: «كيف أخبرك وفمي مغلق؟»، وتلوَّى خالعًا حلقات المعدن وتركَها تَسقُط.

ـ «لك أن تفتحه لتُجيب. والآن التقِط هذا الزَّرد وانفض عنه الوسخ وأعِده إلى حيث وجدته. والخوذة أيضًا. هل أطعمت الخيول كما قلتُ لك؟ ودعكت سويتفُت؟».

قال الغُلام وهو يَنفُض حلقات المعدن من القشّ: «نعم. أنت ذاهب إلى (آشفرد)، أليس كذلك؟ خُذني معك أيُّها السيّر». حذَّرت صاحبة الخان دنك من هذا. «وماذا قد تقول أمُّك بخصوص ذلك؟».

لوى الغُلام قسماته قائلًا: «أمّي؟ أمّي ماتَت ولا يُمكنها أن تقول شيئًا».

أدهشَه هذا. أليست صاحبة الخان

أمَّ الـغُلام؟ لعلَّـه يتـدرَّب عندهـا لا أكثـر. سـألَه دنـك بحيـرةٍ وقـد شـوَّش المـزر عقلـه قلـيلًا: «أأنـت يتيـم؟».

رشقَه الغُلام بردِّه: «أأنت كذلك؟».

أقرَّ دنك: «كنتُ ذات يوم». *إلى أن أجارَني العجوز.*

ـ «إذا أخذتني فيُمكنني أن أعمل عندك مُرافقًا».

ـ «لا يلزمني مُرافق».

قال الغُلام: «كلُّ فارسٍ يلزمه مُرافق. أنت تبدو أنك بحاجةٍ إلى واحدٍ أكثر من الأغلبيَّة».

رفعَ دنك يده مهدِّدًا، وقال: «وأنت تبدو بحاجةٍ إلى لطمةٍ على الأذن، هكذا يبدو لي. املأ لي جوالًا بالشُّوفان. إنني ذاهبٌ إلى (آشفرد)... وحدي».

إن خافَ الغُلام فقد أجادَ إخفاء خوفه. للحظةٍ وقفَ في مكانه بتحدٍّ مربِّعًا ذراعيْه، ولكن لحظة أن أوشكَ دنك أن ييأس منه، دارَ الغُلام وذهبَ إلى حيث يُوضَع الشُّوفان.

ارتـاحَ دنـك. *مؤسـفٌ أني لا أسـتطيعُ... لكـن حياتـه هـا هنـا في*

الخان طيّبة، حياة أفضل من عمله مُرافقًا لفارسٍ جوّال. لن يكون أخذه رحمةً.

على أنه ظلَّ يستشعر خيبة أمل الغُلام. فيما امتطى سويتفُت وأمسكَ قِياد ثندر، فكر دنك أنَّ بنسًا نُحاسيًّا قد يسرُّه، فقال: «خُذ يا ولد، لقاء مساعدتك»، وألقى إليه بالعُملة مبتسمًا، إلَّا أنَّ صبيَّ الإسطبل لم يُحاول التقاطها، فسقطَت في التُّراب بين قدميْه الحافيتيْن، وهناك تركَها.

قال دنك لنفسه: *سيتناوَلها بمجرَّد أن أرحل*، ودارَ بالرَّهوانة وانطلقَ من الخان قائدًا الحصانيْن الآخَريْن. كان نور القمر ساطعًا على الأشجار، والسَّماء بلا سحاب ومرقَّطةً بالنُّجوم، ومع ذلك إذ خرجَ دنك على الطَّريق أحسَّ بصبيٍّ الإسطبل يُحدِّق إلى ظهره بصمتٍ عابس.

***

كانت ظلال الأصيل تستطيل حين كبحَ دنك خيوله على حافة (مرج آشفرد) الرَّحب، حيث نُصِبَ فوق عُشب الحقل نحو ستّين من السُّرادقات، بعضها صغير وبعضها كبير، وبعضها مربَّع وبعضها مدوَّر، وبعضها من قُماش الأشرعة وبعضها من الكتَّان وبعضها من الحرير، لكن ألوانها جميعًا زاهية، وعلى قوائمها المركزيَّة تُرفرِف رايات طويلة أزهى من حقل زهورٍ برّيَّة زاخر بالأحمر الغني والأصفر الشَّمسي، ودرجاتٍ لا تُحصى من الأخضر والأزرق، وأخرى عميقة من الأسود والرَّمادي والأرجواني.

ركبَ العجوز مع بعض هؤلاء الفُرسان، ويعرف دنك آخَرين ممَّا سمعَ من حكاياتٍ في القاعات العامَّة وحول نيران المخيَّمات. مع أنه لم يتعلَّم قَطُّ سحر الكتابة أو القراءة، بذلَ العجوز جهدًا دؤوبًا لمَّا تعلَّق الأمر بتلقينه شعارات النَّبالة، وكثيرًا ما مرَّنه على حفظها وهما راكبان. العنادل تنتمي إلى اللوْرد كارون، سيِّد (التُّخوم) البارع في العزف على القيثارة السَّامية براعته بالرُّمح، والوعل المتوَّج يخصُّ السيْر لايُنل باراثيون، العاصفة الضَّاحكة. وميَّز دنك صيَّاد تارلي وبرق عائلة دُنداريون الأرجواني، وتُفَّاحة آل فوْسوْواي الحمراء، وها هو ذا أسد لانستر يزأر ذهبيًّا على قرمزي، وها هي ذي سُلحفاة آل إسترموْنت البحريَّة الخضراء الدَّاكنة تسبح على خلفيَّةٍ خضراء باهتة. الخيمة البنِّيَّة تحت فحلٍ أحمر لا يُمكن أن تنتمي إلى غير السيْر أوْثوْ براكن، الذي لُقِّبَ بغاشم براكن منذ قتلَ اللوْرد كونتن بلاكوود قبل ثلاث سنواتٍ خلال دورة مباريات في (كينجز لاندنج)، وقد سمعَ دنك أنَّ السيْر أوْثوْ هوى بضربةٍ في غاية العُنف من فأسٍ طويلة مثلَمة

هشَّمت مقدِّمة خوذة اللوْرد بلاكوود والوجه تحتها. رأى دنك بعض رايات بلاكوود أيضًا عند حافة المرج الغربيَّة، على أبعد مسافةٍ ممكنة من السيْر أوْثوْ. ماربراند، مالستر، كارجل، وسترلنج، سوان، مولندوْر، هايتاور، فلوْرنت، فراي، پنروْز، ستوْكوْرث، داري، پارن، وايلد... يبدو كأن كلَّ عائلةٍ ذات حسب ونسب في الغرب والجنوب أرسلَت فارسًا أو ثلاثةً إلى (مرج آشْفرد) لرُؤية العذراء الجميلة وخوض حلبة المجاولة على شرفها.

ولكن مهما تسرُّ سُرادقاتهم الأنظار، يعرف دنك أنه لن يجد لنفسه مكانًا بينها. اللَّيلة مأواه الوحيد معطفٌ رثٌّ من الصُّوف، وفيما يتعشَّى اللوْردات والفُرسان العظام ديوكًا مسمَّنةً وخنازير رضيعةً، سيتكوَّن عشاؤه هو من قطعةٍ صُلبة قاسية من اللَّحم البقريّ المملَّح. يعلم دنك تمام العلم أنه إذا خيَّم في هذا الحقْل المبهرج فعليه أن يتحمَّل في آنٍ واحد السُّخرية الصَّامتة والتَّهكم الصَّريح. قد تُعامِله قِلَّةٌ منهم بلُطف، لكن ذلك يكاد على نحوٍ ما يكون أسوأ.

يجب أن يستمسك الفارس الجوَّال بكبريائه، فدونها لا يعود أكثر من مرتزِق. *عليَّ أن أستحقَّ مكاني في تلك الصُّحبة. إذا أحسنتُ القتال فقد يضمُّني لوْرد ما إلى آل بيته، وعندئذٍ سأركبُ مع رفقةٍ نبيلة، وآكلُ لحمًا طازجًا كلَّ ليلةٍ في قاعة قلعة، وأرفعُ سُرادقي في الدَّورات. لكن عليَّ أوَّلًا أن أحسن البلاء.* على مضضٍ أولى دنك أرض المباريات ظهره وقادَ خيوله بين الأشجار.

على مشارف المرج العظيم، على بُعد نصف ميلٍ كامل من البلدة والقلعة، وجدَ مكانًا حيث كوَّن انحناء في جدولٍ صغير

بِركةً عميقةً، ينمو على حافتها البوص بكثافة، وتُشرف شجرة دردار مورقة على كلِّ شيء. عُشب الرَّبيع هناك أخضر كراية أيّ فارس، وناعم الملمس. بُقعةٌ جميلة هي، ولا أحد استحوذَ عليها بعدُ. قال دنك لنفسه: *سيكون هذا سُرادقي، سُرادقًا مسقوفًا بورق الشَّجر وأورف من رايات آل تارلي وآل إسترمونت أنفسهم.*

خيوله أوَّلًا، وبعد العناية بها خلعَ ثيابه وخاضَ في البِركة ليغسل نفسه من غُبار السَّفر. لطالما قال العجوز: «الفارس الحقُّ محبٌّ للنَّظافة مثلما هو تقي»، مصرًّا أن يغتسلا من الرَّأس إلى القدميْن كلَّما دارَ القمر، بغضِّ النَّظر عن سوء رائحتهما من عدمه. والآن وقد أصبحَ فارسًا، تعهَّد دنك بأن يفعل المثل.

جلسَ عاريًا تحت الدَّردارة ريثما يجفُّ، يستمتع بدفء الهواء الرَّبيعي على جلده وهو يُشاهد ذُبابة تنّين تتحرَّك بكسل بين أعواد البوص. تساءلَ: *لماذا يُسمُّونها ذُبابة التنّين؟[٤] إنها لا تُشبه التَّنانين في شيء.* لا يعني ذلك أنَّ دنك رأى تنّينًا يومًا، إلَّا أنَّ العجوز فعلَ، وقد سمعَ دنك القصَّة نصفمئة مرَّة، عن السيْر آرلان الذي أخذَه جدُّه إلى (كينجز لاندنج) وهو بعدُ صبيٌّ صغير، وكيف رأيا التنّين الأخير هناك قبل نفوقه. كان أنثى خضراء صغيرةً ناقصة النُّموّ ذات جناحيْن ذاوييْن، ولم يفقس أيٌّ من بيضها قَطُّ. اعتادَ العجوز أن يحكي: «بعضهم يقول إنَّ الملك إيْجوْن سمَّمها. أقصدُ ثالث إيْجوْن، لا والد الملك ديْروْن، بل الذي سمَّوه بمُهلك التَّنانين أو إيْجوْن المنحوس. كان يخاف التَّنانين لأنه رأى وحش خاله يلتهم أمَّه. لقد صارَت الأصياف

٤ - ذُبابة التنّين Dragonfly: اليعسوب في عالم الواقع، لكننا نستخدم التَّرجمة الحرفيَّة لدواعي القصَّة. (المترجم).

أقصر منذ ماتَ التنّين الأخير، والأشتية أطول وأقسى».

بدأ الهواء يَبرُد فيما غاصَت الشَّمس تحت مستوى قمم الأشجار، ولمَّا أحسَّ دنك بالقشعريرة تخزُ ذراعيْه نفضَ غلالته وبنطاله على جذع الدَّردارة ليُخلِّصهما من السَّواد الأسوأ من التُّراب، ثم عادَ يرتديهما. غدًا سيسعى إلى قيّم المباريات ويُدرج اسمه، لكن عنده مسائل أخرى ينبغي أن يَنظُر فيها اللَّيلة لو أنه يأمل أن يُنازِل غيره من الفُرسان.

لم يلزمه أن يُدقِّق النَّظر إلى الماء ليعرف أنه لا يبدو كفارس إلَّا قليلًا، وهكذا علَّق تُرس السيْر آرلان على ظهره ليعرضَ رمزه، وبعدما أوثقَ قوائم الخيول بالشُّكل، تركَها لترعى في الكلأ الأخضر الكثيف تحت الدَّردارة فيما انطلقَ على قدميْه متَّجهًا إلى مضمار المباريات.

***

المرج في الأوقات العاديَّة منطقةٌ مشاع لأهل بلدة (آشفرد) على الجانب الآخَر من النَّهر، أمَّا الآن فيبدو عليه تحوُّل نوعي. بين عشيَّةٍ وضُحاها وُجدَت بلدةٌ ثانية، بلدةٌ من الحرير بدلًا من الحجر، أكبر من أختها الكبرى وأحلى. بحذاء حافة الحقل نصبَ عشرات التُّجَّار أكشاكهم ليبيعوا اللُّبود والفواكه، والأحزمة والأحذية، والجلود والبيزان، والآنية الخزفيَّة والأحجار الكريمة والأوعية القصدير والتَّوابل والرِّيش، وسائر أصناف البضائع الأخرى، وبين الجموع يتجوَّل الحُواة ومحرِّكو الدُّمى والسَّحرة ليُمارِسوا حِرفهم... وكذا العاهرات والنشَّالون، وعليه أبقى دنك

يد الحذر على ماله.

عندما التقطَ أنفه رائحة سُجق يؤزُّ فوق نارٍ داخنة، بدأ ريقه يجري. اشترى قطعةً ببنس نُحاسيّ من كيس نقوده، وقرنًا من المزر ليُبلِّعها، وفيما أكلَ تفرَّج على فارسٍ خشبيّ ملوَّن يُقاتل تنّينًا خشبيًّا ملوَّنًا. سرَّته أيضًا الفُرجة على محرّكة الدُّمى التي تتحكّم في التنّين؛ فتاة فارعة جذّابة ذات بشرةٍ زيتونيَّة وشعرٍ دوْرني أسودٍ، رفيعة كالرُّمح وبلا ثديين يُذكَران، وإن أعجبَ دنكٌ وجهُها والطّريقة التي تجعل بها أصابعها التنّين يكرُّ وينزلق عند أطراف خيوطه. لو أنه يستطيع الاستغناء عن بنس نُحاسيٍّ لألقاه إلى الفتاة، لكنه محتاجٌ الآن إلى كلِّ قطعة عُملة.

كما أملَ، بين التُّجَّار صُنَّاع سلاح، منهم تايروشي بلحيةٍ زرقاء متشعّبة يبيع خُوذًا منمَّقةً، قطعًا عجيبةً بديعةً مشغولةً بأشكال طيورٍ وحيواناتٍ ومموَّهةً بالذَّهب والفضَّة، وفي مكانٍ آخَر وجدَ دنك صانع سيوفٍ متجوّلًا يبيع نصالًا من الفولاذ الرَّخيص، وآخَر عمله أجود كثيرًا، غير أنَّ ما يفتقر إليه ليس سيفًا.

عثرَ على الرَّجل الذي يحتاج إليه بعيدًا في آخِر الصَّفِّ، يعرض على الطّاولة أمامه قميصًا من الحلقات المعدنيَّة الممتازة وقُفَّازًا من الفولاذ المشبَّك. فحصَهما دنك بعناية، وقال: «شُغلك متقن».

ـ «لا أحد أفضل». الحدَّاد رجلٌ قصير ممتلئ، لا يزيد طوله على خمسة أقدام، لكنه يُناهز دنك عرضًا في الصَّدر والذِّراعيْن، وله لحية سوداء ويدان ضخمتان، ويخلو من كلِّ مسحةٍ من التَّواضُع.

أخبرَه دنك: «تلزمني درعٌ للدَّورة، بِزَّة من الحلقات الجيِّدة بعُنقيَّة وكلسة وخوذة عظيمة». خوذة العجوز القصيرة تُناسِب رأسه، لكنه يُريد لوجهه حمايةً أكثر من التي يُوفِّرها قضيبٌ واحد لوقاية الأنف.

قلَّب فيه صانع السِّلاح النَّظر من أعلى إلى أسفل قائلًا: «كبير الحجم أنت، لكنني درَّعتُ رجالًا أكبر»، ونهضَ من وراء الطَّاولة مُردفًا: «اركع. أريدُ قياس هاتيْن الكتفيْن. أجل، وعُنقك الثَّخين هذا أيضًا». ركعَ دنك، ومدَّ الرَّجل شريطًا من الجلد الخام المعقود على كتفيْه، ثم نخرَ وطوَّق به حلقه ونخرَ ثانيةً. «ارفع ذراعك. لا، اليُمنى». ومرَّةً ثالثةً نخرَ. «يُمكنك أن تقف الآن». استدرَّ باطن ساقٍ وسُمك ربلته ومقاس خصره مزيدًا من النَّخير، وحينما فرغَ الرَّجل قال: «عندي في عربتي بعض قطع قد تَصلُح لك. لا شيء مجمَّل بالذَّهب أو الفضَّة، دعني أخبرك، بل فولاذ ممتاز فقط، قويٌّ وبسيط. إنني أصنعُ خُوذًا تبدو كالخُوذ، لا خنازير مجنَّحة أو فواكه أجنبيَّة غريبة، لكن خُوذي ستنفعك أكثر إذا أصابَك رمحٌ في وجهك».

قال دنك: «هذا كلُّ ما أريدُ. كم؟».

ـ «ثمانمئة أيِّل، لأني في مزاج كرم».

ـ «ثمانمئة؟!». المبلغ أكبر ممَّا توقَّع. «يُمكنني... يُمكنني أن أقايضك بدرعٍ قديمة مصنوعة لرجلٍ أصغر حجمًا... خوذة قصيرة، زرد...».

صرَّح الرَّجل: «بيْت الفولاذي لا يبيع إلَّا شُغله، ولكن قد يُمكنني الاستفادة من المعدن. إن لم يكن صدئًا جدًّا فسآخذه

وأدرِّعك بستّمئة».

يستطيع دنك أن يُناشِد پيْت أن يُعطيه الدِّرع مرهونةً بالثِّقة، لكنه يعلم نوع الجواب الذي سيتلقَّاه على طلب كهذا، فقد ارتحلَ مع العجوز طويلًا كفايةً ليتعلَّم أنَّ التُّجَّار مشهورون بارتيابهم في الفُرسان الجوَّالة، الذين يُعَدُّ بعضهم أفضل قليلًا من مجرَّد لصوص. «سأعطيك قطعتيْن فضِّيَّتيْن الآن، والدِّرع وباقي النُّقود غدًا».

أمعنَ صانع السِّلاح النَّظر إليه لحظةً، ثم قال: «قطعتان فضِّيَّتان تشتريان لك يومًا. بعد ذلك سأبيعُ شُغلي للرَّجل التَّالي».

التقطَ دنك الأيِّليْن من كيس نقوده ووضعَهما في يد صانع السِّلاح الثَّفنة قائلًا: «ستَحصُل على المبلغ كاملًا. إنني أنوي أن أكون بطلًا هنا».

قال پيْت: «حقًّا؟»، وعضَّ إحدى العُملتيْن مضيفًا: «وأظنُّ أنَّ هؤلاء الآخَرين كلَّهم جاؤوا ليُشجِّعوك فحسب؟».

***

كان القمر قد ارتفعَ في السَّماء عندما وجَّه خُطاه عودةً إلى دردارته. من ورائه اتَّقد (مرج آشفرد) بضوء المشاعل، وحملَ الهواء أصوات الأغاني والضَّحك فوق العُشب، لكن مزاجه هو غلَّفته الكآبة. لم يستطع التَّفكير إلَّا في طريقةٍ واحدة لتحصيل المال من أجل درعه، وإذا هُزِمَ... همهمَ بصوتٍ مسموع: «نصرٌ واحد هو كلُّ ما يلزمني. ليس هذا أملًا يُجاوِز الحدود».

ومع ذلك ما كان العجوز ليأمل ذلك أبدًا. السيْر آرلان لم يركب في مُثاقفةٍ منذ اليوم الذي أسقطَه فيه أمير (دراجنستوْن) عن حصانه في دورة مباريات بـ(ستوْرمز إند) قبل سنواتٍ عدَّة، واعتادَ أن يقول: «ليس لكلِّ رجلٍ أن يتباهى بأنه كسرَ سبعة رماح ضد أبرع فارسٍ في (المَمالكِ السَّبع). لم يُمكنني قَطُّ أن آملَ أن أبلي بلاءً أحسَن، فلِمَ أحاولُ؟».

شكَّ دنك أنَّ لسنِّ السيْر آرلان صلةً بالأمر أكبر من أمير (دراجنستوْن)، وإن لم يجرؤ على التَّصريح بذلك. لقد تمتَّع العجوز بالكبرياء حتى اللَّحظة الأخيرة. قال دنك لنفسه بعناد: *إنني سريعٌ وقوي، هكذا قال دومًا، وليس محتَّمًا أنَّ ما انطبقَ*

عليه ينطبق عليَّ.

بينما يجتاز رُقعةً من الحشائش وهو يتفكَّر في فُرصه، رأى وميض النَّار من خلال الشُّجيرات. *ما هذا؟* لم يتوقَّف ليُفكِر. فجأةً أصبحَ سيفه في يده فيما اندفعَ مخترقًا العُشب.

وانبثقَ هادرًا لاعنًا، فقط ليتوقَّف بحدَّةٍ فجأةً عند مرأى الغُلام بجوار نار المخيَّم. خفضَ السَّيف قائلًا: «أنت! ماذا تفعل هنا؟».

أجابَ الغُلام الأصلع: «أطبخُ سمكةً. هل تُريد؟».

ـ «أعني كيف وصلت إلى هنا؟ هل سرقت حصانًا؟».

ـ «ركبتُ في مؤخِرة عربةٍ مع رجلٍ جلبَ بعض الحملان لأجل مائدة سيِّد (آشفرد)».

ـ «حسن، الأفضل أن ترى هل رحلَ بعدُ، أو تجد عربةً أخرى. لن أتركك تبقى هنا».

ردَّ الغُلام بقلَّة حياء: «لا يُمكنك إجباري على الذَّهاب. لقد اكتفيتُ من ذلك الخان».

حذَّره دنك: «لن أسمح بمزيدٍ من وقاحتك. جديرٌ بي أن ألقيك فوق حصاني الآن وآخذك إلى ديارك».

قال الغُلام: «عليك إذًا أن تقطع الطَّريق كلَّه إلى (كينجز لاندنج). ستفوتك الدَّورة».

ـ (*كينجز لاندنج*). للحظةٍ تساءلَ دنك هل يتعرَّض للسُّخرية، لكن الغُلام لا يملك وسيلةً ليعرف أنه هو أيضًا وُلِدَ في (كينجز

لاندنج). *صعلوك آخَر من (سفح البراغيث) على الأرجح، ومَن يلومه على الرَّغبة في مغادرة ذلك المكان؟*

شعرَ بالحماقة وهو واقفٌ فوق يتيم في الثَّامنة من العُمر وسيفه في يده، فدسَّه في غِمده بوجهٍ مكفهرٍّ ليرى الغُلام أنه لن يسمح بأيّ هُراء. فكَّر دنك: *ينبغي أن أبرّحه ضربًا على الأقل*، إلَّا أنَّ الطِّفل بدا مثيرًا للشَّفقة للغاية، فلم تحمله نفسه على ضربه. ألقى نظرةً في أنحاء المخيَّم، فرأى النَّار متَّقدةً على نحوٍ سار داخل دائرةً من الصُّخور، والخيول ممشَّطةً، والثِّياب منشورةً على الدَّردارة لتجفَّ فوق اللَّهب. «ماذا تفعل هذه هناك؟».

قال الغُلام: «لقد غسلتها، وسستُ الخيول، وأشعلتُ النَّار، واصطدتُ هذه السَّمكة. كنتُ سأنصبُ سُرادقك، لكني لم أجد واحدًا».

ـ «هو ذا سُرادقي». قالها دنك ملوّحًا بيده فوق رأسه ليُشير إلى فروع الدَّردارة الطَّويلة الشَّامخة أعلاهما.

قال الغُلام دونما تأثُّر: «هذه شجرة».

ـ «لا يلزم الفارسَ الحقيقيَّ سُرادق إلَّاها. أفضِّلُ النَّوم تحت الأشجار على النَّوم في خيمةٍ يملؤها الدُّخان».

ـ «وإذا سقطَ المطر؟».

ـ «ستقيني الشَّجرة».

ـ «الأشجار تُسرِّب الماء».

ضحكَ دنك، وقال: «صحيح. بصراحة، المال يعوزني لشراء

سُرادق. والأفضل أن تقلب هذه السَّمكة وإلّا احترقَت من أسفل وظلَّت نيئةً من أعلى. لن تَصلُح للعمل صبيَّ مطبخٍ أبدًا».

ردَّ الغُلام: «أستطيعُ إذا أردتُ»، لكنه قلبَ السَّمكة.

سألَه دنك: «ماذا جرى لشعرك؟».

ـ «حلقَه الميْسترات». فجأةً وقد اعتراه الاستحياء، رفعَ الغُلام قلنسوة معطفه البنّي الدَّاكن ليُغطِّي رأسه.

سمعَ دنك أنهم يفعلون ذلك أحيانًا لعلاج القمل أو دود الجذور أو علٍ معيَّنة. «أأنت مريض؟».

قال الغُلام: «لا. ما اسمك؟».

ـ «دنك».

أطلقَ الغُلام الشَّقي ضحكةً عاليةً كأن هذا أطرف ما سمعَ على الإطلاق، وقال: «دنك؟! السيْر دنك؟ ليس هذا اسم فارس. أهو اختصار لدنكن؟».

أهو كذلك؟ حسبما يَذكُر، العجوز لم يَدعُه إلَّا بدنك، أمَّا حياته قبل ذلك فالباقي في ذاكرته عنها قليل. قال: «دنكن، نعم. السيْر دنكن ابن...». ليس لدنك اسم آخَر، ولا عائلة ينتمي إليها. لقد وجدَه السيْر آرلان يعيش حياةً من الضَّراوة في مواخير (سفح البراغيث) وأزقَّته، ولم يعرف قَطُّ أباه أو أمَّه. ماذا يقول؟ ليس لـ«السيْر دنك ابن (سفح البراغيث)» وقعٌ يليق بفارس. يُمكنه أن يأخذ (شجرة البنسات)، ولكن ماذا إذا سألوه عن مكانها؟ لم يذهب دنك إطلاقًا إلى (شجرة البنسات)، ولا تكلَّم عنها العجوز كثيرًا. عقدَ حاجبيْه بُرهةً، ثم اندفعَ يقول: «السيْر دنكن الطَّويل». إنه طويل فعلًا، لا أحد يُمكنه أن يُجادِل في هذا، وللاسم وقعٌ ينمُّ عن البأس. لكن لم يبدُ أنَّ المتسلِّل الصَّغير وافقَه، إذ قال: «لم أسمع قَطُّ عن أيّ سيْر دنكن الطَّويل». وهل تعرف كلَّ فارسٍ في (الممالك السَّبع)؟».

رمقَه الغُلام بجراءةٍ مجيبًا: «أعرفُ البارعين».

ـ «أنا بارعٌ كأيّ منهم. بعد الدَّورة سيعلمون جميعًا ذلك. ألك أنت اسم أيُّها اللِّصّ؟».

تردَّد الغُلام، ثم قال: «إج».

لم يضحك دنك. *رأسه يُشبِه البيضة حقًّا. الصِّبية الصِّغار قادرون على القسوة، وكذا الرِّجال البالغون.* «إج، يَجدُر بي أن أضربك حتى أدميك ثم أصرفك، لكن الحقيقة أني بلا سُرادق وبلا مُرافق أيضًا. إذا أقسمت أن تفعل كما تُؤمَر فسأدعك تخدمني خلال الدَّورة. بعد ذلك، حسن، سنرى. إذا قرَّرتُ أنك تستأهل تكلفة إعاشتك فستحظى بثياب على بدنك وطعام في بطنك. قد تكون الثِّياب خشنةً والطَّعام لحمًا مملَّحًا وسمَكًا مملَّحًا، وربَّما قليلًا من لحم الغزلان من حينٍ إلى آخَر حيث لا يُوجَد في الجوار حرَّاجون، لكنك لن تجوع. وأعدُ ألَّا أضربك إلَّا عن استحقاق».

ابتسمَ إج قائلًا: «نعم يا سيِّدي».

صحَّح دنك: «أيُّها السيِّد. إنني مجرَّد فارس جوَّال». تساءلَ هل يُشاهِده العجوز الآن من السَّماء. *سأعلِّمه فنون القتال، تمامًا كما علَّمتني أيُّها السيِّد. يبدو ولدًا واعدًا، وقد يغدو فارسًا يومًا ما.*

وجدَ السَّمكة نيئةً بعض الشَّيء من الدَّاخل حينما أكلاها، والغُلام لم يُزِل الشَّوك كلَّه، ومع ذلك فالفرق بين طعمها وطعم اللَّحم المملَّح القاسي فرق السَّماء من الأرض.

سرعان ما راحَ إج في النَّوم بجوار النَّار الميِّتة، وعلى مقربةٍ استلقى دنك على ظهره واضعًا يديْه الكبيرتيْن خلف رأسه ورانيًا ببصره إلى سماء اللَّيل، وقد ترامَت إلى مسامعه موسيقى سحيقة من أرض المباريات البعيدة بنصف ميل. النُّجوم في كلِّ مكان، ألوفٌ وألوفٌ منها، وبينما يتفرَّج هوى أحدها في شريطٍ أخضر يانع ومضَ في السَّواد ثم اختفى.

فكَّر دنك: *النَّجم الهاوي يجلب الحظَّ لمَن يراه، لكن بقيَّتهم داخل سُرادقاتهم الآن، يرفعون أعيُنهم إلى الحرير بدلًا من السَّماء. الحظُّ لي وحدي إذًا.*

***

استيقظَ في الصَّباح على صياح ديك، وإج بعدُ في مكانه متكوِّر على نفسه تحت ثاني أفضل معطفٍ امتلكَه العجوز. *حسن، الغُلام لم يَهرُب ليلًا، إنَّما هذه بداية.* أيقظَه بنخسةٍ من قدمه قائلًا: «انهض. أمامنا عمل»، فقامَ الغُلام بسرعةٍ كافية فاركًا عينيْه، ليُخبِره دنك: «ساعِدني على تسريج سويتفُت».

ـ «والفطور؟».

ـ «لدينا لحمٌ مملَّح، بعد فروغنا لا قبله».

قال إج: «أوثرُ أن آكل الحصان... أيُّها السيْر».

ـ «ستأكل قبضتي إذا لم تفعل كما يُقال لك. أحضِر الفُرش. إنها في جوال السَّرج. نعم، هذا».

معًا مشَّطا شعر الرَّهوانة الكُميت، ثم رفعا أفضل سروج السيْر

آرلان فوق ظهرها وأوثقا أحزمته. رأى دنك أنَّ إج عاملٌ مجتهد ما إن يصبَّ اهتمامه وجهده على العمل.

أخبرَ الغُلام وهو يركب: «أتوقَّعُ أني سأغيبُ معظم النَّهار. ستبقى هنا وتُنظِّم المخيَّم. احرص ألَّا يأتي لصوصٌ غيرك ليتطفَّلوا».

سألَه إج: «ألي بسيفٍ لأطردهم به؟». للغُلام عينان زرقاوان كما رأى دنك، داكنتان جدًّا، تُقارِب درجتهما الأرجواني، وبطريقةٍ ما أبداهما رأسه الأصلع ضخمتيْن.

ـ «لا. يكفيك سكِّين. والأفضل أن تكون هنا حينما أرجعُ، هل تسمعني؟ اسرقني واهرب وسأطاردك، أقسمُ أني سأفعل، وبالكلاب».

أشارَ إج: «لست تملك كلابًا».

ردَّ دنك: «سأشتري بعضها من أجلك فحسب»، ووجَّه رأس سويتفُت صوب المرج وانطلقَ يخبُّ بنشاطٍ آملًا أن يكفي التَّهديد لأن يلزم الغُلام الأمانة. باستثناء الملابس على بدنه والحصان من تحته، كلُّ ما يملكه دنك في العالم في ذلك المخيَّم. قال لنفسه متأمِّلًا: *حماقةٌ كُبرى مني أن أثق بالغُلام إلى هذه الدَّرجة، لكن هذا ليس بأقل ممَّا فعلَ العجوز من أجلي. لا بُدَّ أنَّ الأُم أرسلَته إليَّ لكي أسدِّد ديني.*

فيما عبرَ الحقل سمعَ رنين المطارق من عند ضفَّة النَّهر، حيث يعمل النجَّارون على تسمير حواجز المُثاقفة ونصبِ مدرَّجات مشاهدة منيفة. في تلك الأثناء كان بعض السُّرادقات الجديدة

يُرفَع أيضًا، فيما نامَ الفُرسان الذين وصلوا قبلًا ليتخلَّصوا من آثار عربدة البارحة، أو جلسوا يتناوَلون فطورهم. شمَّ دنك دُخان الحطب، ورائحة لحمٍ مقدَّد أيضًا.

شمال المرج يجري نهر (مجرى الصَّدف)، وهو رافدٌ لـ(الماندر) العظيم، وبعد المخاضة الضَّحلة تقع البلدة والقلعة. رأى دنك كثيرًا من بلدات الأسواق في رحلاته مع العجوز، وهذه أجمل من الغالبيَّة، فلمنازلها المطليَّة بالجير والمسقوفة بالقشِّ مظهرٌ جذَّاب. وهو بعدُ أصغر، اعتادَ أن يتساءَل كيف قد تكون الحياة في مكانٍ كهذا؛ أن تنام كلَّ ليلةٍ وفوق رأسك سقفٌ وتصحو كلَّ صباحٍ ملتحفًا بالجُدران أنفُسها. *قد أعرفُ قريبًا. أجل، واجٍ أيضًا*. واردٌ أن يَحدُث هذا. أشياء أغرب تَحدُث يوميًّا.

(قلعة آشفرد) بناءٌ حجريٌّ مشيَّد بشكلٍ مثلَّث، ترتفع من زواياه أبراجٌ دائريَّة طولها ثلاثون قدمًا بينها أسوارٌ مفرَّجة، وفي الشُّرفات تُرفرِف رايات برتقاليَّة عارضةً رمز سيِّدها المكوَّن من

شمس وشِفرونة[٥] بيضاوين، فيما يقف رجالٌ مسلَّحون يرتدون بِزِزًا برتقاليَّةً وبيضاء خارج البوَّابة حاملين المَطارد، يُشاهِدون النَّاس يروحون ويجيؤون، وعلى ما يبدو منهمكون في المزاح مع حلَّابةٍ حسناء أكثر من منع أيّ أحدٍ من الدُّخول. توقَّف دنك أمام الرَّجل الملتحي القصير الذي قدَّر أنه قائدهم، وسألَ عن قِيَم المباريات.

ـ «بلمَر مَن تُريد. إنه الوكيل هنا. سأريك».

داخل السَّاحة أخذَ منه صبيٌّ إسطبلٍ سويتفُت. علَّق دنك تُرس السيْر آرلان البالي على كتفه وتبعَ قائد الحرس من الإسطبلات إلى بُريج مبني بزاويةٍ في السُّور الواقي. تقود درجات مرتفعة بحدَّة إلَى ممشى الأسوار، وفيما صعدا سألَه القائد: «جئت لتُدرِج اسم سيِّدك لأجل مضمار النِّزال؟».

ـ «اسمي أنا الذي سأدرجه».

ـ «حقًّا؟». هل تكلَّف الرَّجل الابتسام؟ لم يعرف دنك يقينًا. «ذلك الباب هناك. سأتركك لشأنك وأعودُ إلى موقعي».

عندما دفعَ دنك الباب، وجدَ الوكيل جالسًا إلى منضدةٍ بحاملين يخطُّ على رقٍّ بريشته. للرَّجل شعرٌ أشيب خفيف ووجهٌ ضيِّق ممصوص، وقد سألَ رافعًا ناظريْه: «نعم؟ ماذا تُريد يا رجل؟».

أغلقَ دنك الباب قائلًا: «أأنت بلمَر الوكيل؟ جئتُ من أجل الدَّورة، لأدخل مضمار النِّزال».

---

٥ - الشِّفرونة Chevron: شعار نبالة بشكل حرف V مقلوب. (المُترجم).

زمَّ پلمَر شفتيْه، وقال: «دورة سيِّدي اللوْرد مسابقةٌ للفُرسان. أأنت فارس؟».

أومأ دنك برأسه إيجابًا وهو يتساءَل هل احمرَّت أذناه.

ـ «فارسٌ له اسمٌ ربَّما؟».

ـ «دنك». لماذا قال هذا؟! «السيْر دنكن، الطَّويل».

ـ «ومن أين أنت أيُّها السيْر دنكن الطَّويل؟».

أجابَ دنك: «من كلِّ مكان. لقد عملتُ مُرافقًا للسير آرلان ابن (شجرة البنسات) منذ كنتُ في الخامسة أو السَّادسة. هذا تُرسه»، وأراه للوكيل متابعًا: «كان في طريقه إلى الدَّورة، لكنه أصيبَ بنزلة بردٍ وماتَ، فجئتُ بدلًا منه. لقد قلَّدني الفروسيَّة قبل رحيله، واستخدمَ سيفه»، ثم سحبَ السَّيف الطَّويل ووضعَه بينهما على المنضدة الخشبيَّة المشوَّهة.

لم يُعطِ قيِّم المضمار السَّيف أكثر من نظرةٍ عابرة، وقال: «إنه سيفٌ من غير شك. على أني لم أسمع قَطُّ بذلك السير آرلان ابن (شجرة البنسات). تقول إنك كنت مُرافقه؟».

ـ «لطالما قال إنه انتوى أن أصير فارسًا كما كان. وهو يُحتضَر طلبَ سيفه الطَّويل وأمرَني بالرُّكوع. مسَّني مرَّةً على كتفي اليُمنى ومرَّةً على اليُسرى، وردَّد بعض الكلمات، ولمَّا نهضتُ قال إنني الآن فارس».

ـ «همف». فركَ الرَّجل پلمَر أنفه قائلًا: «لأيِّ فارسٍ أن يُسيغ

الفروسيَّة، صحيحٌ هذا، ولو أنَّ العُرف الأشيع أن تقف ساهرًا ويُمرِّخك سِپتوْن قبل أن تُردِّد نذورك. هل شهدَ على تقليدك أيُّ أحد؟».

ـ «لا أحد إلَّا طائر أبي حنَّاء فوق شجرة شوك؛ سمعته والعجوز يقول قوله. لقد كلَّفني بأن أكون فارسًا صالحًا قويمًا، وأن أطيع الآلهة السَّبعة، وأدافع عن الضُّعفاء والأبرياء، وأخدم سيِّدي بإخلاص، وأدافع عن البلاد بقوَّتي كلِّها، وأقسمتُ أن أفعل ذلك».

ـ «لا شكَّ». لاحظَ دنك أنَّ پلمَر لم يتفضَّل بدعوته بالسيْر. «عليَّ أن أستشير اللوْرد آشفرد. أأنت أو سيِّدك الرَّاحل معروفٌ لأيّ من الفُرسان الكرام المجتمعين هنا؟».

فكَّر دنك لحظةً، ثم قال: «أيُوجَد سُرادق يرفع راية عائلة دُنداريوْن؟ سوداء وعليها برقٌ أرجواني؟».

ـ «إنه السيْر مانفرِد ابن تلك العائلة».

ـ «السيْر آرلان خدمَ السيِّد والده في (دوْرن) قبل ثلاث سنوات. قد يتذكَّرني السيْر مانفرِد».

ـ «أنصحك بأن تتكلَّم معه. إذا قبلَ أن يكفلك فأحضِره معك إلى هنا في الموعد نفسه غدًا».

قال دنك: «كما تقول يا سِيدي»، واتَّجه نحو الباب.

ناداه الوكيل: «سيْر دنكن»، ولمَّا التفتَ إليه دنك قال: «أتُدرِك أنَّ المغلوب في المباريات يُغرَّم أسلحته ودرعه ومطيَّته

لصالح الغالب، ويجب أن يدفع فديةً ليستردَّها؟».

ـ «أعرفُ».

ـ «وهل تملك المال لتدفع فديةً كتلك؟».

الآن علمَ دنك أنَّ أذنيه محمرَّتان، وداعيًا أن يصحَّ قوله قال: «لن أحتاج إلى مال». *يلزمني نصرٌ واحدٌ فقط. إذا فزتُ في مُثاقفتي الأولى فسأظفرُ بدرع الخاسر وحصانه، أو بذهبه، ويُمكنني أن أتحمَّل خسارةً عن نفسي.*

نزلَ الدَّرجات على مهلٍ عازفًا عن الإقدام على الخُطوة التَّالية الضَّروريَّة. في السَّاحة نادى أحد صِبيان الإسطبلات، وأخبرَه: «يجب أتكلَّم مع قيِّم خيول اللوْرد آشفرد».

ـ «سأجده لك».

الحرارة في داخل الإسطبلات فاترة والإضاءة معتمة. بينما يمرُّ دنك عضَّ فحلٌ رماديٌّ جامح الهواء في وجهه، لكن سويتفُت

أطلقَت صهيلًا خافتًا فحسب ومرَّغت أنفها في يده حين رفعَها إليه. غمغمَ: «فتاةٌ طيّبة أنتِ، أليس كذلك؟». دائمًا قال العجوز إنه لا يجب أبدًا أن يحبَّ الفارس حصانًا، لأن أكثر من قِلّةٍ من الخيول ستموت تحته في الغالب، لكن الرَّجل لم يعمل بنصيحة نفسه قَطُّ، فكثيرًا ما رآه دنك يُنفِق بنسه الأخير على تُفّاحةٍ لتشستنت العجوز أو قليل من الشُّوفان لسويتفُت وثندر. كانت الرَّهوانة حصان ركوب السّيْر آرلان، وقد حملَته بلا كلل على امتداد آلاف الأميال في طول (الممالك السَّبع) وعرضها. شعرَ دنك كأنه يخون صديقًا قديمًا، ولكن ما الخيار؟ تشستنت أعجز من أن تكون له قيمة، وثندر يجب أن يحمله في المضمار.

مضى بعض الوقت قبل أن يتنازَل قيّم الخيول ويظهر. بينما ينتظر، سمعَ دنك الأبواق النُّحاس تُدوّي من فوق الأسوار وأصواتًا في السَّاحة، وشاعرًا بالفضول قادَ سويتفُت إلى باب الإسطبل ليرى ما يَحدُث. من البوَّابة تدفَّقت كوكبةٌ كبيرة من الفُرسان والرُّماة الرَّاكبين، مئة رجل على الأقل، يمتطون بعضًا من أروع الخيول التي رآها دنك على الإطلاق. *أحد كبار اللوردات وصل*. قبضَ على ذراع صبيّ إسطبلاتٍ وهو يجري مارًّا، وسألَه: «مَن هؤلاء؟».

حدجَه الصَّبي بنظرة استغراب، وقال: «ألا ترى الرَّايات؟»، وانتزعَ ذراعه وأسرعَ مبتعدًا.

ـ *الرَّايات*... بينما أدارَ دنك رأسه رفعَت هبَّة ريح الرَّاية المثلَّثيَّة المفصَّلة من الحرير الأسود على قمَّة السَّاري الطَّويل، وبدا كأن تنّين عائلة تارجاريَن الشَّرس برؤوسه الثَّلاثة يبسط

جناحيْه نافثًا نارًا قرمزيَّةً. حامل الرَّاية فارسٌ طويل القامة يرتدي درعًا مصفَّحةً بيضاء منقوشةً بالذَّهب، وينسدل من فوق كتفيْه معطفٌ أبيض ناصع، في حين يُدرِّع اثنان آخَران من الرَّاكبين نفسيْهما بالأبيض من قمَّة الرَّأس إلى أخمص القدميْن أيضًا. *فُرسان من الحرس الملكي يرفعون الرَّاية الملكيَّة*. لا عجب أنَّ اللورد آشفرد وابنيْه هروَلوا خارجين من باب الحصن، والعذراء الجميلة أيضًا، فتاةٌ قصيرة بشعرٍ أصفر ووجهٍ متورِّد مستدير.

فكَّر دنك: *لا تبدو لي بذلك الجمال*. محرِّكة الدُّمى أجمل.

ـ «يا ولد، اترُك ذلك الحصان الوضيع واعتنِ بجوادي».

كان أحد الرَّاكبين قد ترجَّل أمام الإسطبلات، وقال دنك لنفسه مدركًا: *إنه يُكلِّمني*. «لستُ صبيَّ إسطبلٍ يا سيدي».

ـ «لستَ بالذَّكاء الكافي؟». يرتدي المتحدِّث معطفًا أسود محدَّدًا بالسَّاتان الأحمر السِّقلاتي، لكن الثِّياب من تحته بارقةٌ كاللَّهب، جميعها درجات من الأحمر والأصفر والذَّهبي. نحيلٌ هو وممشوق القوام كالخنجر، ومع أنه متوسِّط الطول فإنه يُناهز دنك سنًّا، وتُحدِّد خُصل من الشَّعر الذَّهبي الفضِّي وجهًا منحوتًا متأمِّرًا، بجبهةٍ عالية وعظام وجنتيْن حادَّة وأنفٍ مستقيم وبشرةٍ شاحبة ناعمة لا تشوبها شائبة، أمَّا عيناه فذاتا لونٍ أرجوانيّ عميق. «ما دُمت لا تستطيع التَّعامُل مع حصانٍ فأحضِر لي نبيذًا وفتاةً حسناء».

ـ «إنني... سيدي، أنا لستُ خادمًا كذلك. يُشرِّفني أنني فارس».

قال الأمير الصَّغير: «الفروسيَّة تدهورَت بها الأيَّام»، ولكن عندئذٍ هرعَ إليه أحد صِبيان الإسطبلات، فالتفتَ ليُناوِله عنان

رهوانه ذي اللَّون الدَّموي الرَّائع. في لحظةٍ نُسِيَ دنك، وبارتياح انسلَّ إلى داخل الإسطبل من جديدٍ لينتظر قيِّم الخيول. مجرَّد وجوده في حضرة اللوْردات في سُرادقاتهم يُصيبه بالاضطراب، وليس من شأنه أن يُكلِّم الأمراء.

لا شكَّ عنده أنَّ الفتى الجميل أمير. آل تارجاريَن من دم (ڤاليريا) المفقودة وراء البحار، وشعورهم الذَّهبيَّة الفضِّيَّة وعيونهم البنفسجيَّة تُفضِّلهم عن البشر العاديِّين. يعلم دنك أنَّ الأمير بيْلوْر أكبر سنًّا، ولكن قد يكون الشَّاب أحد ابنيْه: ڤالر الذي يُدعى غالبًا بالأمير الشَّاب لتمييزه من أبيه، أو ماتارِس، الأمير الأكثر شبابًا كما سمَّاه مهرِّج اللوْرد سوان ذات مرَّة. ويُوجَد أمراء صغار آخَرون، أبناء عمومةٍ لڤالر وماتارِس، فللملك ديْرون الصَّالح أربعة أبناءٍ بالغون، لثلاثةٍ منهم أبناء. في أيَّام أبيه كادَت سُلالة ملوك التَّانين تنقرض، وإن شاعَ القول بأن ديْرون وأبناءه أمَّنوها أبد الدَّهر.

ـ «أنت، أيُّها الرَّجل، لقد سألتَ عني». لقيِّم خيول اللوْرد آشفرد وجهٌ أحمر حمَّرته ثيابه البرتقاليَّة زيادةً، وأسلوبٌ فظٌّ في الكلام. «ما الأمر؟ لا وقت عندي لـ...».

أسرعَ دنك يُقاطع الرَّجل قبل أن يصرفه: «أريدُ بيع هذه الرَّهوانة. إنها فرسٌ ممتازة، واثقة الخُطى...».

أعطى الرَّجل سويتفُت نظرةً عابرةً لا أكثر، وردَّ : «أقولُ لك لا وقت عندي. سيِّدي اللوْرد آشفرد لا يحتاج إلى أمثالها. خُذها إلى البلدة وقد يَنقُدك هنلي قطعةً فضِّيَّةً أو ثلاثًا»، وبمنتهى السُّرعة دارَ لينصرف.

قبل أن يُغادِر الرَّجل قال دنك: «أشكرك يا سِيدي. سِيدي، هل جاءَ الملك؟».

ضحكَ منه قيِّم الخيول، وقال: «لا والشُّكر للآلهة. اجتياح الأمراء هذا بلوى بما فيه الكفاية. أين أجدُ مَرابط لهذه الحيوانات كلِّها؟ وعلفًا؟»، وابتعدَ بخُطواتٍ واسعة زاعقًا في صِبيانه.

لدى مغادرة دنك الإسطبلات، كان اللوْرد آشفرد قد اصطحبَ ضيوفه الأمراء إلى القاعة، لكن اثنيْن من فُرسان الحرس الملكي

بدرعيْهما البيضاوَيْن ومعطفيْهما الثَّلجيَّيْن مكثا في السَّاحة يُكلِّمان قائد الحرس. توقَّف دنك أمامهما قائلًا: «سِيداي، أنا السيْر دنكن الطَّويل».

ردَّ أكبر الفارسيْن الأبيضيْن حجمًا: «لقاءٌ سعيد يا سيْر دنكن. أنا السيْر رولند كريْكهوْل، وهذا أخي المحلَّف السيْر دوْنل ابن (وادي الغسق)».

أبطال الحرس الملكي السَّبعة أعتى مُحاربين في (الممالك السَّبع) بأسرها، ربَّما باستثناء وليّ العهد، بيْلوْر كاسر الحراب ذاته. بقلقٍ سألَهما دنك: «هل جئتما لدخول مضمار النِّزال؟».

أجابَه السيْر دوْنل أحمر الشَّعر واللِّحية: «لا يليق بنا أن نركب ضد مَن أقسمنا على حمايتهم».

وشرحَ السيْر رولند: «الأمير ڤالر يتشرَّف بأنه أحد أنصار الليْدي آشفرد، واثنان من أبناء عمومته ينويان التَّحدِّي. بقيَّتنا جاؤوا للمشاهدة فحسب».

متنفِّسًا الصُّعداء، شكرَ دنك الفارسيْن الأبيضيْن على لُطفهما، وركبَ خارجًا من بوَّابة القلعة قبل أن يُفكِر أميرٌ آخَر في مبادرته بكلمةٍ خشنة. تأمَّل في سريرته وهو يُوجِّه الرَّهوانة نحو شوارع بلدة (آشفرد): *ثلاثة أمراء صغار*. ڤالر أكبر أبناء الأمير بيْلوْر، والثَّاني في تسلسُل وراثة العرش الحديدي، لكن دنك يجهل كم ورثَ من بأس أبيه الأسطوري بالرُّمح والسَّيف، أمَّا أميرا آل تارجاريَن الآخَران فمعرفته بهما أقلّ. *ماذا أفعلُ إذا اضطررتُ إلى الرُّكوب ضد أمير؟ هل سيُسمَح لي أصلًا بتحدِّي شخص شريف النَّسب كهذا؟* لا يعرف الجواب. لطالما قال العجوز إنَّه غليظ العقل كسور قلعة، والآن تحديدًا يَشعُر أنه كذلك حقًّا.

***

أعجبَ هنلي شكلُ سويتفُت كفايةً حتى سمعَ أنَّ دنك يُريد بيعها، وعندئذٍ لم يَعُد يرى فيها إلَّا عيوبًا. عرضَ السَّائس ثلاثمئة قطعةٍ من الفضَّة، فقال دنك إنه يجب أن يدفع ثلاثة آلاف، وبعد كثيرٍ من الجدل والتَّلاسُن استقرَّا على سبعمئةٍ وخمسين أيَّلًا فضِّيًّا، أقرب كثيرًا إلى سعر هنلي المبدئي من سعر دنك، وهو ما أشعرَه أنه الخاسر في هذا النِّزال، لكن السَّائس أبى تمامًا أن يرفع السِّعر، وفي النِّهاية لم يملك دنك خيارًا إلَّا الإذعان. ثم بدأت مشادَّة ثانية لمَّا صرَّح دنك أنَّ السِّعر لا يشمل السَّرج، في حين أصرَّ هنلي أنه يشمله.

أخيرًا سُوِّيَ كلُّ شيء، وإذ ذهبَ هنلي ليُحضِر ماله ملَّس دنك على عُرف سويتفُت وقال لها أن تتشجَّع. «إذا فزتُ فسأرجعُ وأشتريكِ مجدَّدًا، أعدُكِ». لا شكَّ لديه أنَّ عيوب الرَّهوانة جميعًا ستختفي خلال الأيَّام الفاصلة بين البيعتيْن، وسيتضاعَف ثمنها عنه اليوم.

أعطاه السَّائس ثلاث قطع ذهبيَّة والباقي فضَّةً. عضَّ دنك على واحدةٍ من العُملات الذَّهبيَّة ثم ابتسمَ؛ إنه لم يَذُق الذَّهب من قبل قَطُّ، ولا تعاملَ به. يُسمّي النَّاس هذه العُملات «تنانين»، بما أنَّ أحد وجهيْها مدموغٌ بتنِّين عائلة تارجاريَن ثُلاثي الرُّؤوس، فيما يحمل الوجه الآخَر صورة الملك. على اثنتيْن من العُملات التي أعطاها له هنلي وجه الملك ديْرون، أمَّا الثَّالثة فأقدم، وبالية، وعليها رجلٌ مختلف اسمه مكتوب تحت رأسه، غير أنَّ دنك لم يستطِع قراءة الحروف. رأى أيضًا أنَّ شيئًا من الذَّهب

مبرود عند الحافات، فلفتَ نظر هنلي إلى هذا، وبصوت عالٍ. زمجرَ السَّائس، لكنه ناولَه بضع قطع فضِّيَّة أخرى، وأضافَ ملءَ قبضةٍ من العُملات النُّحاس، ليُعيدَ إليه دنك بعضًا من هذه ويُشير برأسه إلى سويتفُت قائلًا: «من أجلها. احرص أن تأكل شوفانًا اللَّيلة. أجل، وتُفَّاحةً أيضًا».

معلِّقًا التُّرس على ذراعه ومدلِّيًا جوال الدِّرع القديمة من فوق كتفه، بدأ دنك يقطع شوارع بلدة (آشفرد) المشمسة سيرًا. بثَّ فيه ثقل هذه العُملات كلِّها في جرابه إحساسًا عجيبًا، أقرب من ناحيةٍ إلى توهانٍ مثير ومن أخرى إلى التَّوتُّر. العجوز لم يأتمِنه قَطُّ على أكثر من عُملةٍ أو اثنتيْن في المرَّة، والآن باستطاعته أن يعيش بهذا المبلغ الكبير عامًا. *وماذا أفعلُ حينما ينفد؟ أبيعُ ثندر؟* ذلك الطَّريق ينتهي بالشَّحاذة أو الإجرام. *هذه الفُرصة لن تتكرَّر أبدًا. لا بُدَّ أن أخاطر بكلِّ شيء.*

وقت أن عبرَ المخاضة إلى ضفَّة (مجرى الصَّدف) الجنوبيَّة، كان الصَّباح في أواخره وأرض المباريات دبَّت فيها الحياة من جديد؛ يعمل باعة الخمور وطبَّاخو السُّجق بنشاطٍ في تجارتهم، ويجرُّ دبٌّ راقص قدميْه على أنغام صاحبه فيما يُغنِّي مغنٍّ «الدُّب، الدُّب، والفتاة الحسناء»، ويحوي الحُواة، فيما يضع محرِّكو الدُّمى أوزار قتالٍ آخَر.

توقَّف دنك ليُشاهد التنِّين الخشبيَّ يُقتَل. عندما قطعَ الفارس الدُّمية رأسه وانسكبَت نُشارة الخشب الحمراء على العُشب، أطلقَ دنك ضحكةً عاليةً وألقى إلى الفتاة بقطعتيْن نُحاسيَّتيْن مناديًا: «إحداهما لأجل ليلة أمس»، فالتقطَت العُملتيْن في

الهـواء وألقَـت إليـه بابتسـامةٍ مـن أعـذب مـا رأى.

ـ *ألي تبتسـم أم للنُّقـود*؟ لـم يُعاشِـر دنـك فتـاةً قَـطُّ، والفتيـات يُثِرن اضطرابه. في مرَّةٍ قبل ثلاث سنوات، وقد امتلأكيس نقود العجوز بعد نصف عام في خدمة اللوْرد فلوْرنت الكفيف، قال لدنك إنَّ الوقت حانَ ليَأخذه إلى ماخور ويجعل منه رجلًا. على أنَّ العجوز قال ذلك وهو سكران، ولمَّا أفاقَ لم يتذكَّر، وحالَ خجل دنك البالغ دون أن يُذكِّره. ليس متأكِّدًا أنه يُريد عاهرةً على كلِّ حال. ما دامَ لا يُمكنه أن يحظى بعذراء ذات حسبٍ ونسبٍ كفارسٍ حقيقي، فعلى الأقل يُريد واحدةً يُعجِبها ما هو أكثر من فضَّته.

فيما اغترفَت فتاة الدُّمى نُشارة الدَّم داخل تنِّينها، قال لها: «هل تشربين قرنًا من المزر؟ أعني معي؟ أو سُجقَّةً؟ أكلتُ واحدةً البارحة، كانت طيِّبةً. يصنعونه من لحم الخنزير على ما أظنُّ».

ردَّت الفتاة: «أشكرك يا سيدي، لكن عندنا عرضًا آخَر»، ثم نهضَت وجرَت إلى المرأة الدوْرنيَّة البدينة الشَّرسة التي تتحكم في الفارس الدُّمية، فيما وقفَ هو في مكانه شاعرًا بالحماقة، وإن طابَت له طريقة جريها. *فتاةٌ جميلة، وطويلة. ليس عليَّ أن أركع لأقبِّلها*. يعرف دنك كيف يُقبِّل. قبل عام في (لانسپورت) أرَته عاملة حانةٍ ذات ليلة، لكنها كانت قصيرةً إلى درجة أنها جلسَت على المائدة لتَبلُغ شفتيْه. ألهبَت الذِّكرى أذنيْه. يا له من أحمق كبير. النِّزال ما عليه أن يُفكِّر فيه لا القُبل.

كان نجَّارو اللوْرد آشفرد يستخدمون الجير لطلاء الحواجز الخشبيَّة التي ستفصل بين المتثاقفين مرتفعةً حتى الخصر، وشاهدَهم دنك يعملون فترةً. خمس مساراتٍ مصفوفة من الشَّمال إلى الجنوب لكيلا يركب أحد المتنافسين والشَّمس في عينيْه، وقد نُصبَت مدرَّجات من ثلاثة صفوفٍ على جانب المضمار الشَّرقي، وزُوِّدَت بظُلَّةٍ برتقاليَّة لوقاية اللوْردات والليْديهات من المطر والشَّمس. سيجلس معظم المتفرِّجين على دِكك، ولكن في منتصف المدرَّجات أربعة مقاعد عاليةِ الظَّهر منصوبة من أجل اللوْرد آشفرد والعذراء الجميلة والأمراء الزَّائرين.

عند تُخم المرج الغربي أقيمَ طاووسٌ راحَت دستة من الفُرسان تتدرَّب عليه؛ يضرب كلٌّ منهم الذِّراع القائمة لتدور حول محورها كلَّما أصابَ التُّرس المتشظِّي المثبَّت إلى طرفها. شاهدَ دنك غاشم براكن يأخذ دوره، ثم اللوْرد كارون سيِّد (التُّخوم)، وبقلقٍ فكَّر: *لا أجيدُ الرُّكوب كما يُجيده أيٌّ منهم.*

في أماكن أخرى يتدرَّب الرِّجال على أقدامهم، يكرُّ بعضهم على بعضٍ بسيوفٍ خشبيَّة،

فيما يقف مُرافقوهم هاتفين بإرشاداتٍ بذيئة. شاهدَ دنك شابًّا قصيرًا عريضًا يُحاوِل صدَّ فارسٍ قويِ العضلات يبدو رشيقًا سريعًا كقطٍ جبلي، وقد رُسمَت على كلٍ من تُرسيْهما تُفَّاحة آل فوسوِواي الحمراء، ولكن سرعان ما حُطِّمَ تُرس الرَّجل الأصغر

وصارَ شظايا. «ها هي ذي تُفّاحة لم تَنضُج بعدُ». قالها الأكبر إذ هوى بضربةٍ على خوذة الآخَر، ولمَّا استسلمَ ولد فؤسْواي الأصغر أخيرًا كان مكدومًا داميًا، أمَّا خصمه فبالكاد اضطربَت أنفاسه. رفعَ الأكبر مقدّمة خوذته ونظرَ حوله، وإذ رأى دنك خاطبَه: «أنت هناك. نعم، أنت، الكبير. فارس الكأس المجنَّحة. أهذا الذي تحمله سيفٌ طويل؟».

قال دنك بنبرةٍ دفاعيَّة: «ملكيَّته تحقُّ لي. أنا السيْر دنكن الطَّويل».

ـ «وأنا السيْر ستفون فؤسْواي. أتودُّ أن تُجرّبني أيُّها السيْر دنكن الطَّويل؟ سيروقني أن أجد أحدًا جديدًا أقارعه. ابن عمومتي لم يَنضُج بعدُ كما رأيت».

حثَّه ولد فؤسْواي المهزوم وهو يخلع خوذته: «افعلها أيُّها السيْر دنكن. ربَّما لم أنضج، لكن ابن عمومتي الكريم متعفِّن حتى اللُّب. اضربه حتى تُفرِغه من البذور».

هزَّ دنك رأسه. لماذا يُورّطه هذان اللوْردان الصَّغيران في عراكهما؟ لا يُريد أن يكون طرفًا فيه. «أشكرك أيُّها السيْر، لكن عندي مشاغل عليَّ أن أتولّاها». يُزعِجه أن يحمل هذا المبلغ الكبير، وكلَّما عجَّل بنقد پيْت الفولاذي ماله وحصلَ على درعه صارَ أسعد.

رمقَه السيْر ستفون بسخرية، وقال: «الفارس الجوَّال عنده مشاغل»، ثم نظرَ حوله حتى وجدَ خصمًا جديرًا آخَر يتسكّع على مقربة، فناداه: «سيْر جرانس، لقاءٌ سعيد. تعالَ وجرّبني. إنني أعرفُ كلَّ حيلةٍ واهنة أتقنَها رِايمن ابن عمومتي، ويبدو

أنَّ على السيْر دنكن أن يرجع إلى التَّجوال بين الأسوجة. هلمَّ، هلمَّ».

ابتعدَ دنك بخُطوات متيبّسة ووجهٍ محتقن. عن نفسه، لا يعرف حيلًا كثيرةً ـ واهنةً أو غيرها ـ ولا يُريد أن يراه أحدٌ يُقاتِل قبل بدء الدَّورة. دائمًا قال العجوز إنه كلَّما زدت معرفةً بخصمك باتَ تفوُّقك عليه أسهل. الفُرسان من أمثال السيْر ستفون يتمتَّعون بأعيُنٍ ثاقبة يَرصُدون بها نقطة ضعف المرء بمجرَّد النَّظر. دنك قويٌّ وسريع، ووزنه ونطاقه يصبَّان في صالحه، لكنه لا يعتقد ولو لحظةً أنَّ مهاراته تُكافئ هؤلاء الآخَرين. لقد علَّمه السيْر آرلان قدر ما أمكنَه، إلَّا أنَّ العجوز لم يكن أعظم الفُرسان، حتى في شبابه. الفُرسان العظام لا يقضون حياتهم في التَّجوال ولا يموتون على جانب طريقٍ موحل. تعهَّد دنك لنفسه: *لن يَحدُث ذلك لي. سأريهم أني أستطيعُ أن أكون أكثر من فارسٍ جوَّال.*

ـ «سيْر دنكن». هرعَ ولد فوْسوْواي الأصغر ليلحق به. «لم يَجدُر بي أن أحثَّك على مواجهة ابن عمومتي. كنتُ غاضبًا من غطرسته، وأنت كبير جدًّا، فخطرَ لي... على كلّ حال، لقد أخطأتُ. إنك لا ترتدي درعًا، ولكسرَ لك يدًا لو أرادَ، أو رُكبةً. إنه يحبُّ كيل الضَّربات للرِّجال في ساحة التَّدريب ليُصيّرهم مرضوضين خائري القُوى لاحقًا، تحسُّبًا للقائهم في المضمار».

ـ «إنه لم يكسرك».

ـ «نعم، لكني من دمه، ولو أنَّ فرعه من شجرة التُّفَّاح أعلى، وهو ما لا يكفُّ عن تذكيري به أبدًا. أنا رِايمن فوْسوْواي».

ـ «لقاءٌ سعيد. هل ستركب أنت وابن عمومتك خلال

الـدَّورة؟».

ـ «هـو سـيفعل بالتَّأكيـد، أمَّـا أنـا فليتـني أقـدرُ. إنـني مجـرَّد مُرافـق حـتى الآن. ابـن عمومتي وعـدَ بتقليـدي الفروسيَّة، لكنـه مصـرٌّ أني لـم أنـضج بعـدُ». لرايمـن وجـهٌ مربَّـع وأنـف أفطـس وشـعر قصيـر ملبَّـد كالصُّـوف، لكـن ابتسـامته جذّابـة. «يبـدو لي أنَّ لـك مظهـر مُبـارٍ. تُـرس مَـن تنـوي أن تضـرب؟».

أجـابَ دنـك: «لا فـرق». هـذا هـو المفـروض أن يُقـال، ولـو أنَّ الفـرق في الحقيقـة شـاسع. «لـن أدخـل المضمـار حـتى اليـوم الثَّالـث».

قـال رايمـن: «وحينئذٍ سيكون بعـض الأبطال قـد سـقطَ. حسـن، عـسى أن يبتسـم لـك **المُحـارب** أيُّهـا السـيّر».

ـ «ولـك». *لـو أنـه مجـرَّد مُرافـق فأنَّى لي أن أكـون فارسًـا؟ أحدنـا أحمـق.* مع كلِّ خُطـوةٍ أخذَهـا رنَّـت الفضَّـة في كيـس نقـوده، وإن أدركَ أنـه قـد يخسـرها كلَّهـا في غمضـة عيـن. حـتى قواعـد هـذه الـدَّورة ليسـت في صالحـه، إذ تجعـل مواجهتـه خصمًـا أخضـر أو ضعيفًـا مسـتبعدةً للغايـة.

الأشكال التي يُمكـن أن تتَّخذهـا دورة مباريـاتٍ عديـدةٌ، وتتوقَّـف عـلى هـوى اللـورد الـذي يسـتضيفها. بعضهـا معـارك صوريَّـة بيـن فِرق من الفُرسـان، وأخـرى التحامـات جماعيَّـة جامحـة يظفـر فيهـا بالشَّـرف آخِـر مُقاتـلٍ واقـف عـلى قدميْـه، وحيـث يُعمَـل بقاعـدة النِّـزال الفـردي تُقـرَّر المزاوجـات بالاقتـراع أحيانًـا، وأحيانًـا يُقرِّرهـا قيِّـم المباريـات.

يُقيم اللوْرد آشفرد هذه الدَّورة احتفالًا بيوم ميلاد ابنته الثَّالث عشر. ستجلس العذراء الجميلة إلى جانب أبيها بصفتها ملكة الحُبّ والجمال الحاكمة، وسيُدافع عنها خمسة أنصار يضعون عطيَّتها على أذرُعهم، وبمقتضى هذا يجب أن يكون الآخَرون كلُّهم متحدِّين، لكن إذا غلبَ أيٌّ رجلٍ أحد الأنصار فسيأخذ مكانه ويُصبح هو نفسه نصيرًا، إلى أن يتمكن متحدٍّ آخَر من إسقاطه عن حصانه. في نهاية ثلاثة أيَّام من المُثاقفة سيُقرّر الخمسة المتبقُّون هل تحتفظ العذراء الجميلة بتاج الحُبّ والجمال أم تعتمره واحدةٌ أخرى بدلًا منها.

حدَّق دنك إلى المضمار العُشبي والمقاعد الخالية فوق مدرَّجات المشاهدة، وتفكَّر في فُرصه. نصرٌ واحدٌ هو كلُّ ما يلزمه، وبعدها بإمكانه أن يُسمّي نفسه واحدًا من أبطال (مرج آشفرد) ولو لساعة واحدة. العجوز عاشَ قُرابة الستِّين عامًا ولم يُصبح بطلًا قَطُّ. *ليس أملًا أكبر من أن يتحقَّق، إذا شاءَت الآلهة.* استعادَ في ذاكرته الأغاني التي سمعَها، أغانيَ عن سيميون ذي العينيْن النَّجمتيْن، والنَّبيل سرون صاحب التُّرس المرآة، والأمير إيمون الفارس التنّين، والسيْر ريام ردواين، وفلوْريَن المهرّج. كلُّهم انتصرَ على خصوم أفظع بكثير من أيّ ممَّن سيُواجِه. *لكنهم كانوا أبطالًا عظامًا، رجالًا شُجعانًا نبيلي المولد، باستثناء فلوْريَن. وماذا أكونُ أنا؟ دنك ابن (سفح البراغيث) أم السيْر دنكن الطَّويل؟*

قدَّر أنه سيتبيَّن الحقيقة عمَّا قريب، ورفعَ جوال الدِّرع ووجَّه قدميْه ناحية أكشاك التُّجَّار سعيًا إلى بيْت الفولاذي.

***

عملَ إج باجتهادٍ في موقع المخيَّم، وهو ما سرَّ دنك الذي خشيَ إلى حدٍّ ما أن يَهرُب مُرافقه ثانيةً. سألَه الغُلام: «هل حصلت على ثمنٍ وافٍ لقاء رهوانتك؟».

ـ «كيف عرفت أني بعتها؟».

ـ «ذهبتَ ركوبًا ورجعتَ مشيًا، ولو سرقَها لصوصٌ لكنت أشدَّ غضبًا».

قال دنك: «حصلتُ على ما يكفي لأشتري هذه»، وأخرجَ درعه الجديدة ليُري الغُلام. «إذا كنت ستُصبِح فارسًا يومًا فعليك أن تُميِّز الفولاذ الجيِّد من الرَّديء. انظُر هنا، إنه عملٌ متقن. هذه الحلقات مزدوجة السَّلسلة، كلُّ حلقةٍ مربوطة باثنتيْن أخريَيْن، أترى؟ تُزوِّدك بحمايةٍ أفضل من السَّلاسل المفردة. والخوذة، بيْت دوَّر قمَّتها. أترى كيف تتحدَّب؟ السيف أو الفأس ينزلقان عليها، في حين أنهما يخترقان الخُوذ مسطَّحة القمَّة». ثم أنزلَ دنك الخوذة العظيمة على رأسه سائلًا: «كيف تبدو؟».

علَّق إج: «لا تُوجَد مقدِّمة».

ـ «بها فتحات تهوية. مقدِّمات الخُوذ نقاط ضعف». هكذا قال بيْت الفولاذي، وأخبرَ دنك: «لو علمت كم فارسًا انغرزَ في عينه سهمٌ حين رفعَ مقدِّمة خوذته لأجل عبَّةٍ من الهواء البارد لما أردت واحدةً أبدًا».

قال إج: «لا تُوجَد ريشةٌ كذلك. إنها بلا أيِّ زينة».

رفعَ دنك الخوذة قائلًا: «لا بأس بغياب الزِّينة عند أمثالي. أترى كيف يلمع الفولاذ؟ مهمَّتك أن تُحافِظ عليه. هل تعرف

كيف تجلو المعدن؟».

قال الغُلام: «في برميل من الرَّمل، لكنك لا تملك برميلًا. هل اشتريت سُرادقًا أيضًا أيُّها السيِّر؟».

ـ «لم أحصل على ثمنٍ وافٍ إلى تلك الدَّرجة». *جرأة الغُلام هذه كفيلة بإيقاعه في متاعب. جديرٌ بي أن أضربه حتى ينبذها.* لكنه علمَ أنه لن يفعل. تُعجبه هذه الجرأة، ويلزمه أن يكون أجرأ عن نفسه. *مُرافقي أشجع مني، وأذكى.* أخبرَه دنك: «أبليت بلاءً حسنًا هنا يا إج. غدًا ستأتي معي. ألقِ نظرةً على أرض المباريات. سنبتاع شوفانًا للحصانيْن وخُبزًا طازجًا لنا، وربَّما قليلًا من الجُبنة أيضًا. يبيعون جُبنةً طيِّبةً في أحد الأكشاك».

ـ «لن أضطرَّ إلى دخول القلعة، أليس كذلك؟».

ـ «ولِمَ لا؟ يومًا ما أنوي أن أعيش في قلعة. آملُ أن أظفر بموضعٍ أعلى الملح[٦] قبل خاتمتي».

لم يردَّ الغُلام، ففكَّر دنك: *لعلَّه يخاف دخول قاعة لوْرد. ليس ذلك أكثر من المتوقَّع. سيتخلَّص من خوفه هذا مع الوقت*، ثم عادَ يتطلَّع إلى درعه معجبًا ويتساءَل كم من الزَّمن سيرتديها.

***

السيْر مانفرِد رجلٌ نحيل، على وجهه نظرةٌ شكِسة، ويرتدي معطفًا أسود مشرَّطًا ببرق عائلة دُنداريوْن الأرجواني، لكن دنك كان سيَذكُره على كلِّ حالٍ من شعره الذَّهبي الأحمر الشَّعث. قال دنك وهو راكعٌ على رُكبةٍ واحدة: «السيْر آرلان خدمَ السيِّد والدك عندما دحرَ هو واللوْرد كارون الملك النَّسر من (الجبال الحمراء) بالنَّار. كنتُ غُلامًا لا أكثر آنذاك، لكنني عملتُ عنده مُرافقًا، السيْر آرلان ابن (شجرة البنسات)».

عبسَ السيْر مانفرِد، وردَّ: «لا، لا أعرفه، ولا أعرفك يا ولد».

أراه دنك تُرس العجوز قائلًا: «هذا رمزه، الكأس المجنَّحة».

ـ «السيِّد والدي دخلَ الجبال بثمانمئة فارس ونحو أربعة آلافٍ من المُشاة. لا يُمكن أن يتوقَّع مني أحدٌ أن أذكرهم واحدًا واحدًا، أو أذكر التِّراس التي حملوها. ربَّما كنتما معنا،

٦- أعلى الملح وأسفله: في العصور الوُسطى في أوربا عُدَّ الملح تابلًا نفيسًا، وعادةً وُضِعَ في منتصف المائدة، وعليه فمَن يجلسون أعلى الملح ـ أي في اتِّجاه رأس المائدة ـ أرفع مقامًا ممَّن يجلسون أسفله. (المُترجم).

ولكـن...»، وهـزَّ السـيْر مانفـرِد كتفيْـه.

أصـابَ الخـرس دنـك وهلةً. *العجـوز جُـرِحَ في خدمة أبيك. كيـف نسـيته؟* «لـن يسـمحوا لي بخـوض المباريـات مـا لـم يكفلـني فـارسٌ أو لوْرد».

قـال السـيْر مانفـرِد: «وفيـمَ يعنيـني ذلـك؟ لقـد منحتـك مـا يكـفي مـن وقـتي أيُّهـا السـيْر».

إذا عـادَ إلى القلعـة مـن غيـر السـيْر مانفـرِد فهـو ضـائع. رمـقَ دنـك البـرق الأرجـوانيَّ المطـرَّز عـلى صـوف معطـف الرَّجـل الأسـود، وقـال: «أذكـرُ حيـن حكى والـدك للمعسكـر قصَّـة حصـول عائلتـك عـلى رمزهـا. ذات ليلـة عاصفـة، فيمـا حملَ سـلفكم الأوَّل رسـالةً عبر (التُّخـوم الدوْرنيَّـة)، أردى سـهمٌ حصانـه مـن تحتـه وطرحَـه أرضًـا، وخـرجَ رجلان دوْرنيَّـان مـن الـظِّلام مرتديَيْـن الحلقـات المعدنيَّـة ومعتمريْـن خوذتيْـن مريَّشـتيْن. عندمـا سـقطَ انكسـرَ سـيفه تحتـه، ولمَّـا رأى المشـهد حسـبَ أنـه هالـك، ولكـن بينمـا دنـا الدوْرنيَّـان ليفتـكا بـه، طقطـقَ البـرق مـن السَّـماء. كان برقًـا أرجوانيًّـا سـاطعًا، وانشـقَّ ليصعـق الدوْرنيَّيْـن في فولاذهمـا ويَقتُلهمـا حيـث وقفـا. الرِّسـالة أعطَـت ملـك العواصـف النَّصـر عـلى الدوْرنيِّيـن، وإعرابًـا عـن شُكـره رفعَ الرَّسـول إلى اللوْرديَّـة. كان أوَّل لوْرد دُنـداريوْن، فاتَّخـذ رمـزًا لـه صاعقـة بـرقٍ متشـعِّبةً عـلى خلفيَّـةٍ سـوداء منثـورةٌ فيهـا النُّجـوم».

إن خـالَ دنـك أنَّ الحكايـة سـتُؤثِّر في السـيْر مانفـرِد فقـد أخطـأ تمامًـا، إذ قـال الرَّجـل: «كلُّ سـاقٍ في حانـة وسـائس في إسـطبل خـدمَ والـدي يسـمع تلـك القصَّـة عـاجلًا أو آجلًا. معرفتـك بهـا لا

تجعلك فارسًا. ارحل أيُّها السيّر».

***

بقلب مثقل عادَ دنك إلى (قلعة آشفرد) متسائلًا ماذا يقول ليمنحه پلمَر حقَّ خوض المباريات. على أنه لم يجد الوكيل في غُرفة بُريجه، وأخبرَ حارسٌ دنك أنه قد يجده في القاعة الكبرى، فسألَه: «هل أنتظرُ هنا؟ كم سيغيب؟».

ـ «وما أدراني؟ افعل ما تُريد».

القاعة الكُبرى ليست كُبرى حقًّا مقارنةً بغيرها، لكن (آشفرد) قلعة صغيرة. دخلَ دنك من بابٍ جانبي ولمحَ الوكيل في الحال، واقفًا مع اللوْرد آشفرد ودستة رجالٍ آخَرين عند رأس القاعة، فتقدَّم إليهم أسفل جدارٍ معلَّقة عليه طنافس من الصُّوف تُصوِّر فواكه وأزهارًا.

ـ «... مزيدًا من الاهتمام لو أنهما ابناك أنت، أراهنُ». كان رجلٌ غاضب يقولها فيما أقبلَ دنك، لون شعره المفرود ولحيته المربَّعة باهتٌ إلى درجة أنه بدا أبيض في عتمة القاعة، ولكن إذ اقتربَ دنك رأى أن اللَّون في الحقيقة فضِّيٌّ شاحب به مسحةٌ من الذَّهبي.

ردَّ آخَر: «سبقَ أن فعلَ ديْروْن هذا». حجبَت وقفة پلمَر المتكلِّم عن بصر دنك. «لم يجب قَطُّ أن تأمره بخوض المباريات. إنَّ مكانه ليس مضمار مُثاقفةٍ أكثر من إيْرس أو ريْجل».

قال الرَّجل الأوَّل: «وهو ما تعني به أنه يُؤثِر ركوب العاهرات على الخيول». الأمير ـ مؤكِّد أنه أمير ـ غليظ البنيان قويٌّ،

يرتدي قميصًا جلديًّا مزرودًا تُغطّيه رصائع فضّيّة تحت معطفٍ ثقيل موشًّى بفرو القاقوم، وتسم وجنتيْه ندوب الجُدري التي تُخفيها جزئيًّا لحيته المائلة إلى الفضّي. «لا يلزمني أن أُذكّر بإخفاقات ابني يا أخي. إنَّ عنده ثمانية عشر عامًا لا أكثر. يُمكنه أن يتغيَّر، بل سيتغيَّر حتمًا واللّعنة على الآلهة، وإلّا فأقسمُ أن يموت لا محالة».

ـ «لا تكن أحمق خالصًا. إنها طبيعة دِيرِوْن، لكنه ما زالَ دمك ودمي. لا شكَّ لديَّ أنَّ السيْر رولند سيَعثُر عليه، ومعه إيْجوْن».

ـ «بعد أن تنتهي الدَّورة ربَّما».

ـ «إيْريوْن هنا. إنه أبرع بالرُّمح من دِيرِوْن على كلِّ حال، لو أنَّ الدَّورة ما يهمُّك». الآن يرى دنك المتكلِّم الجالس على المقعد العالي، في يده رزمةٌ من الرُّقوق وعند كتفه يحوم اللوْرد آشفرد. حتى وهو جالسٌ يبدو أطول مقدار رأس من الآخَر، حسبما قدَّر دنك من السَّاقيْن الطَّويلتيْن المستقيمتيْن الممدودتيْن أمامه. شعره القصير المشذَّب داكنٌ ومرقَّط بالرَّمادي، وفكه القويُّ حليق، ويبدو أنفه كأنَّما كُسِرَ أكثر من مرَّة، ومع أنَّ ملبسه في غاية البساطة ـ دبليَّة خضراء وشملة بنِّيَّة وحذاء متآكل ـ فإن للرَّجل ثقلًا، سمتًا من السُّلطة واليقين.

خطرَ لدنك أنه دخلَ على شيءٍ لم يجب أن يسمعه إطلاقًا. قرَّر محدِّثًا نفسه: *الأفضل أن أذهب وأرجع لاحقًا عندما يَفرُغون*، لكن الأوان فاتَ، ففجأةً لحظَه الأمير ذو اللِّحية المائلة إلى الفضّي، وبخشونةٍ سألَه: «مَن أنت وما غرضك من اقتحامك المكان علينا؟».

ـ «إنه الفارس الذي ينتظره وكيلنا الكريم». قالها الجالس مبتسمًا لدنك بطريقةٍ أوحَت أنه يعي وجوده من البداية. «أنا وأنت الدَّخيلان هنا يا أخي. اقترب أيُّها السيْر».

تقدَّم دنك ببُطء حائرًا في ما هو متوقَّع منه. نظرَ إلى پلمَر، لكنه لم ينَل منه عونًا، فالوكيل ذو الوجه الممصوص الذي كان شديد البأس أمس يقف الآن صامتًا يتفحَّص أحجار الأرضيَّة. قال دنك: «أيُّها السَّادة، لقد سألتُ السيْر مانفرد دُنداريوْن أن يكفلني كي أدخل مضمار النِّزال، لكنه يأبى. يقول إنه لا يعرفني. لكن السيْر آرلان خدمَه، أقسمُ لكم. إنَّ معي سيفه وتُرسه، وأنا...».

أعلنَ اللوْرد آشفرد، وهو رجلٌ كبير أصلع بوجهٍ أحمر مستدير: «التُّرس والسَّيف لا يصنعان فارسًا. پلمَر حدَّثني عنك. حتى إن سلَّمنا بأنهما كانا ملك السيْر آرلان ابن (شجرة البنسات)، فواردٌ جدًّا أنك وجدته ميتًا وسرقتهما. لو أنك لا تملك دليلًا أفضل على ما تقوله، شيء مكتوب أو...».

ـ «إنني أذكرُ السيْر آرلان ابن (شجرة البنسات)». قالها بهدوءٍ الرَّجل الجالس على المقعد العالي. «لم يَفُز قَطُّ بدورة مباريات على حدِّ علمي، لكنه لم يُخزِ نفسه قَطُّ. في (كينجز لاندنج) قبل ستَّة عشر عامًا غلبَ اللوْرد ستوْكوْرث ونغل (هارنهال) في الالتحام الجماعي، وقبل ذلك بأعوام عدَّة في (لانسپوْرت) أسقطَ الأسد الأشيب نفسه عن حصانه. آنذاك لم يكن الأسد أشيب كما هو الآن بطبيعة الحال».

قال دنك: «لقد حكى لي عن ذلك مرارًا».

تفرَّس فيه الرَّجل الطَّويل، وقال: «ستتذكَّر إذًا اسم الأسد

الأشيب الحقيقي لا ريب».

للحظة فرغَ عقل دنك تمامًا. *ألف مرَّة حكى العجوز تلك الحكاية، ألف مرَّة، الأسد، الأسد، اسمه، اسمه، اسمه... وهو* على وشك أن ييأس خطرَ الجواب على باله فجأةً، فصاحَ: «السيْر ديْمن لانسترا! الأسد الأشيب! إنه سيِّد (كاسترلي رُك) الآن».

قال الطَّويل ببشاشة: «إيْ نعم، وسيَدخُل المضمار غدًا»، وهزَّ رزمة الأوراق في يده.

سألَه الأمير ذو اللِّحية الفضِّيَّة مقطِّبًا جبينه: «كيف تَذكُر فارسًا جوَّالًا تافهًا تصادفَ أنه أسقطَ ديْمن لانستر عن حصانه قبل ستَّة عشر عامًا؟».

ـ «إنني أحرصُ على عادة تعلُّم كلِّ ما أستطيعُ عن خصومي».

ـ «ولِمَ تتنازَل وتُثاقِف فارسًا جوَّالًا؟».

ـ «حدثَ ذلك قبل تسعة أعوام في (ستورمز إند). اللورد باراثيون استضافَ مبارياتٍ قتاليَّةً احتفالًا بمولد حفيده. الاقتراع وضعَ السيْر آرلان في مواجهتي في النِّزال الأوَّل. كسرنا أربعة رماحٍ قبل أن أُسقِطه أخيرًا».

بإصرارٍ قال دنك: «بل سبعة، وكان ذلك ضد أمير (دراجنستون)!»، وما إن خرجَت الكلمات من فمه حتى أرادَ استعادتها، وسمعَ العجوز يُوبِّخه: *دنك الأنوَك، غليظ العقل كسور قلعة.*

بابتسامةٍ لطيفة قال الأمير ذو الأنف المكسور: «صحيح.

الحكايات تنمو في الحكي، أعرفُ. لا تُسئ الظَّنَّ بسيّدك القديم، لكنها أربعة رماحٍ فقط للأسف».

شعرَ دنك بالامتنان لعتمة القاعة عالمًا أنَّ أذنيْه احمرَّتا. «سيّدي». *لا، هذا أيضًا خطأ*. «سموَّ الأمير». خرَّ على رُكبتيْه وطأطأ رأسه قائلًا: «كما تقول، أربعة. لا أقصدُ... إنني لم... العجوز، السيْر آرلان اعتادَ أن يقول إنني غليظ العقل كسور قلعةٍ وبليد كثورٍ برّي».

علَّق بيْلوْر كاسِر الحراب: «وقويٌّ كثورٍ برّي أيضًا كما يدلُّ مظهرك. لم يقَع ضررٌ أيُّها السيْر. انهض».

قامَ دنك متسائلًا هل عليه أن يظلَّ مطأطئًا رأسه أم إنه مسموحٌ له بالنَّظر إلى أميرٍ في وجهه. *إنني أكلِّمُ بيْلوْر تارجاريَن، أمير (دراجنستوْن)، يدَ الملك، والوريث الظّاهر لعرش إيْجوْن الفاتِح الحديدي*. ما الذي قد يجرؤ فارسٌ جوَّال على قوله لشخصٍ كهذا؟ قال دنك متلعثمًا: «لقد أعدت إليه حصانه ودرعه ولم تأخذ فديةً، أذكرُ هذا. العجـ... السيْر آرلان قال لي إنك روح الفروسيَّة مجسَّدةً، ويومًا ما ستأمن (الممالك السَّبع) بين يديْك».

ردَّ الأمير بيْلوْر: «أدعو ألَّا يَحدُث ذلك قبل سنواتٍ كُثار».

مذعورًا قال دنك: «لا»، وكادَ يقول: *لا أعني أن يموت الملك*، لكنه منعَ نفسه في الوقت المناسب. «آسفٌ يا سيدي. أقصدُ يا سموَّ الأمير».

متأخِّرًا تذكَّر أنَّ القصير العريض صاحب اللِّحية الفضِّيَّة دعا

الأمير بيلوْر بأخيه. *هو أيضًا من دم التنّين. يا ليَّ من أحمق.* لا يُمكن أن يكون هذا غير الأمير ميْكار، أصغر أبناء الملك ديْرون الأربعة. الأمير إيْرس مولعٌ بالكتب، والأمير ريْجل مجنونٌ وخانع وسقيم، ولا يُرجَّح أن يقطع أيُّهما نصف البلاد ليحضر دورة مباريات، أمَّا ميْكار فيُقال إنه مُحارب مهيب في حدِّ ذاته، ولو أنه قابعٌ دومًا في ظلِّ أخيه الأكبر.

قال الأمير بيْلوْر: «ترغب في دخول المضمار، أليس كذلك؟ ذلك القرار من اختصاص قيِّم المباريات، لكنني لا أرى سببًا لرفضك».

حنى الوكيل رأسه قائلًا: «كما تقول يا سيِّدي».

حاولَ دنك أن يتلعثم بشُكرانه، إلَّا أنَّ الأمير ميْكار قاطعَه: «ليكن أيُّها السيْر، أنت ممتنٌّ، والآن ارحل».

قال الأمير بيْلوْر: «عليك أن تُسامِح أخي النَّبيل أيُّها السيْر. لقد ضلَّ اثنان من أبنائه الطَّريق إلى هنا، ويخشى عليهما».

قال دنك: «أمطار الرَّبيع أطفحَت كثيرًا من المجاري المائيَّة. ربَّما تعطَّل الأميران فحسب».

أعلنَ الأمير ميْكار لأخيه: «لم أحضر هنا لأستشير فارسًا جوَّالًا».

ـ «يُمكنك الانصراف أيُّها السيْر». قالها الأمير بيْلوْر لدنك، وليس دونما لُطف.

قال دنك: «نعم يا سيِّدي»، وانحنى ودارَ.

ولكن قبل أن يَخرُج ناداه الأمير: «أيُّها السيْر، شيء آخَر، أنت لست من دم السيْر آرلان؟».

ـ «بلى يا سِيدي. أعني نعم، لستُ من دمه».

أشارَ الأمير برأسه إلى التُّرس المشقَّق الذي يحمله دنك والكأس المجنَّحة على وجهه، وقال: «بحُكم القانون، يحقُّ للابن الشَّرعي فقط أن يرث رمز فارس. عليك أن تجد شعارًا جديدًا أيُّها السيْر، صورةً تخصُّك».

قال دنك: «سأفعلُ. شُكرًا ثانيةً يا سموَّ الأمير. سأقاتلُ بشجاعة، سترى». *بشجاعةِ كبيْلوْر كاسِر الحراب*، كما اعتادَ العجوز أن يُردِّد.

***

زاولَ باعة الخمور وطبَّاخو السُّجق تجارتهم بنشاط، وجالَت العاهرات دون حياءٍ بين الأكشاك والسُّرادقات، بعضهن على قدرٍ كافٍ من الجمال، واحدةٌ حمراء الشَّعر على وجه التَّحديد. لم يستطع دنك منع نفسه من الحملقة إلى نهديْها، والطَّريقة التي تحرَّكا بها تحت فُستانها الفضفاض إذ مرَّت تتهادى. فكر في الفضَّة في صُرَّته. *يُمكنني أن أنالها إذا وددتُ. سيروقها رنين نقودي كفايةً، ويُمكنني أن آخذها إلى مخيَّمي وأحظى بها طوال اللَّيل إذا أردتُ.* لم يُجامع دنك امرأةً قَطُّ، وعلى حدِّ علمه قد يموت في مُثاقفته الأولى. إنَّ في المباريات خطورةً... لكن في العاهرات خطورةً أيضًا، وهو ما حذَّره منه العجوز. *قد تسرقني وأنا نائم، وما العمل حينئذٍ؟* حين ألقَت إليه ذات الشَّعر الأحمر بنظرةٍ من فوق كتفها، هزَّ دنك رأسه وابتعدَ.

وجدَ إج عند عرض العرائس، يجلس مربّعًا ساقيْه على الأرض وقد سحبَ قلنسوة معطفه إلى آخرها ليُخبّئ صلعته. لقد خشيَ الغُلام دخول القلعة، وعزا دنك هذا بالتَّساوي إلى الخجل والخزي. *لا يحسب نفسه جديرًا بالاختلاط باللؤردات والليديهات، ناهيه بالأمراء العظام.* هكذا كان هو أيضًا في صِغره، لمَّا بدا العالم خارج حدود (سفح البراغيث) مخيفًا بقدر ما بدا مثيرًا. *إج محتاجٌ إلى وقت، هذا كل شيء.* أمَّا حاليًا فيبدو ألطف أن يُعطي الصَّبي بضع قطع نُحاسيَّة ويدعه يستمتع بوقته بين الأكشاك من أن يجرَّه معه إلى القلعة رغمًا عنه.

هذا الصَّباح يُقدِّم محرِّكو الدُّمى حكاية فلورين وچونكول. حرَّكت المرأة الدورنيَّة البدينة فلورين في درعه متنافرة الألوان، فيما أمسكت الفتاة الطَّويلة بخيوط چونكول قائلةً وهي تُحرِّك

فم الدُّمية إلى أعلى وأسفل: «لستَ فارسًا. إنني أعرفك. أنت فلوريَن المهرّج».

أجابَت الدُّمية الأخرى راكعةً: «أنا كذلك يا سيّدتي. من أعظم المهرّجين الذين عاشوا يومًا، ومن أعظم الفُرسان أيضًا».

قالت چونكول: «مهرّجٌ وفارسٌ في آنٍ واحد؟ لم أسمع قطُّ بشيءٍ كهذا».

قال فلوريَن: «سيّدتي الحُلوة، الرِّجال جميعًا مهرّجون والرِّجال جميعًا فُرسان حينما يمتُّ الأمر بصلةٍ للنِّساء».

كان عرضًا جيّدًا، حزينًا وعذبًا في آنٍ واحد، في نهايته مبارزةٌ مفعمة بالحيويَّة وعملاقٌ حسن الطِّلاء. حين تمَّ العرض تحرَّكت البدينة بين المتفرّجين لتجمع العُملة فيما حزمَت الفتاة الدُّمى.

أخذَ دنك إج وذهبَ إليها.

بنظرةٍ بذنب عينها ونصف ابتسامةٍ قالت: «سيدي؟». الفتاة أقصر منه بمقدار رأس، ومع ذلك فإنها أطول فتاةٍ رآها على الإطلاق.

خاطبَها إج بحماسة: «عرضٌ جيّد. تُعجبني الطَّريقة التي تُحرّكينها بها، چونكول والتنّين والدُّمى الأخرى. شاهدتُ عرض عرائس العام الماضي، وكانت حركاتها متشنّجةً جدًّا. تحريككِ أنتِ أسلس».

ردَّت على الغُلام بتهذيب: «أشكرك».

قال دنك: «مجسَّماتكِ منحوتةٌ بمهارةٍ أيضًا. التنّين خصوصًا.

وحشٌ مخيف. أتصنعينها بنفسكِ؟».

أومأت برأسها قائلةً: «خالي يتولَّى النَّحت. أنا أطليها».

قال: «أيُمكنكِ أن تطلي لي شيئًا؟ معي مالٌ لأدفع لكِ»، وأنزلَ التُّرس عن كتفه وأراها إيَّاه. «أريدُ أن أرسم شيئًا فوق الكأس».

نظرَت الفتاة إلى التُّرس ثم إليه، وقالت: «ما الذي تُريد رسمه؟».

لم يُفكِّر دنك في ذلك. إن لم تكن كأس العجوز المجنَّحة فماذا؟ رأسه خاوٍ تمامًا. *دنك الأنوك، غليظ العقل كسور قلعة.* «لا... لستُ متأكِّدًا». ببؤسٍ أدركَ أن أذنيْه تحتقنان بالحُمرة. «لا بُدَّ أنك تظنّينني مهرِّجًا كبيرًا».

ابتسمَت قائلةً: «الرِّجال جميعًا مهرِّجون والرِّجال جميعًا فُرسان».

سألَها آملًا أن يُعطيه الجواب فكرةً: «ما لون الطِّلاء الذي لديكِ؟».

ـ «يُمكنني خلط طلاءات مختلفة لعمل أيِّ لونٍ تُريد».

لطالما بدا لون العجوز البنِّي بائخًا لدنك. فجأةً قال: «لا بُدَّ أن تحمل الخلفيَّة لون الغروب. العجوز أحبَّ الغروب. والرَّمز...».

قال إج: «شجرة دردار، شجرة دردار كبيرة كالتي عند البِركة، جذعها بنِّي وفروعها خضراء».

قال دنك: «نعم. سيَصلُح هذا. شجرة دردار... ولكن أعلاها شهاب. أيُمكنك أن ترسمي ذلك؟».

أومأت الفتاة برأسها إيجابًا، وقالت: «أعطِني التُّرس. سأرسمه اللَّيلة بلا إبطاء وأعيده إليك غدًا».

ناولَها دنك إيَّاه قائلًا: «أدعى بالسيْر دنكن الطَّويل».

ردَّت: «أنا تانسل»، وضحكَت مضيفةً: «تانسل مديدة القامة كما اعتادَ الصِّبية تسميتي».

اندفعَ دنك يقول: «لستِ مديدة القامة. إنكِ مناسبةٌ تمامًا لـ...»، ثم أدركَ ما أوشكَ على قوله، وتورَّد وجهه بشدَّة.

حنَت تانسل رأسها إلى الجانب وردَّدت بفضول: «لـ...؟».

أنهى عبارته بخيبة: «الدُّمى».

***

بزغَ فجر اليوم الأوَّل من المباريات مُشمسًا صحوًا. ابتاعَ دنك ملء جوالٍ من المأكولات ليُفطِر هو وإج بيض إوزٍ وخُبزًا محمَّرًا ولحمًا مقدَّدًا، ولكن حين طُبِخَ الطَّعام وجدَ أنه فاقد الشَّهية. أحسَّ ببطنه صُلبًا كصخرةٍ رغم علمه أنه لن يركب اليوم، فحقُّ التَّباري الأوَّل سيذهب إلى فُرسان أعلى نسبًا وأذيع صيتًا، إلى اللوْردات وأبنائهم وأبطال دوراتٍ أخرى.

لم يكفَّ إج عن الثَّرثرة طوال إفطارهما، يتكلَّم عن هذا الرَّجل أو ذاك وكيف قد يُبلي. فكَّر دنك بأسفٍ ساخر: *لم يُمازحني حين قال إنه يعرف كل فارسٍ بارع في (الممالك السَّبع)*. أحسَّ بالضَّآلة لاستماعه بكلِّ انتباهٍ لكلام غُلام يتيم هزيل، ولكن لعلَّ معرفة إج تنفعه إذا واجهَ أحد هؤلاء الرِّجال في مُثاقفة.

تحوَّل المرج إلى كُتلةٍ مخضخضة من النَّاس، يُحاولون جميعًا شقَّ طريقهم دفعًا لأجل مشاهدةٍ أفضل. يُجيد دنك الدَّفع كأيّ منهم، كما أنه أكبر حجمًا من أكثرهم، وهكذا تلوَّى متقدِّمًا ليقوم أخيرًا على بُعد ستِّ ياردات من السِّياج، ولمَّا اشتكى إج أنه لا يرى إلَّا مؤخِّرات، رفعَ دنك الغُلام وأجلسَه على كتفيْه.

عبر الحقل بدأت المدرَّجات تمتلئ بالأعيان من لوْردات وليْديهات وبعض أهل البلدة الأثرياء ونحو عشرين من الفُرسان الذين قرَّروا ألَّا يتسابَقوا اليوم. لم يرَ دنك أثرًا للأمير ميْكار، وإن تعرَّف على الأمير بيْلوْر بجانب اللوْرد آشفرد، يُومِض ضوء الشَّمس ذهبيًّا على مشبك الكتف الذي يُثبِّت معطفه وعلى

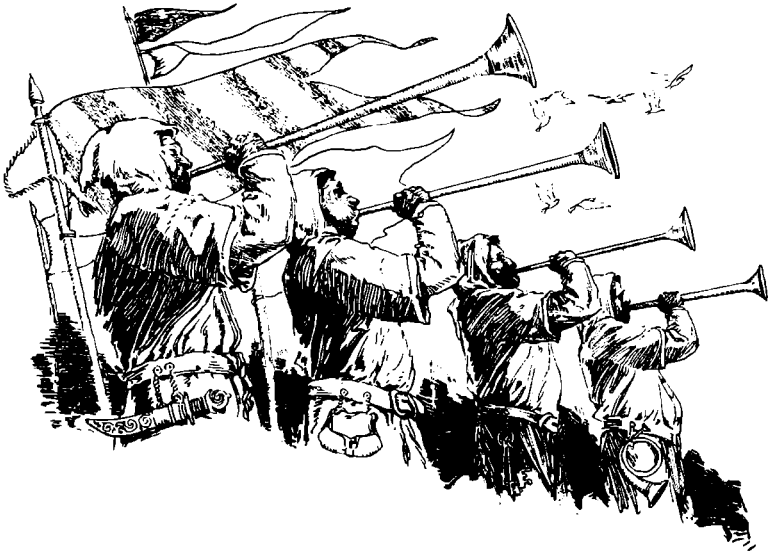

التَّويج الرَّفيع حول فوديْه، لكن ملبسه فيما عدا ذلك أبسط كثيرًا من معظم اللوْردات الآخَرين. قال دنك لنفسه: *لا يبدو من آل تارجاريَن في الحقيقة بذلك الشَّعر الدَّاكن*، وذكرَ هذا لإج.

ذكَّره الغُلام: «يُقال إنه يُشبِه أمَّه. كانت أميرةً دوْرنيَّةً».

نصبَ الأنصار الخمسة سُرادقاتهم عند طرف المضمار الشَّمالي واضعين النَّهر وراءهم. أصغر اثنيْن برتقاليَّان، وعلى التُّرسيْن المعلَّقيْن خارج بابيْهما الشَّمس والشِّفرونة البيضاوان. لا بُدَّ أنَّ هذيْن ابنا اللوْرد آشفرد، آندرو وروْبرت شقيقا العذراء الجميلة. لم يسمع دنك قَطُّ فُرسانًا آخَرين يتكلَّمون عن بأسهما، أي إنهما على الأرجح أوَّل الذين سيَسقُطون.

بجوار السُّرادقيْن البرتقاليَّيْن يرتفع واحدٌ مصبوغ بأخضر يانع، وأكبر حجمًا بكثير. أعلاه تُرفرِف وردة (هايجاردن) الذَّهبيَّة،

ويُزيّـن الشِّـعار نفسـه التُّـرس الأخضـر العظيـم خـارج البـاب. قـال إج: «هـذا لـيؤ تايـرل، سـيِّد (هايجـاردن)».

ردَّ دنـك بضيـق: «أعـرفُ هـذا. أنـا والعجـوز خدمنـا في (هايجـاردن) قبـل أن تُولَـد أصلًا». بـالكاد يتذكَّـر تلـك السَّـنة عـن نفسـه، لكـن السـير آرلان ذكـرَ في أوقـاتٍ عـدَّة لـيؤ الشَّـوكة الطَّويلـة

ـ كما يُدعى أحيانًا ـ المُثاقف منقطع النَّظير على الرغم من كلّ ما يصبغ شعره من فضَّة. «مؤكّد أنَّ هذا الواقف بجانب الخيمة هو اللوْرد ليوْ، الشَّيخ النَّحيف الذي يرتدي الأخضر والذَّهبي».

ـ «نعم. رأيته مرَّةً في (كينجز لاندنج). ليس واحدًا تُريد أن تتحدَّاه أيُّها السيْر».

ـ «لا أتطلَّبُ نصيحتك بشأن مَن أتحدَّى يا ولد».

السُّرادق الرَّابع مخيط من قطع قُماش ألماسيَّة الشَّكل، يتناوَب فيها الأحمر والأبيض. لم يتعرَّف دنَّك على اللَّونيْن، لكن إج أخبرَه أنهما يخصَّان فارسًا من (وادي آرن) اسمه السيْر همفري هاردنج. «لقد انتصرَ في التحام جماعيّ عظيم بـ(بِركة العذارى) العام الماضي أيُّها السيْر، وفي مُضمار النِّزال أسقطَ السيْر دوْنل ابن (وادي الغسق) واللوْرديْن آرن ورويس».

وأمَّا السُّرادق الأخير فللأمير ڤالر. من الحرير الأسود هو، ومن سقفه يتدلَّى صفٌّ من رايات مثلَّثيَّة مدبَّبة ذات لونٍ سقلَّاتي تبدو كألسنة لهب حمراء طويلة. التُّرس على حامله أسود صقيل، ويُزيّنه تنّين عائلة تارجاريَن ثُلاثي الرُّؤوس، ويقف بجواره أحد فُرسان الحرس الملكي، درعه البيضاء النَّاصعة صارخةٌ أمام سواد قُماش الخيمة. إذ رآه دنك هناك، تساءلَ هل سيجرؤ أيٌّ من المتحدّين أن يمسَّ تُرس التنّين، فڤالر حفيد الملك رغم كلِّ شيء، ونجل بيْلوْر كاسِر الحراب.

ولم يكن لقلقه داع، فعندما دوَّت الأبواق لاستدعاء المتحدّين، نُوديَ أنصار العذراء الخمسة جميعًا للدِّفاع عنها. سمعَ دنك لغط الجمهور المتحمّس إذ ظهرَ المتحدُّون واحدًا تلو واحدٍ

عند طرف المضمار الجنوبي وجهرَ الحُجَّاب باسم كلّ فارس بدوره. توقَّفوا أمام المدرَّجات ليخفضوا رماحهم تحيَّةً للوَرد آشفرد والأمير بيلوَر والعذراء الجميلة، ثم داروا إلى طرف الحقل الشَّمالي ليختاروا منافسيهم. قرعَ أسد (كاسترلي رُك) الأشيب تُرس اللوَرد تايرل، فيما تحدَّى وريثه ذهبيُّ الشَّعر، السيّر تايبولت لانستر، ابن اللوَرد آشفرد الكبير، ونقرَ اللوَرد تَلي سيّد (ريڤرَّن) على تُرس السيّر همفري هاردنج ألماسي النَّقش، ودقَّ السيّر إيبلر هايتاور تُرس ڤالر، ودُعيَ ابن آشفرد الصَّغير لنزال السيّر لايُنل باراثيون، الفارس الملقَّب بالعاصفة الضَّاحكة.

خبَّ المتحدُّون إلى طرف المضمار الجنوبي لينتظروا خصومهم: السيّر إيبلر بلونَي الفضَّة والدُّخان وعلى تُرسه بُرج حراسة مكلَّل بالنَّار، وولدا لانستر المتَّشحان بالقرمزي ويحملان أسد (كاسترلي رُك) الذَّهبي، والعاصفة الضَّاحكة المتألِّق في قُماش الذَّهب وعلى صدره وتُرسه وعلٌ أسود وفوق خوذته قرون من الحديد، واللوَرد تَلي مرتديًا معطفًا مخطَّطًا بالأزرق والأحمر يُثبّته إلى كلّ كتف مشبكٌ بشكل سمكة تروتة فضِّيَّة. إلى السَّماء صوَّب المتحدُّون رماحهم التي يَبلُغ طول الواحد منها اثني عشر قدمًا، وقد هبَّت الرِّيح قويَّةً تهزُّ الرَّايات وتشدُّها.

عند طرف الحقل الشَّمالي أمسكَ المُرافقون براذين برَّاقة الدَّروع ليمتطيها الأنصار الذين اعتمرَ كلٌّ منهم خوذته والتقطَ رُمحه وتُرسه بجلال يُضارع خصومهم: حرير الأخوَين آشفرد المتموّج، وألماس السيّر همفري الأحمر والأبيض، واللوَرد ليوَ فوق حصانه الكرَّار[٧] الأبيض ذي الكسوة السَّاتان الخضراء

٧- الكرَّار Charger: نوعٌ من الجياد الحربيَّة يُستخدَم بالأساس في هجمات الفُرسان. (المترجم).

المنقوشة بالورد الذَّهبي، وطبعًا ڤالر تارجاريَن. حصان الأمير الشَّاب أسود كالليل، يتناغَم لونه مع درع الأمير ورُمحه وتُرسه وكسائه، وفوق خوذته تنّين ثلاثي الرُّؤوس يلتمع معدنه المطليُّ بمينا أحمر غني ويبسط جناحيْه، توأمه مرسومٌ على سطح التُّرس الأسود الصَّقيل. مع كلٍّ من المدافعين ربطةٌ من الحرير البرتقالي معقودة حول ذراعه؛ عطايا وهبَتها لهم العذراء الجميلة.

خيَّم سكونٌ شبه تام على (مرج آشفرد) إذ خبَّ الأنصار إلى مواقعهم، ثم دوَّى بوقٌ وتحوَّل السُّكون إلى جلبةٍ في غضون نصف نبضة قلب. عشرون زوجًا من المهاميز انغرزَت في أجناب عشرة جيادٍ حربيَّة عظيمة، وضجَّ ألف صوتٍ بالصُّراخ والزَّعيق، ودقَّ أربعون حافرًا مزوَّدًا بحدوةٍ حديديَّة الأرض ليتمزَّق العُشب، وانخفضَت عشرة رماح وثبتَت، وبدا الحقل كأنَّما يرتجُّ، والتقى الأنصار والمتحدُّون في صدام عاتٍ بين الخشب والفولاذ، وخلال لحظةٍ تجاوزَ بعض الرَّاكبين بعضًا وداروا من أجل جولةٍ أخرى. ترنَّح اللورد تَلي فوق سرجه، لكنه استطاعَ الحفاظ على جلسته، ولمَّا أدركَ العوام أنَّ الرِّماح العشرة انكسرَت ارتفعَ هدير استحسانٍ هائل. إنه بشيرٌ رائع بنجاح الدَّورة، وبُرهان على براعة المتنافسين.

ناولَ المُرافقون المُتثاقفين رماحًا جديدةً عوضًا عن المكسورة التي رموها، ومرَّةً أخرى انغرزَت المهاميز بعُمق. أحسَّ دنك بالأرض تترجرَج تحت أخمص قدميْه، وفوق كتفيْه هتفَ إج بسعادةٍ ولوَّح بذراعيْه الرَّفيعتيْن. أقرب مَن مرَّ إليهما الأمير الشَّاب، ورأى دنك سنان رُمحه الأسود يُقبّل بُرج الحراسة على تُرس خصمه وينزلق ليرتطم بصدره في اللَّحظة التي تفجَّر فيها

رُمح السيْر إيْبلر إلى شظايا على صدريَّة الأمير ڤالر. شبَّ الفحل الرَّمادي ذو كُسوة الفضَّة والدُّخان تحت وطأة الصَّدمة، ورُفِعَت قدما السيْر إيْبلر هايتاور من رِكابيْه وانكبَّ بعُنف أرضًا.

وسقطَ اللوْرد تَلي أيضًا، أطاحَ به من فوق حصانه السيْر همفري هاردنج، إلَّا أنه هبَّ واقفًا في الحال واستلَّ سيفه الطَّويل، وطرحَ السيْر همفري رُمحه ـ الذي لم ينكسِر ـ جانبًا، وترجَّل ليُواصِل قتالهما على الأقدام. أمَّا السيْر إيْبلر فلم يتمتَّع بحيويَّةٍ مشابهة، إذ هرعَ مُرافقه وحلَّ خوذته، ثم رفعَ عقيرته طالبًا المساعدة، ليسند خادمان الفارس الدَّائخ من ذراعيْه ويُعيناه على العودة إلى سُرادقه. في أماكن أخرى من الحقل ركبَ الفُرسان الستَّة الباقون فوق خيولهم في جولتهم الثَّالثة، وتحطَّم مزيدٌ من الرِّماح، وهذه المرَّة سدَّد اللوْرد ليوْ تايرل سنان رُمحه بحذقٍ انتزعَ خوذة الأسد الأشيب من فوق رأسه، وبوجهٍ مكشوف رفعَ سيِّد (كاسترلي رُك) يده محيِّيًا وترجَّل مستسلمًا. في تلك الأثناء كان السيْر همفري قد أجبرَ اللوْرد تَلي على الاستسلام بعدما أبرزَ أنه بارع بالسَّيف مثلما هو بالرُّمح.

ركبَ تايبوْلت لانستر وآندروْ آشفرد متواجهيْن ثلاث مرَّاتٍ إضافيَّة قبل أن يخسر السيْر آندروْ تُرسه وتوازُنه والمباراة في وقتٍ واحد، وصمدَ ابن آشفرد الصَّغير وقتًا أطول وكسرَ ما لم يقلَّ عن تسعة رماح ضد السيْر لايُنل باراثيوْن، العاصفة الضَّاحكة، ثم سقطَ كلا النَّصير والمتحدِّي من فوق سرجه في الجولة العاشرة، فقط ليقوما معًا ليُتابعا القتال سيفًا ضد مِقمعة. في النِّهاية أقرَّ السيْر روْبرت آشفرد المرضوض بالهزيمة، لكن فوق مدرَّجات المشاهدة بدا أبوه بعيدًا كلَّ البُعد عن الاغتمام،

فصحيحٌ أنَّ ابنَي اللوْرد آشفرد كليْهما اصطُحِبَ إلى خارج صفوف الأنصار، إلَّا أنهما أبليا بلاءً نبيلًا ضد اثنيْن من أمهر الفُرسان في (الممالك السَّبع).

شاهدَ دنك الغالب والمغلوب يتعانَقان ويَخرُجان معًا من الحقل، وفكَّر: *يجب أن أبلي بلاءً أحسن وأحسن رغم ذلك. لا يكفيني أن أجيد القتال وأخسر. يجب على الأقل أن أفوز بالتَّحدِّي الأوَّل وإلَّا فسأخسرُ كلَّ شيء.*

الآن سيأخذ السيْر تايبولت لانستر والعاصفة الضَّاحكة مكانيْهما بين الأنصار ليحلَّا محلَّي الرَّجليْن اللذيْن هزماهما، وقد بدأ السُّرادقان البرتقاليَّان يُزالان بالفعل. على بُعد أقدام قليلة جلسَ الأمير الشَّاب مسترخيًا على كُرسي معسكرات أمام خَيمته السَّوداء العظيمة، وقد خلعَ خوذته ليلوح شعره الدَّاكن كشعر أبيه، وإن تخلَّلته خُصلة فاتحة. جلبَ له خادمٌ كأسًا فضِّيَّةً، ورشفَ منها الأمير، ففكَّر دنك: *ماءٌ لو أنه حكيم، نبيذٌ لو أنه ليس كذلك.* وجدَ نفسه يتساءَل هل ورثَ ڤالر حقًّا قدرًا من بأس أبيه، أم إنَّ حظَّه في الاقتراع وقعَ ضد أضعف منافسٍ ليس إلَّا.

أعلنَت جوقةٌ من الأبواق دخول ثلاثة متحدِّين جُدد المضمار، ورفعَ الحُجَّاب عقائرهم بأسمائهم. «*السيْر پيرس سليل عائلة كارڤون، سيِّد (التُّخوم)*». تُزيِّن قيثارةٌ فضِّيَّة تُرس الرَّجل، ولو أنَّ معطفه منقوش بالعناديل. «*السيْر چوْزث سليل عائلة مالستر، من (سيجارد)*». يعتمر السيْر چوْزث قبَّعةً مجنَّحةً، وعلى تُرسه يطير عُقاب فضِّي في سماءٍ نيلجيَّة. «*السيْر جاون سليل عائلة سوان، سيِّد (الخوذة الحجريَّة) في (رأس الغضب)*». رمز اللوْرد

جاون طائرا تمّ، أحدهما أسود والآخَر أبيض، ويتقاتَلان بضراوة، كما أنَّ درعه وَمعطفه وكُسوة حصانه مزيجٌ صارخ من الأبيض والأسود أيضًا، بما في ذلك خطوط غِمده ورُمحه.

مسَّ اللوْرد كاروْن ـ عازف القيثارة والمغنّي والفارس بعيد الصِّيت ـ بحدِّ رُمحه وردة اللوْرد تايرل، ودقَّ السيْر چوْزث ألماسات السيْر همفري هاردنج، وتحدَّى الفارس الأبيض والأسود، اللوْرد جاون سوان، الأمير الأسود ذا الحارس الأبيض. فركَ دنك ذقنه. اللوْرد جاون أكبر سنًّا من العجوز، والعجوز ماتَ. بما أنَّ الغُلام فوق كتفيْه يعرف كثيرًا عن هؤلاء الفُرسان على ما يبدو، فقد سأله: «إج، مَن أقلُّ هؤلاء المتحدِّين خطورةً؟».

أجابَ الغُلام من فوره: «اللوْرد جاون، خصم ڤالر».

قال دنك مصحّحًا: «اسمه الأمير ڤالر. على المُرافق أن يتحلَّى بلسانٍ مهذَّب يا ولد».

أخذَ ثلاثة المتحدِّين مواقعهم فيما اعتلى ثلاثة الأنصار خيولهم. في كلِّ مكانٍ حولهم ما برحَ النَّاس يتراهَنون ويهتفون مشجّعين مَن اختاروا، لكن عينَي دنك ظلَّتا على الأمير وحده. في الجولة الأولى ضربَ ڤالر تُرس اللوْرد جاون ضربةً عابرةً، لينزلق رأس الرُّمح المثلَم جانبًا كما حدثَ مع السيْر إيْبلر هايتاور، وإن انحرفَ هذه المرَّة في الاتِّجاه الآخَر مصيبًا الهواء، في حين انكسرَ رُمح اللوْرد جاون على صدر الأمير، وللحظةٍ بدا ڤالر على حافة السُّقوط قبل أن يستعيد توازُنه.

في المرَّة الثَّانية عبر المضمار وجَّه ڤالر رُمحه يسارًا مستهدفًا

صدر خصمه، وبدلًا من ذلك أصابَ الكتف، بيد أنَّ القوَّة التي حملَتها الضَّربة كفَت ليفقد الفارس الأكبر سنًّا رُمحه. لوَّحت ذراعٌ في الهواء بُغية التَّوازُن وسقطَ اللوْرد جاون، ونزلَ الأمير الشَّاب من فوق سرجه وسحبَ سيفه، لكن الرَّجل السَّاقط أشارَ له بالامتناع ورفعَ مقدِّمة خوذته صائحًا: «أستسلمُ يا سموَّ الأمير. أحسنت القتال»، فردَّد اللوْردات فوق المدرَّجات: «*أحسنت القتال! أحسنت القتال!*»، فيما جثا ڤالر ليُساعِد اللوْرد الشَّائب على النُّهوض.

قال إج متذمِّرًا: «غير صحيح».

ـ «الزم الصَّمت أو عُد إلى المخيَّم».

على مسافةٍ أبعد حملَ الرِّجال السيْر چوزث مالستر المغمى عليه من الحقل، فيما كرَّ بفأسٍ مثلَمة كلٌّ من سيِّد القيثارة وسيِّد الوردة على الآخَر بشهوةٍ في مشهدٍ أبهجَ الجمهور الهادر. على أنَّ دنك وضعَ تركيزه كلَّه على ڤالر تارجاريَن حتى إنه رآهما بالكاد، ووجدَ نفسه يُفكِر: *فارسٌ لا بأس به، لكنه لا يعدو ذلك. سأتمتَّع بفُرصة ضده، وإذا شاءَت الآلهة فقد أُسقطه أيضًا، وبمجرَّد أن يبدأ القتال على الأقدام سيُبرِز وزني وطولي الفرق.*

في غمرة حماسته عدَّل إج جلسته فوق كتفَي دنك هاتفًا: «عليك به! اضربه! نعم! إنه أمامك مباشرةً، أمامك مباشرةً!». بدا أنَّ اللوْرد كارون مقصد تشجيعه، والآن يعزف عازف القيثارة نوعًا آخَر من الموسيقى، يدفع اللوْرد ليوْ ليتقهقَر فيتقهقَر فيما يُغنِّي الفولاذ على الفولاذ. والظَّاهر أنَّ المتفرِّجون انقسَموا بشبه تساوٍ بينهما، فامتزجَت هتافات التَّشجيع بالشَّتائم في هواء الصَّباح.

تطايـرَت شُـدف الخشـب والـطِّلاء مـن تُـرس الـلوْرد لـيوْ إذ قطفَـت فـأس الـلوْرد پيـرس بـتلات وردتـه الذَّهبيَّـة واحـدةً واحـدةً، إلى أن تحطَّـم تُرسـه أخيـرًا وانقصـمَ، ولكـن بينمـا حـدثَ هـذا علـقَ رأس الفـأس لحظةً في الخشـب... وهـوَت فـأس الـلوْرد لـيوْ عـلى مقبـض سلاح خصمـه لتكسـره عـلى بُعـد أقـل مـن قـدم مـن يـده. ألـقى تايـرل تُرسـه المحطَّـم، وفجـأةً أصبـحَ هـو المهاجِـمَ، وخلال لحظـاتٍ ركعَ الفـارس عـازف القيثـارة عـلى رُكبتـه مُنشـدًا اسـتسلامه.

طـوال مـا تبـقَّى مـن الصَّبـاح وبعـد توغُّـل الأصيـل تكـرَّر مزيـدٌ ممَّـا أنـفَ ذِكـره إذ نـزلَ المتحـدُّون إلى المضمـار مثـانيَ وثلاثـات، وأحيانًـا خمسـات معًـا. دوَّت الأبـواق، وأعلـنَ الحُجَّـاب الأسـماء، وانقضَّـت الجيـاد الحربيَّـة، وهلَّلـت الجماهيـر، وانكسـرَت الرِّمـاح كغُصينـات الشَّـجر، ورنَّـت السُّـيوف عـلى الخُـوذ والـزُّرود. عـلى حـدِّ سـواءٍ اتَّفـق العامَّـة الصِّغـار والـلوْردات الكبـار أنـه يـومٌ رائع للمُثاقفة. تواجـهَ السـيْر همفـري هـاردنج والسـيْر همفـري بيزبـري ـ وهـو فـارسٌ شـابٌّ مقـدام يرتـدي معطفًـا مخطَّطًـا بالأصفـر والأسـود، وعـلى تُرسـه ثلاث خلايـا نحـل ـ وكسـرَ كلٌّ منهمـا مـا لـم يقـلَّ عـن دسـتةٍ مـن الرِّمـاح في صـراعٍ ملحميّ سـرعان مـا بـدأ العـوام يُسمُّونه «معركـة همفـري»، وسـقطَ السـيْر تايبوْلـت لانسـتر عـن حصانـه أمـام السـيْر چوْن پنـروْز وكسـرَت سـقطته سـيفه، لكنـه قـاومَ مقـاتلًا بتُرسـه فقـط ليفـوز بالمبـاراة ويبـقى نصيـرًا، أمَّـا السـيْر روْبـن ريزلـنج ذو العيـن الواحـدة ـ وهـو فـارسٌ عجـوز يخِـط الشَّـيب شـعره ولـه لحيـةٌ بلـونَي المـلح والفلفـل ـ ففقـدَ خوذتـه عـلى إثـر ضربـةٍ مـن رُمح الـلوْرد لـيوْ في جولتهمـا الأولى، لكنـه أبـى الاسـتسلام، وثلاث

مرَّاتٍ ركبا متواجهيْن والرِّيح تعصف بشعر السيْر روْبن وشظايا الرِّماح المكسورة تتطايَر حول وجهه المكشوف كسكاكين من خشب، وهو ما أثارَ في دنك عجبًا أكثر حين أخبرَه إج أنَّ السيْر روْبن فقدَ عينه بسبب شظيَّة رُمح مكسور قبل أقل من خمس سنوات. حالَت شهامة اللوْرد ليوْ دون تسديده رُمحًا آخَر إلى رأس السيْر روْبن غير المحمي، ومع ذلك أذهلَت شجاعة ريزلنج العنيدة (أم إنها حماقته؟) دنك. أخيرًا أصابَ سيِّد (هايجاردن) صدريَّة السيْر روْبن بضربةٍ وطيدة فوق القلب مباشرةً، ليدور في

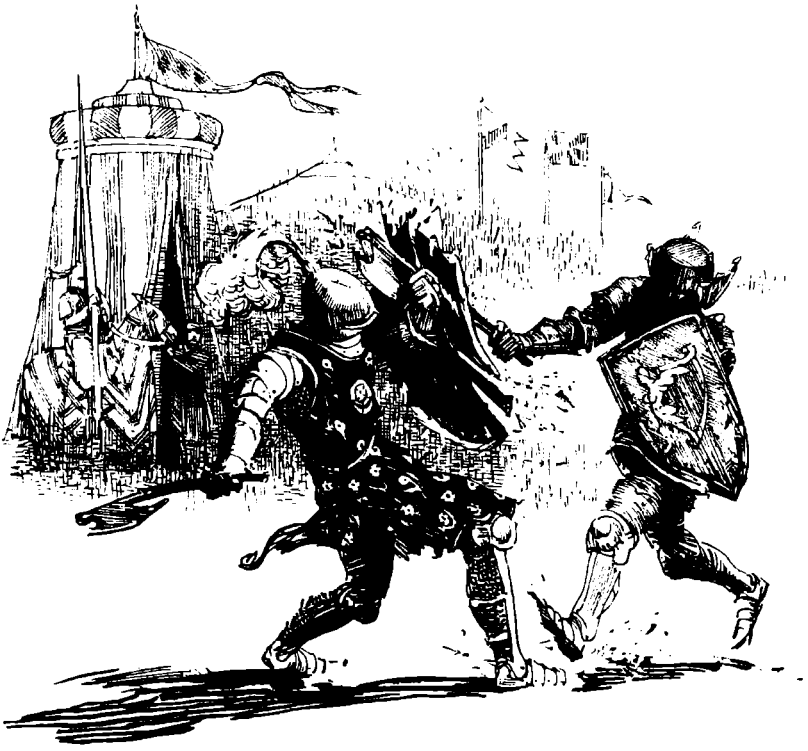

الهـواء في طريقـه إلى السُّـقوط أرضًـا.

خـاضَ السـيْر لايُنـل باراثـيون أيضًـا عـدَّة مباريـاتٍ لافتـة للنَّظـر. ضـد خصـوم أدنى شـأنًا، عـادةً ينفجـر الرَّجـل في ضحـكٍ جهـوريٍ لحظـة أن يلمّسـوا تُرسـه، ولا ينفـكُّ يضحـك وهـو يركـب وينقـضّ عليهـم ويخـلع أقدامهـم مـن ركائبهـم، وإذا اعتمـرَ متحدِّيـه خـوذةً ذات ريشـةٍ مـن أيّ نـوع، يكسـرها السـيْر لايُنـل ويرميهـا إلى المتفرّجيـن. هـذه الرِّيَـش زخـارف منمَّقـة مـن الخشـب المنحـوت أو الجلـد المشـكّل، وأحيانًـا مموَّهـة بالذَّهـب أو المينـا أو حـتى مطرَّقـة مـن الفضَّـة الخالصـة، ولـذا لا يُقـدِّر مَـن يغلبهـم هـذه العـادة، ولـو أنهـا جعلَـت تفضيلـه عنـد العـوام عظيمًـا.

سرعان ما اقتصرَ مَن اختاروه على رجالٍ غير مريَّشين، ولكن مهما لعلعَ ضحك السيْر لايُنل استهزاءً بمَن تحدَّوه، ارتأى دنك أنَّ شرف اليوم ينبغي أن يكون من نصيب السيْر همفري هاردنج الذي قهرَ أربعة عشر فارسًا لا تَنقُص أحدهم المهابة.

في تلك الأثناء جلسَ الأمير الشَّاب خارج سُرادقه الأسود، يشرب من كأسه الفضِّيَّة وينهض من حينٍ إلى آخَر ليركب حصانه ويغلب خصمًا مغمورًا آخَر. حقَّق ڤالرٍ تسعة انتصارات، وإن بدا لدنك أنَّ كلَّ واحدٍ منها أجوف. *يهزم رجالًا مسنِّين ومُرافقين متسلِّقين وبضع لوردات نبيلي المولد وضيعي المهارة. الرِّجال الخطرون بحقٍّ يتجاوَزون تُرسه كأنهم لا يرونه.*

في ساعةٍ متأخِّرة من النَّهار أعلنَت جوقة أبواقٍ نُحاسيَّة نزول متحدٍّ جديد إلى المضمار. دخلَ الرَّجل راكبًا كرَّارًا أحمر عظيمًا، درعه مشرَّطة لتلوح من تحتها لمحات من الأصفر والقرمزي والبرتقالي، وإذ دنا من مدرَّجات المشاهدة ليُؤدِّي التَّحيَّة، رأى دنك الوجه تحت مقدِّمة الخوذة المرفوعة، وتعرَّف على الأمير الذي قابلَه في إسطبلات اللوْرد آشفرد.

تقلَّصت ساقا إج حول رقبته، فزعقَ دنك مباعدًا بينهما بحدَّة: «كُفَّ عن هذا. أتُريد أن تَخنُقني؟!».

نادى حاجبٌ: «الأمير إيْريوْن اللَّهب السَّاطع من قلعة (كينجز لاندنج) الحمراء، ابن ميْكار سيِّد (بهو الصَّيف) سليل عائلة تارجاريَن، حفيد ديْروْن الصَّالح، الثَّاني من اسمه، ملك الأندالِيِّين والروْينار والبشر الأوائل، وسيِّد (الممالك السَّبع)».

يحمل إيْريوْن على تُرسه التنِّين ثُلاثي الرُّؤوس، إلَّا أنه مصوَّر بألوانٍ أزهى كثيرًا من تنِّين ڤالر؛ أحد رؤوسه برتقالي، والثَّاني أصفر، والثَّالث أحمر، وللَّهب الذي تنفثه لمعة رقائق الذَّهب. معطفه دوَّامةٌ من الدُّخان والنَّار المحبوكيْن معًا، وخوذته المسوَّدة متوَّجة بريشةٍ من ألسنة لهبٍ حمراء من المينا.

بعد وقفةٍ خفضَ خلالها رُمحه للأمير بيْلوْر، وقفة وجيزة للغاية بدَت كأنَّما تعوزها الهمَّة، هرولَ إيْريوْن إلى طرف الحقل الشَّمالي متخطِّيًا سُرادقَي اللوْرد ليوْ والعاصفة الضَّاحكة، ولم يُبطئ حركته إلَّا حين اقتربَ من خيمة الأمير ڤالر. قامَ الأمير

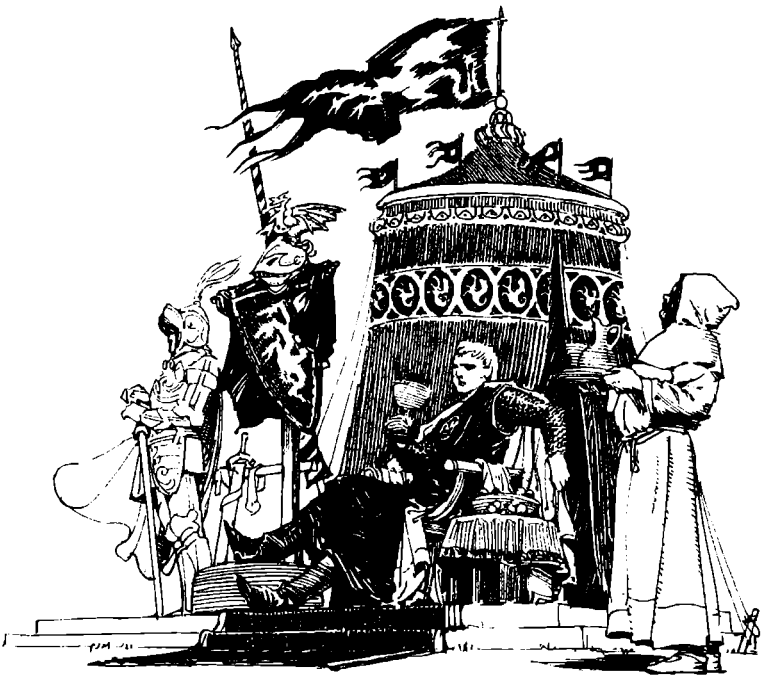

الصَّغير ووقفَ متيبِّسًا بجوار تُرسه، وللحظة وجدَ دنك نفسه واثقًا بأن إيْريوْن سيضرب التُّرس... غير أنه ضحكَ وخبَّ مبتعدًا ليَطرُق بقوَّةٍ على ألماسات السيْر همفري هاردنج، وبصوتٍ عالٍ واضح تغنَّى: «اخرُج أيُّها الفارس الصَّغير، اخرُج. حانَ الوقت لتُواجِه التنِّين».

حنى السيْر همفري رأسه بجمودٍ لخصمه فيما جلبَ مُرافقه بِرذونه،[٨] ثم تجاهلَه وهو يمتطي الحصان ويعقد أربطة خوذته ويلتقِط رُمحه وتُرسه. لاذَ المشاهدون بالصَّمت فيما اتَّخذ

٨- البِرذون Destrier: جواد حربي عظيم الخلقة، غليظ الأعضاء، قويُّ الأرجُل، عظيم الحوافر. (المترجم).

الفارسان موضعيْهما، وسمعَ دنك رنين مقدِّمة خوذة الأمير إيْريوْن إذ أنزلَها. ثم دوَّى البوق.

انطلقَ السيْر همفري بتؤدةٍ مُزيدًا سرعته شيئًا فشيئًا، في حين سحجَ خصمه جنبَي كرَّاره الأحمر بكلا مِهمازيْه لينقضَّ بقوَّة. مجدَّدًا تقلَّصت ساقا إج، وصاحَ فجأةً: «اقتُله! اقتُله، إنه أمامك مباشرةً، اقتُله، اقتُله، اقتُله!»، ولم يدرِ دنك لأيِّ الفارسيْن يصيح الغُلام.

سنان رُمح الأمير إيْريوْن مطليٌّ بالذَّهب، وقصبته مطليَّة بشرائط من الأحمر والبرتقالي والأصفر، وما إن تحرَّك مجتازًا الحاجز حتى فكر دنك: *منخفض، منخفض جدًّا. سيُخطئ الرَّاكب*

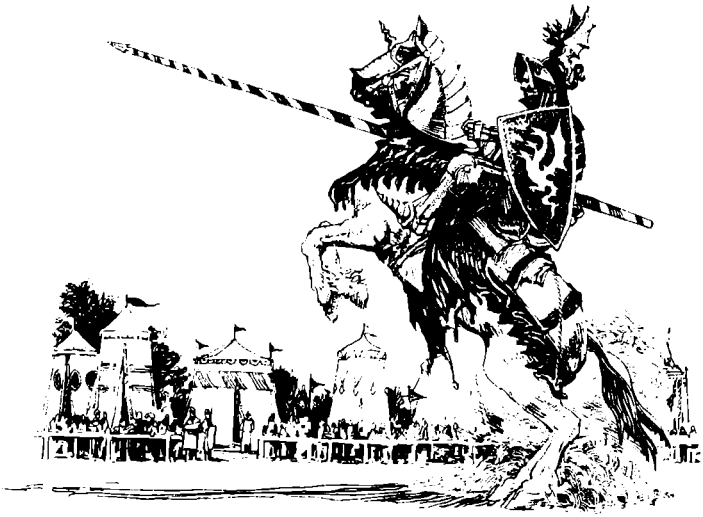

ويُصيب حصان السيْر همفري. عليه أن يرفعه. ثم بدأ يشكّ بذَعرٍ ينجلي أنَّ إيْريوْن لا ينوي ذلك بالمرَّة. *لا يُمكن أنه يقصد...*

في آخِر لحظة ممكنة شبَّ فحل السيْر همفري مبتعدًا عن حدِّ الرُّمح الموجَّه إليه وقد زاغَت عيناه رُعبًا، ولكن فاتَ الأوان، وأصابَ رُمح إيْريوْن الحيوان مباشرةً فوق قطعة الدِّرع التي تحمي عظمة القصّ، وانبثقَ من مؤخِّرة عُنقه في سيلٍ من الدَّم اللَّامع. صارخًا ارتَمى الحصان جانبًا محطِّمًا الحاجزَ الخشبيَّ تحطيمًا وهو يَسقُط. حاولَ السيْر همفري أن يثب مبتعدًا، لكن إحدى قدميْه علقَت بركابها، وسمعَ النَّاس صرخته إذ سُحقَت ساقه بين الحاجز المفتَّت والحصان السَّاقط.

اجتاحَ الصِّياح (مرج آشفرد) بأكمله. هرعَ بعض الرِّجال إلى الحقل لتخليص السيْر همفري، لكن الفحل المحتضر ألمَّا

رفسَ الهواء في وجوههم إذ اقتربوا. كان إيْريوْن قد عدا بابتهاج دائرًا حول الفوضى إلى طرف المضمار، ثم دارَ بحصانه وهرولَ عائدًا، يصيح بدوره ولو أنَّ دنك لم يُميِّز الكلام من شدَّة صريخ الحصان الميِّت شبه البشري. قفزَ إيْريوْن من فوق سرجه وامتشقَ سيفه متقدِّمًا إلى خصمه السَّاقط، واضطرَّ مُرافقوه وأحد مُرافقي السيْر همفري إلى شدِّه إلى الخلف. تلوَّى إج فوق كتفَي دنك قائلًا: «أنزِلني. الحصان المسكين. أنزِلني!».

شعرَ دنك نفسه بالغثيان. *ماذا أفعلُ إذا حلَّ مصيرٌ مشابه بثندر؟* أجهزَ رجلٌ مسلَّح بفأس حربيَّة على فحل السيْر همفري واضعًا نهايةً للصَّرخات الشَّنيعة، ودارَ دنك شاقًّا طريقه قسرًا بين المحتشدين، ولمَّا بلغَ أرضًا مفتوحةً أنزلَ إج من فوق كتفيْه.

كانت قلنسوة الغُلام قد سقطَت عن رأسه، وعيناه محمرَّتيْن. قال دنك للولد: «مشهدٌ مريع، أجل، ولكن على المُرافق أن يتمتَّع بالقوَّة. للأسف سترى حوادث أسوأ في مباريات أخرى». ردَّ إج بفم راجف: «ليست حادثةً. إيْريوْن قصدَ أن يفعلها. لقد رأيته بنفسك». قطَّب دنك

وجهه. هكذا بدا له أيضًا، ولكن يَصعُب عليه أن يقبل أنَّ فارسًا قد يتصرَّف دونما شهامةٍ إلى تلك الدَّرجة، بخاصَّةٍ فارس من دم التنّين. قال بعناد: «رأيتُ فارسًا أخضر كعُشب الصَّيف يفقد التَّحكم في رُمحه، ولن أسمع مزيدًا عن هذا الأمر. مُثاقفات اليوم انتهَت على ما أظنُّ. هلمَّ أيُّها الصَّبي».

***

صحَّ ما قاله دنك عن انتهاء مسابقات اليوم. في الوقت الذي استتبَّت فيه الأمور كانت الشَّمس قد انخفضَت في الغرب وأمرَ اللوْرد آشفرد بالتَّوقُّف.

مع زحف ظلال المساء على المرج أُوقدَت مئة من المشاعل على طول صفِّ التُّجَّار. اشترى دنك قرنًا من المزر لنفسه ونصف قرنٍ للغُلام ليُروِّحِ عنه، وتجوَّلا وقتًا مصغيَيْن إلى لحنٍ حماسيّ على المزامير والطبول، ثم تفرَّجا على عرض عرائس عن نايمِيريا، الملكة المُحاربة صاحبة العشرة آلاف سفينة. لم يملك محرّكو الدُّمى إلَّا سفينتيْن، لكنهم قدَّموا معركةً بحريَّةً حاميةً رغم ذلك. أرادَ دنك أن يسأل الفتاة تانسل هل فرغَت من رسم تُرسه، وإن رأى أنها مشغولة، وعليه قال لنفسه مقرِّرًا: *سأنتظرُ حتى تُنهي عملها الليلة. قد تكون عطشانةً عندئذٍ.*

نادى صوتٌ من خلفه: «سيْر دنكن»، ومرَّةً أخرى: «سيْر دنكن». فجأةً تذكَّر دنك أنَّ هذا اسمه، وقال رايمن فوْسوْواي وهو يُقبِل مبتسمًا: «رأيتك بين العامَّة اليوم والغُلام على كتفيْك. كان عسيرًا حقًّا ألَّا يلحظكما أحد».

ـ «الغُلام مُرافقي. إج، هذا رِايمن فوسْواي». اضطرَّ دنك إلى سحب الغُلام إلى الأمام، ورغم ذلك طأطأ إج رأسه وحدَّق إلى حذاء رِايمن مُهمهمًا بتحيَّة.

قال رِايمن ببساطة: «لقاءٌ سعيد أيُّها الصَّبي. سيْر دنكن، لِمَ لم تتفرَّج من شُرفة المشاهدة؟ جميع الفُرسان مرحَّب بهم هناك».

يستريح دنك بين العامَّة والخدم، أمَّا فكرة أن يتَّخذ موضعًا بين اللوْردات والليْديهات والفُرسان مُلَّاك الأراضي فتُزعِجه. «لم أكن لأريد رؤية ذلك النِّزال الأخير من بُقعةٍ أقرب».

لوى رِايمن قسمات وجهه قائلًا: «ولا أنا. اللوْرد آشفرد أعلنَ أنَّ السيْر همفري المنتصر وكافأه بحصان الأمير إيْريوْن العدَّاء،[٩] لكنه لن يستطيع الاستمرار رغم ذلك. لقد كُسرَت ساقه في موضعيْن. الأمير بيْلوْر أرسلَ إليه ميْستره الخاص ليُعالِجه».

ـ «هل سيحلُّ نصيرٌ آخَر محلَّ السيْر همفري؟».

ـ «اللوْرد آشفرد مالَ إلى أن يهب موقعه للوْرد كاروْن، أو ربَّما السيْر همفري الآخَر الذي أبدعَ في مباراة هاردنج، لكن الأمير بيْلوْر قال له إنه لن يليق أن يُزال تُرس السيْر همفري وسُرادقه في هذه الظُّروف. أعتقدُ أنهم سيُواصِلون بأربعة أنصارٍ بدلًا من خمسة».

فكَّر دنك: *أربعة أنصار. ليُو تايرل، لايُنل باراثيوْن، تايبوْلت لانستر، والأمير ڤالر.* لقد رأى ما يكفي في هذا اليوم الأوَّل

---

٩ - الحصان العدَّاء Courser: حصانٌ يُفضَّل ركوبه لسرعته، خصوصًا في المعارك والسِّباقات. (المترجم).

ليُدرِك ضآلة فُرصته أمام أوَّل ثلاثة، وهكذا يتبقَّى فقط...

ـ *لا يُمكن أن يتحدَّى فارسٌ جوَّال أميرًا. قالر الثَّاني في تسلسُل وراثة العرش الحديدي. إنه ابن بيْلوُر كاسِر الحراب، ودمه دم إيْجوُن الفاتِح والتنِّين الصَّغير والأمير إيْموُن الفارس التنِّين، وأنا مجرَّد صبيٍّ وجدَّه العجوز وراء محلِّ أكلٍ في (سفح البراغيث).*

أوجعَه رأسه من مجرَّد التَّفكير في الأمر. «مَن ينوي ابن عمومتك أن يتحدَّى؟».

ـ «السيْر تايبوْلت إذا جرى كلُّ شيءٍ حسب المتوقَّع. إنهما متكافئان. على أنَّ ابن عمومتي يُراقِب كلَّ مُثاقفةٍ بعين حادَّة. إذا جُرِحَ أيُّ رجلٍ غدًا أو أبدى أمارة إرهاقٍ أو ضعف فسيُسارِع ستفوْن إلى الدَّقِّ على تُرسه، لك أن تثق بذلك. لا أحد اتَّهمه قَطُّ بالإفراط في الشَّهامة»، وضحكَ رِايمن كأنَّما لينزع من كلامه لذعته، ثم قال: «سيْر دنكن، هلَّا انضممت إليَّ لنشرب كوبًا من النَّبيذ؟».

ـ «عندي شأنٌ يجب أن أتولَّاه». قالها دنك منزعجًا من فكرة أن يقبل حفاوةً لا يقدر على ردِّها.

قال إج: «يُمكنني أن أنتظر هنا وأجلب تُرسك عندما ينتهي العرض أيُّها السيْر. سيُقدِّمون سيميوْن ذا العينيْن النَّجمتيْن لاحقًا، وسيجعلون التنِّين يُقاتِل ثانيةً أيضًا».

قال رِايمن: «هكذا إذًا، كما ترى، لشأنك مَن يتولَّاه، والنَّبيذ ينتظرنا. إنه صنفٌ معتَّق من (الكرمة) أيضًا. كيف يُمكنك أن

تَرفُض دعوتي؟».

هكذا وقد انعدمَت أعذاره، لم يملك دنك خيارًا إلَّا أن يتبعه تاركًا إج عند عرض العرائس. فوق السُّرادق الملوَّن بالذَّهبي حيث يُعني رِايمن بابن عمومته خفقَت تُفَّاحة عائلة فوسْواي، ووراءه سقَّى خادمان ماعزًا بالعسل والأعشاب فوق نار طهو صغيرة. قال رِايمن بلا مبالاة وهو يرفع السَّديلة لدنك: «عندنا طعامٌ أيضًا لو أنك جائع». تُضيء داخل الخيمة مجمرة فحم تُدفِئ الهواء على نحو سار. ملأ رِايمن كوبيْن بالنَّبيذ، وفيما يصبُّ علَّق: «يقولون إنَّ إيْريوْن يتميَّز غيظًا من اللوْرد آشفرد لإنعامه على السيْر همفري بكرَّاره، لكنني أراهنُ أنَّ عمَّه هو مَن أشارَ بهذا»، ثم ناولَ دنك كوبًا.

ـ «الأمير بيْلوْر رجلٌ شريف».

ضحكَ رِايمن، وقال: «والأمير السَّاطع ليس كذلك؟ لا يبدونَّ عليك القلق هكذا يا سيْر دنكن، لا أحد هنا إلَّانا. ليس سرًّا أنَّ إيْريوْن فيه شتَّى العلل. الشُّكر للآلهة أنه متدنٍّ جدًّا في تسلسُل الوراثة».

ـ «أتعتقد حقًّا أنه تعمَّد قتل الحصان؟».

ـ «وهل من شك؟ لو أنَّ الأمير ميْكار هنا لاختلفَ مسار الأحداث، أؤكِّدُ لك. إيْريوْن كلُّه ابتسامات وشهامة ما دامَ أبوه يُشاهِد، إذا صحَّت الحكايات، ولكن في غيابه...».

ـ «رأيتُ مقعد الأمير ميْكار شاغرًا».

ـ «لأنه تركَ (آشفرد) ليبحث عن ابنيْه، ومعه رولند كريْكهوْل

رجل الحرس الملكي. ثمَّة حكاية مبالغ فيها متداولة عن فُرسانٍ لصوص، لكنني أراهنُ أنَّ الأمير سكران في مكانٍ ما لا أكثر».

وجدَ دنك النَّبيذ ممتازًا ذا مذاقٍ فاكهي، من أجود الأكواب التي شربَها على الإطلاق. دوَّره في فمه ثم ابتلعَه، وقال: «أيُّ أميرٍ هذا؟».

ـ «وريث ميكار. اسمه ديرون تيمُّنًا بالملك. يدعونه بديرون السكِير، ولكن ليس على مسمع من أبيه. الصَّبي الأصغر كان معه أيضًا؛ غادَرا (بهو الصَّيف) معًا، وإن لم يصلا إلى (آشفرد) قَطُّ». أفرغَ رِايمن كوبه في جوفه، ثم وضعَه جانبًا قائلًا: «مسكين ميكار».

ردَّ دنك مبهوتًا: «مسكين؟ ابن الملك؟».

قال رِايمن: «ابن الملك الرَّابع، وليس بجرأة الأمير بيلوُر، ولا بذكاء الأمير إيرس، ولا بوداعة الأمير ريجل، والآن يُعاني مرغمًا رؤية ابنَي أخيه يرجحان على أبنائه. ديرون عربيد، وإيريون مغرور وقاس، والابن الثَّالث لم يعِد بأيّ نجاح حتى إنهم أعطوه لـ(القلعة) لتجعل منه ميسترًا، والأصغر...».

ـ «سيِّر! سيِّر دنكن!». اقتحمَ إج المكان لاهثًا وقد سقطَت قلنسوته عن رأسه والتمعَ ضوء المجمرة في عينيه الدَّاكنتيْن الكبيرتيْن. «يجب أن تُسرِع. إنه يُؤذيها!».

بحيرةٍ هبَّ دنك واقفًا، وسألَه: «يُؤذيها؟ مَن؟».

صاحَ الغُلام: «إيريون! إنه يُؤذيها! فتاة الدُّمى! أسرِع!»، ودارَ على عقبيْه واندفعَ عائدًا إلى اللَّيل.

تحرَّك دنك ليتبعه، لكن رِايمن أمسكَ ذراعه قائلًا: «سيْر دنكن. لقد قال إيْريوْن، أمير من الدَّم الملكي. احذر».

علمَ أنها نصيحة سديدة. العجوز كان سيقول المثل، إلَّا أنَّ دنك لم يستطع الإصغاء، وانتزعَ ذراعه من يد رِايمن ودفعَ سديلة السُّرادق بكتفه خارجًا، ليتناهى إلى أذنيْه زعيقٌ من جهة صفِّ التُّجَّار. كادَ إج يغيب عن نظره، وهرعَ دنك خلفه، ولأن ساقيْه طويلتان وساقي الغُلام قصيرتان فسرعان ما قصَّر المسافة بينهما.

سورٌ من المتفرّجين المحتشدين ارتفعَ حول محرَكي الدُّمى، وشقَّ دنك طريقه بينهم عنوةً متجاهلًا شتائمهم. تقدَّم رجلٌ مسلَّح يرتدي البِزَّة العسكريَّة الملكيَّة ليعترض طريقه، فوضعَ دنك يدًا كبيرةً على صدره ودفعَه، ليَسقُط الرَّجل إلى الخلف وينطرح على مؤخِرته في التُّراب.

رأى دنك كُشك محرِّكي الدُّمى مقلوبًا على جنبه، والدوْرنيَّة البدينة على الأرض تبكي، ورجلًا مسلَّحًا يُدلِّي دُميتَي فلوْريَن وچوْنكول من يديْه فيما يُضرِم فيهما آخَر النَّار بمشعل، في حين يفتح ثلاثة رجالٍ آخَرون الصَّناديق ويرمون مزيدًا من الدُّمى أرضًا ويدعسونها، وفي كلِّ مكانٍ حولهم

تتناثَر أشلاء دُمية التنّين؛ جناحٌ مكسور هنا، رأسه هناك، ذيله ممزَّق إلى ثلاث قطع. وفي وسط كلِّ هذا يقف الأمير إيْريوْن متألِّقًا في دبليَّةٍ مخمليَّة حمراء ذات كُمَّيْن مشرَّطيْن، يلوي بكلتا يديْه ذراع تانسل، والفتاة على رُكبتيْها تتوسَّل إليه، وإيْريوْن يتجاهَلها.

قسرَها الأمير على فتح يدها وقبضَ على إحدى أصابعها، ودنك واقفٌ في مكانه بغباء، يكاد لا يُصدِّق ما يراه. ثم سمعَ قضقضةً، وصرخَت تانسل.

حاولَ أحد رجال إيْريوْن الإمساك به، وبضربةٍ طارَ. ثلاث خُطواتٍ واسعة، ثم أطبقَ دنك على كتف الأمير وأدارَه بجذبةٍ

عنيفة. نُسِيَ سيفه وخنجره، ومعهما كلُّ ما علَّمه إيَّاه العجوز. طرحَت قبضته إيْريوْن أرضًا، وانغرزَ سُنبك حذائه في بطنه، وحين حاولَ الأمير استلال سكّينه داسَ دنك معصمه وركلَه ثانيةً، هذه المرَّة في فمه مباشرةً. لربَّما ظلَّ يَركُله حتى الموت في التَّوّ واللَّحظة، لكن رجال الأمير الصَّغير تكاثَروا عليه، فأمسكَ واحدٌ منهم بكلِّ من ذراعيْه وهوى آخَر على ظهره بالضَّرب، وما كادَ يتملَّص من أحدهم حتى انقضَّ عليه اثنان آخَران.

وأخيرًا دفعوه إلى الأرض وثبَّتوا ذراعيْه وساقيْه. من جديد نهضَ إيْريوْن بفم دام، ودسَّ فيه الأمير إصبعًا وقال متذمِّرًا: «خلخلتَ إحدى أسنانِي، ولذا سنبدأ بتكسير أسنانك جميعًا»، ثم أزاحَ شعره عن عينيْه قائلًا: «تبدو مألوفًا».

ـ «حسبتَني صبيَّ إسطبل».

ابتسمَ إيْريوْن ابتسامةً حمراء، وقال: «أذكرُ. وأنت رفضت أن تأخذ حصاني. لماذا فرَّطت في حياتك؟ من أجل هذه العاهرة؟».
كانت تانسل متكوِّرةً على نفسها أرضًا، تحتضن يدها المشوَّهة،

فنهزَها بسُنبك حذائه متابعًا: «إنها لا تستحقُّ. خائنة. يجب ألَّا يخسر التنِّين أبدًا».

فكَّر دنك: *إنه مجنون، لكنه ما زالَ ابن أمير، وينوي قتلي.*

لربَّما صلَّى لحظتها لو أنه يعرف أيَّ صلاةٍ إلى آخِرها، لكنه لم يملك وقتًا، بل إنه بالكاد ملكَ وقتًا ليخاف.

قال إيْريوْن: «ليس لديك شيء آخَر تقوله؟ كم تُثير مللي أيُّها السيْر»، وعادَ يُنقِّب في فمه الدَّامي، ثم قال آمرًا: «أحضِر مطرقةً وكسِّر أسنانه كلَّها يا ويْت، وبعد ذلك فلنفتح بطنه ونُريه لون أمعائه».

وقال صوت غُلام: «لا! لا تُؤذوه!».

ـ *بحقِّ الآلهة، الولد، الولد الأحمق الشُّجاع*. جاهدَ دنك ليتخلَّص من الأذرُع التي تُكبِّله، ولكن بلا جدوى. «أمسِك لسانك أيُّها الصَّبي الأحمق. اهرب. سيُؤذونك!».

اقتربَ إج قائلًا: «لا، لن يفعلوا. إذا فعلوا فعليهم أن يُبرِّروا ذلك لأبي، ولعمِّي أيضًا. قلتُ اترُكوه. ويْت، يوْركل، أنتما تعرفانني. افعلا كما أقولُ».

وارتفعَت اليدان اللتان تُثبِّتان ذراعه، ثم الأخريان. لم يفهم دنك ما يَحدُث. الرِّجال المسلَّحون يتراجَعون، وأحدهم ركعَ، ثم انشقَّ المتجمهرون ليمرَّ رايمن فوْسوْواي الذي وضعَ زرده وخوذته وأمسكَ مقبض سيفه، في حين جرَّد ابن عمومته السيْر ستفوْن الآتي خلفه مباشرةً فولاذه، وقد حضرَ معهما نصف دستةٍ من الرِّجال المسلَّحين الذين خيطَت شارة التُّفَّاحة الحمراء على صدورهم.

لم يُعِرهم الأمير إيْريوْن انتباهًا، بل قال لإج: «أيُّها التَّعس الصَّغير الصَّفيق»، وبصقَ ملء فمه من الدَّم عند قدمَي الغُلام،

وسـألَه: «مـاذا جـرى لشـعرك؟».

أجابَ إج: «حلقته يا أخي. لم أُرِد أن أشبهك».

***

طلعَ نهار اليوم الثَّاني من المباريات غائمًا، ومن الغرب هبَّت ريحٌ مضطربة. فكر دنك: *المفترَض أن تقلَّ أعداد المتفرّجين في يوم كهذا*. كان سيَسهُل عليهما أكثر أن يجدا بُقعةً قُرب السِّياج ليُشَاهدا المُثاقفات من كثب. *لربَّما جلسَ إج فوق الحاجز ووقفتُ أنا خلفه*.

بدلًا من ذلك سيجلس إج في مقصورة المشاهدة مرتديًا الحرائر والفراء، في حين ستنحصِر رؤية دنك في جُدران أربعة لزنزانة البُرج التي احتجزَه فيها رجال اللوْرد آشفرد. للغُرفة نافذة، لكنها في الجهة الخطأ، ومع ذلك حشرَ دنك نفسه في المقعد المجاور للنَّافذة فيما ذرَّت الشَّمس، وحدَّق ببالٍ كاسف عبر البلدة والحقول والغابة. لقد أخذوا حزامه القنَّبي، ومعه سيفه وخنجره، وأخذوا فضَّته أيضًا. يأمل أن يتذكَّر إج أو رِايمن تشستنت وثندر.

غمغمَ بصوتٍ هامس: «إج». مُرافقه، صبيٌّ مسكين اقتُلِعَ من شوارع (كينجز لاندنج). هل غُفِّلَ فارسٌ يومًا مثلما غُفِّلَ؟ *دنك الأنوَك، غليظ العقل كسور قلعةٍ وبليد كثورٍ برّي*.

لم يُسمَح له بالكلام مع إج منذ أخذَهم جنود اللوْرد آشفرد جميعًا عند عرض العرائس، ولا مع رِايمن ولا تانسل ولا غيرهما، بمَن في ذلك اللوْرد آشفرد نفسه. تساءلَ هل سيرى أيًّا منهم ثانيةً. على حدّ علمه، سيحبسونه هنا في هذه الغُرفة الصَّغيرة إلى أن يموت. سألَ نفسه بمرارة: *ما الذي حسبته سيَحدُث؟ لقد جندلتُ ابن أميرٍ وركلته في وجهه*.

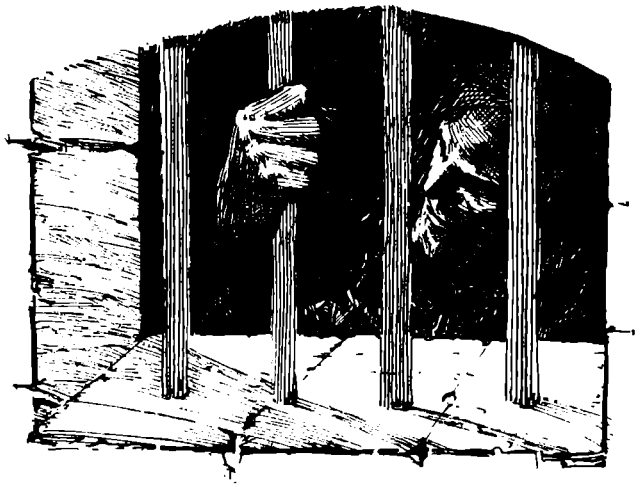

تحت هذه السَّماوات الرَّماديَّة لن تبدو الثِّياب الفاخرة الهفهافة التي يرتديها اللوردات كرام المحتد والأبطال العظام بالرَّوعة التي بدَت بها في اليوم السَّابق، ولن تمسس الشَّمس الحبيسة خلف أسوار السَّحاب خُوذهم الفولاذيَّة ببهائها أو تجعل زخارفهم الذَّهبيَّة والفضِّيَّة تتلألأ وتَبرُق، ورغم ذلك تمنَّى دنك لو أنه وسط الجمهور ليتفرَّج على المُثاقفات. سيكون يومًا طيِّبًا للفُرسان الجوَّالة، لرجالٍ يرتدون زرودًا بلا زينةٍ ويركبون خيولًا بلا دروع.

لكنه سمعَهم على الأقل، فقد انتقلَ إليه صوت أبواق الحُجَّاب بوضوح، وبين حين وآخَر أخبرَه صخب المتفرِّجين أنَّ أحدًا سقطَ أو قامَ أو أقدمَ على فعلٍ متفرِّد في الجرأة. سمعَ وقع حوافر خافتًا أيضًا، ومرَّةً كلَّ فترةٍ طويلة مقارعةً بين سيفيْن أو رُمحًا ينكسِر. جفلَ دنك كلَّما بلغَ أذنيْه هذا الصَّوت الأخير، إذ ذكَّره بصوت إصبع تانسل عندما كسرَها إيْريوْن. وسمعَ أصواتًا

أخرى كذلك، لكنها أقرب: خُطوات أقدام في الطُّرقة خارج بابه، وطقطقة حوافر في السَّاحة بالأسفل، وَزعيقًا وكلامًا من فوق أسوار القلعة. أحيانًا طغَت هذه الأصوات على أصوات المباريات، واحتسبَ دنك أنَّ لا بأس بذلك.

قبل زمنٍ طويل جدًّا أخبرَه العجوز: «الفارس الجوَّال أنقى أنواع الفُرسان يا دنك. الفُرسان الآخَرون يخدمون اللوردات الذين يعولونهم أو الذين يستمدُّون منهم سُلطتهم على أراضيهم، أمَّا نحن فنخدم حيثما نشاء عند رجالٍ نُؤمِن بقضاياهم. كلُّ فارس يُقسِم على حماية الضُّعفاء والأبرياء، لكننا في ظنِّي أفضل مَن يُحافِظ على يمينه». عجيبٌ إلى أيِّ حدّ تبدو هذه الذِّكرى قويَّةً. لقد نسيَ دنك هذا الكلام تمامًا، وربَّما نسيَه العجوز أيضًا قُرب النِّهاية.

استحالَ الصَّباح أصيلًا، وأخذَت أصوات المباريات البعيدة تَخفُت وتَهمُد. بدأ الغسق يتسرَّب إلى الزِّنزانة، لكن دنك ظلَّ جالسًا على مقعد النَّافذة، يتطلَّع إلى الظَّلام المتزايد ويُحاوِل تجاهُل معدته الفارغة.

مكتبة
t.me/soramnqraa

ثم إنه سمعَ خُطواتٍ وخشخشة مفاتيح حديديَّة، فحلّ نفسه من المقعد ونهضَ فيما انفتحَ الباب. دخلَ حارسان يحمل أحدهما مصباح زيت، وتبعهما خادمٌ يحمل صحفة طعام، وخلفهم أتى إج. قال لهم الغُلام: «اترُكوا المصباح والطَّعام واخرُجوا».

نفَّذ الرِّجال أمره، وإن لحظَ دنك أنهم تركوا الباب الخشبيَّ الثَّقيل مواربًا. نبَّهته رائحة الطَّعام لمبلغ جوعه. على الصَّحفة خُبز ساخن وعسل، ووعاء من ثريد البازلّاء، وسيخ من البصل المشوي واللَّحم المفحَّم. جلسَ دنك بجوار الطَّعام ومزَّق الخُبز بكلتا يديْه ودسَّ قطعةً في فمه، ثم علَّق: «لا يُوجَد سكِين.

أحسبوا أني سأطعنك يا ولد؟».

- «لم يُبلِغوني بما حسبوه». يرتدي إج دبليَّةً من الصُّوف الأسود ملاصقةً لبدنه، بخصرٍ مكسَّر وكمَّين طويليْن مخطَّطيْن بالسَّاتان الأحمر، وعلى صدره تنّين عائلة تارجاريَن ثُلاثي الرُّؤوس. «عمّي يقول إنَّ عليَّ أن أتوسَّل مغفرتك لأني خدعتك».

قال دنك: «عمُّك، أي الأمير بيْلوْر».

لاحَ البؤس على الغُلام إذ قال: «لم أقصد إطلاقًا أن أكذب».

ـ «لكنك كذبت، وبشأن كلِّ شيء، بدايةً باسمك. لم أسمع قَطُّ عن أميرٍ اسمه إج».

ـ «هذا اختصار لإيجوْن. أخي إيْموْن سمَّاني إج. إنه في (القلعة) الآن، يتعلَّم أن يكون مِيسترًا. وديْروْن أيضًا يدعوني بإج أحيانًا، وكذا أختاي».

رفعَ دنك السَّيخ وقضمَ قطعةً من اللَّحم. لحم معاز هذا، منكَّه ببهارٍ مقصور على علية القوم لم يَذُقه من قبل. سالَ الدُّهن على ذقنه وهو يقول: «إيْجوْن. طبعًا إيْجوْن، مثل إيْجوْن التنِّين. كم إيْجوْن كان ملكًا؟».

أجابَ الغُلام: «أربعة، أربعة إيْجوْن».

مضغَ دنك وازدردَ، ثم مزَّق مزيدًا من الخُبز قائلًا: «لماذا فعلتها؟ أهي مجرَّد دُعابة لتُغفِّل الفارس الجوَّال الأحمق؟».

ـ «لا». امتلأت عينا الغُلام بالدُّموع، لكنه وقفَ في مكانه بشجاعة. «كان يُفترَض أن أعمل مُرافقًا لديْروْن. إنه أخي الأكبر. لقد تعلَّمتُ كلَّ ما وجبَ أن أتعلَّمه لأصبح مُرافقًا صالحًا، لكن ديْروْن ليس فارسًا بارعًا إلى ذلك الحدِّ. لم يُرِد أن يركب في دورة المباريات، وهكذا بعد أن غادرنا (بهو الصَّيف) تسلَّل من فرقة الحراسة التي صاحبَتنا، ولكن بدلًا من العودة أدراجه واصلَ الطَّريق رأسًا إلى (آشفرد) مفكِّرًا أنهم لن يبحثوا عنا أبدًا في ذلك الاتِّجاه. هو الذي حلقَ رأسي، فقد علمَ أنَّ أبي سيُرسِل رجالًا في أعقابنا. شعر ديْروْن تقليدي، بنِّي باهت نوعًا، لا يُميِّزه شيء، لكن شعري مثل إيْريوْن وأبي».

قال دنك: «دمُ التنِّين. شعرٌ ذهبيٌّ فضِّيٌّ وأعيُن أرجوانيَّة،

الجميع يعلمون هذا». *غليظ العقل كسور قلعةٍ يا دنك.*

ـ «نعم. لذا حلقَه ديْرون. لقد انتوى أن نختبئ حتى نهاية الدَّورة، لكنك حسبتني صبيَّ إسطبلٍ و...». خفضَ الغُلام ناظريْه مواصلًا: «لم أبالِ هل سيُقاتِل دِيْرون أم لا، لكنني أردتُ أن أكون مُرافق أحد، أيِّ أحد. آسفٌ أيُّها السيْر، آسفٌ حقًّا».

رمقَه دنك مفكِّرًا. إنه يعرف معنى أن يرغب المرء في شيءٍ إلى درجة أن ينطق كذبةً وحشيَّةً لمجرَّد أن يقترب منه. «ظننتك مثلي. لعلَّك كذلك، ولكن ليس بالطَّريقة التي ظننتها».

بأملٍ قال الغُلام: «إنَّ كليْنا من (كينجز لاندنج)».

ضحكَ دنك رغمًا عنه قائلًا: «نعم، أنت من قمَّة (تل إيْجوْن) وأنا من سفحه». مكتبة سُر مَن قرأ

ـ «ليست مسافةً بعيدةً أيُّها السيْر».

أخذَ دنك قضمةً من بصلة، ثم سألَه: «أعليَّ أن أدعوك بـ«سِيدي» أو «سمو الأمير» أو ما شابهَ؟».

ـ «في البلاط، ولكن في باقي الأوقات لك أن تظلَّ تدعوني بإج إذا أردت... أيُّها السيْر».

ـ «ماذا سيفعلون بي يا إج؟».

ـ «عمِّي يُريد رؤيتك، بعد أن تَفرُغ من الأكل أيُّها السيْر».

أزاحَ دنك الصَّحفة جانبًا ونهضَ. «ها قد فرغتُ إذًا. لقد ركلتُ أميرًا في فمه، ولا أريدُ أن أبقي آخَر منتظرًا».

***

سلَّم اللوْرد آشفرد مسكنه إلى الأمير بيْلوْر خلال مُدَّة إقامته، وهكذا أخذَه إج ـ لا، بل إنه إيْجوْن، عليه أن يعتاد هذا ـ إلى غُرفة اللوْرد الشَّمسيَّة، حيث جلسَ بيْلوْر يقرأ على ضوء شمعةٍ من شمع النَّحل. ركعَ دنك أمامه، وقال له الأمير: «انهض. هل ترغب في نبيذ؟».

ـ «كما يُرضيك يا سموَّ الأمير».

أمرَ الأمير: «صُبَّ للسيِّر دنكن كوبًا من الأحمر الدوْرني الحُلو يا إيْجوْن. حاوِل ألَّا تَسكبه عليه، فقد ألحقت به ضررًا يكفي فعلًا».

قال دنك: «لن يَسكُبه الغُلام يا سموَّ الأمير. إنه غُلام صالح، مُرافق صالح. ولم يتعمَّد أن يُؤذيني، أعرفُ هذا».

ـ «ليس شرطًا أن يتعمَّد المرء الأذى ليُسبِّبه. لقد وجبَ أن يأتيني إيْجوْن حين رأى ما يفعله أخوه بمحرِّكي الدُّمى هؤلاء،

وبدلًا من ذلك هرعَ إليك. لم يكن ذلك لُطفًا. ما فعلته أيُّها السيْر... لربَّما فعلتُ المثل لو أني في مكانك، لكنني من أمراء البلاد لا فارسٌ جوَّال. ليس من الحكمة أبدًا أن تضرب حفيد الملك في نوبة غضب مهما كان السَّبب».

أومأ دنك برأسه بتجهُّم. قدَّم له إج كأسًا ذهبيَّةً مترعةً بالنَّبيذ، فقبلَها وأخذَ جرعةً طويلةً.

قال إج بحرارة: «إنني أكرهُ إيْريوْن! وقد اضطررتُ أن أهرع إلى السيْر دنكن يا عمَّاه. القلعة كانت بعيدة جدًّا».

قال الأمير بحزم: «إيْريوْن أخوك، والسِّبتوْنات يقولون إنه يجب أن نحبَّ إخوتنا. إيْجوْن، اترُكنا الآن. أريدُ أن أتكلَّم مع السيْر دنكن على انفراد».

وضعَ الغُلام إبريق النَّبيذ وانحنى بجمودٍ قائلًا: «كما ترغب يا سموَّ الأمير»، واتَّجه إلى باب الغُرفة الشَّمسيَّة وأغلقَه وراءه بهدوء.

تفرَّس بيْلوْر كاسِر الحراب في عينَي دنكن لحظةً طويلةً قبل أن يقول: «سيْر دنكن، دعني أسألك: إلى أيِّ مدى تبرع في الفروسيَّة حقًّا؟ ما مبلغ مهارتك بالسِّلاح؟».

لم يدرِ دنك ماذا يقول. «السيْر آرلان علَّمني السَّيف والتُّرس، والنِّزال على الحلقات والطَّواويس».

بدا أنَّ الإجابة أزعجَت الأمير بيْلوْر. «أخي ميْكار عادَ إلى القلعة قبل ساعاتٍ قليلة. لقد عثرَ على وريثه مخمورًا في خانٍ يَبعُد يومًا من الرُّكوب جنوبًا. ميْكار لن يقرَّ بذلك أبدًا، لكنني

أعتقدُ أنه أملَ سرًّا أن يمتاز ابناه عن ابنيَّ في هذه الدَّورة. بدلًا من ذلك أخزاه كلاهما، ولكن ماذا يفعل؟ إنهما دم دمه. ميْكار غاضب، ويجب أن يجد هدفًا ليُنفِّس فيه عن غضبه هذا، وقد اختارَك أنت».

قال دنك بتعاسة: «أنا؟».

ـ «إيْريوْن وسوسَ لأبيه فعلًا، وديْروْن لم يُساعِدك كذلك. ليُبرِّر جُبنه، قال لأخي إنَّ فارسًا لصًّا ضخمًا قابلَه مصادفةً على الطَّريق اختطفَ إيْجوْن. يُؤسِفني أنك وُضِعت في دور هذا الفارس اللِّص أيُّها السيْر. حسب حكايته، قضى ديْروْن هذه الأيَّام كلَّها في تتبُّعك من مكانٍ إلى آخَر ليستعيد أخاه».

ـ «لكن إج سيُخبِره بالحقيقة. أعني إيْجوْن».

قال الأمير بيْلوْر: «إج سيُخبِره، لا شكَّ عندي، لكن الولد معروفٌ بالكذب أيضًا، وهو ما تَذكُره أنت ولسببٍ وجيه. أيُّ ابنٍ سيُصدِّقه أخي؟ وفيما يخصُّ محرِّكي الدُّمى فعندَ فروغ إيْريوْن من تحريف الحكاية سيكون الأمر قد أصبحَ خيانةً عُظمى. التنِّين رمز العائلة الملكيَّة، فأن يُصوَّر مقتل واحدٍ وانهمار نُشارة الدَّم من عُنقه... لا ريب أنها حركة بريئة، لكنها بعيدةٌ تمامًا عن الحكمة. إيْريوْن وصفَها بهجوم مستتر على عائلة تارجاريَن، بتحريض على التَّمرُّد، وميْكار سيُوافِقه غالبًا. أخي شائك الطِّباع، وقد علَّق أعرض آماله على إيْريوْن منذ خيَّبها ديْروْن أيَّما خيبة». أخذَ الأمير رشفةً من النَّبيذ، ثم وضعَ الكأس جانبًا متابعًا: «أيًّا كان ما يُصدِّقه أخي أو يعجز عن تصديقه فحقيقةٌ واحدة مفروغٌ منها. أنت وضعت يدك على دم التنِّين، ولقاء ذلك الجُرم يجب

أن تُحاكَم ويُحكَم عليك وتُعاقَب».

ـ «أُعاقَب؟». لم يُعجِب دنك وقع الكلمة.

ـ «إيْريوْن يُريد رأسك، بأسنانٍ أو دونها. لن يناله، أعدُك، لكنني لا أستطيعُ أن آبى عليه المحاكمة. بما أنَّ والدي الملوكي يَبعُد مئات الفراسخ فلا بُدَّ أن أجلس وأخي للحُكم عليك، ومعنا اللوْرد آشفرد الحاكم في هذه الأنحاء، واللوْرد تايرل سيّد (هايجاردن) وسيّده الأعلى. آخِر مرَّةٍ أدينَ رجلٌ بضرب أحدٍ من الدَّم الملكي، قُضِيَ بفقدانه اليد المسيئة».

ردَّ دنك مذعورًا: «يدي؟!».

ـ «وقدمك. لقد ركلته أيضًا، أليس كذلك؟».

وعجزَ دنك عن النُّطق.

ـ «بطبيعة الحال سأحثُّ زُملائي القُضاة على الرَّحمة. إنني يد الملك ووريث العرش، ولكلمتي إلى حدٍّ ما وزن. لكن لكلمة أخي وزنًا أيضًا. المخاطرة واردة».

قال دنك: «أنا... أنا... سموَّ الأمير، أنا...». أرادَ أن يقول: *إنهم لم يتعمَّدوا أيَّ خيانة. كان مجرَّد تنّين خشبيّ ولم يُقصَد أن يُمثِّل أميرًا ملكيًّا*، إلَّا أنَّ كلماته هجرَته تمامًا، وهو لم يبرع قطُّ في صياغة الكلمات.

بهدوءٍ قال الأمير بيْلوْر: «لديك خيارٌ آخَر مع ذلك. سواء أهو خيارٌ أفضل أم أسوأ فلا يُمكنني الجزم، لكنني أذكِّرك بأن أيَّ فارس يُتَّهم بجريمةٍ تحقُّ له المطالبة بمحاكمةٍ بالنِّزال. لذا أسألك ثانيةً أيُّها السيْر دنكن الطَّويل... إلى أيِّ مدى تبرع في

الفروسيَّة حقًّا؟».

***

قال الأمير إيْريوْن مبتسمًا: «محاكمة بالسَّبعة. هذا حقِّي أنا على ما أعتقدُ».

نقرَ الأمير بيْلوْر على الطَّاولة عاقدًا حاجبيْه، وعن يساره أومأ اللوْرد آشفرد ببُطء مؤيِّدًا، أمَّا الأمير ميْكار فسألَ مائلًا إلى الأمام نحو ابنه: «لماذا؟ أتخشى أن تُواجِه هذا الفارس الجوَّال بمفردك وتدع الآلهة تُقرِّر حقيقة اتِّهاماتك؟».

ردَّ إيْريوْن: «أخشى؟ أحدًا مثل هذا؟ لا تكن سخيفًا يا أبي. إنَّ تفكيري لهو في أخي الحبيب. ديْروْن أيضًا تعرَّض لاعتداء هذا السيْر دنكن، وله الحقُّ الأوَّل في دمه. المحاكمة بالسَّبعة تُتيح لكليْنا مواجهته».

غمغمَ ديْروْن تارجاريَن: «لا تُسدِ إليَّ معروفًا يا أخي». يبدو ابن الأمير ميْكار الأكبر أسوأ ممَّا بدا عندما لاقاه دنك في الخان، ومع أنَّ الظَّاهر أنه مفيق هذه المرَّة، ولا يُلوِّث النَّبيذ دبليَّته الحمراء والسَّوداء، فعيناه محتقنتان بالدَّم وجبهته مغطَّاة بلمعة العرق. «أنا راضٍ بتشجيعك فيما تفتك بالمارق».

قال الأمير إيْريوْن مبتسمًا باتِّساع: «إنك في غاية اللُّطف يا أخي الجميل، لكنها أنانيةٌ مني أن آبى عليك حقَّ إثبات صحَّة كلامك بتعريض جسدك للخطر. يجب أن أصرَّ على محاكمةٍ بالسَّبعة».

تملَّكت دنك الحيرة، وقد خاطبَ المنصَّة قائلًا: «سموَّ الأمير، أيُّها السَّادة، إنني لا أفهمُ. ماذا تعني المحاكمة بالسَّبعة؟».

اعتدلَ الأمير بيلور بغير راحةٍ في جلسته، وأجابَ: «إنها صنف آخَر من المحاكمة بالنِّزال. تقليدٌ عتيق، نادرًا ما يتَّكل عليه أحد. لقد وصلَ إلينا عبر (البحر الضيِّق) مع الأندالِيِّين وآلهتهم السَّبعة. في أيّ محاكمةٍ بالنِّزال يسأل المتَّهم والمتَّهَم الآلهة أن تبتَّ في المسألة بينهما. الأندالِيُّون اعتقدوا أنه إذا قاتلَ سبعة أنصارٍ على كلِّ جانبٍ فسيرجح أن تتدخَّل الآلهة وقد نالَت تكريمها وتضمن التَّوصُّلَ إلى عاقبةٍ عادلة».

علَّق اللورد ليو تايرل الذي مسَّت ابتسامةٌ مستهزئة شفتيْه: «أو إنهم ببساطةٍ مالوا إلى المسايفة»، ثم أردفَ: «بغضّ النَّظر، السير إيريون في نطاق حقوقه. لا بُدَّ أن تُعقَد محاكمة بالسَّبعة».

يائسًا سألَ دنك: «أيجب أن أقاتل سبعة رجالٍ دُفعةً واحدةً؟».

أجابَه الأمير ميكار بصبرٍ يكاد ينفد: «ليس بمفردك أيُّها السير. لا تُمثِّل الحماقة، فلن ينفعك هذا. يجب أن يُقاتِل سبعة ضد سبعة. عليك أن تَعثُر على ستَّة فُرسانٍ آخَرين ليُقاتِلوا بجانبك».

ـ *ستَّة فُرسان*. كأنهم يقولون له أن يَعثُر على ستَّة آلاف. إنه بلا إخوة، ولا أبناء عمومة، ولا رفاق قُدامى وقفوا إلى جواره في المعارك. لماذا يُجازِف ستَّة غُرباء بحيواتهم ليُدافعوا عن فارسٍ جوَّال ضد أميريْن من العائلة الملكيَّة؟ «سموَّ الأمير، أيُّها السَّادة، ماذا إذا رفضَ أيُّ أحدٍ الانضمام إليَّ؟».

نظرَ إليه ميكار تارجاريَن من أعلى ببرودٍ قائلًا: «لو أنَّ

القضيَّـة عادلـةٌ فسـيُقاتِل الرِّجـال الصَّالحـون في سـبيلها. إذا لـم تستطع العثور على أيِّ أنصارٍ أيُّها السيِّر فذلك لأنك مذنب. هل مـن شيءٍ أوضح؟».

***

لـم يَشـعُر دنـك قَـطُّ بمثـل هـذه الوحـدة الـتي اسـتبدَّت بـه إذ خـرجَ مـن بوَّابـة (قلعـة آشـفرد) وسـمعَ قعقعـة الشَّـبكة الحديديَّـة وهي تنـزل مـن خلفـه. كان الظَّـلُّ يَسـقُط خفيفًـا كالنَّـدى عـلى جلده، ومع ذلـك ارتجـفَ للمسـته. عـلى ضفَّـة النَّهـر الأخـرى طوَّقـت هـالات مـن الألـوان السُّـرادقات المعـدودة الـتي لا تـزال في داخلهـا نـار، فخمَّـن أنَّ نصـف اللَّيـل انقـضى، وسـيطلع عليـه الفجـر خـلال سـاعاتٍ قليلـة. *ومع الفجـر يـأتي المـوت.*

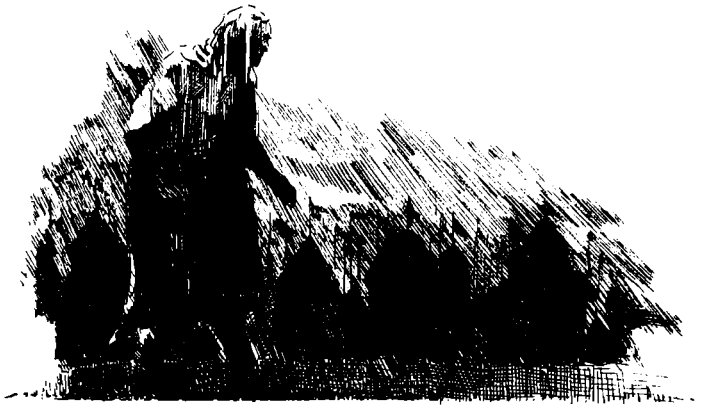

لقـد أعـادوا إليـه سـيفه وفضَّتـه، ورغـم ذلـك وهـو يتوغَّـل في ميـاه المخاضـة غلَّفـت أفـكارَه الكآبـةُ. تسـاءلَ هـل يتوقَّعـون منـه

أن يُسرِّج حصانًا ويفرَّ. يستطيع إذا أرادَ. طبعًا سيعني ذلك نهاية فروسيَّته، ومن ذلك الحين لن يعود إلَّا خارجًا عن القانون إلى أن يقبض عليه أحد اللوْردات ويقطع رأسه. قال لنفسه بعناد: خيرٌ *لي أن أموت فارسًا من أعيش تلك الحياة*. مبتلًّا حتى الرُّكبتيْن، مشى بتثاقُلٍ مرورًا بمضمار المُثاقفات الخالي. معظم السُّرادقات مظلم وقد نامَ أصحابها منذ مُدَّةٍ طويلة، لكنه رأى هنا وهناك شموعًا قليلةً لا تزال مشتعلةً، ومن داخل إحدى الخيام سمعَ آهاتٍ ناعمةً وصيحات لذَّة، وحدا به هذا إلى التَّساؤل هل سيموت دون أن يعرف فتاةً يومًا.

ثم سمعَ حصانًا ينخر، وبوسيلةٍ ما علمَ أنه نخير ثندر. دارَ دنك على عقبيْه وجرى، وها هو ذا ثندر مقيَّد مع تشستنت خارج سُرادقٍ مستدير يُنيره من الدَّاخل وهجٌ ذهبيٌّ مبهم، وفوق قائمته المركزيَّة رايةٌ مخضَّلة، لكن دنك استطاعَ تمييز انحناءة تُفَّاحة فوْسوْواي الدَّاكنة، وبدا المشهد كبصيص أمل.

ـ «محاكمة بالنِّزال». قالها رايمن بنبرةٍ ثقيلة. «بحقِّ الآلهة يا دنكن، معنى هذا رماح حربيَّة، كُرات شائكة، فؤوس معارك... السُّيوف لن تكون مثلَمةً، هل تفهم؟».

قال ابن عمومته السيْر ستفوْن ساخرًا: «رايمن المتردِّد». تُثبِّت تُفَّاحة من الذَّهب والعقيق الأحمر معطفه الصُّوف الأصفر. «لا داعي للخوف يا ابن العمّ، إنه نزالٌ للفُرسان. بما أنك لست فارسًا فلا خطر عليك. سيْرَ دنكن، إنَّ معك فوْسوْواي واحدًا على الأقل، النَّاضج. لقد رأيتُ ما فعلَه إيْريوْن بمحرِّكي الدُّمى. إنني في صفِّك».

مغضبًا قال رِايمن: «وأنا كذلك. قصدتُ فقط...».

قاطعَه ابن عمومته: «مَن أيضًا سيُقاتِل معنا أيُّها السيْر دنكن؟».

بسطَ دنك يديْه بقنوطٍ مجيبًا: «لا أعرفُ أحدًا آخَر، لا أحد باستثناء السيْر مانفرِد دُنداريوْن. لقد رفضَ أن يشهد بأني فارس، فلن يُخاطِر بحياته من أجلي أبدًا».

لاحَ شيء من الاضطراب على السيْر ستفوْن إذ قال: «نحتاج إذًا إلى خمسة رجالٍ صالحين. لحُسن الحظِّ أنَّ لي أكثر من خمسة أصدقاء. ليوْ الشَّوكة الطَّويلة، العاصفة الضَّاحكة، اللوْرد كاروْن، ولدا لانستر، السيْر أوْثوْ براكن... أجل، وأولاد بلاكوود أيضًا، ولو أنك لن تُفلح أبدًا في جعل بلاكوود وبراكن يُقاتِلان في صفٍّ واحد في التحام جماعي».

اعترضَ ابن عمومته: «لن يُفرِحهم أن يُوقَظوا في هذه السَّاعة».

قال السيْر ستفوْن: «ممتاز. إذا غضبوا فسيُقاتِلون بمزيدٍ من الشَّراسة. يُمكنك الاعتماد عليَّ أيُّها السيْر دنكن.

اسمع يا ابن العمّ، إذا لم أرجع قبل الفجر فاجلب درعي

واحرص على تسريج راث وتدريعه من أجلي. سأقابلكما في حلبة المتحدّين»، وأضافَ ضاحكا: «سيُذكَر هذا اليوم طويلًا على ما أظنُّ». حين غادرَ الخيمة بخُطواتٍ واسعة بدا أقرب إلى السَّعادة.

أمَّا رايمن فلا، فبعد رحيل ابن عمومته قال بجهامة: «خمسة فُرسان. دنكن، أكرهُ أن أحطِّم آمالك، ولكن...».

ـ «إذا استطاعَ ابن عمومتك جلب الرِّجال الذين ذكرَهم...».

قال رايمن: «ليؤ الشَّوكة الطَّويلة؟ غاشم براكن؟ العاصفة الضَّاحكة؟»، ونهضَ مواصلًا: «إنه يعرفهم جميعًا، لا شكَّ عندي، لكن ثقتي أقلُّ بمعرفتهم هُم به. ستفوْن يراها فُرصةً للمجد، لكنها تعني حياتك. حريٌّ بك أن تجد رجالك بنفسك. سأساعدك. أفضلُ أن يزيد أنصارك على اللَّازم من أن يقلُّوا عنه». في تلك اللَّحظة أدارَ رايمن رأسه على إثر ضوضاء من الخارج، وإذ سألَ: «مَن هناك؟»، دخلَ غُلام من سديلة الخيمة منحنيًا، يتبعه رجلٌ نحيل في معطفٍ أسود مشبَّع بماء المطر.

قامَ دنك قائلًا: «إج؟ ماذا تفعل هنا؟».

أجابَه الغُلام: «إنني مُرافقك. سيلزمك مَن يُلبِسك درعك أيُّها السيْر».

ـ «هل يعرف السيِّد والدك أنك غادرت القلعة؟».

ـ «بحقِّ الآلهة، لا آملُ ذلك». قالها ديْروْن تارجاريَن وهو يحلُّ مشبك معطفه ويَترُكه ينزلق عن كتفيْه النَّحيلتيْن.

صاحَ دنك: «أنت؟! أمجنونٌ أنت لكي تأتي إلى هنا؟»، وسحبَ

سكِّينه من غِمده مُردفًا: «جديرٌ بي أن أغرزه في بطنك».

قال الأمير ديْرون: «على الأرجح، لكنني أوثرُ أن تصبَّ لي كأس نبيذ. انظُر إلى يديَّ»، ورفعَ إحداهما ليروا جميعًا رعشتها.

تقدَّم إليه دنك بنظرةٍ عابسة، وقال: «لا أبالي بيديْك. لقد تكلَّمت عني كذبًا».

ردَّ الأمير: «كان عليَّ أن أقول شيئًا، أيَّ شيء، حين طالبَ أبي بأن يعرف أين ذهبَ أخي الصَّغير»، وتابعَ وهو يجلس متجاهلًا دنك وسكِينه: «الحقُّ يُقال، لم ألحظ أصلًا أنَّ إج اختفى. لم يكن في قعر كأس نبيذي، ولم أنظر في مكانٍ آخَر، فـ...»، وصمتَ متنهِّدًا.

تدخَّل إج قائلًا: «سيْر، أبي سينضمُّ إلى المتَّهمين السَّبعة. توسَّلتُ إليه ألَّا يفعل، لكنه يأبى الإصغاء. يقول إنها الطَّريقة الوحيدة لاسترداد شرف إيْريوْن، وديْروْن أيضًا».

قال الأمير ديْروْن بنبرةٍ لاذعة: «مع أني لم أطلب قَطُّ استرداد شرفي. على حدِّ اهتمامي، فليحتفظ به من أخذَه أيًّا كان. ولكن ها نحن أولاء. في رأيي المتواضع أيُّها السيْر دنكن، لا يُوجَد ما تخشاه مني. الشَّيء الوحيد الذي أحبُّه أقل من الخيل هو السُّيوف. أشياء ثقيلة، وحدَّتها فظيعة. سأبذلُ قصارى جهدي لأبدو باسلًا خلال الهجمة الأولى، أمَّا بعد ذلك... قد يُمكنك أن تُصيبني بضربةٍ موفَّقة على جنب الخوذة. اجعلها ترنُّ، ولكن ليس أعلى من اللَّازم لو أنك تفهم ما أعنيه. إخوتي يتفوَّقون عليَّ حين يتعلَّق الأمر بالقتال والرَّقص والتَّفكير وقراءة الكُتب، لكن أحدًا منهم لا يَبلُغ نصف براعتي في الارتماء فاقد الحسِّ

في الوحـل».

لـم يسـتطع دنـك إلَّا أن يُحـدِّق إليـه ويتسـاءَل هـل يُحـاوِل الأميـر الصَّغيـر اسـتغفاله. «لمـاذا أتيـت؟».

ـ «لأحـذِّرك ممَّـا تُواجِهـه. لقـد أمـرَ أبـي الحـرس المـلكي بالقتـال معه».

ردَّد دنك مفزوعًا: «الحرس الملكي؟».

ـ «الثَّلاثـة الموجـودون هنـا. الشُّكـر للآلهـة أنَّ العـمَّ بيـلوُر تـركَ الأربعـة الآخَريـن في (كينجـز لانـدنج) مع جدِّنـا الملـوكي».

زوَّده إج بأسـمائهم: «السـيْر رولنـد كريْكـهوْل، والسـيْر دوْنـل ابـن (وادي الغسـق)، والسـيْر وِلِـم وايلـد».

أضـافَ ديْـروْن: «خيارهـم في الأمـر محـدود. لقـد أقسَـموا عـلى حمايـة حيـاة الملـك والعائلـة الملكيَّـة، وإخـوتي وأنـا مـن دم التنِّيـن، ولتُعيننـا الآلهـة».

عـدَّ دنـك عـلى أصابعـه، وقـال: «أي إنَّ لديكـم ستَّةً. مَـن الرَّجـل السَّـابع؟».

هـزَّ الأميـر ديْـروْن كتفيْـه مجيبًـا: «إيْـريوْن سـيجد أحـدًا. سيشـتري نصيـرًا إذا لـزمَ الأمـر. إنـه لا يفتقـر إلى الذَّهـب».

سألَ إج: «مَن لديك؟».

ـ «ابن عمومة رِايمن، السيْر ستفوْن».

جفلَ ديْروْن قائلًا: «واحد فقط؟».

ـ «السيْر ستفوْن ذهبَ إلى بعض أصدقائه».

قال إج: «أستطيعُ أن أجلب أناسًا، فُرسانًا، أستطيعُ».

قال له دنك: «إج، إنني سأقاتلُ أخويْك».

ـ «لكنك لن تُؤذي ديْرون. لقد أكَّد لك أنه سيَسقُط. وإيْريوْن... أذكرُ أنه اعتادَ وأنا صغير أن يَدخُل غُرفة نومي ليلًا ليضع سكِينه بين ساقيَّ ويقول إن له إخوةً أكثر من اللَّازم، وذات ليلةٍ قد يجعلني أخته، وعندئذٍ يُمكنه أن يتزوَّجني. لقد رمى قطَّتي في البئر أيضًا. يقول إنه لم يفعل، لكنه يكذب دومًا».

بتعب هزَّ الأمير ديْرون كتفيْه، وقال: «إج يقول الحقيقة. إيْريوْن وحشٌ شنيع. إنه يخال نفسه تنِّينًا في هيئةٍ بشريَّة. لهذا أغضبَه بشدَّةٍ عرض العرائس. مؤسفٌ أنه لم يُولَد من آل فوسوواي ليخال نفسه تُفَّاحةً ونُمسي جميعًا آمَن بكثير، ولكن هي ذي حالنا»، ثم نهضَ ملتقطًا معطفه السَّاقط ونفضَ عنه ماء المطر مواصلًا: «يجب أن أتسلَّل إلى القلعة من جديدٍ قبل أن يتساءَل أبي لماذا يستغرق شحذ سيفي كلَّ هذا الوقت، ولكن قبل أن أذهب، أرغبُ في كلمةٍ على انفرادٍ أيُّها السيْر دنكن. هلَّا مشيت معي؟».

رمقَ دنك الأمير الصَّغير بريبةٍ لحظةً، ثم أغمدَ خنجره قائلًا: «كما تشاء يا سموَّ الأمير. عليَّ أن أحضر تُرسي أيضًا».

وعدَه رِايمن: «إج وأنا سنبحث عن فُرسان».

عقدَ الأمير ديْرون معطفه حول عُنقه ورفعَ القلنسوة، وتبعَه دنك إلى المطر الخفيف بالخارج، ليمشيا صوب عربات التُّجَّار.

قال الأمير: «لقد حلمتُ بك».

ـ «هكذا قلت في الخان».

ـ «حقًّا؟ حسن، إنها الحقيقة. أحلامي ليست كأحلامك أيُّها السيّد دنكن. أحلامي أنا صحيحة. إنها تُخيفني. أنت شخصيًّا تُخيفني. لقد حلمتُ بك وبتنّين ميت، وحشٍ عظيم، هائل، جناحاه كبيران إلى درجة تغطية هذا المرج. سقطَ التنّين فوقك، لكنك ظللت حيًّا وماتَ التنّين».

ـ «هل قتلته؟».

ـ «هذا ما لا أعلمه، لكنك كنت هناك، وكذلك التنّين. لقد كنا سادة التّنانين ذات يوم، نحن آل تارجاريَن، والآن انقرضَت التّنانين جميعًا ونحن باقون. لا أريدُ أن أموت اليوم. وحدها الآلهة تعلم السَّبب، لكنني لا أريدُ، فأسدِ إليَّ صنيعًا إذا قدرت واحرص أن يكون أخي إيْريوْن مَن تَقتُله».

قال دنك: «أنا أيضًا لا أريدُ أن أموت».

قال الأمير: «لن أقتلك أنا أيُّها السيّد، وسأسحبُ اتّهامي أيضًا، لكن ذلك لن يُفيد ما لم يسحب إيْريوْن اتّهامه»، وزفرَ مُتبعًا: «ربَّما قتلتك بكذبتي. إذا صحَّ ذلك فأنا آسفٌ. إنَّ مصيري جحيمٌ ما، أعلمُ. غالبًا جحيم بلا نبيذ». ارتعدَ ديْروْن، وعلى هذه الحال افترَقا، هناك في الطَّلِ البارد.

***

يصفُّ التُّجَّار عرباتهم عند حدِّ المرج الغربي تحت أجمةٍ من شجر القَضبان والمُرَّان. وقفَ دنك تحت الأشجار ونظرَ بعجزٍ إلى المساحة الخالية التي احتلَّتها من قبلُ عربة محرّكي الدُّمى. *رحلوا*. هكذا خشيَ. *كنتُ سأهربُ أيضًا لو أني لستُ غليظ العقل كسور قلعة*. تساءلَ ماذا سيفعل الآن ليَحصُل على تُرس. قدَّر أنه يملك الفضَّة لشراء واحد، هذا لو وجدَ واحدًا للبيع...

ناداه صوتٌ من الظُّلمة: «سيْر دنكن»، فالتفتَ ليُلفي پيْت الفولاذي خلفه حاملًا فانوسًا من الحديد. تحت معطف جلديّ قصير وقفَ صانع السِّلاح عاري الجذع، يُغطِّي صدره العريضَ وذراعيْه السَّميكتيْن شعرٌ أسود خشن. بادرَه پيْت: «إذا أتيت من أجل تُرسك فقد تركتُه معي»، وتطلَّع إلى دنك من أعلى إلى أسفل قائلًا: «يدان وقدمان حسب عدِّي. هي محاكمةٌ بالنِّزال إذًا، صح؟».

ـ «محاكمة بالسَّبعة. كيف عرفت؟».

ـ «لربَّما قبَّلوك وجعلوك لوْردًا، وإن لم يبدُ ذلك واردًا، ولو مضى الأمر في الاتِّجاه الآخَر لنقصَتك بضعة أطراف. والآن اتبعني».

سهلَ تمييز عربة پيْت من السَّيف والسَّندان المرسومَيْن على جنبها. تبعَه دنك إلى الدَّاخل، حيث علَّق صانع السِّلاح الفانوس على خُطَّافٍ وخلعَ معطفه المبتلَّ وارتدى غلالةً من الخيش. من أحد الجُدران ينزل لوحٌ معلَّق بمفصلات ليعمل بمثابة طاولة، وقد قال پيْت لدنك دافعًا نحوه كرسيًّا واطئًا: «اجلس».

سألَه دنك وهو يجلس: «أين ذهبَت؟».

أجابَ بِيْت: «إنهم متَّجهون إلى (دوْرن). خال الفتاة، إنه رجلٌ حكيمٌ. البعيد عن العين بعيد عن العقل؛ ابقَ منظورًا وغالبًا سيتذكرك التنِّين. علاوةً على ذلك، الرَّجل لم يحسب أنَّ على الفتاة أن تراك تموت»، ثم ذهبَ إلى طرف العربة القصيّ وفتَّش في الظِّلال لحظاتٍ قبل أن يعود بالتُّرس. «حافتك كانتَ قديمةً، فولاذ رخيص، هشٌّ وصدئ. صنعتُ لك واحدةً جديدةً بضِعف السُّمك، ووضعتُ بعض الشَّرائط المثبّتة على الظَّهر. ستجده أثقل الآن، لكنه أقوى أيضًا. الفتاة تولَّت الرَّسم».

ولقد أدَّت عملًا أجود ممَّا كان يُمكن أن يأمل. حتى على ضوء الفانوس بدَت ألوان الغروب غنيَّةً زاهيةً، والشَّجرة طويلةً وقويَّةً ونبيلةً، والنَّجم الهاوي شقًّا برَّاقًا من الطِّلاء في السَّماء السِّنديانيَّة. ومع ذلك، الآن وقد أمسكها بيده، بدَت الصُّورة خطأ تمامًا. النَّجم يهوي، فأيُّ نوعٍ من الرُّموز هذا؟ هل سيهوي

بدوره بالسُّرعة نفسها؟ والغروب يُؤذِن بحلول اللَّيل. قال دنك ببؤس: «كان عليَّ أن أحتفظَ بالكأس. على الأقل كان لها جناحان للطَّيران، والسيْر آرلان قال إنَّ الكوب مليء بالإيمان والمودَّة والمشاريب الطيِّبة. التُّرس مرسومٌ كأنه الموت».

أشارَ پيْت: «الدَّردارة حيَّة. أترى خُضرة الأوراق اليانعة؟ أوراق صيفيَّة دون ريب. ثم إنني رأيتُ تراسًا مزيَّنةً بجماجم وذئاب وغِدفان، بل وبرجالٍ مشنوقين ورؤوس دامية، ولقد أدَّت المطلوب منها، وكذا سيفعل هذا. هل تعرفُ أسجوعة التِّراس القديمة؟ *السِّنديان والحديد يقيانني خير وقاء...*».

- «... *وإلَّا فأنا ميِّتٌ وإلى الجحيم الانتهاء*». منذ سنين لم يُفكِّر دنك في تلك الأسجوعة التي لقَّنها له العجوز قبل زمنٍ طويل. «كم تُريد لقاء الحافة الجديدة والبقيَّة؟».

قال پيْت: «منك؟»، وحكَّ لحيته مجيبًا: «قطعة نُحاسيَّة واحدة».

***

انقطعَ المطر تقريبًا وأوَّل خيوط الفجر الباهتة يُضرِّج سماء الشَّرق، ولكن بعدما آتى مفعوله. أزالَ رجال اللوْرد آشفرد الحواجز، واستحالَ حقل المباريات إلى مستنقع واحد عظيم من الوحل البنِّي الرَّمادي والعُشب الممزَّع، وراحَت محالق من الضَّباب تتلوَّى على الأرض كثعابين بيضاء شاحبة فيما شقَّ دنك طريقه عودةً إلى المضمار ومعه پيْت الفولاذي.

بدأت مدرَّجات المشاهدة تمتلئ بالفعل، وفوقها ضمَّ اللؤردات والليْديهات معاطفهم على أبدانهم بإحكام اتِّقاءً لبرودة الصُّبح. وكان العوام أيضًا ينساقون نحو الحقل، ووَقفَ مئات منهم على طول السِّياج. فكر دنك بمرارة: *كثيرون جدًّا أتوا ليروني أموتُ.* غير أنه ظلمَهم، فبعد خُطواتٍ قليلة صاحَت امرأة: «حظًا طيِّبًا لك»، وتقدَّم عجوزٌ ليُمسِك يده ويقول: «عسى أن تمنحك الآلهة القوَّة أيُّها السيْر»، ثم ردَّد أخٌ شحَّاذ في رداء بنّي مهترئ صلاة بركةٍ على سيفه، وقبَّلته فتاةٌ على خدّه. *إنهم في صفّي.* سألَ دنك بيْت: «لماذا؟ ماذا أعني لهم؟».

أجابَ الحدَّاد: «فارسًا تذكَّر نذوره».

وجدا رِايمن خارج حلبة المتحدّين عند طرف المضمار الجنوبي، ينتظر بحصان ابن عمومته وحصان دنك، ثندر الذي انتفضَ بضيقٍ تحت وزن واقي القذال وواقي الرَّأس وكُسوة الحلقات المعدنيَّة الثَّقيلة. فحصَ پيْت الدِّرع وأعلنَ أنها متقنة الصُّنع مع أنَّ شخصًا آخَر صاغَها، وأيًّا كان المكان الذي أتَت منه فقد شعرَ دنك بالامتنان.

ثم رأى الآخَرين: الرَّجل الأعور بلحيته ذات لونَي الملح والفلفل، والفارس الشَّاب بمعطفه المخطَّط بالأصفر والأسود وخلايا النَّحل على تُرسه. فكّر مندهشًا: *روبن ريزلنج وهمفري بيزبري، والسيْر همفري هاردنج أيضًا*. امتطى هاردنج كرَّار إيْريوْن الأحمر، المدرَّع الآن بالألماس الأحمر والأبيض.

ذهبَ إليهم قائلًا: «أيُّها الفُرسان، إنني مدينٌ لكم».

ردَّ همفري هاردنج: «الدَّين على إيْريوْن، وننوي أن نستوفيه».

ـ «سمعتُ أنَّ ساقك انكسرَت».

قال هاردنج: «سمعت الحقيقة. لا يُمكنني المشي، ولكن ما دامَ بإمكاني ركوب حصانٍ فبإمكاني القتال».

انتحى رِايمن بدنك جانبًا، وقال له: «أملتُ أن يرغب هاردنج في فُرصةٍ أخرى لقتال إيْريوْن، وقد كان. يتصادَف أنَّ همفري الآخَر أخوه بالمصاهرة. إج المسؤول عن إحضار السيْر روْبن الذي يعرفه من دورةٍ أخرى. أنتم خمسة إذًا».

بعجب قال دنك مشيرًا: «ستَّة». كان فارسٌ يَدخُل الحلبة، ويقود مُرافقه كرَّاره وراءه. «العاصفة الضَّاحكة». يعلو السيْر

لايُنل رِايمن بمقدار رأس ويُناهِز دنك طولًا، وقد ارتدى معطفًا من قُماش الذَّهب يحمل وعل عائلة باراثيون المتوَّج، ووضعَ خوذته ذات القرون تحت إبطه. مدَّ دنك يده إليه قائلًا: «سيْر لايُنل، إنني عاجزٌ عن شُكرك كفايةً لمجيئك، أو شُكر السيْر ستفوْن لأنه أحضرَك».

حدجَه السيْر لايُنل بنظرةٍ حائرة، وقال: «السيْر ستفوْن؟

مُرافقك هو الذي أتاني، الصَّبي إيْجوْن. الفتى مُرافقي حاولَ أن يَطرُده، لكنه جرى من بين ساقيْه وسكبَ إبريق نبيذٍ على رأسي»، وضحكَ متابعًا: «لم تُعقَد محاكمةٌ بالسَّبعة منذ مئة عام وزيادة، أتدري ذلك؟ ما كنتُ لأفوّت فُرصةً لقتال فُرسان الحَرس الملكي وقرص أذن الأمير ميْكَار فوق البيعة».

فيما انضمَّ السيّر لايَنل إلى الآخَرين، قال دنك لرايمن فوسوواي بأمل: «ستَّة. مؤكَّد أنَّ ابن عمومتك سيجلب الرَّجلَ الأخير».

ارتفعَ هتافٌ مدوٍّ من المتفرّجين، فعند طرف المرج الشَّمالي خبَّ طابورٌ من الفُرسان منبثقًا من ضباب النَّهر. تقدَّم رجال الحرس الملكي الثَّلاثة أوَّلًا مثل أشباح في دروعهم المينا البيضاء البرَّاقة ومعاطفهم البيضاء الطَّويلة الممتدَّة خلفهم. حتى تراسهم بيضاء، مصمتة ونظيفة كحقل من الثَّلج السَّاقط لتوّه. وراءهم ركبَ الأمير ميكار وابناه، يمتطي إيريون حصانًا رماديًّا أرقش، ويُومِض البرتقالي والأحمر عبر الشُّقوق في كُسوة الحصان مع كلّ خُطوة، أمَّا برذون أخيه فكُميت أصغر حجمًا، مدرَّع بصفائح سوداء وذهبيَّة متداخلة، ومن خوذة ديرون تمتدُّ ريشةٌ من الحرير الأخضر. على أنَّ هيئة أبيهما هي الأكثر مهابةً، إذ تمتدُّ أسنان تنّين سوداء مقوَّسة على كتفيْه وقمَّة خوذته وظهره، والمِقمعة الشَّائكة الضَّخمة المثبَّتة إلى سرجه تبدو من أشد الأسلحة التي رآها دنك فتكًا.

صاحَ رايمن فجأةً: «ستَّة. إنهم ستَّة فقط».

رأى دنك صحَّة كلامه. *ثلاثة فُرسان سُود وثلاثة بيض. يَنقُصهم رجلٌ أيضًا*. أممكنٌ أنَّ إيريون لم يستطع العثور على رجل سابع؟ ما الذي سيعنيه ذلك؟ هل سيُقاتِلون ستَّةً ضد ستَّةٍ إذا لَم يجد أيُّ الفريقيْن سابعًا؟

انسلَّ إج ليقف بجواره وهو يُحاوِل الاستيعاب، وقال: «سيّر، حانَ الوقت لترتدي درعك».

ـ «شُكرًا أيُّها المُرافق. هلَّا ساعدتني إذا سمحت؟».

عـاونَ پيْـت الفـولاذي الصَّبـي. الـزَّرد والعُنقيَّـة، والكلسـة والقُفَّـاز، والمِغفـر وواقي الصَّفـن، هكـذا حـوَّلاه إلى فـولاذٍ مسـتوثقيْن مـن كلِّ إبزيـم وكلِّ مشبكٍ ثلاثًـا. جلسَ السيْر لايُنـل يسنُّ سيفه عـلى مشـحذ، فيمـا تكلَّـم الثُّنـائي همفـري بهـدوء، وصـلَّى السيْر روْبـن، وتحـرَّك رِايمـن فوْسوْواي جيئـةً وذهوبًـا يتسـاءَل أيـن ابـن عمومتـه.

كان دنـك قـد دُرِّعَ بالكامـل عندمـا ظهـرَ السيْر سـتفوْن أخيـرًا ونـادى: «رِايمـن، زردي مـن فضلـك». بـدَّل فوْسوْواي بثوبـه دبليَّـةً مبطَّنـةً ليرتديهـا تحـت الفـولاذ.

قـال دنـك: «سيْر سـتفوْن، مـاذا عـن أصدقائـك؟ يلزمنـا فـارسٌ آخَـر ليُكمِـل سـبعتنا».

ردَّ السيْر سـتفوْن: «يلزمكـم اثنـان للأسـف»، فيمـا عقـدَ رِايمـن الأربطـة عـلى ظهـر زرده.

لم يفهم دنك. «سِيدي؟ اثنان؟».

التقـطَ السيْر سـتفوْن قُفَّـازًا مـن الفـولاذ المشبَّك الممتـاز ودسَّ فيـه يُسراه ليثني أصابعه وبسطها، وقـال فيمـا منطقَـه رِايمـن بنِجـاد سـيفه: «أرى خمسـةً هنـا. بيزبـري، ريزلـنج، هـاردنج، باراثـيوْن، وأنـت».

ـ «وأنت. أنت السَّادس».

قـال السيْر سـتفوْن مبتسـمًا: «أنـا السَّـابع، ولكـن عـلى الجانـب الآخَـر. سـأقاتلُ مع الأميـر إيْـريوْن والمتَّهميـن».

كان رِايمـن عـلى وشـك مناولـة ابـن عمومتـه خوذتـه، لكنـه توقَّـف كأنَّمـا صُعِقَ، وقـال: «لا».

هزَّ السيْر ستفوْن كتفيْه قائلًا: «نعم. السيْر دنكن يتفهَّم، أنا واثق. إنَّ عليَّ واجبًا لأميري».

قال رِايمن الذي امتقعَ وجهه: «قلتَ له أن يعتمد عليك».

قال فوْسوْواي: «حقًّا؟»، وأخذَ الخوذة من يدَي ابن عمومته مُردفًا: «لا شكَّ أني قلتها صادقًا. أحضِر حصاني».

ردَّ رِايمن مغضبًا: «أحضِره بنفسك. إذا حسبت أني أريدُ أن ألعب أيَّ دورٍ في هذا فإنك غبيٌّ مثلما أنت وضيع».

ردَّد السيْر ستفوْن: «وضيع؟»، وطقطقَ بلسانه قائلًا: «صُن لسانك يا رِايمن. كلانا تُفَّاحة من الشَّجرة نفسها، وأنت مُرافقي، أم نسيت نذورك؟».

ـ «كلَّا. هل نسيت أنت نذورك؟ لقد أقسمت أن تكون فارسًا».

ـ «سأكونُ أكثر من فارس قبل نهاية اليوم. اللوْرد فوْسوْواي. يُعجِبني وقعها». مبتسمًا، وضعَ السيْر ستفوْن فردة قُفَّازه الأخرى ودارَ على عقبيْه قاطعًا الحلبة نحو حصانه، ومع أنَّ المدافعين الآخَرين رشقوه بنظرات الاحتقار فإن أحدًا منهم لم يتحرَّك

ليُوقِفه.

شاهدَ دنك السيْر ستفوْن يقود برذونه عبر الحقل، وقد انضمَّت قبضتاه بقوَّةٍ وإن أحسَّ أنَّ حلقه أضعف من أن يتكلَّم. *لا كلام يُمكن أن يُؤثِّر في أمثاله على كلِّ حال.*

وضعَ رِايمن يده على كتف دنك وأدارَه قائلًا: «نصِّبني فارسًا. سأحلُّ محلَّ ابن عمومتي. سيْر دنكن، نصِّبني فارسًا»، ثم ركعَ على رُكبةٍ واحدة.

بوجهٍ مقطَّب مدَّ دنك يده إلى مقبض سيفه الطَّويل، ثم تردَّد. «رِايمن، إنني... لا يَجدُر بي».

ـ «يجب أن تفعلها. من غيري عددكم خمسة فقط».

قال السيْر لايُنل باراثيون: «الفتى يقول الحقَّ. افعلها يا سيْر دنكن. لأيِّ فارسٍ أن يُسبغ الفروسيَّة».

سألَه رِايمن: «ألديك شكٌّ في شجاعتي؟».

ـ «لا، ليس ذلك، ولكن...». ظلَّ دنك على تردُّده.

شقَّت جوقةٌ من الأبواق هواء الصَّباح الضَّبابي، وهرعَ إليهم إج قائلًا لدنك: «اللوْرد آشفرد يستدعيك».

هزَّ العاصفة الضَّاحكة رأسه بصبرٍ شحيح، وقال: «اذهب إليه يا سيْر دنكن. سأمنحُ أنا المُرافقَ رِايمن فروسيَّته»، ثم دفعَ دنك جانبًا بكتفه، وامتشقَ سيفه ومسَّ به كتف المُرافق اليُمنى مستهلًّا بوقار: «رِايمن سليل عائلة فوْواي، باسم **المُحارب** أنيطُ بك أن تتحلَّى بالشَّجاعة». ثم انتقلَ السَّيف من الكتف

اليُمنى إلى اليُسرى. «باسم **الأب** أنيطُ بك أن تتحلّى بالعدل». عودةً إلى اليُمنى. «باسم **الأم** أنيطُ بك أن تُدافع عن الصِّغار والأبرياء». اليُسرى. «باسم **العذراء** أنيطُ بك أن تحمي النِّساء جميعًا...».

تركَهم دنك شاعرًا بالارتياح بقدر شعوره بالذَّنب، وبينما أمسكَ إج بثندر من أجله فكر: *ما زالَ يَنقُصنا واحد. أين سأجدُ رجلًا آخَر؟* دارَ بالحصان واتَّجه بتؤدةٍ إلى مدرَّجات المشاهدة حيث يقف اللوْرد آشفرد منتظرًا. من طرف المضمار الشَّمالي أقبلَ الأمير إيْريوْن ليلقاه ويقول بمرح: «سيْر دنكن، يبدو أنكم خمسة أنصارٍ لا أكثر».

ـ «ستَّة. السيْر لايُنل يُنصِّب رايمن فوْسوْواي فارسًا. سنُقاتِلكم ستَّة ضد سبعة». يعلم دنك أنَّ رجالًا آخَرين انتصَروا رغم مواجهتهم احتمالاتٍ أسوأ مرارًا.

بيد أنَّ اللوْرد آشفرد هزَّ رأسه قائلًا: «ليس مسموحًا بذلك أيُّها السيْر. إذا لم تستطع العثور على فارسٍ آخَر ينحاز إليك فلا مناص من أن تُعلَن مذنبًا بالجرائم التي اتُّهمت بها».

ـ *مذنبًا، مذنبًا بخلخلة سنّ، ولأجل ذلك يجب أن أموت.* «سِيدي، أرجو لحظةً».

ـ «لك هذا».

تحرَّك دنك ببُطء بمحاذاة السِّياج أمام المدرَّجات المزدحمة بالفُرسان، وناداهم: «أيُّها السَّادة، أما من أحدٍ منكم يَذكُر السيْر آرلان ابن (شجرة البنسات)؟ كنتُ مُرافقه. لقد خدمنا كثيرين

منكم، أكلنا على موائدكم ونمنا في أبهائكم». رأى مانفرد دُنداريون جالسًا في الصَّفِّ الأعلى، فخاطبَه: «السير آرلان أصيبَ بجرح في خدمة السيِّد والدك»، ليقول الفارس شيئًا ما لليدي جارتِه دونما انتباه، ويُجبَر دنك على تجاوُزه. «لورد لانستر، السير آرلان أسقطَك عن حصانك مرَّةٍ في دورة مباريات». تفرَّس الأسد الأشيب في يديْه المقفَّزتيْن رافضًا بكلِّ تصميم أن يرفع ناظريْه. «كان رجلًا صالحًا، وعلَّمني الفروسيَّة. ليسَ السَّيف والرُّمح فحسب، بل الشَّرف. قال إنَّ الفارس يُدافع عن الأبرياء، وهذا كلُّ ما فعلتُ. أحتاجُ إلى فارسٍ واحد آخَر ليُقاتِل بجانبي، واحد ليس إلَّا. لورد كارون؟ لورد سوان؟». ضحكَ اللورد سوان بخفوتٍ فيما همسَ اللورد كارون في أذنه.

كبحَ دنك حصانه أمام السير أوثو براكن، وقال خافضًا صوته: «سير أوثو، كلُّنا يعلم عنك أنك بطلٌ عظيم. انضمَّ إلينا، أتوسَّلُ إليك بأسماء الآلهة القديمة والجديدة. إنَّ قضيَّتي عادلة».

على الأقل تمتَّع غاشم براكن بالكياسة ليردَّ: «قد يكون ذلك صحيحًا، لكنها قضيَّتك أنت لا قضيَّتي. لستُ أعرفك يا ولد».

بخاطرٍ مكسور دارَ دنك بثندر وانطلقَ جيئةً وذهابًا أمام صفوف الرِّجال الشَّاحبين الباردين، ودفعَه اليأس إلى أن يزعق: «**أما من فُرسان حقيقيِّين بينكم؟**».

ولم يُجاوِبه إلَّا السُّكوت.

عبر المضمار ضحكَ الأمير إيريون مناديًا: «لا يسخرنَّ أحدٌ من التنِّين».

ثم أتى صوتٌ يقول: «سأنضمُّ إلى جانب السيّر دنكن».

ومن غيوم النَّهر بزغَ فحلٌ أسود على صهوته فارسٌ أسود. رأى دنك تُرس التنّين والرّيشة المينا الحمراء فوق خوذته برؤوسها الهادرة الثّلاثة. *الأمير الشّاب. بحقّ الآلهة، أهذا هو فعلًا؟*

ووقعَ اللوْرد آشفرد في الخطأ ذاته. «الأمير ڤالر؟».

رفعَ الفارس الأسود مقدّمة خوذته مجيبًا: «لا. إنني لم أفكّر في خوض المباريات في (آشفرد) يا سيّدي، ولذا لم أجلب معي درعًا. ابني تكرَّم وأعارَني درعه»، وابتسمَ الأمير بيْلوْر ابتسامةً إلى الحُزن أقرب.

ارتمى المتَّهمون في حالةٍ من الارتباك، وهو ما رآه دنك بوضوح. همزَ الأمير ميْكار مطيَّته متقدّمًا بها ليقول: «أخي، هل فقدت عقلك؟»، وأشارَ إلى دنك بإصبعٍ مقفّزة بالمعدن مضيفًا: «هذا الرَّجل هاجمَ ابني».

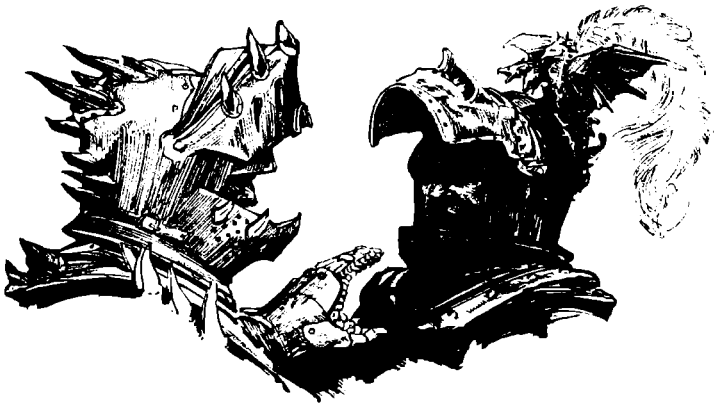

ردَّ الأمير بيلوُر: «هذا الرَّجل حمى الضُّعفاء كما يجب أن يفعل كلُّ فارسٍ حق. فلتُقرّر الآلهة هل أصابَ أم أخطأ»، وشدَّ زمامه ودارَ ببِرذون ڤالر الأسود الضَّخم ليخبَّ صوب طرف الحقل الجنوبي.

حثَّ دنك ثندر ليلحق به، وتحلَّق المدافعون الآخَرون حولهما، روبن ريزلنج والسيّر لايُنل، والثُّنائي همفري. *رجالٌ صالحون كلُّهم، ولكن أهَم صالحون بما فيه الكفاية؟* «أين رِايمن؟».

ـ «السيّر رِايمن إذا سمحت». قالها فوسوواي وهو يخبُّ متقدّمًا وقد أضاءَت ابتسامةٌ كئيبة وجهه تحت خوذته المريَّشة. «معذرةً أيُّها السيّر، لزمَني أن أجري تعديلًا صغيرًا على رمزي خشية أن أُحسَب بالخطأ ابن عمومتي عديم الشَّرف»، ثم أراهم جميعًا تُرسه، حيث بقيَت الخلفيَّة الذَّهبيَّة المصقولة كما هي، وكذا تُفَّاحة فوسوواي، غير أنَّ هذه التُّفَّاحة خضراء لا حمراء. «أخشى أني لم أنضج بعدُ... لكن تُفَّاحةً خضراء أفضل من واحدةٍ يَنخُرها الدُّود، إه؟».

ضحكَ السيّر لايُنل، وابتسمَ دنك ابتسامةً عريضةً رغمًا عنه، وحتى الأمير بيلوُر بدا أنه استحسنَ الأمر.

كان سِپتون اللوُرد آشفرد قد جاءَ إلى واجهة المدرَّجات ورفعَ بلّورته ليدعو المحتشدين إلى الصَّلاة.

قال بيلوُر بهدوء: «استمِعوا لي جميعًا. المتَّهمون سيتسلَّحون برماح حربيَّة ثقيلة في الهجمة الأولى، رماح من خشب المُرَّان طولها ثمانية أقدام، مزوَّدة بدعاماتٍ لحمايتها من الكسر ومكلَّلة برأسٍ فولاذي حاد بما يكفي لاختراق صفائح المعدن إذا وُضِعَ

خلفها ثقل جوادٍ حربي».

قال السيْر همفري بيزبري: «سنستخدم السِّلاح نفسه». وراءه أخذَ السِّيتوْن يستجدي **السَّبعة** أن يَنظُروا من عليائهم ويبتُّوا في هذا النِّزاع ويهبوا النَّصر لأصحاب القضيَّة العادلة.

ردَّ بيْلوْر: «لا، سنُسلِّح أنفُسنا بدلًا من ذلك برماح مباريات».

احتجَّ رِايمن: «رماح المباريات مصنوعة لتنكسِر».

ـ «ومصنوعةٌ أيضًا بطول اثني عشر قدمًا. إذا أصابَت أسنَّتنا أهدافها فلن يُمكنهم أن يلمسونا. صوِّبوا على الخوذة أو الصَّدر. في المباريات من الشَّهامة أن تكسر رُمحك على تُرس الخصم، أمَّا هنا فقد يعني ذلك الموت. إذا استطعنا إسقاطهم وبقينا نحن فوق سروجنا فالأفضليَّة لنا». ثم رمقَ الأمير دنك قائلًا: «إذا قُتِلَ السيْر دنكن فسيُعتبَر أنَّ الآلهة حكمَت بذنبه وتنتهي المسابقة. إذا قُتِلَ متَّهماه كلاهما أو سحبا اتِّهاماتهما فالشَّيء نفسه ينطبق عليهما. خلاف ذلك، يجب أن يهلك سبعة هذا الفريق أو ذاك أو يستسلموا لكي تنتهي المحاكمة».

قال دنك: «الأمير ديْرون لن يُقاتِل».

ضحكَ السيْر لايُنل قائلًا: «ليس بإجادةٍ على كلِّ حال. مقابل ذلك أمامنا ثلاثةٌ من السُّيوف البيضاء علينا مواجهتهم».

تلقَّى بيْلوْر التَّعليق برزانة، وقال: «لقد أخطأ أخي حين طالبَ بقتال رجال الحرس الملكي من أجل ابنه. يمينهم تُحرِّج عليهم إيذاء أميرٍ من الدَّم الملكي. لحُسن الحظِّ أني كذلك»، وأعطاهم ابتسامةً خافتةً مكملًا: «أبعِدوا الآخَرين عني وقتًا يكفي

وسأتعاملُ مع الحرس الملكي».

سألَه السيّر لايُنل باراثيون فيما ختمَ السِّپتون ابتهاله: «أهذا تصرُّف شهم يا أميري؟».

أجابَ بيلور كاسِر الحراب: «الآلهة ستُعلِمنا».

***

رانَ صمتٌ عميق مفعم بالتَّرقُّب على (مرج آشفرد).

على بُعد ثمانين ياردةً أطلقَ فحل إيريون الرَّمادي صهيلًا لجبًا ينمُّ عن نفاد الصَّبر، وراحَ يحكُّ الأرض الموحلة بحوافره. أمَّا ثندر فتحلَّى بثباتٍ بالغ بالمقارنة، فهو حصانٌ أكبر سنًّا مرَّسه نصفمئةٍ من المعارك، ويعرف المتوقَّع منه. ناولَ إج دنك تُرسه، وقال الغُلام: «الآلهة معك أيُّها السيّر».

شجَّعه مرأى الدَّردارة والشِّهاب، ودسَّ ذراعه اليُسرى من تحت الحزام وأحكمَ أصابعه حول المقبض. *السِّنديان والحديد يقيانني خير وقاء، وإلَّا فأنا ميِّتٌ وإلى الجحيم الانتهاء.* جلبَ له پيْت

الفولاذي رُمحه، إلَّا أنَّ إج أصرَّ أن يضعه بنفسه في يد دنك.

عن جانبيْه التقطَ رفاقه رماحهم وانتشَروا في صفٍّ طويل. إلى يمينه الأمير بيْلوْر، وإلى يساره السيْر لايْنل، لكن فتحة الرُّؤية الضيِّقة في الخوذة العظيمة قصرَت رؤيته على ما أمامه مباشرةً، فاختفَت المدرَّجات، وبالمثل العموم المتزاحمون عند السِّياج،

ولم يتبقَّ إلَّا الحقل الموحل، والضَّباب الشَّاحب المدفوع بالهواء، والنَّهر والبلدة، والقلعة إلى الشَّمال، والأمير الصَّغير فوق كرَّاره الرَّمادي، على خوذته ألسنة اللَّهب وعلى تُرسه التنِّين. شاهدَ دنك مُرافق إيْريوْن يُناوِله رُمحًا حربيًّا طوله ثمانية أقدام ولونه أسود كالليْل. *سيغرسه في قلبي إذا استطاعَ.*

ثم دوَّى بوق.

لمُدَّة نبضة قلب ظلَّ دنك بلا حراك كذُبابة حبيسة الكهرمان، مع أنَّ الخيول كلَّها بدأت تتحرَّك. طعنَه الهلع طعنًا، وبهياج فكَّر: *لقد نسيتُ، نسيتُ كلَّ ما أعرفه، سأهينُ نفسي، سأفقدُ كلَّ شيء.*

وأنقذَه ثندر. الفحل البنّي الكبير يعرف ما عليه أن يفعله ولو لم يعرفه راكبه، وهكذا انطلقَ في خبب بطيء. عندئذ تولّى تدريب دنك القيادة، فمسَّ الجواد الحربيَّ مسَّةً خفيفةً بالمِهماز وسدَّد رُمحه، وفي الوقت نفسه حرَّك تُرسه حتى غطّى معظم جنبه الأيسر، ممسكا به بزاوية ليُزيغ عن نفسه الضربات. *السّنديان والحديد يقياننـي خير وقاء، وإلّا فأنا ميّتٌ وإلى الجحيم الانتهاء.*

لم يزِد لغط الجمهور على مور أمواج تتلاطَم بعيدًا. بسلاسة انتقلَ ثندر إلى الهرولة، واصطكت أسنانُ دنك من عُنف الخُطوة. ضغطَ بكعبيْه مُحكمًا ساقيْه بكلّ قوّته وتاركًا جسده يُصبح جزءًا من حركة الحصان من تحته. *أنا ثندر وثندر أنا، إننا كائنٌ واحد، إننا ضميمان، إننا واحد.* بمنتهى السُّرعة سخنَ الهواء داخل خوذته حتى إنه بالكاد استطاعَ التَّنفُّس.

في مُثاقفةٍ بدورة مباريات تقليديَّة، المفترَض أن يقع خصمه إلى يساره وراء الحاجز، وعليه أن يُوجّه ضربته بالعرض من فوق عُنق ثندر، فهذه الزّاوية تُرجّح انكسار الخشب من الصَّدمة، لكن ما يلعبونها اليوم لُعبة أشدُّ فتكًا، فدون حواجز تفصل بينهم انقضَّ بعض البراذين على بعض مباشرةً. حصان الأمير بيْلوْر الأسود الضَّخم أسرع كثيرًا من ثندر، ولمحَه دنك من رُكن فتحة الرُّؤية يعدو ويسبقه، أمَّا الآخَرون فأحسَّ بهم أكثر ممَّا رآهم. *لا يهمُّون، إيْريوْن وحده المهمُّ، هو وحده.*

شاهدَ التنّين يأتي. نثرَت حوافر فحل الأمير إيْريوْن الرَّمادي لُطخ الوحل، ورأى دنك منخرَي الحصان يتَّسعان، في حين ظلّ الرُّمح الأسود موجَّهًا إلى أعلى. الفارس الذي يُمسِك رُمحه

مرفوعًا ويخفضه باستقامة في اللَّحظة الأخيرة يُجازِف دائمًا بخفضه أبعد من اللَّازم. هكذا قال له العجوز، وهكذا حرَّك دنك حدَّ رُمحه ليُصوِّبه إلى صدر الأمير الصَّغير قائلًا لنفسه: *رُمحي جزء من ذراعي. إنه إصبعي، إصبعٌ خشبيَّة. ما عليَّ إلَّا أن ألمس غريمي بإصبعي الخشبيَّة الطويلة.*

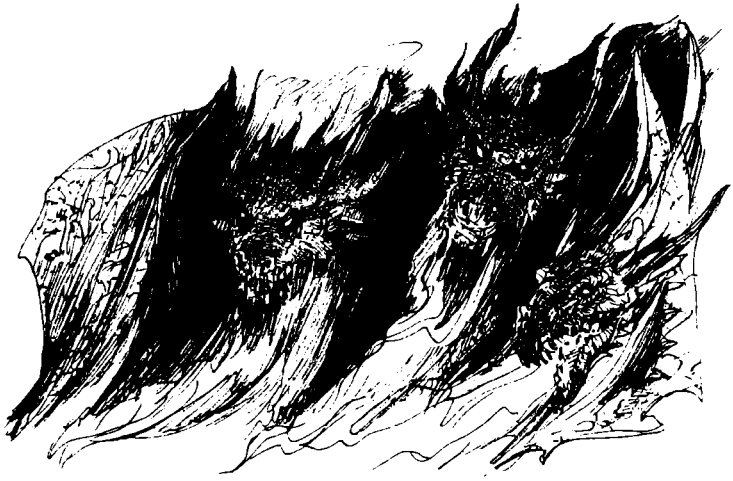

حاولَ ألَّا يرى الحدَّ الحديديَّ الحادَّ في طرف رُمح إيْريوْن الأسود يَكبُر ويَكبُر مع كلِّ خُطوة. *التنّين، انظُر إلى التنّين.* يُغطِّي الوحش العظيم ذو الرُّؤوس الثَّلاثة تُرس الأمير بجناحيْن أحمريْن ونارٍ ذهبيَّة. *لا، انظُر إلى وجهة ضربتك فقط.* هكذا تذكَّر فجأةً، إلَّا أنَّ رُمحه بدأ ينحرف بالفعل، وحاولَ دنك أن يُصحِّح وضعه، ولكن متأخِّرًا جدًّا. رأى سنان رُمحه يضرب تُرس إيْريوْن

فيُصيب التنّين بين اثنيْن من رؤوسه ويحفر اللّهب المرسوم، ومع الطّقطقة المكتومة أحسَّ بثندر يَنكص من تحته مرتجفًا من بأس الصَّدمة، وبعد نصف نبضة قلب ارتطمَ شيء ما بجنبه بقوَّة عاتية. بعُنف تصادمَ الحصانان، ومع التَّصادُم رنّت دروعهما إذ تعثَّر ثندر وسقطَ رُمح دنك من يده. ثم تجاوزَ خصمه وهو يتشبَّث بسرجه بجهد مستميت لكيلا يقع. بحدَّة مالَ ثندر جانبًا في الوحل الزَّلق، وأحسَّ دنك بقائمتيْه الخلفيَّتيْن تزلّان من تحته. كانا ينزلقان، يدوران، ثم ارتطمَت مؤخّرة الفحل بالأرض بقوَّة. هدرَ دنك ضاربًا جنبَي الحصان بمِهمازيْه بشدَّة: «قُم! قُم يا ثندر!»، وبوسيلةٍ ما استطاعَ الجواد الحربيُّ العجوز النُّهوض من جديد.

شعرَ دنك بألم ممض تحت ضلعه، وبذراعه اليُسرى مجذوبةً إلى أسفل. لقد أنفذَ إيريون رُمحه في السِّنديان والصُّوف والفولاذ، والآن تنتأ من جنب دنك ثلاثة أقدام من المُرَّان والحديد الماضي. مدَّ يُسراه وقبضَ على الرُّمح تحت الرَّأس مباشرةً، وكزَّ على أسنانه وأخرجَه من بدنه بانتزاعةٍ واحدة ضارية، وتبعَ ذلك الدَّم الذي تسرَّب من بين حلقات المعدن ليُضرّج معطفه بالحُمرة. مادَ به العالم وكادَ يَسقُط، وبخفوتٍ في خضَمّ الألم سمعَ أصواتًا مرتفعةً باسمه. تُرسه الجميل غدا بلا جدوى، فألقاه جانبًا بالدَّردارة والشِّهاب والرُّمح المكسور وكلّ شيء، وشهرَ سيفه، لكن ألمه البليغ جعلَه لا يحسب أنه يقوى على القتال به.

مدوّرًا ثندر في دائرةٍ مُحكمة، حاولَ دنك أن يستشعِر ما يَحدُث في أمكنةٍ أخرى من الحقل. السيّر همفري هاردنج يتمسَّك بعُنق مطيَّته وواضحٌ أنه جريح، والسيّر همفري الآخَر راقدٌ بجمودٍ في

بُحيرةٍ من الوحل الملطَّخ بالدِّماء ومن مغبنه يَبرُز رُمح مكسور، ورأى دنك الأمير بيلوُر يمرُّ مهرولًا برُمحه السَّليم ويدفع أحد رجال الحرس الملكي إلى الأرض، وقد سقطَ واحدٌ آخَر من الفُرسان البِيض بالفعل، وكذا ميْكار، أمَّا ثالث ثلاثة الحرس الملكي فانهمكَ في صدِّ السيْر روبن ريزلنج.

ـ *إيْريوُن، أين إيْريوُن؟* دفعَه صوت حوافر تدقُّ الأرض خلفه إلى الالتفات برأسه بحدَّة، وصاتَ ثندر وشبَّ ضاربًا بحافريْه الأماميَّيْن عبثًا إذ ارتطمَ به فحل إيْريوُن الرَّمادي بكامل سرعته.

هذه المرَّة غابَ تمامًا الأمل في التَّعافي من الصَّدمة. طارَ سيفه الطَّويل من قبضته، وارتفعَت الأرض لتلقاه، وحطَّ دنك بوقع ساحق زلزلَه حتى العظم وأفرغَ رئتيْه من الهواء. طعنَه الألمُ بحدَّةٍ دفعَته إلى الانتحاب، وللحظة استطاعَ بصعوبة شديدة أن يستلقي في مكانه. *دنك الأنوَك، تصوَّر أنه يَصلُح فارسًا*. علمَ أنَّ عليه أن ينهض مجدَّدًا وإلَّا ماتَ، وبآهة أجبرَ نفسه على الاعتدال على يديْه ورُكبتيْه. عجزَ دنك عن التَّنفُّس، وعجزَ عن الرُّؤية إذ اكتظَّت فتحة الرُّؤية في خوذته بالطَّمي. معميًّا، نهضَ بحدَّةٍ وكشطَ الطَّمي بإصبعٍ مغلَّفة بالمعدن. *هكذا، هذا*...

من بين أصابعه لمحَ تنِّينًا يطير وكُرةً شائكةً تلفُّ وتدور في طرف سلسلة، ثم بدا كأن رأسه انفجرَ إلى أشلاء.

ولمَّا انفتحَت عيناه كان على الأرض مرَّةً أخرى، منطرحًا على ظهره. الطَّمي كلُّه سقطَ من خوذته، لكن إحدى عينيْه يُغلِقها

الآن الدَّم، ومن فوقه لا شيء إلَّا سماء غائمة معتمة. راحَ وجهه ينبض من الألم، وأحسَّ بمعدنٍ بارد مبتل منضغِط على وجنته وصُدغه. *لقد حطَّم رأسي. إنني أموتُ.* الأدهى هو الآخَرون الذين يُمكن أن يموتوا معه، رِايمن والأمير بيْلوْر والباقون. *لقد خذلتهم. لستُ بطلًا. لستُ فارسًا جوَّالًا حتى. إنني نكرة.* تذكَّر تباهي الأمير ديْروْن بأن أحدًا لا يَبلُغ نصف براعته في الارتماء فاقد الحسّ في الوحل. *لكنه لم يرَ دنك الأنوَك قَطُّ، أليس كذلك؟* فاقَ شعوره بالعار ألمه.

ثم ظهرَ التنِّين فوقه.

للتنِّين رؤوس ثلاثة، وجناحان وهَّاجان كاللَّهب، أحمر وأصفر وبرتقالي، والتنِّين يضحك ويقول: «هل مُتَّ بعدُ أيُّها الفارس الجوَّال؟ توسَّل الهوادة وأقرِر بذنبك وقد آخذُ يدًا وقدمًا فحسب.

أوه، وهذه الأسنان، ولكن ما قيمة قليل من الأسنان؟ رجلٌ مثلك يستطيع أن يعيش أعوامًا على ثريد البازلاء»، وضحكَ التنّين ثانيةً وتابعَ: «لا؟ كُل هذه إذًا»، ودارَت الكرة الشّائكة ودارَت في السّماء، وهوَت نحو رأسه بسرعةٍ الشّهاب.

وتدحرجَ دنك.

أين وجدَ القوَّة لا يدري، لكنه وجدَها. تدحرجَ مصطدمًا بساقَي إيْريوْن، وبذراع مكسوَّة بالفولاذ طوَّق فخذه وجرَّه لاعنًا إلى الوحل، وعادَ يتدحرَج ممتطيًا إيَّاه. *فليُلوّح بكُرته اللّعينة الآن*. حاولَ الأمير أن يدفع حرف تُرسه إلى أعلى ليضرب به رأس دنك، لكن خوذته المنبعجة تلقَّت وطأة الصَّدمة. إيْريوْن قويٌّ، لكن دنك أقوى، وأضخم وأثقل أيضًا. هكذا قبضَ على التُّرس بكلتا يديْه وراحَ يلوي حتى انشقَّت الأحزمة، ثم هوى به على خوذة الأمير الصَّغير، هوى وهوى وهوى محطِّمًا ألسنة اللَّهب المطليَّة بالمينا على ريشة الخوذة. هذا التُّرس أغلظ من تُرس دنك، مصنوع من السّندیان المصمت المدعَّم بالحديد. انكسرَ لسان، ثم آخَر، ونفدَ لهب الأمير قبل أن تنفد ضربات دنك.

أخيرًا أفلتَ إيْريوْن مقبض كُرته الشّائكة عديمة الفائدة، وبصعوبةٍ مدَّ يده إلى الخنجر الرَّفيع على وركه. نجحَ في تخليصه من غِمده، ولكن عندما قرعَ دنك يده بالتُّرس طارَ الخنجر ليَسقُط في الوحل.

ـ *يُمكنه أن يقهر السيّر دنكن الطّويل، ولكن ليس دنك ابن* (*سفح البراغيث*). العجوز علَّمه المُثاقفة والمُبارزة، أمَّا ضرب القتال هذا فقد تعلَّمه أوَّلًا في أزقَّةٍ ظليلة وحاراتٍ متعرِّجة وراء خمَّارات المدينة. ألقى دنك بالتُّرس المهشَّم بعيدًا، وبعُنف رفعَ مقدّمة خوذة إيريون متذكّرًا ما قاله پيت الفولاذي: *مقدّمة الخوذة نُقطة ضعف*. كفَّ الأمير تقريبًا عن المقاومة، عيناه أرجوانيَّتان مفعمتان بالرُّعب، وانتابَت دنك رغبةٌ مفاجئة في أن يُمسِك إحداهما ويُفرقِعها كحبَّةٍ من العنب بين إصبعيْن من الفولاذ. غير أنَّ ذلك لا يليق بفارس، وهكذا صاحَ: «**استسلِم!**».

وبشفتيْن شاحبتيْن تحرَّكتا بالكاد همسَ التنّين: «أستسلمُ».

حدَّق إليه دنك وهلةً عاجزًا عن تصديق ما سمعَته أذناه. *انتهى الأمر إذًا*؟ نقلَ رأسه ببطءٍ من جانبٍ إلى جانبٍ محاولًا

أن يرى، وقد انغلقَت فتحة الرُّؤية بعض الشَّيء على إثر الضَّربة التي هوَت على جنب وجهه الأيسر، فرأى الأمير ميْكار بمِقمعته في يده يُحاوِل شقَّ طريقه قتالًا إلى ابنه، ويصدُّه بيْلوْر كاسِر الحراب.

هبَّ دنك واقفًا وسحبَ الأمير إيْريوْن وراءه، ثم تحسَّس أربطة خوذته وانتزعَها ورماها، وفي الحال غرقَ في مرأى العالم ومسمعه؛ الأنين والشَّتائم، وهتافات المتفرِّجين، وصريخ فحل فيما ينطلق آخَر عبر الحقل بلا راكب. في كلِّ مكانٍ يرنُّ الفولاذ على الفولاذ. أمام مدرَّجات المشاهدة يُوجِّه كلٌّ من رِايمن وابن عمومته إلى الآخَر ضربات سيفه، كلاهما على قدميه وتُرساهما حُطام، التُّفَّاحة الخضراء والتُّفَّاحة الحمراء كلتاهما شظايا، وأحد فُرسان الحرس الملكي يحمل أخًا جريحًا إلى خارج الحقل والاثنان باديان سواءً في درعيْهما البيضاويْن ومعطفيْهما الأبيضيْن، في حين سقطَ ثالث ثلاثة الفُرسان البِيض، وانضمَّ العاصفة الضَّاحكة إلى الأمير بيْلوْر في مواجهة الأمير ميْكار. تصادمَت المِقمعة والفأس الحربيَّة والسَّيف الطَّويل وجلجلَت على الخُوذ والتِّراس. ضد كلِّ ضربةٍ نجحَ ميْكار في تسديدها تلقَّى ثلاثًا، ورأى دنك أنَّ القتال سينتهي قريبًا. *يجب أن أنهيه قبل أن يموت مزيدٌ منا.*

بغتةً اندفعَ الأمير إيْريوْن نحو كُرته الشَّائكة، لكن دنك ركلَه في ظهره وطرحَه على وجهه، ثم أطبقَ على إحدى ساقيْه وجرَّه عبر الحقل، ولدى وصوله إلى المدرَّجات حيث يجلس اللوْرد آشفرد كان الأمير السَّاطع قد باتَ بنِّيًّا كمرحاض. شدَّه دنك حتى وقفَ وهزَّه نافضًا قليلًا من الطَّمي على اللوْرد آشفرد والعذراء

الجميلة، وزعقَ: «أخبِره!».

وبصقَ إيريون اللَّهب السَّاطع ملء فمه من العُشب والتُّراب، وقال: «أسحبُ اتِّهامي».

***

بعدها لم يدرِ دنك هل مشى إلى خارج الحقل من تلقاء نفسه أم استلزمَ عونًا. الألم في كلِّ موضع من جسده، وأسوأ في بعضها من بعض. تذكَّر أنه تساءلَ في أعماقه: *أأنا الآن فارسٌ حقًا؟ أأنا بطل؟*

ساعدَه إج على خلع الكلسة والعُنقيَّة، ورايمن أيضًا، وحتى پيْت الفولاذي. حالَت دوخته الشَّديدة دون أن يُميِّز بينهم؛ كانوا مجرَّد أصابع وأباهيم وأصوات، وإن علمَ دنك أنَّ پيْت هو الذي راحَ يشتكي. «انظُروا ما فعلَه بدرعي، كلُّها انبعاجات وخبطات وخدوش. أجل، دعوني أسألكم، لماذا أكلِّفُ نفسي الجهد؟ عليَّ أن أقصَّ هذا الزَّرد للأسف».

سألَ دنك باستعجالٍ وهو يُحاوِل القبض على يدَي صديقه: «رايمن، الآخَرون، كيف أبلوا؟». يجب أن يعرف. «هل ماتَ أحد؟».

أجابَـه رِايمـن: «بيزبـري. قتلَـه دوْنـل ابـن (وادي الغسـق) في

الهجمة الأولى. السيْر همفري مصاب بجرح بليغ أيضًا. بقيَّتنا مكدومون مدمَّون لا أكثر، باستثنائك أنتَ».

ـ «وهُم؟ المتَّهمون؟».

ـ «السيْر وِلِم وايلد رجل الحرس الملكي حُمِلَ من الحقل فاقد الوعي، وأظنُّني كسرتُ لابن عمومتي بضعة ضلوع. ذلك ما آمله على الأقل».

اندفعَ دنك يسأل: «والأمير ديْرِوْن؟ هل نجا؟».

ـ «حالما أسقطَه السيْر روْبن عن حصانه استلقى حيث سقطَ. ربَّما كُسرَت قدمه. حصانه داسَه وهو يجري طليقًا في الحقل».

على الرغم من دُواره وارتباكه شعرَ دنك بارتياح عظيم. «أخطأ حُلمه إذًا. التنِّين الميت. إلَّا إذا ماتَ إيْريوْن. لكنه لم يَمُت، أليس كذلك؟».

قال إج: «نعم. لقد أبقيتَ على حياته، ألا تَذكُر؟».

ـ «على ما أظنُّ». بهذه السُّرعة بدأت ذكرياته عن القتال يُغلِّفها الارتباك والإبهام. «في لحظةٍ أحسُّ أني سكران، وفي التَّالية يجعلني الألم الرَّهيب أعرفُ أني أموتُ».

أرقَدوه على ظهره وتكلَّموا فوقه فيما حدَّق هو إلى السَّماء الغائمة العكرة. بدا له أنَّ الصَّباح لم ينقضِ بعدُ، وتساءلَ كم استغرقَ القتال.

سمعَ رِايمن يقول: «بحقِّ الآلهة، رأس الرُّمح غرسَ الحلقات في عُمق لحمه. سيتعفَّن ما لم...».

اقترحَ أحدهم: «أسكِروه وصُبُّوا زيتًا مغليًّا داخل الجرح. هذا ما يفعله الميْسترات».

ـ «بل نبيذ». حملَ الصَّوت رنينًا معدنيًّا أجوف. «ليس زيتًا لأن ذلك سيَقتُله، بل نبيذٌ مغلي. سأرسلُ الميْستر يؤرمول ليُلقي عليه نظرةً بعدما يَفرُغ من علاج أخي».

فوقه وقفَ فارسٌ طويل في درع سوداء بعجَتها وجرَّحتها ضربات عديدة. *الأمير بيلور*. فقدَ الْتنّين السّقلّاتي فوق خوذته

رأسًا وكلا جناحيْه ومعظم ذيله.

قال دنك: «سموَّ الأمير. أنا رجلك. أرجوك. رجلك».

قال الفارس الأسود: «رجلي»، ووضعَ يده على كتف رِايمن ليُثبّت نفسه متابعًا: «إنني محتاجٌ إلى رجالٍ صالحين أيُّها السيْر دنكن. البلاد...». خرجَ صوته مشوَّشًا على نحوٍ غريب. ربَّما عضَّ لسانه.

كان دنك في غاية التَّعب، والبقاء مستيقظًا عسيرًا. مرَّةً أخرى تمتمَ: «رجلك».

حرَّك الأمير رأسه ببُطء من جانبٍ إلى جانب قائلًا: «سيْر رِايمن... خوذتي إذا تلطَّفت. المقدِّمة... المقدِّمة متصدِّعة، وأصابعي... أصابعي كأنها خشب...».

ردَّ رِايمن: «حالًا يا صاحب السُّمو»، وأمسكَ خوذة الأمير بكلتا يديْه وأطلقَ أنينًا، ثم قال: «يِيْت أيُّها الرَّجل الصَّالح، ساعِدني».

جرَّ يِيْت الفولاذي كُرسي صعود، ثم قال: «إنها مسحوقة عند الظَّهر يا سموَّ الأمير، نحو الجنب الأيسر، ملتحمة بالعُنقيَّة. فولاذٌ ممتاز هذا الذي يصدُّ مثل هذه الضَّربة».

قال بيْلوْر بنبرةٍ ثقيلة: «مِقمعة أخي على الأرجح. إنه قوي»، وجفلَ قائلًا: «هذا... إحساسٌ غريب، إنني...».

ـ «ها هي ذي تنخلع». رفعَ يِيْت الخوذة المليئة بالانبعاجات. «بحقِّ الآلهة! يا آلهتي يا آلهتي يا آلهتي احفظيـ...».

رأى دنك شيئًا أحمر مبتلًّا يَسقُط من الخوذة. كان أحدهم يُدوِّي بصُراخ فظيع، وقُبالة السَّماء الغائمة الموحشة ترنَّح في درع سوداء أميرٌ طويل بنصف جمجمة ليس إلَّا، ولمحَ دنك دمًا قانيًا وعظمًا أبيض وشيئًا آخَر، شيئًا رماديًّا مزرقًّا شبيهًا بالعجين. مرَّت نظرة انزعاج غريبة على وجه بيْلوْر كاسِر الحراب كسحابةٍ عابرة أمام شمسٍ، ورفعَ يده ومسَّ مؤخِّرة رأسه بإصبعيْن بمنتهى منتهى الخفَّة. ثم سقطَ.

أمسكَه دنك، ويقولون إنه قال له كما قال لثندر في الالتحام الجماعي: «قُم، قُم، قُم»، غير أنه لم يتذكَّر ذلك بعدها، والأمير لم يَقُم.

***

دخـلَ بيْـلوْر تارجاريَـن ـأميـر (دراجنسـتوْن)، ويـد الملـك، وحامي البلاد، والوريث الظَّاهر لعرش ممالك (وسـتروْس) السَّبع الحديدي- النَّار في ساحة (قلعة آشفرد) على ضفَّة نهر (مجرى الصَّدف) الشَّماليَّة. قد تختار عائلات عُظمى أخرى أن تدفن موتاها في ظُلمة الأرض أو تُغرِقهم في البحر الأخضر البارد، بيد أنَّ آل تارجاريَن من دم التنِّين، وخواتيمهم مسطورة باللَّهب.

كان أرفع فارس في عصره، وقد حاجَّ البعض بوجوب ذهابه لمواجهة الظَّلام مسربلًا بحلقات المعدن وصفائحه وفي يده سيفه، ولكن في النِّهاية رجحَت رغبة أبيه الملوكي، ولديْروْن الثَّاني طبيعةٌ مسالمة. حينما مرَّ دنك جارًّا قدميْه بنعش بيْلوْر، رأى الأمير يرتدي غلالةً مخمليَّةً سوداء، وعلى صدره طُرِّزَ التنِّين ثُلاثي الرُّؤوس بخيط سقلَّاتي، وحول عُنه سلسلة ذهبيَّة ثقيلة، ومع أنَّ سيفه وُضِعَ مُغمدًا بجواره فقد اعتمرَ خوذةً، خوذةً ذهبيَّةً رفيعةً مقدِّمتها مفتوحة ليرى النَّاس وجهه.

وقفَ الأمير الشَّاب ثالر ساهرًا عند قدم النَّعش فيما رقدَ أبوه مسجًّى. إنه صورةٌ أقصر وأنحف وأوسم من والده، من غير الأنف المكسور مرَّتيْن الذي جعلَ بيْلوْر يبدو أدنى إلى الإنسانيَّة من الملكيَّة. شعرُ ثالر بنِّي، لكن خُصلةً بارقةً من الذَّهبي الفضِّي تتخلَّله، خُصلةً ذكَّر منظرها دنك بإيْريوْن، وإن أدركَ أنَّ ذلك ليس عدلًا، فشعر إج ينمو من جديدٍ بارقًا كشعر أخيه، وإج صبيٌّ لطيف بما فيه الكفاية بالنِّسبة إلى أمير.

عندما توقَّف ليُقدِّم تعازيه الخرقاء المتخمة بالشُّكران، حدَّق إليه الأمير ثالر بعينيْن زرقاويْن فاترتيْن، وقال: «أبي كان في

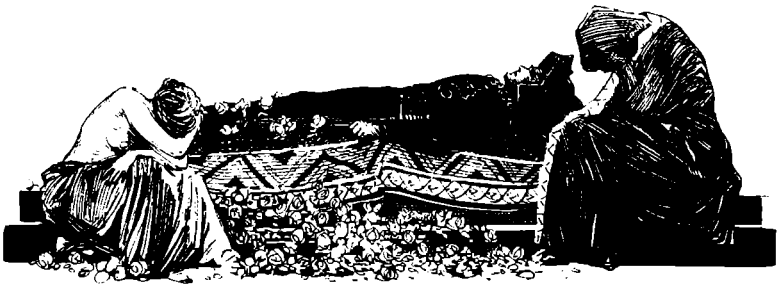

التَّاسعة والثَّلاثين لا أكثر. لقد امتلكَ مقوّمات ملكٍ عظيم، الأعظم منذ إيْجوْن التنّين. لماذا تأخذه الآلهة وتَترُكك أنت؟»، وهزَّ رأسه مُتبعًا: «ارحل أيُّها السيْر دنكن، ارحل».

بلا كلام خرجَ دنك يعرج من القلعة إلى المخيَّم عند البِركة الخضراء. لم يملك عن سؤال قالر جوابًا، ولا عن الأسئلة التي طرحَها هو نفسه. لقد قامَ الميْسترات والنَّبيذ المغلي بالواجب، وجرحه يندمل بنظافةٍ رغم أنَّ ندبةً متغضِّنةً عميقةً ستبقى بين ذراعه اليُسرى وحلمته. لا يُمكنه أن يرى الجرح دون التَّفكير في بيْلوْر. *أنقذَني مرَّةً بحُسامه ومرَّةً بكلامه مع أنه كان ميتًا حيث وقفَ*. العالم لا يُعقَل حين يموت أميرٌ عظيم ليعيش فارسٌ جوَّال.

جلسَ دنك تحت دردارته وحملقَ بجهامةٍ إلى قدمه.

***

حيـن ظهـرَ أربعـة حُـرَّاس يرتـدون البِـزَّة العسكريَّـة الملكيَّـة في مخيَّمـه في سـاعةٍ متأخِـرة مـن أحـد الأيَّـام، أيقـنَ بأنهـم أتـوا ليَقتُلـوه رغـم كلِّ شيء، ولأنـه أضعـف وأشـدُّ إرهاقًـا مـن أن يمـدَّ يـده إلى سـيفه، ظَـلَّ دنـك جالسًـا وظهـره إلى الشَّـجرة وانتظـرَ.

ـ «أميرنا يستأذنك في كلمةٍ على انفراد».

سألَ دنك بحذر: «أيُّ أمير؟».

ـ «هـذا الأميـر». قالهـا صـوتٌ فـظٌّ قبـل أن يُجيـب قائـد الحـرس، وخـرجَ مـيْكار تارجاريَـن من وراء الـدَّردارة.

نهضَ دنك ببُطء. *ماذا يُريد مني الآن؟*

أشـارَ مـيْكار، فاختـفى الحُـرَّاس بسـرعةٍ كمـا ظهـروا. أمعـنَ الأميـر النَّظـر إليـه لحظـةً طالَـت، ثـم دارَ وابتعـدَ عنـه ليقـف بجـوار البِركـة رامقًـا انعكاسـه في المـاء، ثـم أعلـنَ فجـأةً: «لقـد أرسـلتُ إيْـريوْن إلى (لِيـس). قـد تُغيّـره بضعـة أعـوامٍ في (المُـدن الحُـرَّة) إلى الأفضـل».

لـم يَـزُر دنـك (المُـدن الحُـرَّة) قَـطُّ، وعليـه لـم يـدرِ بِـمَ يـردُّ. سـرَّه أنَّ إيْـريوْن اغتـربَ عـن (الممالـك السَّـبع)، وأمـلَ ألَّا يـرجع أبـدًا، لكـن ذلـك ليـس شـيئًا يُقـال لأبٍ عـن ابنـه، وهكـذا وقـفَ صامتًـا.

التفـتَ الأميـر مـيْكار ليُواجِهـه قـائلًا: «بعـض النَّـاس سـيقول إنـني تعمَّـدتُ أن أقتـل أخي. الآلهـة تعلـم أنهـا كذبـة، لكنـني سـأظلُّ أسـمعُ تلـك الهمسـات حتى يـوم مماتي. ومِقمعتي هي التي أصابَتـه بالضَّربـة القاتلـة، لا شـكَّ عنـدي. الخصـوم الآخَـرون الوحيـدون الذيـن واجهَهـم في الالتحـام الجمـاعي ثلاثـة مـن الحـرس الملكي، تُحرِّم عليهـم نذورهـم أن يفعلـوا أكثـر مـن الدِّفـاع عـن أنفُسـهم. إنـه

أنا إذًا. الغريب أني لا أذكرُ الضَّربة التي حطَّمت جمجمته. أهذه نعمة أم نقمة؟ شيء من هذه وشيء من تلك على ما أظنُّ».

من طريقة نظره إلى دنك، بدا أنَّ الأمير يُريد إجابةً. «لا أدري يا سموَّ الأمير». ربَّما وجبَ أن يكره ميْكار، لكنه شعرَ بدلًا من ذلك بتعاطفٍ عجيب مع الرَّجل. «أنت ضربت بالمِقمعة يا سيدي، لكن من أجلي أنا ماتَ الأمير بيْلوْر، أي إنني قتلتُه أيضًا بقدر ما قتلتَه».

قال الأمير: «أجل. أنت أيضًا ستسمع الهمسات. الملك عجوز. حينما يموت سيرتقي ڤالر العرش الحديدي عوضًا عن أبيه. كلَّما انتهَت معركةٌ بالهزيمة أو فشلَ محصولٌ سيقول الحمقى: *ما كان بيْلوْر ليسمح بحدوث هذا، لكن الفارس الجوَّال قتلَه*».

رأى دنك ما في قوله من حق. «لو لم أقاتل لبترتَ يدي، وقدمي كذلك. أحيانًا أجلسُ تحت تلك الشَّجرة هناك وأنظرُ إلي قدميَّ وأسألُ لو كان باستطاعتي أن أستغني عن واحدة. كيف تستحقُّ قدمي حياة أمير؟ والآخَران أيضًا، التَّوأمان همفري، كانا رجليْن صالحيْن أيضًا». البارحة فقط استسلمَ السيْر همفري هاردنج لجراحه.

ـ «وما الإجابة التي تُعطيها لك شجرتك؟».

ـ «لا إجابة يُمكنني أن أسمعها. لكن العجوز، السيْر آرلان، كلَّ ليلةٍ عند حلول المساء اعتادَ أن يقول: *تُرى ماذا سيجلب لنا الغد*؟ ولم يعرف قطُّ، مثلما لا نعرف نحن. طيِّب، لعلَّ غدًا سيأتي وأحتاجُ فيه إلى تلك القدم؟ تحتاج فيه البلاد إلى تلك القدم أكثر من حياة أمير؟».

أعملَ ميْكار التَّفكير في ردِّه وقتًا وقد كبسَ فمه تحت اللِّحية الفضِّيَّة الشَّاحبة التي تجعل وجهه يبدو مربَّعًا، ثم قال بخشونة: «غير وارد بالمرَّة. في البلاد فُرسان جوَّالة بعدد الأسوجة التي يجولون بينها، ولهم جميعًا سيقان».

ـ «لو أنَّ عند صاحب السُّمو إجابةً أفضل فأودُّ أن أسمعها».

قبَّض ميْكار وجهه قائلًا: «محتملٌ أنَّ الآلهة تتلذَّذ بالدُّعابات القاسية، أو قد لا تُوجَد آلهةٌ أصلًا. ربَّما لم يكن لشيءٍ من هذا معنى. يُمكنني أن أسأل السِّبتون الأعلى، ولكن عندما ذهبتُ إليه آخر مرَّةٍ قال لي إنَّ أيَّ إنسانٍ يعجز عن فهم تصاريف الآلهة حقَّ الفهم. قد يكون عليه أن يُجرِّب النَّوم تحت شجرة»، ولوى قسماته مُردفًا: «يبدو أنَّ ابني الأصغر صارَ مولعًا بك أيُّها السيْر. حانَ الوقت ليُصبِح مُرافقًا، لكنه يقول لي إنه لن يخدم أيَّ فارسٍ غيرك. إنه ولدٌ منفلت كما لاحظتَ. هل تقبله؟».

ـ «أنا؟». انفتحَ فم دنك وانغلقَ وانفتحَ. «إج... أعني إيْجون... إنه صبيٌّ طيِّب، ولكن، سموَّ الأمير، أعرفُ أنك تُشرِّفني، ولكن... إنني مجرَّد فارسٍ جوَّال».

قال ميْكار: «من الممكن تغيير ذلك. إيْجون سيرجع إلى قلعتي في (بهو الصَّيف). إنَّ لك مكانًا هناك إذا رغبت. فارسٌ من أهل بيتي. ستُعهِدني سيفك، ولإيْجون أن يُرافقك، وفيما تُدرِّبه سيُكمِل قيِّم سلاحي تدريبك»، وحدجَه الأمير بنظرة البصير مضيفًا: «سيِّدك السيْر آرلان فعلَ كلَّ ما بوسعه من أجلك، لا شكَّ عندي، ولكن ما زالَ أمامك كثيرٌ يجب أن تتعلَّمه».

ـ «أعرفُ يا سيدي». نظرَ دنك حوله، إلى العُشب الأخضر

والبوص، والدَّردارة الباسقة، والتَّموُّجات المتراقصة على صفحة البركة المضاءة بالشَّمس. كانت ذُبابة تنّين أخرى تتحرَّك فوق الماء، أو لعلَّها الذُّبابة ذاتها. سألَ نفسه: *ما قرارك يا دنك؟ الذُّباب أم التَّنانين؟* لربَّما أجابَ من فوره قبل أيَّام معدودة. إنه لم يَحلُم إلَّا بهذا، لكن الآن والإمكانيَّة في متناوَل اليد فإنها تُخيفه. «قُبيل موت بيْلوْر أقسمتُ أن أكون رجله».

ـ «اجتراء منك. ماذا قال؟».

ـ «إنَّ البلاد محتاجةٌ إلى رجالٍ صالحين».

ـ «صحيحٌ كفايةً. وماذا في هذا؟».

ـ «سأتَّخذُ ابنك مُرافقًا يا سموَّ الأمير، ولكن ليس في (بهو الصَّيف)، ليس قبل سنةٍ أو اثنتيْن. لقد رأى ما يكفي من القلاع في تقديري. سأقبله بشرط أن آخذه معي على الطَّريق»، وأشارَ إلى تشستنت العجوز متابعًا: «سيركب حصاني المعيب، ويرتدي معطفي القديم، ويشحذ سيفي ويجلو زردي. سننام في خاناتٍ وإسطبلات،

وبيـن حيـنٍ وآخَـر في قاعـة فـارسٍ مالـك أراضٍ أو أحـد صغـار الـلوْردات، وربَّمـا تحـت الأشـجارِ إذا اضطررنـا».

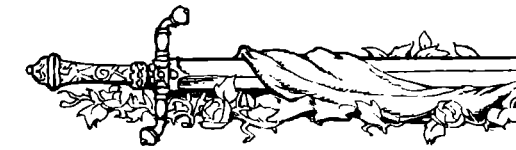

رمقَه الأميـر ميْكار غيـر مصدِّق، وقـال: «هـل أتلفَت المحاكمة عقلك يـا رجـل؟ إيْـجوْن أميـرٌ مـن أمـراء البلاد، دم التنِّيـن. الأمـراء لا يُخلَقـون للنَّـوم في الخنـادق وأكل اللَّحـم المملَّح القـاسي»، ولمَّـا رأى دنـك يتـردَّد قـال: «مـا الـذي تخـشى قولـه لي؟ قُـل مـا تُريـد أيُّهـا السـيْر».

بِمنتهى الهـدوء قـال دنـك: «أراهـنُ أنَّ ديْـروْن لـم ينَـم في خنـدقٍ قَـطُّ، وكلُّ اللَّحـم الـذي أكلَه إيْـريوْن يومًـا كان ثخينًـا وطريًّـا وداميًـا عـلى الأرجح».

تطـلَّع مـيْكار تارجاريَـن سـيِّدٍ (بهـو الصَّيـف) إلى دنـك ابـن (سـفح البراغيـث) وقتًـا طـويلًا وفكـه يتحـرَّك بصمتٍ تحـت لحيتـه الفضِّيَّـة، وأخيـرًا دارَ عـلى عقبيْـه وانصرفَ دونمـا كلمـة. سـمعَه دنـك يبتعـد راكبًـا مع رجالـه، وعندمـا رحلـوا خلا المكان مـن أيِّ صـوتٍ إلَّا طنيـن جنـاحَي ذُبابـة تنِّيـن منطلقـة فـوق المـاء.

***

أتى الغُلام في الصَّباح التَّالي فيما أشرقَت الشَّمس، ينتعل حذاءً قديمًا ويلبس بنطالًا بنّيًّا وغلالةً من الصُّوف البنّي ومعطف سفرٍ قديمًا. «السيّد والدي يقول أني سأخدمك».

ـ «أخدمك أيُّها السيْر. يُمكنك البدء بتسريج الحصانيْن. تشستنت لك. عامِله برفق. لا أريدُ أن أجدك على متن ثندر ما لم أضعك هناك بنفسي».

سألَه إج وهو ذاهبٌ ليُحضِر السَّرجين: «أين سنذهب أيُّها السيْر؟».

فكّر دنك لحظةً قبل أن يُجيب: «لم أجتَز (الجبال الحمراء) قَطُّ. أتودُّ أن تُلقي نظرةً على (دوْرن)؟».

ارتسمَت على فم إج ابتسامةٌ واسعة، وقال: «أسمعُ أنَّ عندهم عروض عرائس مسلّيةً».

السَّيف المحلَّف

في قفص حديديّ عند تقاطُع الطّرق كان رجلان ميتان يتعفّنان في شمس الصَّيف. توقَّف إج أسفلهما ليُلقي نظرةً، وسألَ: «مَن تحسبهما كانا أيُّها السيْر؟». ممتنًّا لمُهلة الرَّاحة هذه، شرعَ بغله ميْستر يجزُّ العُشب الشَّيطاني البنّي الجاف النَّابت بحذاء حافة الطَّريق، غافلًا عن برميلَي النَّبيذ الضَّخميْن على ظهره.

أجابَ دنك: «لصَّيْن». يُقرِّبه اعتلاؤه صهوة ثندر أكثر من

الرَّجليْن الميتيْن. «مغتصبيْن. قاتليْن». تُلوِّث دوائر غامقة غلالته الخضراء القديمة تحت إبطيْه، فالسَّماء زرقاء وحرارة الشَّمس مستعرة، ومنذ حلِّ المخيَّم هذا الصَّباح سالَت منه جالونات من العرق.

خلعَ إج قبَّعته القش المرنة عريضة الحافة ليلوح من تحتها رأسه الأصلع اللَّامع، واستخدمَها كمروحةٍ ليذبَّ الذُّباب. على الرَّجليْن الميتيْن تزحف مئات الذُّبابات، ويهيم مزيدٌ منها بكسل في الهواء السَّاخن السَّاكن. «مؤكَّد أنهما فعلا فعلةً سيِّئةً لكي يُتركا للموت في قفص غِربان».

أحيانًا يتمتَّع إج بحكمة الميْسترات، لكنه ما زالَ في أحيانٍ أخرى غُلامًا في العاشرة. قال دنك: «اللوْردات أنواع. بعضهم لا يلزمه سببٌ قويٌّ ليَحكُم على رجلٍ بالموت».

يتَّسع القفص الحديديُّ بالكاد لرجلٍ واحد، ورغم ذلك أُقحِمَ فيه اثنان معًا، فوقفا وجهًا إلى وجه، تتشابَك أذرُعهما وأرجُلهما ويلتصق ظهراهما بحديد القضبان الأسود السَّاخن. أحدهما حاولَ أن يأكل الآخَر؛ قضمَ من عُنقه وكتفه، والغِربان نالَت من كليْهما نصيبًا. عندما ظهرَ دنك وإج دائريْن من حول التَّل ارتفعَت الطُّيور في السَّماء كسحابةٍ سوداء أفزعَت كثافتها الشَّديدة ميْستر.

قال دنك: «أيًّا كانا فكلاهما يبدو أعجف». *هيكلان عظميَّان مغلَّفان بالجلد، والجلد أخضر يتعفَّن.* «ربَّما سرقا بضعة أرغفةٍ من الخُبز، أو صادا غزالًا في غابة لوْرد ما». مع دخول الجفاف عامه الثَّاني، أصبحَ معظم اللوْردات أقلَّ تسامُحًا مع الصَّيد غير

المشروع، ولم يكونوا متسامحين جدًّا من الأصل.

ـ «يُحتمَل أنهما من جماعةٍ من الخارجين عن القانون». في (دوْسك) سمعا عازف قيثارةٍ يُغنّي «يوم شنقوا روْبن الأسود»، ومنذ ذلك الحين يرى إج خارجين عن القانون شِهامًا وراء كلِّ شُجيرة.

لاقى دنك عددًا من الخارجين عن القانون في أثناء مُرافقته العجوز، ولا يستعجل لقاء مزيدٍ منهم، فلا يبدو أن أحدًا ممَّن عرفَهم تحلَّى بشهامةٍ خاصَّة. يَذكُر واحدًا اشتركَ السيْر آرلان في شنقه، كان مغرمًا بسرقة الخواتم، واعتادَ أن يقطع أصابع الرِّجال ليظفر بها، أمَّا مع النِّسوة ففضَّل القضم، وعلى حدِّ علم دنك لا تُوجَد عنه أغانٍ. *خارجون عن القانون أو صيَّادون دون إذن، لا فرق. الموتى صُحبة رديئة.* دارَ بثندر على مهلٍ حول القفص، وبدا كأن محاجر العيون الفارغة تتبعه. أحد الميِّتيْن رأسه مطأطأ وفوه مفغور، وقد قال دنك لنفسه إذ لاحظَ: *إنه بلا لسان.* قدَّر أن الغربان ربَّما أكلَته. لقد سمعَ أنَّ الغربان تَنقُر أعيُن الجُثث أوَّلًا، ولكن يجوز أنَّ اللِّسان يُؤكَل ثانيًا. *أو جائزٌ أنَّ أحد اللوْردات أمرَ باقتلاعه بسبب شيءٍ قاله.*

دفعَ دنك أصابعه عبر خُصلات شعره الذي فتَّحت لونه الشَّمس. إنه عاجزٌ عن مساعدة الموتى، وعليه وإج أن يُوصِلا برميلَي النَّبيذ إلى (ستاندفاست). قال ناظرًا من طريقٍ إلى آخَر: «من أيِّ اتِّجاهٍ أتينا؟ إنني تائه».

أشارَ إج مجيبًا: «(ستاندفاست) في ذلك الاتِّجاه أيُّها السيْر».

قال دنك: «هو طريقنا إذًا. يُمكننا العودة بحلول المساء،

ولكن ليس إذا بقينا هنا طول النَّهار نعدُّ الذُّباب»، ومسَّ ثندر بكعبيْه ودارَ بالبِرذون الكبير نحو الفرع الأيسر.

عادَ إج يضع قبَّعته المرنة وشدَّ مقود ميْستر بحدَّة، فتخلَّى البغل عن جزِّ العُشب الشَّيطاني وتحرَّك من غير معارضة على غير المعتاد. فكر دنك: *هو أيضًا حرَّان، ومؤكَّد أنَّ هذيْن البرميليْن ثقيلان.*

خبزَت شمس الصَّيف الطَّريق حتى أضحى بصلابة القرميد، وفي الطَّريق أخاديد عميقة بما يكفي لكسر ساق حصان، ولذا حرصَ دنك على قيادة ثندر على الأرض الأعلى بينها. يوم غادَرا (دوْسك) لوى كاحله وهو ماشٍ في سواد اللَّيل والحرارة أفتر. اعتادَ العجوز أن يقول إنَّ على الفارس أن يتعلَّم التَّعايُش مع الآلام والأوجاع. *أجل يا فتى، ومع العظام المكسورة والنُّدوب. إنها جزء من فروسيَّتك مثلها مثل سيوفك وتراسك.* ولكن إذا حدثَ أن كُسرَت لثندر ساق... الفارس دونما حصانٍ ليس بفارسٍ على الإطلاق.

تبعَه إج من بُعد خمس ياردات بميْستر وبرميلَي النَّبيذ، يمشي الغُلام بقدم حافية في أخدودٍ وبالأخرى خارجه ليرتفع وينخفض مع كلِّ خُطوَة. على إحدى وركيْه يضع خنجره المغمد، وحذاؤه معلَّق فوق حقيبة ظهره، وغلالته البنِّيَّة الرثَّة مطويَّة ومعقودة حول خصره. تحت قبَّعته القش عريضة الحافة وجهه متَّسخ ملطَّخ، وعيناه واسعتان داكنتان. إنه في العاشرة، لم يَبلُغ بعدُ الأقدام الخمسة طولًا. في الآونة الأخيرة بدأ ينمو سريعًا، ولو أنَّ أمامه طريقًا طويلًا طويلًا من النُّمو قبل أن يلحق بدنك. يُشبِه الولد

تمامًا شخصيَّة صبيِّ الإسطبل التي ينتحلها، ولا يُشبِه بالمرَّة شخصيَّته الحقيقيَّة.

سرعان ما اختفى الميتان وراءهما، إلَّا أنَّ دنك وجدَ نفسه يُفكِر فيهما. البلاد حافلةٌ بمخالفي القانون هذه الأيَّام. الجفاف لا يُبدي أيَّ أماراتٍ على الانتهاء، والعامَّة لجؤوا بالألوف إلى الطُرق بحثًا عن مكانٍ ما حيث لا تزال الأمطار تَسقُط. اللوْرد غُداف الدَّم أمرَهم بالعودة إلى أراضيهم وسادتهم، لكن قلائل أطاعوا. يلوم كثيرون غُداف الدَّم والملك إيْرس على الجفاف، ويقولون إنه قضاء من الآلهة، ذلك أنَّ قاتل الأقربين ملعون. على أنهم لا يقولون ذلك جهرًا لو أنهم حُكماء. تقول الأحجية التي سمعَها إج في (البلدة القديمة): *كم عينًا للوْرد غُداف الدَّم؟ ألف عينٍ وعين.*

قبل ستِّ سنواتٍ في (كينجز لاندنج) رآه دنك بأمّ عينيْه على متن حصانٍ شاحب في (شارع الفولاذ)، يتبعه خَمسون من حرسه الملقَّبين بأسنان الغُداف. حدثَ ذلك قبل أن يرتقي الملك إيْرس العرش الحديدي ويُعيّنه يدًا، ومع ذلك لفتَ الأنظار وهو متَّشح باللَّونيْن الدُّخاني والسَقلَّاتي ويتدلَّى السَّيف «الأخت المظلمة» على وركه. جعلَته بشرته الممتقعة وشعره الأبيض بياض العظم يبدو كجثَّة حيَّة، وعلى وجنته ورقبته امتدَّت وحمةٌ خمريَّة يُفترَض أنها تُشاكِل غُدافًا أحمر، لكن دنك لم يرَ إلَّا لطخةً غريبة الشَّكل من الجلد حائل اللَّون. شخصَ دنك ببصره إلى غُداف الدَّم حتى إنه أحسَّ بالنَّظرة، والتفتَ مشعوذ الملك ليَرمُقه بإمعانٍ وهو يمرُّ. للرَّجل عينٌ واحدة، وهذه العين الواحدة حمراء، أمَّا الأخرى فمحجرٌ فارغ، الهديَّة التي أعطاها

لـه الفـولاذ الأليـم في (حقـل العُشـب الأحمـر)، وإن بـدا لدنـك أنَّ العينيْـن كلتيْهمـا اخترقَتـا جلـده ونفذَتـا إلى روحـه ذاتهـا.

عـلى الرغـم مـن الحـرّ بثَّـت فيـه الذِّكـرى رجفـةً، حـتى إنَّ إج نـاداه: «سـيْر؟ هـل مـن خطـب؟».

قـال دنـك: «لا. إننـي حـرَّان وعطشـان مثلهـا»، وأشـارَ إلى الحقـل بعـد الطَّريـق، حيـث تَذبُـل صفـوفٌ مـن الشـمَّام عـلى الفـروع المعترشـة. عـلى طـول الحافـات لا تـزال زهـور رأس الكبـش والأعشـاب الشَّـيطانيَّة مستمسكةً بالحيـاة، لكـن حـال المحاصيـل أسـوأ كثيـرًا، وقـد أدركَ دنـك مـا تَشـعُر بـه ثمـار الشـمَّام بالضَّبـط. تعـوَّد السـيْر آرلان أن يقـول إنـه لا داعي لأن يعطـش الفـارس الجـوَّال أبـدًا، «مـا دامَ يملـك خـوذةً يلتقـط فيهـا المطـر. مـاء المطـر أفضـل شـرابٍ في الدُّنيـا يـا فـتى»، لكـن العجـوز لـم يشـهد قَـطُّ صيفًـا كهذا. تـركَ دنـك خوذتـه في (ستاندفاسـت)، فـهي أسـخن وأثقـل مـن أن يعتمرهـا، والمطـر الـذي يُمكـن أن يلتقطـه فيهـا شـحيحٌ للغايـة. *مـاذا يفعـل الفـارس الجـوَّال وأمـاكـن تجوالـه نفسـها بِنِيَّـة ظمآنـة تمـوت؟*

قـد يغطـس في الجـدول حينمـا يـصلان إليـه. ابتسـمَ مفكِّـرًا في حلاوة ذلـك الشُّـعور؛ أن يقفـز في المـاء مباشـرةً ويَخـرُج مبتلًّا عـن آخِـره مبتسـمًا ملـء فمـه، ينهمـر المـاء كشلَّالٍ عـلى خدَّيْـه ويتخلَّـل شـعره الملبَّـد وغلالتـه المخضَّلـة الملتصقـة بجلـده. قـد يرغـب إج أيضًـا في غطسـة، ولـو أنـه يبـدو فاتـر الحـرارة جافًّـا، مغبَّـرًا أكثـر منـه متعـرّق. في (دوْرن) سـعى الـغُلام هنـا وهنـاك عـاري الصَّـدر حـتى صـارَ بنِّيًّـا كالدوْرنيِّيـن. قـال دنـك لنفسـه: *إنـه دم التنِّيـن الـذي في عروقـه. مَـن سـمعَ مـن قبـل بتنِّيـنٍ يعـرق؟* كان سيسـرُّه أن يخـلع

غلالتـه، غيـر أنَّ ذلـك لا يليـق. للفـارس الجـوَّال أن يركـب عاريًـا تمامًـا إذا اختـارَ، فليـس لـه أحـدٌ يُخزيـه إلَّا نفسـه، لكـن المسـألة تختلـف حيـن يتعهَّـد المـرء بسـيفه. تعـوَّد السـيْر آرلان أن يقـول: *عندما تقبل من أحد اللؤردات طعامه وشرابه، ينعكس ما تفعله كلُّه عليه. افعل دومًا أكثر ممَّا يتوقَّعه منك، لا أقلَّ أبدًا. لا تَنكَص من أيّ مهمَّة أو مشقَّة. وفوق كلّ شيء، إيَّاك أن تُخزي اللؤرد الذي تخدمه.* في (ستاندفاست) يعني «الطَّعام والشَّراب» الدَّجاج والمزر، لكن السيْر يوستس نفسه يأكل الطَّعام البسيط عينه.

ظلَّ دنك لابسًا غلالته ويتصبَّب عرقًا.

مكتبة
t.me/soramnqraa

***

كان السيْر بِنِس صاحب التُّرس البنِّي منتظرًا عند الجسر الخشبيّ القديم، ونادى: «عُدتما إذًا. غيابكما طالَ إلى درجة أنني حسبتكُما هربتما بفضَّة الشَّيخ». يمتطي بِنِس غرُّونه[10] الأشعث ويلوك لفافةً من التَّبغ المُرّ أبدَت فمه كأنه ممتلئ بالدَّم.

أخبرَه دنك: «اضطررنا إلى قطع الطَّريق كلِّه إلى (دؤسك) لنجد قليلًا من النَّبيذ. الكَراكن أغاروا على (دؤسك الصُّغرى) وسرقوا الثَّروات والنِّساء وأحرَقوا نصف ما لم يأخذوه».

قال بِنِس: «داجؤن جرايچؤي هذا يعوزه أن يُشنَق. أجل،

١٠ ـ الغرُّون Garron: نوعٌ متين صغير الحجم من الخيول. (المُترجم).

ولكن مَن سيَشنُقه؟ هل رأيت العجوز پيْت قرَّاص الأرداف؟».

ـ «أخبَرونا أنه ماتَ. الحديديُّون قتلوه حين حاولَ منعهم من اختطاف ابنته».

ـ «بحقِّ الجحائم السَّبع اللَّعينة!». أشاحَ بنس بوجهه ليَبصُق، وقال: «رأيتُ تلك الابنة مرَّةً. لا تستأهِل الموت من أجلها إذا طلبت رأيي. ذلك الأحمق پيْت كان مدينًا لي بنصف قطعةٍ فضِّيَّة». يبدو الفارس البَني تمامًا كما بدا لمَّا غادَرا، والأسوأ أنَّ رائحته لم تتحسَّن. يرتدي الرَّجل الثِّياب ذاتها كلَّ يوم: بنطالًا بنِّيًّا، وغلالةً من الخيش بلا شكلٍ معيَّن، وينتعل حذاءً من جلد الخيل، وعندما يتدرَّع يلبس معطفًا بنِّيًّا فضفاضًا فوق قميصٍ من الحلقات المعدنيَّة الصَّدئة.

نِجاد سيفه عبارةٌ عن شريطٍ من الجلد المغلي، الذي يبدو وجهه المتغضِّن كأنَّما شُكِّلَ منه أيضًا. *رأسه يُشبِه ثمار الشمَّام*

الدَّابلة التي مررنا بها. حتى أسنانه بنِّيَّة تحت البُقع الحمراء التي يُخلِّفها التَّبغ المُرُّ الذي يحبُّ مضغه. وسط كلِّ هذا البنِّي تَبرُز عيناه الصَّغيرتان بخُضرتهما الباهتة وضيقهما وتقارُبهما والتماعهما بالغلِّ. علَّق الرَّجل: «برميلان فقط. السيْر متعوس أرادَ أربعةً».

ردَّ دنك: «من حُسن حظِّنا أننا وجدنا اثنيْن. الجفاف بلغَ (الكرمة) أيضًا. سمعنا أنَّ العنب يتحوَّل إلى زبيبٍ على الأغصان، والحديديُّون يُقرصِنون...».

قاطعَه إج: «سيْر؟ الماء اختفى».

حالَ تركيز دنك على بِنس دون أن يلحظ. تحت ألواح الجسر الخشبيَّة المعوجَّة لم يتبقَّ إلَّا الرَّمل والحجارة. *غريبٌ هذا. منسوب الجدول كان منخفضًا حين ذهبنا، لكنه ظلَّ يجري.*

ضحكَ بِنس. للرَّجل نوعان من الضَّحك: أحيانًا يقيق كالدَّجاج، وأحيانًا يُصدِر نهيقًا أعلى من بغل إج. هذه الضَّحكة ضحكة الدَّجاجة. «جفَّ في غيابكما على ما أظنُّ. إنه شيء يفعله القحط».

أفعمَت دنك خيبة الأمل. *طيّب، لن أغطس إذًا*. ترجَّل من فوق حصانه متسائلًا: *ماذا سيَحدُث للمحاصيل*؟ نصف الآبار في (المرعى) جفَّ، والأنهار كلُّها منخفضة المنسوب، بما في ذلك (النَّهر الأسود) و(الماندر) العظيم.

قال بِنس: «شيء كريه الماء. شربتُ قليلًا منه مرَّةً فمرضتُ كالكلاب. النَّبيذ أفضل».

ـ «ليس للشُّوفان. ليس للشَّعير. ليس للجزر والبصل والكرنب. حتى العنب يحتاج إلى ماء»، وهزَّ دنك رأسه سائلًا: «كيف يجفُّ بهذه السُّرعة؟ إننا لم نغب إلَّا ستَّة أيَّام».

ـ «لم يكن ماؤه غزيرًا أصلًا يا دنك. في الماضي اعتدتُ أن أتبوَّل جداول أكبر من هذا».

قال دنك: «لستُ دنك. لقد أخبرتك من قبل». تساءلَ لِمَ يُزعِج نفسه. بِنِس رجلٌ سليط اللِّسان، ويسرُّه أن يتهكَّم على الآخَرين. «أُدعى بالسيِّر دنكن الطَّويل».

ردَّ بِنِس: «ومَن يدعوك بهذا؟ جروك الأصلع؟»، ونظرَ إلى إج ضاحكًا ضحكة الدَّجاجة، وقال: «إنك أطول ممَّا كنت وأنت تخدم شجرة البنسات، لكنك ما زلت تبدو دنك خالصًا لي».

فركَ دنك قفاه وحدَّق إلى الصُّخور بالأسفل. «ماذا نفعل؟».

ـ «أوصِلا الخمور وأخبِرا السيِّر متعوس أنَّ جدوله جفَّ. ما زالَ في بئر (ستاندفاست) ماء، فلن يعطش».

ـ «لا تَدُعه بالسيِّر متعوس». دنك مولعٌ بالفارس الشَّيخ. «إنك تنام تحت سقفه، فأولِه شيئًا من الاحترام».

ـ «أنت تُوليه نصيبَيْنا معًا من الاحترام يا دنك. سأدعوه أنا بما أريدُ».

صدرَ من الألواح الرَّماديَّة المائلة إلى الفضِّي صريرٌ ثقيل إذ تحرَّك دنك فوق الجسر ليُلقي نظرةً عابسةً على الرِّمال والأحجار تحته. رأى بين الصَّخر قِلَّةً من البِرك الصَّغيرة تلمع، ولا واحدة منها أكبر من يده. «سمك ميت، هناك وهناك، أترى؟». ذكَّرته

رائحته بالرَّجليْن الميتيْن عند تقاطُع الطُّرق.

قال إج: «أراها أيُّها السيْر».

وثبَ دنك إلى قاع المجرى وأقعى على كعبيْه وقلبَ حجرًا. *جافٌّ ودافئ من أعلى، ورطبٌ ومطيَّن من أسفل.* قال: «لا يُمكن أنَّ مُدَّةً طويلةً مرَّت منذ اختفى الماء»، ونهضَ راميًا الحجر جانبًا إلى الضفَّة، حيث سقطَ مخترقًا بروزًا متفتِّتًا في سحابةٍ من التُّراب البنِّي الجاف. «التُّربة مشقَّقة على طول الضفَّتيْن، لكنها طريَّة وموحلة في المنتصف. هذه الأسماك كانت حيَّةً أمس».

علَّق السيْر بِنس: «دنك الأنوَك، هكذا اعتادَ شجرة البنسات أن يدعوك، ما زلتُ أذكرُ»، وبصقَ لفافة التَّبغ المُرّ على صخرة، لتلتمع حمراء لزجةً في ضوء الشَّمس. «لا يَجدُر بالنُّوك أن يُحاولوا التَّفكير، فعقولهم أغلظ كثيرًا من أن تُفكِّر».

ـ *دنك الأنوَك، غليظ العقل كسور قلعة.* من فم السيْر آرلان حملَت العبارة وُدًّا، فقد كان رجلًا طيِّبًا حتى في التَّوبيخ، أمَّا من السيْر بِنس صاحب التُّرس البنِّي فوقعها مختلف. «السيْر آرلان ماتَ منذ عاميْن، وأنا أُدعى بالسيْر دنكن الطَّويل». أغرَته بشدَّةٍ فكرة أن يهوي بقبضته على وجه الفارس البنِّي ويُهشِّم هذه الأسنان الحمراء النَّخرة تهشيمًا. قد يكون بِنس صاحب التُّرس البنِّي بغيضًا خبيثًا، لكن دنك يفوقه طولًا بما لا يقلُّ عن قدم ونصف، ووزنًا بأربعة أحجار.[11] محتملٌ أنه أنوَك، لكنه كبير. أحيانًا يُخيَّل إليه أنه خبطَ برأسه نصف أبواب (وسترؤس)، ناهيه بكلِّ عارضة سقفٍ في كلِّ خانٍ من (دؤرن) إلى (العُنق).

١١ ـ الحجر Stone: وحدة وزن عتيقة تُعادِل حاليًا أربعة عشر رطلًا. (المُترجم).

في (البلدة القديمة) أخذَ إيْمون أخو إج قياساته، فوجدَ أنَّ بوصةً تَنقُصه ليَبلُغ سبعة أقدام طولًا، إلَّا أنَّ ذلك حدثَ قبل نصف عام، وربَّما نما منذ ذلكَ الحين. النُّمو هو الشَّيء الوحيد الذي يُجيده دنك حقًّا، كما اعتادَ العجوز القول.

عادَ إلى ثندر واعتلاه مجدَّدًا، وقال: «إج، واصِل الطَّريق إلى (ستاندفاست) بالنَّبيذ. سأذهبُ لأرى ماذا جرى للماء».

قال بِنس: «الجداول تجفُّ طول الوقت».

ـ «أريدُ أن ألقي نظرةً فقط...».

ـ «مثلما نظرت تحت الصَّخرة؟ لا يَجدُر بك أن تقلب الصُّخور أيُّها الأنوَك، فلست تدري أبدًا ما قد يزحف من تحتها. إنَّ عندنا حشايا قش لطيفةً في (ستاندفاست)، وبيضًا في معظم الأيَّام، وليس علينا أن نفعلَ كثيرًا غير الاستماع للسيْر متعوس يُثرثِر عن عظمته التي كانت. دعك من هذا الأمر، أقولُ لك. الجدول جفَّ، هذا كلُّ شيء».

على أنَّ أكثر ما يتَّسم به دنك هو العناد، وهكذا قال لإج: «السيْر يوستس ينتظر نبيذه. أخبِره أين ذهبتُ».

قال إج: «حاضر أيُّها السيْر»، وشدَّ مقود ميْستر مرَّةً، فأرعشَ البغل أذنيْه، وإن عادَ يتحرَّك في الحال. *يُريد الخلاص من هذيْن البرمِيليْن على ظهره*. ولا يستطيع دنك أن يلومه.

تدفَّق الجدول شمالًا وشرقًا حينما تدفَّق، فوجَّه دنك ثندر جنوبًا وغربًا. لم يمضِ أكثر من دستة من الياردات قبل أن يلحق به بِنس قائلًا: «الأفضل أن آتي لأضمن ألَّا تُشنَق»، ودسَّ لفافةً جديدةً من التَّبغ المُرّ في فمه مردفًا: «بعد ذلك الدَّغل من الصَّفصاف الرَّملي تنتمي الضفَّة اليُمنى بأكملها إلى أرض العناكب».

ـ «سأبقى على جانبنا». لا يُريد دنك متاعب مع سيِّدة (الخندق البارد)، ففي (ستاندفاست) لا يُسمَع عنها إلَّا المساوئ. يُلقِّبها النَّاس بالأرملة الحمراء، نسبةً إلى الأزواج الذين دفنَتهم، ويقول سام المحنيُّ العجوز إنها ساحرةٌ ومُسمِّمة وأسوأ. قبل سنتيْن أرسلَت فُرسانها عبر الجدول للقبض على أحد رجال أوْزجري لسرقته خرافًا، وهو ما قال عنه سام: «عندما ركبَ سِيدي إلى (الخندق البارد) ليُطالِب بعودته، قيل له أن يبحث عنه في قاع الخندق. لقد وضعَت ديْك المسكين في جوالٍ مليء بالصَّخر وخيَّطته عليه وأغرقَته. بعد ذلك ضمَّ السيْر يوستس السيْر بِنس إلى خدمته، ليُبعِد تلك العناكب عن أراضيه».

حافظَ ثندر على مشيةٍ بطيئة ثابتة تحت الشَّمس الحامية.

السَّماء زرقاء قاسية، لا يُرى فيها أثرٌ للسُّحب. يلتوي مجرى

الجدول حول مرتفعاتٍ صخريَّة وصفصافٍ بائس، عبر تلالٍ بنِّيَّة جرداء وحقولٍ من الحبوب الميْتة والميِّتة. بعد ساعةٍ من الجسر في اتِّجاه المنبع وجدا نفسيْهما راكبيْن على حافة غابة أوْزجري الصَّغيرة المسمَّاة (خميلة وات). من بعيدٍ لاحَت الخُضرة جذَّابةً وملأت رأس دنك بأفكارٍ عن وِهادٍ ظليلة ونُهيراتٍ يتعالى خريرها، ولكن حين وصلا إلى الأشجار ألفَياها ناحلةً مهزولةً مرتخية الفروع. بعض السِّنديانات العظيمة تتساقَط أوراقه، والصَّنوبرات نصفها استحالَ بنِّيًّا كالسيْر بِنس وتُطوِّق جذوعها حلقات من الإبر الميتة. فكر دنك: *أسوأ وأسوأ. شرارةٌ واحدة وسيشتعل كلٌّ هذا كالصُّوفان.*

أمَّا في الوقت الرَّاهن فالحراج المتشابكة على طول (ماء المربَّعات) لا تزال زاخرةً بالكروم الشَّائكة والقُرَّاص والورد البرِّي الأبيض والصَّفصاف الشَّاب، وبدلًا من شقِّ طريقهما عبرها عنوةً عبرا قاع الجدول الجاف إلى جانب (الخندق البارد)، حيث أزيلَت الأشجار لتأكل الماشية الكلأ. بين الأعشاب البنِّيَّة الظَّمأى والزَّهر البرِّي الباهت راحَت بضعة خرافٍ سوداء الأنوف ترعى، وهو ما علَّق عليه السيْر بِنس بقوله: «لم أعرف قَطُّ حيوانًا غبيًّا كالخراف. أتظنُّها قريبتك أيُّها الأنوَك؟»، ولمَّا لم يردَّ دنك عادَ يُطلِق ضحكة الدَّجاجة.

بعد نصف فرسخٍ من التَّوغُّل جنوبًا قابَلا السَّد.

ليس كبيرًا قياسًا إلى السُّدود عمومًا، لكنه يبدو قويًّا. بعرض الجدول أقيمَ من الضفَّة إلى الضفَّة متراسان خشبيَّان مصنوعان من جذوع أشجارٍ لا يزال لحاؤها عليها، ومُلِئَ الفراغ بينهما

بالصَّخر والتُّراب المكبوسيْن بصلابة، ووراء السَّد يرتفع السَّيل زاحفًا إلى الضفَّتيْن ويتسرَّب إلى أخدودٍ شُقَّ عبر حقول الليْدي وبَر. وقفَ دنك على رِكابيْه ليُلقي نظرةً أفضل، فرأى لمعة الشَّمس على المياه تشي بنحو عشرين قناةٍ أصغر تجري في كلِّ اتِّجاهٍ كشبكة عنكبوت. *إنهم يسرقون جدولنا*. أفعمَه المشهد بالحَنق، بخاصَّةٍ حين أدركَ أنَّ الأشجار أُخذَت ولا شك من (خميلة وات).

قال بِنِس: «انظُر ماذا فعلت أيُّها الأنوَك. لم ترضَ بأن الجدول جفَّ وحسب، لا. قد يبدأ هذا بالماء، لكنه سينتهي بالدَّم. دمك ودمي غالبًا»، واستلَّ الفارس البنِّي سيفه متابعًا: «حسن، لا مجال للتَّراجُع الآن. ها هُم أولاء حفَّاروك الملعونون ثلاثًا. الأفضل أن نبثَّ فيهم شيئًا من الخوف»، وكشطَ جنبَي غرُّونه بمِهمازيْه وهرولَ فوق العُشب.

لم يجد دنك خيارًا إلَّا أن يتبعه وقد اعتلى سيف السيْر آرلان الطَّويل وركه، قطعة مستقيمة ممتازة من الفولاذ. *لو أنَّ حفَّارو الأخاديد هؤلاء يتمتَّعون بذرَّةٍ من العقل فسيُولُون الأدبار*. انطلقَ ثندر مثيرًا بحوافره النَّقع كُتلًا.

أسقطَ أحد الرِّجال رفشه عند مرأى الفارسيْن المقبليْن، وإن لم يَحدُث ما هو أكثر. ثمَّة عشرون من الحفَّارين، قصار وطوال، ومسنُّون وشُبَّان، كلُّهم حمَّصته الشَّمس، وقد شكلوا صفًّا غير منتظم إذ أبطأ بِنِس حركته، قابضين جميعًا على مجارفهم ومعاولهم. صاحَ أحدهم: «هذه أرض (الخندق البارد)».

أشارَ بِنِس بسيفه الطَّويل قائلًا: «وهذا جدول أوزجري. مَن

أقامَ هذا السَّد اللَّعين؟».

أجابَ حفَّار شاب: «الميْستر كِرك بناه».

قال رجلٌ أكبر سنًّا بإصرار: «لا. الجرو الرَّمادي أشارَ قليلًا وقال افعلوا هذا وافعلوا ذاك، لكن نحن الذين بنيناه».

ـ «يُمكنكم إذًا أن تغوروا وتهدموه».

لاحَ في أعيُن الحفَّارين العبوس والتَّحدّي. مسحَ واحدٌ منهم العرق عن جبهته بظهر يده، ولم يتكلَّم أحد.

قال بِنِس: «ضعاف السَّمع أنتم. أيجب أن أقطع أذنًا أو اثنتيْن؟ مَن الأوَّل؟».

ـ «هذه أرض وِبَر». الحفَّار العجوز هزيل، محنيُّ الظَّهر وعنيد. «ليس لك حقٌّ في القدوم إلى هنا. اقطع أيَّة آذان وستُغرِقك ستِّي في جوال».

اقتربَ بِنِس قائلًا: «لا أرى ستَّات هنا، بل مجرَّد فلَّاح متبجِّح»، ونخزَ صدر الحفَّار البنِّي العاري برأس سيفه بقوَّةٍ كفَت لأن يُريق قطرةً من الدَّم.

ـ *إنه يتمادى*. حذَّره دنك: «أغمِد فولاذك. ليس هذا من صُنعه. الميْستر كلَّفهم بهذا العمل».

خاطبَه حفَّار بأذنيْن كبيرتيْن بارزتيْن: «إنه من أجل المحاصيل أيُّها السيْر. الميْستر قال إنَّ القمح يموت، والإجَّاص أيضًا».

قال بِنِس: «طيِّب، قد يموت الإجَّاص، وقد تموتون أنتم».

ردَّ العجوز: «كلامك لا يُخيفنا».

ـ «حقًّا؟». جعلَ بِنس سيفه الطَّويل يصفر إذ هوى ليشقَّ وجنة العجوز من الأذن إلى الفكّ. «قلتُ إمَّا أن يموت الإجَّاص وإمَّا تموتون».

سالَ دم الحفَّار أحمر على جنب وجهه.

ـ *لم يجب أن يفعل هذا*. ابتلعَ دنك ثورته مرغمًا، فبِنس في صفِّه في هذه المسألة، وزعقَ في الحفَّارين: «ارحلوا من هنا. عودوا إلى قلعة سيِّدتكم».

واستحثَّهم السيْر بِنس: «اجروا!».

أفلتَ ثلاثةٌ منهم أدواتهم وفعلوا هذا بالضَّبط راكضين وسط العُشب، إلَّا أنَّ رجلًا آخَر مسفوع البشرة متين البنيان رفعَ معولًا قائلًا: «إنهما اثنان فقط».

قال العجوز واضعًا يده على وجهه ليتقاطَر الدَّم من بين أصابعه: «المجارف ضد السُّيوف قتالٌ للحمقى يا يؤرجن. ليست هذه النِّهاية. إيَّاك أن تحسب ذلك».

ـ «كلمةٌ واحدة زيادة وقد تكون نهايتك أنت».

ـ «لم نقصد أن نُؤذيكم». قالها دنك لوجه الرَّجل الدَّامي. «لا نُريد إلَّا ماءنا. أخبِروا سيِّدتكم بذلك».

قابضًا على معوله ما زالَ، وعدَه متين البنيان: «أوْه، سنُخبِرها أيُّها السيِّر، سنُخبِرها لا محالة».

***

في طريق العودة شقَّا قلب (خميلة وات) ممتنَّيْن للقدر القليل من الظِّل الذي زوَّدهما به الشَّجر، ورغم ذلك طبخَتهما الحرارة طبخًا. المفترَض أنَّ في الغابة غزلانًا، لكنهما لم يرَيا أيَّ كائناتٍ حيَّة إلَّا الذُّباب الذي أخذَ يطنُّ حول وجه دنك وهو راكب، ويزحف حول عينَي ثندر مزعجًا الجواد الحربيَّ الكبير أيَّما إزعاج. الهواء ساكن خانق. *على الأقل في (دوْرن) كان النَّهار جافًّا، وليلًا اشتدَّ البرد حتى إنني كنتُ أرتجفُ تحت معطفي.* في (المرعى) اللَّيالي بالكاد أبرد من الأنهُر ولو على هذه المسافة شمالًا.

حين خفضَ رأسه تحت فرعٍ متدلٍ، قطفَ ورقةً وسحقَها بين أصابعه، فتفتَّتت في يده كرقِّ عُمره ألف عام. قال لبِنِس: «لم يُوجَد داعٍ لجرح ذلك الرَّجل».

ـ «كانت دغدغةً للخدِّ ليس إلَّا، لتُعلِّمه أن يحفظ لسانه. لقد وجبَ أن أشقَّ له حلقه اللَّعين، ولكن عندئذٍ كان الآخَرون سيجرون كالأرانب ونضطرُّ إلى دعسهم جميعًا».

سألَه دنك مبهوتًا: «كنت ستَقتُل عشرين رجلًا؟».

ـ «اثنان وعشرون. اثنان فوق مجموع أصابع يديْك وقدميْك أيُّها الأنوَك. يجب أن تَقتُلهم جميعًا وإلَّا لانطلقوا يَنشُرون الحكايات». دارا من حول عددٍ من الأشجار السَّاقطة. «كان يجب أن نقول للسيْر متعوس إنَّ القحط جفَّف الجدول الصَّغير التَّافه».

ـ «اسمه السيْر يوستس. كنت ستكذب عليه إذًا».

أجابَه بِنِس: «أجل، ولِمَ لا؟ ومَن سيُخبِره بغير ذلك؟ الذُّباب؟»، وابتسمَ ابتسامةً حمراء مبتلَّةً مضيفًا: «السيْر متعوس

لا يُبارِح البُرج أبدًا إلَّا ليرى الفِتية وسط التُّوت الأسود».

ـ «السَّيف المحلَّف مدينٌ لسيِّده بالحقيقة».

ردَّ بِنِس: «الحقائق أنواع أيُّها الأنوَك»، وبصقَ وواصلَ: «الآلهة تُسبِّب الجفاف، وما بيد أيّ إنسانٍ حيلة لعينة حيال الآلهة. لكن الأرملة الحمراء... إذا أخبَرنا السيِّر متعوس بأن تلك الكلبة الحقيرة أخذَت ماءه فسيَشعُر أنَّ شرفه يُلزمه باستعادته. انتظِر وسترى. سيحسب أنَّ عليه أن يفعل شيئًا».

ـ «وهو الواجب.عامَّتنا محتاجون إلى ذلك الماء لأجل محاصيلهم».

أطلقَ السيِّر بِنِس ضحكته النَّاهقة قائلًا: «عامَّتنا؟! أكنتُ غائبًا أتغوَّطُ في مكانٍ ما حين جعلَك السيِّر متعوس وريثه؟ كم من العامَّة لديك في ظنِّك؟ عشرة؟ بمَن في ذلك ابن چيْن الشَّزراء المعتوه الذي يجهل أيَّ طرفَي الفأس يُمسِك. اذهب وأسبِغ الفروسيَّة عليهم جميعًا وسيُصبح عندنا نصف عدد فُرسان الأرملة، ناهيك بمُرافقيها ورُماتها والبقيَّة. ستلزمك كلتا يديْك وكلتا قدميْك لتعدَّهم، وأصابع يدَي وقدمَي غُلامك الأصلع كلُّها أيضًا».

ـ «لا تلزمني أصابع أقدام لأعدَّ». سئمَ دنك الحرَّ والذُّباب ورفقة الفارس البنِّي. *ربَّما ركِبَ مع السيِّر آرلان ذات يوم، لكن ذلك حدثَ قبل سنوات وسنوات. الرَّجل باتَ رذيلًا وخدَّاعًا وجبانًا*. همزَ دنك حصانه وخبَّ متقدِّمًا لكي يضع الرَّائحة الكريهة وراءه.

***

(ستاندفاست) قلعةٌ مجاملةً فقط. على الرغم من أنها ترتفع بشجاعةٍ فوق تلّ صخريّ وتُمكن رؤيتها من بُعد فراسخ حولها، فهي ليستْ أكثر من منزلٍ مبرَّج. استدعى انهيارٌ جزئيٌّ قبل بضعة قرونٍ قليلًا من إعادة البناء، ومن ثمَّ ففوق نوافذ الوجهيْن الشَّماليّ والغربي أحجارٌ رماديَّة باهتة وتحتها الأحجار السَّوداء القديمة. خلال الإصلاحات أضيفَت بُريجات إلى خطِّ السَّقف، ولكن فقط على الجنبيْن اللذيْن أعيدَ بناؤهما، أمَّا في الرُّكنيْن الآخَريْن فيجثم تمثالان مغاريَّان[12] برَتهما الرِّيح وعوامل الطَّقس إلى درجةٍ تُصعِّب معرفة شكليْهما الأصليَّيْن. السَّقف المبنيُّ بخشب الصَّنوبر مستوٍ، لكن ألواحه ملتويةٌ بشدَّةٍ وعُرضة للتَّسريب.

يقود دربٌ متعرِّج من سفح التَّل إلى البُرج، ويمنع ضيقه البالغ قطعه ركوبًا إلّا في طابورٍ فردي. قادَ دنك الطَّريق في أثناء الصُّعود، وبِنِس خلفه مباشرةً، وأمكنَه أن يرى إج بقبَّعته القش المرنة واقفًا أعلاهما فوق بروزٍ صخري.

كبحا حصانيْهما خارج الإسطبل الصَّغير المبني بالأغصان المجدولة والجصّ، المستقر عند سفح البُرج نصف متوارٍ تحت كومةٍ مشوَّهة من الطَّحالب الأرجوانيَّة. رأى دنك حصان الشَّيخ الرَّمادي المخصيَّ في أحد المرابط بجوار ميْستر، وبدا أنَّ إج وسام المحنيَّ أدخَلا النَّبيذ، وفي السَّاحة كانت الدَّجاجات تتسكع. أسرعَ إليه إج متسائلًا: «هل اكتشفت ما جرى للجدول؟».

---

١٢ ـ الزَّخرفة المغاريَّة Grotesques: مصطلح يصف تماثيل مشوَّهة ومنحوتات قبيحة الأشكال تُزيِّن المباني، بخاصَّةٍ في المدن الأوربيَّة. (المترجم).

أجابَ دنك: «الأرملة الحمراء سدَّته»، وترجَّل وناولَ الغُلام عنان ثندر قائلًا: «لا تدعه يشرب كثيرًا دُفعةً واحدةً».

ـ «حاضر أيُّها السيْر، لن أفعل».

ناداه السيْر بِنِس: «أنت يا ولد، يُمكنك أن تأخذ حصاني أيضًا».

رمقَه إج بوقاحةٍ رادًّا: «لستُ مُرافقك».

فكَّر دنك: *لسانه هذا سيُؤدِّي إلى أذنيَّته يومًا ما*. «ستأخذ حصانه أو ستنال لطمةً على الأذن».

ارتسمَ على ملامح إج العبوس، وإن لبَّى الأمر، ولكن بينما مدَّ يده إلى اللِّجام تنخَّع السيْر بِنِس وبصقَ، لتُصيب كُتلة من البلغم الأحمر اللَّامع الغُلام بين اثنتيْن من أصابع قدميْه، فرمى الفارس البنِّي بنظرةٍ جليديَّة قائلًا: «بصقت على قدمي أيُّها السيْر».

نزلَ بِنِس من فوق حصانه بجهد، وردَّ: «أجل. المرَّة القادمة سأبصقُ في وجهك. لن أسمح بسلاطة لسانك اللَّعينة».

رأى دنك الغضب في عينَي الغُلام، وقبل أن تسوء الأمور قال: «اعتنِ بالحصانيْن يا إج. علينا أن نتكلَّم مع السيْر يوستس».

المدخل الوحيد إلى (ستاندفاست) عبر باب من السِّنديان والحديد يرتفع عشرين قدمًا فوقهما. الدَّرجات السُّفلى من حجر أسود أملس، متآكلة إلى درجة أنَّ منتصفها مقعَّر، وعلى مسافةٍ أعلى تُفسِح الطَّريق لسُلَّم خشبيّ شديد الانحدار، يُمكن رفعه كجسرٍ متحرِّك في أوقاتِ المتاعب. طردَ دنك الدَّجاجات إلى الجانب، وصعدَ درجتيْن درجتيْن.

(ستاندفاست) أكبر مما تبدو؛ تحتلُّ سراديبها وأقبيتها العميقة مساحةً كبيرةً من التَّل الذي تربض فوقه، أمَّا فوق الأرض فيمتاز البُرج بأربعة طوابق، في أعلى اثنيْن منها نوافذ وشُرفات، وفي الآخَريْن الأدنى فتحات رماية فقط. الحرارة أفتر في الدَّاخل، لكن الإضاءة معتمة جدًّا، حتى إنَّ دنك اضطرَّ إلى ترك عينيْه تتكيَّفان عليها. وجدَ زوجة سام المحنيّ على رُكبتيْها عند المستوقد تكنس الرَّماد، فسألَها: «السيْر يوستس فوق أم تحت؟».

ـ «فوق أيُّها السيْر». العجوز حدباء إلى درجة أنَّ رأسها منخفض عن كتفيْها. «لقد عادَ لتوِّه من زيارة الفِتية تحت، وسط التُّوت الأسود».

الفِتية هُم أبناء يوستس أوْزجري: إدون وهارولد وأدام. إدون وهارولد كانا فارسيْن، وأدام مُرافقًا شابًّا، وقد ماتوا في معركة (حقل العُشب الأحمر) قبل خمس عشرة سنةً في نهاية تمرُّد بلاكفاير. أخبرَ السيْر يوستس دنك: «ماتوا ميتاتٍ طيّبةً وهُم يُحارِبون بشجاعةٍ في سبيل الملك، وقد جلبتهم إلى الدِّيار ودفنتهم وسط التُّوت الأسود». زوجته أيضًا مدفونةٌ هناك، ومتى يفتح الشَّيخ برميل نبيذٍ جديدًا ينزل إلى سفح التَّل ليصبَّ لكلِّ من الفِتية سكيبةً، وقُبيل أن يشرب يهتف: «نخب الملك!».

تحتلُّ غُرفة نوم السيْر يوستس الطَّابق الرَّابع من البُرج، وتحتها مباشرةً تقع غُرفته الشَّمسيَّة. هناك علمَ دنك أنه سيجده يعبث بين الصَّناديق والبراميل. على جُدران الغُرفة الرَّماديَّة السَّميكة عُلِّقَت أسلحةٌ صدئة ورايات مستولى عليها، غنائم من معارك

دارَت رحاها قبل قرونٍ طويلة ولا يَذكُرها الآن إلَّا السيْر يوستس. في نصف الرَّايات عفونة فطريَّة، وجميعها باهت للغاية ومغطًّى بالغُبار، وألوانها الزَّاهية سابقًا حالَت إلى الرَّمادي والأخضر.

كان السيْر يوستس يجلو الوسخ عن تُرس خرب بخرقةٍ عندما دخلَ دنك وفي أعقابه بِنِس بعطره الفوَّاح. بدا أَنَّ عينَي الفارس الشَّيخ تألَّقتا قليلًا لمرأى دنك، وأعلنَ: «عملاقي الطيِّب، والسيْر بِنِس الشُّجاع. تعالَيا وألقيا نظرةً. عثرتُ عليه في قاع ذلك الصُّندوق. إنه كنز، ولو أنه أُهمِلَ إلى حدٍّ مخيف».

تُرس هو، أو ما تبقَّى من تُرس، وهذا المتبقِّي زهيد. نحو نصفه مكسور، والبقيَّة رماديَّة ومتشظِّية، والحافة الحديديَّة صدئة عن آخرها، والخشب مليء بثقوب الدِّيدان. لا تزال قُشارة قليلة من الطِّلاء عالقةً به، لكنها أقلُّ من أن تُلمِّح إلى رمزٍ معيَّن.

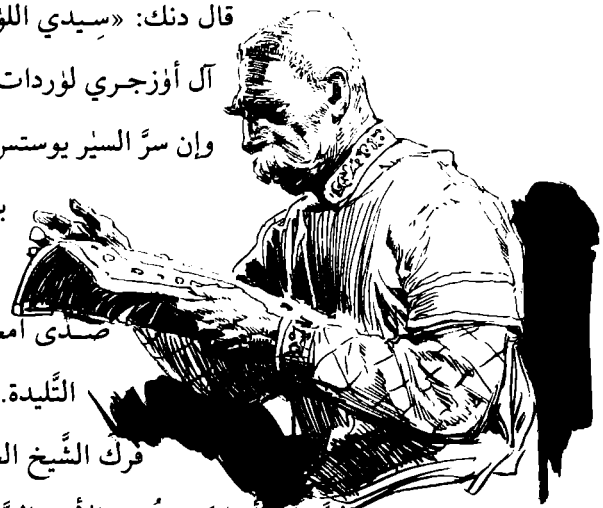

قال دنك: «سِيدي اللوْرد». لم يَعُد آل أوْزجري لوْردات منذ قرون، وإن سرَّ السيْر يوستس أن يُخاطَب بهذا اللَّقب الذي يُردِّد صدى امجاد عائلته التَّليدة. «ما هذا؟». فرَكَ الشَّيخ الحافة لتَسقُط منها بضع قشورٍ من الصَّدأ، وأجابَ: «تُرس الأسد الصَّغير.

السيْر ويلبرت أوْزجري حملَه في المعركة التي ماتَ فيها. أنا واثقٌ بأنكم تعرفان الحكاية».

قال بِنِس: «لا يا سِيدي، لا نعرفه في الواقع. تقول الأسد الصَّغير؟ أكان قزمًا أو ما شابهَ؟».

ـ «طبعًا لا». ارتعشَ شارب الفارس الشَّيخ إذ قال: «السيْر ويلبرت كان رجلًا طويلًا قويًّا، وفارسًا عظيمًا. الاسم أُطلقَ عليه في طفولته، بصفته الأصغر بين خمسة إخوة. في أيَّامه كان لا يزال في (الممالك السَّبع) سبعة ملوك، وكثيرًا ما اشتبكَت (هايجاردن) و(الصَّخرة) في الحرب. آنذاك حكمَنا الملوك الخُضرِ، آل جاردنر الذين تحدَّروا من دم جارث ذي اليد الخضراء، وشكلت يدٌ خضراء على خلفيَّةٍ بيضاء رايتهم الملكيَّة. أخذَ جايلز الثَّالث راياته شرقًا ليخوض حربًا ضد ملك العواصف، وذهبَ إخوة ويلبرت كلُّهم معه، ففي تلك الأيَّام خفقَ أسد المربَّعات دومًا بجوار اليد الخضراء عند ذهاب ملوك (المرعى) إلى القتال.

«ولكن حدثَ في غياب الملك جايلز أن رأى ملك (الصَّخرة) فُرصته ليقضم لُقمةً من (المرعى)، وهكذا حشدَ جيشًا من

الغربيّين وزحفَ ليُهاجِمنا. كان آل أوزجري مُشيري (التُّخم الشَّمالي)، وهكذا وقعَت على الأسد الصَّغير مسؤوليَّة لقاء المعتدين. الملك لانسل الرَّابع هو مَن قادَ رجال لانستر على ما يبدو لي، أو ربَّما الخامس. سدَّ السيْر ويلبرت طريق الملك لانسل وأمرَه بالتَّوقُّف قائلًا: *إيَّاكم أن تتقدَّموا. ليس مرغوبًا فيكم هنا. أمنعكم من أن تطؤوا (المرعى) بأقدامكم.* لكن ابن لانستر أمرَ راياته كلَّها بالمضيّ قُدمًا.

«تقاتَلا نصف يوم، الأسد الذَّهبي وأسد المربَّعات. كان لانستر مسلَّحًا بسيفٍ ڤاليري لا يُناظِره أيُّ فولاذٍ تقليدي، ولذا وجدَ الأسد الصَّغير نفسه في وضع حرج وقد حُطِّمَ تُرسه. في النِّهاية، وهو ينزف من دستةٍ من الجروح البليغة وسيفه مكسورٌ في يده، ألقى بنفسه على غريمه مباشرةً، ويقول المغنُّون إنَّ الملك لانسل شقَّه نصفيْن تقريبًا، ولكن فيما حضرَه الموت عثرَ الأسد الصَّغير على الثَّغرة في درع الملك تحت ذراعه وطعنَه بخنجره طعنةً نافذةً. عندما ماتَ ملكهم عادَ الغربيُّون أدراجهم، وأُنقذَ (المرعى)». ملَّس الشَّيخ على التُّرس المكسور بحنانٍ كما لو أنه طفل.

نعبَ بِنس: «أجل يا سِيدي، نحتاج إلى رجلٍ كهذا اليوم. أنا ودنك ألقينا نظرةً على جدولك يا سِيدي. جافٌّ كالعظم، وليس من الجدب».

وضعَ الشَّيخ التُّرس جانبًا قائلًا: «أخبِرني»، وأخذَ مقعدًا مشيرًا لهما بفعل المثل، وفيما باشرَ الفارس البنِّي الحكي جلسَ الشَّيخ مصغيًا بانتباه، ذقنه مرفوعٌ وكتفاه إلى الوراء؛ استقامته كالرُّمح.

لا ريب أنَّ السيْر يوستس أوْزجري كان في شبابه مضربًا للمثل في الشَّهامة، طويلًا وعريضًا ووسيمًا. الزَّمن والأسى أنفَذا فيه إرادتهما، لكنه لم ينحنِ، وما زالَ رجلًا كبير العظام عريض الكتفيْن برميليَّ الصَّدر ذا ملامح قويَّة حادَّة كعُقاب عجوز. شعره قصير القَصَّة ابيضَّ كالحليب، لكن الشَّارب الكثَّ الذي يُغطِّي فمه يبقى بلون الرَّماد، ولحاجبيْه اللَّون نفسه، والعينان أسفلهما درجتهما من الرَّمادي أفتح ويُترِعهما الحُزن.

وبدا حُزنهما في ازديادٍ حين تطرَّق بِنس إلى السَّد. قال الفارس الشَّيخ: «ذلك الجدول معروف باسم (ماء المربَّعات) منذ ألف عام أو أكثر. لقد اصطدتُ فيه السَّمك في صِباي، وكذا أبنائي كلُّهم. آليسان أحبَّت العوم في المياه الضَّحلة في أيَّام الصَّيف الحَّارة كهذه الأيَّام». آليسان هي ابنته التي ماتَت في الرَّبيع. «على ضفاف (ماء المربَّعات) قبَّلتُ فتاةً أوَّل مرَّة. كانت ابنة عمومة، أصغر بنات عمِّي المنتمي إلى آل أوْزجري سادة (البُحيرة المورقة). كلُّهم رحلَ، حتى هي». ارتعشَ فم الرَّجل إذ أردفَ: «لا يُمكن تحمُّل هذا أيُّها الفارسان. لن تنال المرأة مائي، لن تنال مائي المربَّع».

نبَّهه السيْر بِنس: «السَّد قويٌّ البناء يا سِيدي، أقوى من أن أهدمه أنا والسيْر دنك خلال ساعة، حتى إن ساعدَنا الغُلام الأصلع. ستلزمنا حبال ومعاول وفؤوس، ودستةٌ من الرِّجال. وهذا لأجل العمل فقط، لا القتال».

حدَّق السيْر يوستس إلى تُرس الأسد الصَّغير، وتنحنحَ دنك وقال: «سِيدي، بخصوص ذلك، عندما لاقينا الحفَّارين...».

قاطعَه بِنِس: «دنك، لا تُزعِج سِيدي بالتَّفاهات. لقد علَّمتُ أحمق واحدًا درسًا، وهذا كلُّ شيء».

رمقَه السيْر يوستس بحدَّةٍ سائلًا: «درسًا من أيِّ نوع؟».

ـ «بسيفي إذا جازَ التَّعبير. قطرة دامية صغيرة على الخد، هذا كلُّ ما في الأمر يا سِيدي».

نظرَ إليه الفارس الشَّيخ طويلًا قبل أن يقول: «تصرَّف... تصرَّف أهوج أيُّها السيْر. إنَّ للمرأة قلب عنكبوت. لقد قتلَت ثلاثةً من أزواجها، وإخوتها جميعًا ماتوا وهُم ما زالوا في القِماط. خمسةً كانوا، أو ربَّما ستَّةً، لا أذكرُ، لكنهم وقفوا بينها وبين القلعة. يُمكنها أن تُجرّد أيَّ فلَّاح يُغضِبها من جلده جَلدًا،

لا شكَّ عندي، ولكن أن تجرح أنت واحدًا... لا، إنها لن تسمح بإهانةٍ كهذه. تأكَّد أنها ستأتي من أجلك كما أتَت من أجل لِم».

قال السيْر بِنس: «ديْك يا سِيدي. أستميحُ من جنابك العُذر، أنت عرفته وأنا لا، لكن اسمه كان ديْك».

قال دنك: «إذا سمحَ سِيدي، يُمكنني أن أذهب إلى (البُستان الذَّهبي) وأخبر اللوْرد رُوان بأمر هذا السَّد». رُوان سيِّد الفارس الشَّيخ الأعلى، والأرملة الحمراء أيضًا تحوز أراضيها منه.

ـ «رُوان؟ لا، لا تبحث عن مساعدةٍ هناك. أخت اللوْرد رُوان تزوَّجت وِندل ابن عمومة اللوْرد وايمان، أي إنه قريب الأرملة الحمراء. ثم إنه لا يحبُّني. سيْر دنكن، عليك غدًا أن تذهب في جولةٍ حول قُراي كلِّها وتستنهض كلَّ رجل سليم البدن في سنِّ القتال. أنا عجوز، لكني لم أمُت. قريبًا ستكتشف المرأة أنه ما زالَت لأسد المربَّعات مخالب».

فكَّر دنك بكآبة: *مخلبان، وأنا أحدهما.*

***

تكفل أراضي السيْر يوستس ثلاث قُرى صغيرةً لا يتألَّف أيُّها من أكثر من مجموعةٍ صغيرة من الأكواخ وزرائب الغنم والخنازير. أكبرها تمتاز بسِبت من حُجرةٍ واحدة مسقوفة بالقشّ، خُربشَت على جُدرانه بالفحم صُور بدائيَّة تُمثِّل **السَّبعة**. هناكَ يقود مَدج ـ وهو راعي خنازير عجوز أحدب زارَ (البلدة

القديمة) مرَّةً- الصَّلوات كلَّ سبعة أيَّام، ومرَّتيْن في السَّنة يأتي سِپتوْن حقيقيٌّ ليغفر الخطايا باسم **الأم**. يُسَرُّ العوام بالغُفران، وإن كرهوا زيارات السِّپتوْن رغم ذلك بما أنهم ملزمون بإطعامه.

ولا يبدو أنَّ منظر دنك وإج سرَّهم أكثر. دنك معروفٌ في القُرى، ولو بمجرَّد أنه فارس السيْر يوستس الجديد فحسب، ومع ذلك لم يُقدَّم له ولو كوبٌ من الماء. كان معظم الرِّجال في الحقول، ولذا فأغلب من زحفوا خارجين من الأكواخ عند وصولهما نساء وأطفال، وبعض الجدود الأوهن من أن يعملوا. حملَ إج راية أوْزجري، الأسد المكوَّن من مربَّعاتٍ خضراء وذهبيَّة، الواقف منتصبًا على قدم واحدة على خلفيَّةٍ بيضاء. أخبرَ دنك القرويِّين: «أتينا من (ستَّاندفاست) باستدعاءٍ من السيْر يوستس. كلُّ رجلٍ سليم البدن بين الخامسة عشرة والخمسين مأمورٌ بالتَّجمُّع عند البُرج غدًا».

سألَته امرأةٌ نحيفة يختبئ طفلان وراء تنُّورتها ويرضع ثالث من ثديها: «أهي الحرب؟ أجاءَ التنِّين الأسود من جديد؟».

ردَّ عليها دنك: «لا تنانين في هذه المسألة، سوداء أو حمراء. هذه المسألة بين أسد المربَّعات والعناكب. الأرملة الحمراء أخذَت ماءكم».

أومأت المرأة برأسها، وإن لاحَ عليها الارتياب حين خلعَ إج قبَّعته ليُهوِّي وجهه، وقالت: «الغُلام بلا شعر. أهو مريض؟».

قال إج: «إنه محلوق!»، وعادَ يضع القبَّعة، وأدارَ رأس ميْستر، وابتعدَ على مهل.

ـ *الغُلام متعكِّر المزاج اليوم*. بالكاد نطقَ إج كلمةً منذ تحرَّكا. مسَّ دنك ثندر بالمِهماز، وسرعان ما لحقَ بالبغل ليقول لمُرافقه الواجم وهما متَّجهان إلى القرية التَّالية: «أأنت غاضب لأني لم أنحَز إليك ضد السيْر بِنس أمس؟ أنا لا أحبُّ الرَّجل أكثر ممَّا تحبُّه، لكنه رغم ذلك فارس. المفروض أن تُكلِّمه بكياسة».

قال الغُلام: «أنا مُرافقك أنت لا مُرافقه. إنه قذر وبذيء، ويَقرُصني».

ـ *لو أنَّ لديه فكرةً عن هُويَّتك الحقيقيَّة لبالَ على نفسه قبل أن يمسسك بإصبع*. «اعتادَ أن يَقرُصني أيضًا». نسيَ دنك ذلك تمامًا حتى ذكَّره كلام إج. كان السيْر بِنس والسيْر آرلان ضمن فريق فُرسان استأجرَهم تاجرٌ دوْرني ليصحبوه بأمانٍ من (لانسپورت) إلى (ممر الأمير). لم يتعدَّ دنك آنذاك سنَّ إج، وإن جاوزَه طولًا. *اعتادَ أن يَقرُصني تحت ذراعي بقوَّة تُخلِّف كدمةً. أحسستُ بأصابعه كأنها كمَّاشة حديد، لكني لم أخبر السيْر آرلان قطُّ*. اختفى أحد الفُرسان الآخَرين قُرب (السِّپت الحجري)، وأشيعَ أنَّ بِنس بقرَ بطنه في شجار. «إذا قرصَك ثانيةً فأخبِرني وسأضعُ لذلك حدًّا. حتى ذلك الحين، العناية بحصانه لا تُكلِّفك كثيرًا».

ـ «على أحدهم أن يعتني به. بِنس لا يُمشِّطه أبدًا، ولا يُنظِّف مربطه، بل ولم يُسمِّه حتى!».

أخبرَه دنك: «بعض الفُرسان لا يُسمِّي خيوله أبدًا، فبهذه الطَّريقة، عندما تموت، لا يفوق حُزنهم عليها الاحتمال. يُوجَد مزيدٌ من الخيول دومًا، لكن خسارة صديقٍ مخلص صعبة». *أو*

هكذا قال العجوز، لكنه لم يأخذ بنصيحة نفسه قطُّ. لقد سمَّى كلَّ حصانٍ امتلكه. وكذلك دنك. «سنرى كم رجلًا سيَحضُر عند البُرج... ولكن سواء أكانوا خمسةً أم خمسين فعليك أن تُعنى بهم أيضًا».

لاحَ على إج الامتعاض، وقال: «عليَّ أن أخدم عوامًّا؟!».

ـ «لن تخدمهم، ستُساعِدهم. يجب أن نُحوّلهم إلى مُقاتلين». *إن أمهلَتنا الأرملة وقتًا يكفي.* «إذا شاءَت الآلهة، سنجد أنَّ لبعضهم شيئًا من الخبرة السَّابقة في الجُنديَّة، لكن أغلبهم سيكون أخضر كعُشب الصَّيف، اعتادَ استخدام المعزقة أكثر من الحربة، ومع ذلك قد يأتي يومٌ تعتمد فيه حيواتنا عليهم. كم كانت سنُّك حين حملت سيفًا للمرَّة الأولى؟».

ـ «كنتُ صغيرًا أيُّها السيِّد، والسَّيف من الخشب».

ـ «صِبية العامَّة أيضًا يُقاتِلون بسيوفٍ خشبيَّة، مع فرق أنَّ سيوفهم عِصِي وفروع مكسورة. إج، قد يبدو هؤلاء الرِّجال حمقى في نظرك. سيجهلون الأسماء الصَّحيحة لقِطع الدِّرع، أو رموز العائلات الكُبرى، أو الملك الذي أبطلَ حقَّ اللوْرد في اللَّيلة الأولى... ولكن عامِلهم باحترام. أنت مُرافق مولودٌ من دم نبيل، لكنك لا تزال صغيرًا. أكثرهم سيكونون رجالًا بالغين، وللرَّجل كبرياؤه مهما تواضعَ مولده. في قُراهم ستبدو أنت أيضًا تائهًا أخرق، وإذا شككت في ذلك فاذهب واعزق خطًا من التُّربة وجزَّ صوف خروفٍ وأخبِرني بجميع أسماء الحشائش والزُّهور البرِّيَّة في (خميلة وات)».

فكَّر الغُلام لحظةً، ثم قال: «يُمكنني أن أعلِّمهم رموز العائلات الكُبرى، وكيف أقنعَت الملكة آليسان الملك چهيْرس بإبطال اللَّيلة الأولى. ويُمكنهم أن يُعلِّموني أنواع الحشائش الأفضل لعمل السُّموم، وإن كان أكل هذا التُّوت الأخضر مأمونًا».

ـ «يُمكنهم ذلك، ولكن قبل أن تتطرَّق إلى الملك چهيْرس، الأفضل أن تُساعِد في تعليمهم استخدام الحربة. ولا تأكل شيئًا يَرفُض ميْستر أكله».

***

في اليوم التَّالي شقَّت دستةٌ من الرَّاغبين في أن يكونوا مُحاربين طريقها إلى (ستاندفاست) للتَّجمُّع بين الدَّجاجات. أحدهم عجوزٌ جدًّا، واثنان صغيران جدًّا، واتَّضح أنَّ غُلامًا نحيلًا في الحقيقة بنتٌ نحيلة. هؤلاء أعادَهم دنك إلى قُراهم، وهو ما ترك ثمانيةً: ثلاثةً اسمهم وات، واثنين اسمهم ويل، وواحدًا اسمه لِم، وآخَر اسمه پيْت، والأبله روْب الكبير. لم يتمالَك دنك أن يُفكِّر:

مجموعةٌ *بائسة*. لا أثر في أيّ مكانٍ للفِتيان الفلّاحين الضِّخام الوسام الذين يظفرون بأفئدَة العذراوات كريمات المحتد في الأغاني، فكلّ رجلٍ من هؤلاء أقذر من سابقه. لِم في الخمسين من العُمر على أقلّ تقدير، ولِيْت عينان دامعتان، وهما الوحيدان اللذان لهما خبرة في الجُنديَّة، فكلاهما ذهبَ مع السيْر يوستس وأبنائه للقتال في تمرُّد بلاكفاير. أمَّا الستَّة الآخَرون فخُضر كما خشيَ دنك، والثّمانية كلُّهم مقمَّلون، واثنان ممَّن اسمهم وات أخوان، وهو ما علَّق عليه بِنِس مقوقًا: «أظنُّ أنَّ أمَّكما لم تعرف اسمًا آخَر».

وفيما يخصُّ الأسلحة فقد جلبوا منجلًا وثلاث معازق وسكّينًا قديمًا وبعض الهراوات الخشبيَّة المتينة. حملَ لِم عصا مبريَّةً قد تَصلُح حربةً، وصرَّح أحد الاثنيْن ويل بأنه يُجيد القذف بالصُّخور، ليقول بِنِس: «رائع جدًّا، لدينا مَنجنيق لعين». بعد ذلك عُرِفَ الرَّجل باسم «مَنج».

سألَهم دنك: «هل يبرع أيُّكم في الرِّماية بالقوس الطَّويل؟».

جرجرَ الرِّجال أقدامهم في التُّراب فيما التقطَت الدَّجاجات الحَبَّ من الأرض حولهم، وأخيرًا أجابَ پيْت دامع العينيْن: «عُذرًا أيُّها السيْر، لكن سِيدي لا يسمح لنا بالأقواس الطَّويلة. غزلان أوْزجري لا سود المربَّعات لا لأمثالنا».

أرادَ أصغر الثَّلاثة وات أن يعرف: «سنَحصُل على سيوفٍ وخُوذ وزرود؟».

ردَّ بِنِس: «طبعًا، بمجرَّد أن تَقتُلوا أحد فُرسان الأرملة وتُجرّدوا جثَّته الدَّامية. احرص أن تدسَّ ذراعك في مؤخِّرة حصانه أيضًا،

فهنـاك سـتَعثُر عـلى فضَّتـه»، وقـرصَ وات الصَّغيـر تحـت ذراعـه حـتى صـرخَ الولـد ألمًـا، ثـم سـاقَهم جميعًـا إلى (خميلـة وات) ليُقطِعـوا خشـبًا للحـراب.

عـادوا حاملـين ثمـاني حـراب مقـوَّاة بالنَّـار تتبايَـن أطوالهـا بشـدَّة، وتراسًـا بدائيَّـةً مـن الغصـون المجدولـة. صـنعَ السـيْر بِنِـس لنفسـه حربـةً أيضًـا، وأراهـم كيـف يطعنـون بالسِّـنان ويسـتخدمون القصبـة للمراوغـة... وأيـن يُوجِّهـون السِّـنان بُغيـة القتـل. قـال: «البطـن والحلـق همـا الأفضـل حسـبما وجـدتُ»، ودقَّ بقبضتـه عـلى صـدره متابعًـا: «هنـا القلـب؛ هـذا أيضًـا سـيُؤدِّي الغـرض. المشـكلة أنَّ الضُّلـوع تعـترض الطَّريـق. البطـن لطيـف وطـري؛ بقـره بـطيء لكنـه

مضمون. لم أعرف قَطُّ رجلًا عاشَ وأحشاؤه تتدلَّى منه. والآن، إذا أولاكم أحمق ما ظهره فاغرسوا السِّنان بين لوحَي كتفيْه أو في كليته. هذا مكانها. إنهم لا يعيشون طويلًا ما إن يُوخَزوا في الكلية».

سبَّب وجود ثلاثة وات في الجماعة ارتباكًا وبِنِس يُحاوِل أن يُملي عليهم ماذا يفعلون، فاقترحَ إج: «علينا أن نُسمِّيهم بأسماء القُرى أيُّها السيْر، مثل السيْر آرلان ابن (شجرة البنسات)، سيِّدك القديم». ولربَّما صلحَ ذلك، لكن قُراهم أيضًا بلا أسماء، فقال إج: «حسن، يُمكننا أن نُسمِّيهم نسبةً إلى محاصيلهم أيُّها السيْر». تستقرُّ إحدى القُرى وسط حقول فاصوليا، وتزرع الثَّانية الشَّعير غالبًا، وتفلح الثَّالثة صفوفًا من الكرنب والجزر والبصل واللِّفت والشمَّام. لا أحد أرادَ أن يُسمَّى كرنبًا أو لفتًا، فأصبحَت المجموعة الأخيرة الشمَّام، وهكذا انتهى بهم الأمر بأربعة شعير واثنيْن شمَّام واثنيْن فاصوليا، ولكن بما أنَّ الأخويْن وات كليْهما شعير فقد لزمَ مزيدٌ من التَّمييز، ولمَّا ذكرَ الأخ الأصغر أنه سقطَ ذات مرَّةٍ في بئر القرية، لقَّبه بِنِس بـ«وات المبلول»، واستقرَّ الأمر على هذا. سعدَ الرِّجال أيَّما سعادة لحصولهم على «أسماء لوْردات»، باستثناء رؤوبَ الكبير الذي لم يستطع أن يتذكر أهو فاصوليا أم شعير.

حالما حصلوا جميعًا على أسماء وحراب، خرجَ السيْر يوستس من (ستاندفاست) ليُخاطِبهم. وقفَ الفارس الشَّيخ خارج باب البُرج مرتديًا حلقات المعدن وصفائحه تحت معطفٍ صوف طويل أطغى الزَّمن صُفرته على بياضه، يحمل على وجهه وظهره الأسد المخيط بشكل مربَّعاتٍ صغيرة من الأخضر والذَّهبي. قال

السيْر يوستس: «أيُّها الفتية، كلُّكم يَذكُر ديْك. الأرملة الحمراء ألقَت به في جوالٍ وأغرقَته. لقد سلبَته حياته، والآن تُحاول أن تسلبنا ماءنا أيضًا، (ماء المربَّعات) الذي يُغذِّي محاصيلنا... لكنها لن تنجح!»، ورفعَ سيفه فوق رأسه هاتفًا بصوتٍ رنَّان: «لأجل أوْزجري! لأجل (ستاندفاست)!».

ردَّد دنك: «أوْزجري!»، وانضمَّ إج والمجنَّدون إلى الهتاف: «*أوْزجري! أوْزجري! لأجل (ستاندفاست)!*».

درَّب دنك وبِنس الجماعة الصَّغيرة بين الخنازير والدَّجاج فيما شاهدَ السيْر يوستس من الشُّرفة بالأعلى. كان سام المحنيُّ قد حشا بعض الأجولة القديمة بالقشّ الوسِخ، وصارَت هذه الأجولة خصومهم. بدأ المجنَّدون يتمرَّنون على القتال بالحربة وبِنس يجأر فيهم. «اغرزوا والووا وانتزِعوا. اغرِزوا والووا وانتزِعوا، ولكن لا بُدَّ أن تُخرِجوا الحربةَ اللَّعينة! سرعان ما ستحتاجون إليها من أجل الرَّجل التَّالي. بطيء يا مَنج، بطيء للغاية. إذا لم تستطع الإسراع فارجع إلى القذف بالصُّخور. لِم، ضع وزنك وراء طعنتك. أحسنت. إلى الدَّاخل، إلى الخارج، إلى الدَّاخل، إلى الخارج. انكحوهم بها، هذه هي الطريقة، إلى الدَّاخل، إلى الخارج، انتزِعوها، انتزِعوها، انتزِعوها انتزاعًا!».

عندما مُزِّقَت الأجولة أشلاءً بنصف ألفٍ من طعنات الحراب وانسكبَ القشُّ كلُّه على الأرض، ارتدى دنك حلقات المعدن وصفائحه والتقطَ سيفًا خشبيًّا ليرى كيف سيُبلي الرِّجال في مواجهة خصم فيه حياة، والنَّتيجة: ليس بلاءً حسنًا. وحده مَنج تمتَّع بالسُّرعة الكافية ليتجاوَز بحربته تُرس دنك، وفعلَ

هـذا مـرَّةً واحـدةً فقـط. صـدَّ دنـك طعنـةً زائغـةً خرقـاء تلـو أخـرى ودفعَ حرابهـم جانبًـا وانقـضَّ عليهـم مـن كثـبٍ كالثَّـور، ولـو أنَّ سـيفه مـن الفـولاذ بـدلًا مـن الصَّنوبـر لفتـكَ بكلٍّ منهـم مـرارًا. نبَّههـم وهـو يهـوي بضربـاتٍ عنيفـة عـلى سـيقانهم وأذرُعهـم ليضمـن اسـتيعابهم الـدَّرس: «مـا إن أتجـاوز رؤوس حرابكـم فأنتـم مـوتى». سـرعان مـا تعلَّـم مَـنج ولِـم ووات المبلـول كيـف يتقهقَرون على الأقل، في حين أسقطَ رؤب الكبير حربته وجرى، ليُطارِده بِنِس ويعود به مجرورًا باكيًا. حلَّ عليهم آخِر الأصيل مكدومين مرضوضين جميعًا، وقد بدأت بثورٌ جديدة تظهر على أيديهم الثَّفنة حيث قبضوا على الحراب. لم تظهر على دنك نفسه آثار، لكنه كان غارقًا في العرق حين ساعدَه إج على نزع درعه. فيما غربَت الشَّمس، ساقَ دنك جماعتهم الصَّغيرة إلى القبو وغصبَهم جميعًا على الاغتسال، بمَن

فيهم الذين اغتسلوا قريبًا في الشّتاء السّابق، وبعدها قدّمت زوجة سام المحنيّ للجميع أوعيةً من اليخنة المليئة بالجزر والبصل والشّعير. بلغَ تعب الرّجال العظم، ورغم ذلك أوحى كلامهم بأن كلّ واحدٍ منهم سيُصبح عمًّا قريب مميتًا كفُرسان الحرس الملكي، وبالكاد يستطيعون الانتظار ليُثبتوا بسالتهم. حرّضهم السيْر بِنس بإخبارهم عن مباهج حياة الجُندي... بخاصّةٍ السّلب والنّساء، ووافقَه المُقاتلان السّابقان. حسب كلامه، عادَ لِم من تمرُّد بلاكفاير بسكّينٍ وحذاءٍ ممتاز. الحذاء أصغر من أن ينتعله، لكنه علّقه على جِداره. أمّا پيْت فراح يحكي باستفاضةٍ عن بعض تابعات المعسكرات اللائي عرفهن وهو يتبع التنّين.

زوّدهم سام المحنيُّ بثماني حشايا من القشّ في السّرداب، وهكذا ما إن امتلأت بطونهم حتى خلدوا إلى النّوم، في حين مكثَ بِنس وقتًا يكفي لأن يُعطي دنك نظرة اشمئزازٍ ويقول: «كان على السيْر متعوس أن ينكح مزيدًا من الفلّاحات وهو بعدُ يملك قليلًا من المنيّ في خصيتيْه العجوزيْن. لو أنه بذرَ لنفسه محصولًا من النُّغول آنذاك فلربّما حظينا ببعض الجنود الآن».

ـ «لا يبدون أسوأ من أيّ جُند فلّاحين آخَرين». زحفَ دنك مع بعض هؤلاء وهو يُرافِقَ السيْر آرلان.

قال السيْر بِنس: «أجل. خلال أسبوعيْن قد يَصمُدون ضد ثُلّةٍ أخرى من الفلّاحين، ولكن ضد فُرسان؟»، وهزَّ رأسه وبصقَ.

***

تقع بئر (ستاندفاست) في القبو التَّحتي، في حُجرةٍ رطبة محوَّطة بالحجارة والتُّراب، وهناك تنقع زوجة سام المحنيّ الثِّياب وتَفرُكها وتُنفِّضها قبل أن تحملها إلى السَّطح لتجفَّ. يُستخدم حوض الغسيل الحجريُّ الكبير للاستحمام أيضًا، والاستحمام يستدعي سحب الماء من البئر دلوًا دلوًا، ثم تسخينه فوق المستوقد في مرجلٍ حديديّ كبير، ثم إفراغ المرجل في الحوض، ثم بدء العمليَّة بكاملها مِن جديد. يتطلَّب ملء المرجل أربعة دلاء، وملء الحوض ثلاثة مراجل، ولدى بلوغ المرجل الأخير السُّخونة يكون ماء الأوَّل قد فترَ. سُمعَ السيْر بِنس يقول إنَّ الأمر لا يستحقُّ كلَّ هذا الشَّقاء اللَّعين، ولهذا يفشو في جسده القمل والبراغيث، وتفوح منه رائحةٌ كالجُبنة.

أمَّا دنك فعلى الأقل إج موجودٌ ليُعاونه متى شعرَ أنه في أمسّ الحاجة إلى غسلةٍ مناسبة كما يَشعُر اللَّيلة. سحبَ الولد الماء بصمتٍ عابس، وبالكاد تكلَّم وهو يُسخِّنه. فيما بدأ المرجل الأخير يغلي سألَه دنك: «إج؟ هل من خطب؟»، فلمَّا لم يُجِبه إج قال: «ساعِدني على حمل المرجل».

معًا حملاه بجهدٍ من المستوقد إلى الحوض حارصيْن ألَّا يُبلِّلا نفسيْهما، ثم سألَ الغُلام: «سيْر، ماذا تحسب السيْر يوستس سيفعل؟».

ـ «سيهدم السَّد ويردع رجال الأرملة إذا حاوَلوا منعنا». تكلَّم بصوتٍ عالٍ لكي يُسمَع فوق طرطشة ماء الحمَّام، وقد ارتفعَ البُخار في ستارٍ أبيض وهما يصبَّان ليتورَّد وجه دنك.

ـ «تراسهم خشبٌ مجدول أيُّها السيْر، يُمكن أن يخترقها رُمح مباشرةً، أو سهم نُشَّابيَّة».

ـ «قد نجد لهم بعض قطع الدُّروع حينما يستعدُّون». هذا أفضل ما يُمكنهم أن يأملوه.

ـ «قد يُقتَلون أيُّها السيْر. وات المبلول ما زالَ نصف غُلام. ويل الشَّعير سيتزوَّج عندما يأتي السِّبتوْن المرَّة القادمة. ورؤب الكبير لا يعرف قدمه اليُمنى من اليُسرى».

تركَ دنك المرجل الفارغ يَسقُط بصوتٍ مكتوم على الأرض التُّرابيَّة الصُّلبة، وقال: «رؤچر ابن (شجرة البنسات) كان أصغر من وات المبلول عندما ماتَ في (حقل العُشب الأحمر)، وجيش أبيك ضمَّ رجالًا تزوَّجوا لتوِّهم أيضًا، ورجالًا آخَرين لم يُقبِّلوا فتاةً قَطُّ، وضمَّ مئاتٍ لم يعرفوا أقدامهم اليُمنى من اليُسرى، وربَّما آلافًا».

ردَّ إج بإصرار: «تلك مسألة مختلفة. تلك كانت حربًا».

ـ «وهذه أيضًا، الشَّيء نفسه ولكن أصغر».

ـ «أصغر وأتفه أيضًا أيُّها السيْر».

أخبرَه دنك: «القرار في هذا ليس لك أو لي. إنَّ واجبهم أن يذهبوا ليُحارِبوا حين يستدعيهم السيْر يوستس... وأن يموتوا إذا لزمَ الأمر».

قال إج: «ما وجبَ إذًا أن نُسمِّيهم أيُّها السيْر. سيجعل ذلك حُزننا أصعب احتمالًا عندما يموتون»، ولوى قسماته مُردفًا: «إذا استخدمنا حذائي...».

ـ «لا». وقفَ دنك على قدمٍ واحدة وخلعَ فردة حذائه.

ـ «نعم، لكن أبي...».

ـ «لا». لحقَت الفردة الثَّانية بالأولى.

ـ «إننا...».

ـ «لا». خلعَ دنك غلالته الملوَّثة بالعرق وألقى بها نحو إج قائلًا: «اطلُب من زوجة سام المحنيّ أن تغسلها لي».

ـ «سأفعلُ أيُّها السيّر، لكن...».

ـ «قلتُ لا. أتلزمك لطمةٌ على الأذن لتُحسن السَّمع؟». حلَّ دنك أربطة بنطاله؛ تحته لا يُوجَد إلَّاه، فالطَّقس أحرُّ من أن يلبس ثيابًا داخليَّةً. «خيرٌ أنك قلقٌ على وات ووات ووات وبقيَّتهم، لكن استخدام الحذاء يتوقَّف فقط على الحاجة الماسَّة». *كم عينًا للوَرد غُداف الدَّم؟ ألف عينٍ وعين.* «ماذا قال لك أبوك حين بعثَ بك لتُرافقني؟».

أجابَ الغُلام بنفورٍ واضح: «أن أحرص على حلاقة شعري أو صباغته، وألَّا أخبر أحدًا باسمي الحقيقي».

خدمَ إج دنك عامًا ونصفًا، ولو أنها تبدو في بعض الأيَّام عشرين عامًا. لقد صعدا (ممر الأمير) معًا وقطعا رمال (دوْرن) العميقة، الحمراء منها والبيضاء، وأخذَهما قاربٌ يُدفَع بالعِصي عبر (الدَّم الأخضر) إلى (بلدة الأخشاب)، حيث سافَرا إلى (البلدة القديمة) على متن القاليون «الليْدي البيضاء». نامَ الاثنان في إسطبلاتٍ وخاناتٍ وأخاديد، وأكلا عيشًا مع إخوةٍ نُسَّاك وعاهراتٍ ومشخِّصين، ولاحَقا مئةً من عروض العرائس.

حافظَ إج على سياسة حصان دنك، وعلى حدَّة سيفه الطَّويل، وعلى زرده خاليًا من الصَّدأ. إنه صاحبٌ يتمنَّاه أيُّ رجل، وأصبحَ الفارس الجوَّال يعتبره بمثابة أخٍ صغير.

ـ *لكنه ليس كذلك*. هذه البيضة فقسَتها التَّنانين لا الدَّجاج. قد يكون إج مُرافقًا لفارسٍ جوَّال، لكن إيْجوْن سليل عائلة تارجاريَن هو رابع وأصغرُ أبناء ميْكار أمير (بهو الصَّيف)، عن نفسه الابن الرَّابع للملك الرَّاحل ديْروْن الصَّالح، الثَّاني من اسمه، الذي جلسَ على العرش الحديدي خمسةً وعشرين عامًا إلى أن أماتَه الوباء الرَّبيعي العظيم.

ذكَّر دنك الغُلام: «على حدِّ علم معظم النَّاس، إيْجوْن تارجاريَن عادَ إلى (بهو الصَّيف) مع أخيه ديْروْن بعد دورة المباريات في (مرج آشفرد). أبوك لم يُرِد أن يُعرَف أنك تجوب (الممالك السَّبع) مع فارسٍ جوَّال مجهول. دعنا إذًا لا نسمع مزيدًا من الكلام عن حذائك».

لم ينَل من جوابٍ إلَّا نظرةً. لإج عينان كبيرتان، على نحوٍ ما يجعلهما رأسه المحلوق تبدوان أكبر. في عتمة القبو المُضاء بالمصابيح بدوَتا سوداوَيْن، ولكن في إضاءةٍ أفضل يُرى لونهما الحقيقيُّ... عميقٌ وداكنٌ وأرجوانيٌّ.

ـ *عينان ڤاليريَّتان*. في (وستروْس)، لقلائل من غير دم التنِّين عيون بذلك اللَّون، أو شعر يتألَّق كمزيجٍ مغزول من الذَّهب المطرَّق وخيوط الفضَّة.

وهما مبحران في (الدَّم الأخضر)، جعلَتها البنات اليتامى لُعبةً أن يَفرُكن رأس إج المحلوق طلبًا للحظِّ، ليحتقن وجه الغُلام

بدماءٍ أبدَته أشدَّ حُمرةً من رُمَّانة، ويقول: «يا لحماقة الفتيات! مَن تلمسني المرَّة التَّالية ستَسقُط في النَّهر»، وهو ما دفعَ دنك إلى الرَّد: «عندئذٍ سألمسك أنا. سألطمك على أذنك بشدَّة تُسمِعك أجراسًا طيلة دورة قمر». على أنَّ ذلك حفَّز الغُلام على وقاحة زيادة، وقال بعناد: «الأجراس أفضل من الفتيات الحمقاوات!»، لكنه لم يدفع أحدًا في النَّهر.

دخلَ دنك الحوض وأنزلَ نفسه بهدوءٍ إلى أن غطَّاه الماء حتى الذَّقن. لم يزَل الماء ساخنًا حدَّ الحرق من أعلى، ولو أنه أبرد من أسفل. كزَّ دنك على أسنانه لكيلا يَصرُخ، فلو فعلَ لضحكَ الغُلام. الحقيقة أنَّ إج يحبُّ ماء استحمامه ساخنًا حدَّ الحرق.

ـ «أتُريد مزيدًا من الماء المغليّ أيُّها السيّد؟».

ـ «لا بأس بهذا». فركَ دنك ذراعيْه وشاهدَ الوسخ ينجلي في سحاباتٍ رماديَّةٍ طويلة. «أحضِر لي الصَّابون. أوْه، والفُرشة طويلة اليد أيضًا». ذكّره التَّفكير في شعر إج بأن شعره هو متَّسخ، فأخذَ نفسًا عميقًا وانزلقَ تحت مستوى الماء لينقعه جيّدًا، ولمَّا عادَ يَخرُج ناثرًا الماء وجدَ إج واقفًا بجوار الحوض وفي يديْه الصَّابونة والفُرشة طويلة اليد المصنوعة من شعر الخيل. علَّق دنك إذ تناولَ الصَّابونة: «على خدِّك شعر. شعرتان. هناك، أسفل أذنك. احرص على إزالتهما عندما تحلق شعرك المرَّة القادمة».

ـ «سأفعلُ أيُّها السيْر». بدا أنَّ الاكتشاف سرَّ الصَّبي.

ـ *لا شكَّ أنه يحسب أنَّ شُعيرتيْن من لحية تجعلانه رجلًا.* هكذا فكّر دنك أيضًا حين وجدَ شيئًا من الزَّغب نابتًا فوق شفته العُليا. *حاولتُ أن أحلقه بخنجري وكدتُ أبترُ أنفي.* قال لإج: «اذهب الآن ونل قسطًا من النَّوم. لن أحتاج إليك ثانيةً قبل الصَّباح».

استغرقَ تنظيف نفسه من الوسخ والعرق وقتًا طويلًا، وبعدها وضعَ الصَّابونة جانبًا وتمدَّد قدر استطاعته وأغلقَ عينيْه. كان الماء قد فترَ، وبعد لهيب النَّهار عُدَّ هذا رفاهيةً مرحَّبًا بها. ظلَّ ناقعًا نفسه في الماء حتى تجعَّد جلد قدميْه وأصابعه وبردَ الماء واصطبغَ بالرَّمادي، وعندئذٍ فقط خرجَ من الحوض على مضض.

رغم أنه وإج أُعطِيا حشيَّتَي قشّ سميكتيْن في القبو، يُفضِّل دنك النَّوم فوق السَّطح، فالهواء هناك أنقى، وأحيانًا يهبُّ النَّسيم.

ليس عليه أن يخشى المطر؛ المرَّة التَّالية التي يَسقُط فيها المطر عليهما بالأعلى ستكون الأولى.

غابَ إج في النَّوم قبل أن يَبلُغ دنك السَّطح. استلقى دنك على ظهره شابكًا يديْه تحت رأسه، ورنا ببصره إلى النُّجوم. في كلِّ مكانٍ نجوم، ألوفٌ وألوفٌ منها، وقد ذكَّرته بليلةٍ في (مرج آشفرد) قبل ابتداء المباريات. ليلتها رأى نجمًا يهوي. المفترَض أن النُّجوم الهاوية تجلب الحظَّ، وهكذا طلبَ من تانسل أن ترسم على تُرسه شهابًا، لكن (آشفرد) لم تجلب له أيَّ حظٍّ على الإطلاق. قبل أن تنتهي الدَّورة كادَ يفقد يدًا وقدمًا، وخسرَ ثلاثة رجال صالحين حيواتهم. *لكنني كسبتُ مُرافقًا. إج كان معي حين رحلتُ من (آشفرد)؛ الخير الوحيد الذي أتى من كلِّ ما جرى.*

أملَ ألَّا تهوي اللَّيلة نجوم.

***

من بعيدٍ جبالٌ حمراء وتحت قدميْه رمالٌ بيضاء. كان دنك يَحفُر، يُقحِم في التُّربة الجافَّة السَّاخنة رفشًا ويُطوِّح بالرَّمل النَّاعم من فوق كتفه، يَحفُر حُفرةً. *قبرًا، قبرًا للأمل.* وقفَ ثُلاثي من الفُرسان الدوْرنيِّين يتفرَّجون عليه ويسخرون منه بأصواتٍ هادئة، وعلى مسافةٍ أبعد انتظرَ التُّجَّار بما معهم من بغالٍ وعرباتٍ وزلَّاجات رمال. أرادوا أن ينطلقوا، لكنه لم يستطع الرَّحيل قبل

أن يدفن تشستنت. لن يَترُك صديقه القديم للثَّعابين والعقارب وكلاب الرِّمال.

نفقَ الحصان المعيب خلال العبور المعطِش الطَّويل بين (ممر الأمير) و(فِيْث)، وإج راكبٌ فوق ظهره. بدا أنَّ قائمتيْه الأماميَّتيْن انطوَتا تحته ببساطة، ومباشرةً ركعَ وانقلبَ على جنبه ومات. إلى جوار الحُفرة افترشَت جثَّته الأرض وقد بدأت تتيبَّس بالفعل، وقريبًا ستفوح منها رائحة العفن.

بكى دنك وهو يَحفُر، وهو ما استطرفَه الفُرسان الدوْرنيُّون. قال أحدهم: «الماء ثمينٌ في القفر؛ لا يَجدُر بك أن تُبدِّده أيُّها السيْر»، وقهقهَ آخَر قائلًا: «لماذا تبكي؟ كان مجرَّد حصان، ورديئًا أيضًا».

فكَّر دنك وهو يَحفُر: *تشستنت، اسمه تشستنت، ولقد حملَني فوق ظهره أعوامًا ولم يطرحني أرضًا قَطُّ أو يعضَّني.* بدا الحصان المعيب العجوز بائسًا بجوار جياد الرِّمال المطهَّمة التي يمتطيها الدوْرنيُّون، برؤوسها الأنيقة وأعناقها الطَّويلة وأعرافها المسترسلة، لكنه أعطى كلَّ ما قويَ عليه.

قال السيْر آرلان بصوته صوت الرَّجل العجوز: «تبكي حصانًا معيبًا أقعس؟ إنك لم تبكِني قَطُّ يا فتى، أنا الذي وضعتك على ظهره»، ثم أطلقَ ضحكةً قصيرةً ليُبدي أنه لا يقصد بتأنيبه أذًى، وأضافَ: «هو ذا دنك الأنوَك، غليظ العقل كسور قلعة».

وقال بيْلوْر كاسِر الحراب من القبر: «لم يذرف عليَّ دمعةً أيضًا مع أني كنتُ أميره، أمل (وستروْس). الآلهة لم تُقدِّر لي أن أموت شابًّا».

وقال الأمير ڤالر: «أبي كان في التَّاسعة والثَّلاثين لا أكثر. لقد امتلكَ مقوّمات ملكٍ عظيم، الأعظم منذ إيْجوْن التَنِين»، ونظرَ إلى دنك بعينيْن زرقاويْن فاترتيْن، وسألَه: «لماذا تأخذه الآلهة وتَترُكك أنت؟». للأمير الصَّغير شعر أبيه البنِّي الفاتح، لكن خُصلةً من الذَّهبي الفضِّي تتخلَّله.

أرادَ دنك أن يَصرُخ: *أنتم موتى، ثلاثتكم موتى. لِمَ لا تدعونني وشأني؟* السيْر آرلان ماتَ بنوبة برد، والأمير بيْلوْر بالضَّربة التي نالَها من أخيه يوم محاكمة دنك بالسَّبعة، وابنه ڤالر خلال الوباء الرَّبيعي العظيم. *لستُ ملومًا على ذلك. كنا في (دوْرن) ولم نعرف أصلًا.*

قال له العجوز: «أنت مجنون. لن نَحفُر لك حُفرةً عندما تَقتُل نفسك بهذه الحماقة. في الرِّمال العميقة على الرَّجل أن يكتنز ماءه».

وقال ڤالر: «ارحل أيُّها السيْر دنكن، ارحل».

ساعدَه إج على الحفر. لم يملك الغُلام رفشًا، بل يداه فقط، وقد عادَ الرَّمل يتدفَّق إلى القبر بالسُّرعة التي يُزيلانه بها، كأنهما يُحاوِلان الحفر في البحر. *يجب أن أواصل الحفر.* قالها دنك لنفسه رغم أوجاع الحفر في ظهره وكتفيْه. *يجب أن أدفنه على عُمق سحيق حيث لن تَعثُر عليه كلاب الرِّمال. يجب أن...*

ـ «... تموت؟». قالها رؤب الكبير ضعيف العقل من قاع القبر، وإذ مُدِّدَ هناك هامدًا تمامًا باردًا تمامًا وفي بطنه يفغر جرحٌ أحمر محزَّز، لم يبدُ كبيرًا نهائيًّا.

توقَّف دنك وحدَّق إليه قائلًا: «لستَ ميتًا. إنك نائم في القبو»، ونظرَ إلى السيْر آرلان مبتغيًا العون، وناشدَه: «قُل له أيُّها السيْر، قُل له أن يَخرُج من القبر».

لكن السيْر آرلان ابن (شجرة البنسات) ليس الواقف فوقه على الإطلاق، بل السيْر بِنس صاحب التُّرس البنّي. قوقأ الفارس البنّي لا أكثر، وقال: «دنك الأنوَك. بقرُ البطن بطيء لكنه مضمون. لم أعرف قَطُّ رجلًا عاشَ وأحشاؤه تتدلّى منه». بقبقَت رغوةٌ حمراء على شفتيْه، فالتفتَ وبصقَ، وتشرَّبت الرِّمال البيضاء بُصاقه. وقفَ مَنج خلفه بسهم في عينه، يذرف دموعًا حمراء بطيئةً، وها هو ذا وات المبلول أيضًا، رأسه شبه مشجوج نصفيْن، ومعه لِم العجوز وبيْت محمرُّ العينيْن والباقون جميعًا. في البدء ظنَّ دنك أنهم شارَكوا بِنِس مضغ التَّبغ المُرّ، لكنه أدرك أنَّ ما يسيل من أفواههم دم. فكّر: *موتى، كلهم موتى*، ونهقَ الفارس البنّي وقال: «أجل. الأفضل إذًا أن تشغل نفسك بالعمل. عندك قبورٌ أكثر عليك أن تَحفُرها أيُّها الأنوَك. ثمانية لهم وواحد لي وواحد للسيْر متعوس الشَّيخ، وواحدٌ أخير لصبيِّك الأصلع».

فلتَ الرَّفش من يدَي دنك، وصاحَ: «إج، اهرُب! يجب أن نَهرُب»، لكن الرِّمال بدأت تغور تحت أقدامهما، وعندما حاولَ الغُلام أن يتسلَّق إلى خارج الحُفرة غارَت أجنابها المتداعية وانهارَت، ورأى دنك الرَّمل يغمر إج ويدفنه إذ فتحَ فمه ليصيح. حاولَ أن يُقاتِل ليَبلُغه، لكن الرَّمل أخذَ يرتفع في كلِّ جهةٍ حوله، يسحبه إلى القبر، يملأ فمه، وأنفه، وعينيْه...

***

عنـد طلـوع النَّهـار شـرعَ السـيْر بِنِـس في تدريـب مجنَّديهـم عـلى تكويـن جِـدار تـراس، فصـفَّ ثمانيتهـم كتفًـا إلى كتـفٍ بحيـث تتلامَـس تراسـهم وتَبـرُز رؤوس حرابهـم كأسنانٍ خشـبيَّة طويلـة حادَّة، ثـم ركـبَ دنـك وإج وكـرَّا عليهـم.

رفـضَ ميْسـتر الدُّنـو لمسـافة عشـرة أقـدام مـن الحـراب وتوقَّـف فجـأةً، إلَّا أنَّ ثنـدر مـدرَّب عـلى هـذا، وهكـذا دبـدبَ الجـواد الحربـيُّ الكبيـر مندفعًـا إلى الأمـام مباشـرةً ومكتسـبًا سـرعةً، لتجـري الدَّجاجـات صارخـةً تحـت أقدامـه وتصفـق بأجنحتهـا مبتعـدةً. لا بُـدَّ أنَّ في ذُعرهـا عـدوى، فمـرَّةً أخـرى بـادرَ رؤب الكبيـر إلى إسـقاط حربتـه والهـرب تـاركًا ثغـرةً في منتصـف الجِـدار، وبـدلًا مـن إغلاقهـا انضـمَّ إليـه مُحاربـو (ستاندفاسـت) الآخَـرون في هربـه. داسَ ثنـدر تراسـهم الملقـاة قبـل أن يكبحـه دنـك، وصـرَّت الفـروع المجدولـة وتشـظَّت تحـت حوافـره ذات الحـدوات الحديـد. انهـالَ السـيْر بِنِـس

بوابل من الشَّتائم اللَّاذعة فيما تشتَّت الدَّجاج والفلَّاحون في كلِّ اتِّجاه، وقاتلَ إج بكدٍّ ليكتم ضحكه، لكنه في النِّهاية خسرَ القتال.

ـ «كفى ضحكًا». وقفَ دنك ثندر وحلَّ خوذته وانتزعَها. «إذا فعلوا هذا في معركةٍ فسيُقتَلون عن آخرهم». *وأنت وأنا أيضًا غالبًا*. أصبحَ الصَّباح حارًّا بالفعل، وشعرَ دنك أنه ملوَّث لزج كأنه لم يستحمَّ مطلقًا. أخذَ رأسه يدقُّ، ولم يستطع نسيان الحُلم الذي رآه البارحة. حاولَ أن يقول لنفسه: *ليس ذلك ما حدثَ، لم يكن الواقع هكذا*. تشستنت ماتَ خلال الرُّكوب الجاف الطَّويل إلى (ڤيث)، هذا الجزء صحيح، وركبَ هو وإج معًا حتى أعطاهما أخو إج ميستر، أمَّا البقيَّة...

ـ *لم أبكِ. ربَّما أردتُ، لكنني لم أفعل*. وأرادَ أن يدفن الحصان أيضًا، لكن الدوْرنيِّين لم يُمكنهم الانتظار، وبينما ساعدَه أحد الفُرسان على تجريد الحصان المعيب من السَّرج واللِّجام أخبرَه: «يجب أن تأكل كلاب الرِّمال وتُطعِم جراءها. لحمه سيُطعِم الكلاب أو يُطعِم الرِّمال. خلال عام سيَنظُف عظمه تمامًا. هذه هي (دوْرن) يا صديقي». وإذ تذكَّر هذا، لم يسع دنك إلَّا أن يتساءَل مَن سيتغذَّى على لحم وات، ولحم وات، ولحم وات. *لعلَّ تحت (ماء المربَّعات) أسماكًا مربَّعةً*.

ركبَ ثندر عائدًا إلى البُرج، وترجَّل قائلًا: «إج، ساعِد السيْر بِنس على جمعهم والعودة بهم إلى هنا»، ودفعَ بخوذته إلى الغُلام وصعدَ السَّلالم بخُطواتٍ واسعة.

قابلَه السيْر يوستس في عتمة غُرفته الشَّمسيَّة، حيث قال له:

«لم يكن هذا عملًا متقنًا».

قال دنك: «نعم يا سيدي. لن يَصلُحوا». *السَّيف المحلَّف مدينٌ لسيِّده بالخدمة والطَّاعة، لكن هذا جنون.*

ـ «إنها مرَّتهم الأولى. آباؤهم وإخوتهم كانوا مثلهم في السُّوء أو أسوأ حين بدؤوا تدريبهم. أبنائي عملوا معهم قبل أن نذهب لنُعين الملك، كلَّ يومٍ طوال أسبوعيْن كامليْن. لقد صنعوا منهم جنودًا».

سأله دنك: «ولمَّا قامَت المعركة يا سِيدي؟ كيف أبلوا حينئذٍ؟ كم منهم عادَ إلى الدِّيار معك؟».

نظرَ إليه الفارس الشَّيخ طويلًا، وأخيرًا أجابَ: «لِم، وبِيْت، وديْك. ديْك جمعَ لنا المؤن. كان من أفضل جامعي المؤن الذين عرفتهم. لم نزحف قَطُّ ببطونٍ خالية. ثلاثة عادوا أيُّها السيْر، ثلاثة وأنا»، وارتجفَ شاربه إذ أضافَ: «قد يستغرق الأمر أكثر من أسبوعيْن».

قال دنك: «سِيدي، المرأة قد تصل غدًا مع رجالها جميعًا». *إنهم فِتية صالحون، لكنهم سيصيرون فِتيةً موتى قريبًا إذا واجَهوا فُرسان (الخندق البارد)*. «لا بُدَّ من سبيلٍ آخَر».

ردَّد السيْر يوستس: «سبيل آخَر»، ومرَّر أصابعه بخفَّةٍ على تُرس الأسد الصَّغير قائلًا: «لن أنال عدالةً من اللوْرد رُوان، ولا من هذا الملك...»، ثم أمسكَ دنك من ساعده، وأخبرَه: «يَخطُر لي أنه في سالف الأيَّام، حينما حكمَ الملوك الخُضر، كان بإمكانك أن تدفع للرَّجل كفَّارة الدَّم إذا قتلت أحد حيواناته

أو فلّاحيـه».

ساورَ دنك الشَّكُّ وهو يُردِّد: «كفّارة الدَّم؟».

ـ «سبيل آخَر كما قلتَ. لديَّ بعض المال المدَّخر. كانت مجرَّد قطرةٍ دامية على الخد حسبما قال السيْر بِنِس. يُمكنني أن أدفع للرَّجل أيَّلًا فضِّيًّا، وثلاثةً للمرأة تعويضًا عن الإهانة. يُمكنني، وسأفعلُ... إذا وافقَت على هدم السَّد»، وعبسَ الشَّيخ وهو يُردِف: «ولكن لا يُمكنني الذَّهاب إليها، إلى (الخندق البارد)». طنَّت ذُبابة سوداء سمينة حول رأسه وحطَّت على ذراعه. «القلعة انتمَت إلينا من قبل. أتعلم ذلك يا سيْر دنكن؟».

ـ «أجل يا سيِّدي». سام المحنيُّ حكى له.

ـ «طيلة ألف عام قبل الفتح كنا مُشيري (التُّخم الشَّمالي)، يُقدِّم لنا عشرون مَن اللوْردات الأدنى شأنًا البيعة، ومئة من الفُرسان مُلّاك الأراضي. امتلكنا أربع قلاع في ذلك الحين، وأبراج مراقبةٍ فوق التِّلال لتُنذِرنا بقدوم أعدائنا. (الخندق البارد) عُدَّت أعظم مقرَّاتنا. اللوْرد برِون أوْزجري شيَّدها، برِون الأبيُّ كما لقَّبوه.

«بعد (حقل النِّيران) آلَت (هايجاردن) من ملوكٍ إلى وُكلاء، واضمحلَّ آل أوْزجري وتضاءَلوا. ابن إيْجوْن، الملك ميْجوْر، هو الذي أخذَ (الخندق البارد) منا حين تكلَّم اللوْرد أوْرمند أوْزجري ضد قمعه النُّجوم والسُّيوف، كما عُرِفَت جماعتا الصَّعاليك وأبناء المُحارب». صارَ صوت الفارس الشَّيخ مبحوحًا وهو يتكلَّم. «فوق بوَّابة (الخندق البارد) أسد مربَّعاتٍ منقوشٌ على الحجر، أراني أبي إيَّاه عندما أخذَني معه أوَّل مرَّةٍ لزيارة العجوز رِاينارد

وبَر، وأريته لأبنائي بدوري. أدام... أدام خدمَ في (الخندق البارد) وصيفًا ومُرافقًا، و... ونما... نوعٌ معيَّن من الشَّغف بينه وبين ابنة اللوْرد وايمان. هكذا ذات يوم شتويّ ارتديتُ أفخم ثيابي وذهبتُ إلى اللوْرد وايمان لأعرضَ عليه زَواجهما. كان كيَسًا في رفضه، ولكن بينما غادرتُ سمعته يضحك مع السيْر لوكَس إنشفيلد. لم أرجع قَطُّ إلى (الخندق البارد) بعد ذلك، باستثناء مرَّةٍ واحدة حين تجرَّأت المرأة على اختطاف واحدٍ من قومي. لمَّا قالوا لي أن أبحث عن لِم المسكين في قاع الخندق...».

قاطعَه دنك: «ديْك. بِنس يقول إنَّ اسمه ديْك».

ـ «ديْك؟». الآن تزحف الذُّبابة على كُمِّه متوقِّفةً لتَفرُك أرجُلها معًا كديدن الذُّباب. «ديْك. هكذا قلتُ. رجلٌ وفي، أذكُره جيِّدًا. لقد جمعَ لنا المؤن خلال الحرب. لم نزحف قَطُّ ببطونٍ خالية. حين أبلغَني السيْر لوكَس إنشفيلد بما جرى لرجلي المسكين ديْك، حلفتُ يمينًا مغلَّظةً أني لن أطأ القلعة بقدمي ثانيةً أبدًا إلَّا لأستحوذ عليها. كما ترى إذًا، لا يُمكنني الذَّهاب يا سيْر دنكن، لا لدفع كفَّارة الدَّم ولا لأيِّ سببٍ آخَر. لا يُمكنني نهائيًّا».

وفهمَ دنك. «يُمكنني أن أذهب يا سِيدي. لم أحلف أنا أيَّ أيمان».

ـ «أنت رجلٌ صالح يا سيْر دنكن، فارسٌ شُجاع ومخلص»، واعتصرَ السيْر يوستس ذراع دنك مردفًا: «ليت الآلهة أبقَت على ابنتي آليسان. إنك رجلٌ من النَّوع الذي أملتُ دومًا أن تتزوَّجه. فارسٌ حقٌّ يا سيْر دنكن، فارسٌ حقٌّ».

قال دنك الذي بدأ وجهه يتورَّد خجلًا: «سأبلغُ الليْدي وِبَر

بما قلته بشأن كفَّارة الدَّم، ولكن...».

ـ «ستُنقِذ السيْر بِنِس من مصير ديْك. إنني واثق. لستُ حَكَمًا رديئًا على الرِّجال، وأنت الفولاذ الحقيقيُّ. ستجعلهم يتردَّدون أيُّها السيْر، مجرَّد منظرك. عندما ترى المرأة أنَّ لـ(ستاندفاست) نصيرًا مثلك قد تهدم السَّد بمحض إرادتها».

لم يدرِ دنك بِمَ يردُّ، فركعَ قائلًا: «سِيدي. سأذهبُ غدًا وأبذلُ أقصى ما بوسعي».

ـ «غدًا». عادَت الذُّبابة تحوم وحطَّت على يد السيْر يوستس اليُسرى، فرفعَ يُمناه وسحقَها سحقًا. «نعم، غدًا».

***

منزعجًا قال إج: «حمَّام آخَر؟! لقد استحممتَ أمس».

ـ «ثم قضيتُ نهارًا أسبحُ في عرقي داخل الدِّرع. أطبِق شفتيْك واملأ المرجل».

أشارَ إج: «استحممتَ ليلة قبلَنا السيْر يوستس في خدمته، والبارحة، والآن، أي إنها ثلاث مرَّاتٍ كاملة أيُّها السيْر».

ـ «عليَّ أن أتعامل مع سيِّدةٍ شريفة النَّسب. أتُريدني أن أمثل أمام مقعدها العالي ورائحتي كالسيْر بِنِس؟».

قال إج وهو يملأ المرجل: «يجب أن تتمرَّغ في حوضٍ من فضلات ميْستر لتُصبِح رائحتك بذلك السُّوء أيُّها السيْر. سام

المحنيُّ يقول إنَّ أمين القلعة في (الخندق البارد) يُعادِلك حجمًا. اسمه لوكس إنشفيلد، لكنه يُدعى بالإنش الطَّويل بسبب حجمه. أتظنُّه كبيرًا مثلك أيُّها السيْر؟».

ـ «لا». مرَّت سنوات منذ قابلَ دنك أحدًا يُعادِله طولًا. التقطَ المرجل وعلَّقه فوق النَّار.

ـ «هل ستُقاتِله؟».

ـ «لا». يكاد دنك يتمنَّى لو يَحدُث العكس. قد لا يكون أعظم مُقاتلٍ في البلاد، ولكن من شأن الحجم والقوَّة أن يُعوِّضا عن نقائص عديدة. *ولكن ليس عن نقص العقل*. إنه خائبٌ في الكلام، وأشدُّ خيبةً مع النِّساء. هذا العملاق لوكس إنشفيلد لا يُرهِبه بقدر فكرة مواجهة الأرملة الحمراء. «سأتكلَّمُ مع الأرملة الحمراء، هذا كلُّ شيء».

ـ «ماذا ستقول لها أيُّها السيْر؟».

ـ «إنَّ عليها أن تهدم السَّد». *لا بُدَّ أن تهدمي سدَّكِ يا ستِّي، وإلَّا*... «أعني أني سأسألها أن تهدم السَّد». *أرجوكِ أعيدي ماءنا المربَّع*. «إذا سمحَت». *قليلٌ من الماء يا ستِّي إذا سمحتِ*. لن يُريده السيْر يوستس أن يترجَّى. *كيف أقولها إذًا؟*

سرعان ما بدأ الماء يَبخُر ويُبقبِق، فقال دنك للغُلام: «ساعِدني على حمله إلى الحوض». معًا رفعا المرجل من فوق المستوقد وقطعا القبو إلى الحوض الخشبيّ الكبير، وفيما صبَّا الماء اعترفَ دنك: «لا أعرفُ كيف أتكلَّم مع شريفات النَّسب. لربَّما قُتِلَ كلانا في (دوْرن) من جرَّاء ما قلته لليْدي قيْث».

ذكَّره إج: «الليْدي ڤيْث مجنونة، ولكن أمكنَك أن تتصرَّف بمزيدٍ من الشَّهامة. إذا أنقذت الأرملة الحمراء كما أنقذت فتاة الدُّمى من إيْريوْن...».

ـ «إيْريوْن في (لِيس)، والأرملة ليست محتاجةً إلى إنقاذ». لا يُريد أن يتكلَّم عن تانسل. *تانسل مديدة القامة اسمها، لكنها لم تكن في نظري مديدة القامة.*

قال الغُلام: «حسن، ثمَّة فُرسان يُغنُّون أغاني شهامةٍ لسيِّداتهم، أو يعزفون لهن أنغامًا على العود».

بدا دنك مغتمًّا إذ قال: «لا أملكُ عودًا، وليلة أن أسرفت في الشُّرب في (بلدة الأخشاب) قلت لي إنني أغنِّي كثورٍ في مراغة وحل».

ـ «نسيتُ أيُّها السيْر».

ـ «كيف نسيت؟».

أجابَ إج بكلِّ براءة: «أنت أمرتني بالنِّسيان أيُّها السيْر. قلت لي إنني سأنالُ لَطمةً على الأذن إذا ذكرتُ الأمر ثانيةً».

ـ «لا غناء». حتى إن تمتَّع بصوتٍ صالح للغناء فالأغنيَّة الوحيدة التي يعرفها دنك كاملةً هي «الدُّب، الدُّب، والفتاة الحسناء»، ويشكُّ في أنها ستنفع لاستمالة الليْدي وِيَر. عادَ المرجل يَبخُر، فحملاه بجهدٍ إلى الحوض وقلَباه.

سحبَ إج ماءً ليملأ المرجل مرَّةً ثالثةً، ثم تسلَّق ليجلس على حافة البئر، وقال: «الأفضل ألَّا تقبل أيَّ طعام أو شراب في (الخندق البارد) أيُّها السيْر. الأرملة الحمراء سمَّمت أزواجها

كلَّهم».

ردَّ دنك: «ليس واردًا أن أتزوَّجها. إنها سيِّدة شريفة النَّسب، وأنا دنك ابن (سفح البراغيث)، أتَذكُر؟»، وقطَّب جبينه سائلًا: «كم زوجًا بالضَّبط كان لها؟ هل تعرف؟».

ـ «أربعة، ولكن لا أطفال. متى وضعَت أتى شيطانٌ ليلًا ليأخذ الوليد. زوجة سام المحنيّ تقول إنها باعَت صغارها الذين لم يُولَدوا بعدُ لسيِّد الجحائم السَّبع ليُعلِّمها فنونه السَّوداء».

ـ «شريفات النَّسب لا يتعرَّضن للفنون السَّوداء، بل يَرقُصن ويُغنِّين ويُطرِّزن».

قال إج باستمتاع: «لعلَّها تَرقُص مع الشَّياطين وتُطرِّز تعاويذ شرِّيرةً»، ثم سألَ: «وكيف تعرف ما تفعله شريفات النَّسب أيُّها السيْر؟ الليْدي ڤيْث هي الوحيدة التي عرفتها يومًا».

ردَّ وقح، لكنه صحيح. «قد لا أعرفُ أيَّ سيِّدات شريفات النَّسب، لكنني أعرفُ غُلامًا يَطلُب لطمةً موجعةً على الأذن». فركَ دنك مؤخِّرة رقبته التي يُخلِّف فيها نهارٌ من ارتداء الحلقات المعدنيَّة تيبُّسًا كالخشب كلَّ مرَّة. «أنت عرفت ملكاتٍ وأميرات. هل رقصن مع الشَّياطين ومارَسن الفنون السَّوداء؟».

ـ «الليْدي شيْرا تفعل، عشيقة اللوْرد غُداف الدَّم. إنها تغتسل بالدِّماء لتحفظ جمالها. وفي مرَّةٍ وضعَت أختي ريا جرعة حُبٍّ في شرابي لأتزوَّجها بدلًا من أختي ديْلا».

تكلَّم إج كأن زواج المحارم هذا أكثر شيءٍ طبيعي في الدُّنيا. هو *كذلك عنده*. يُزوِّج آل تارجاريَن الأخ بأخته منذ مئات السِّنين

للحفاظ على نقاء دم التنّين، ورغم موت آخر التّنانين الفعليَّة قبل مولد دنك فقد استمرَّ ملوك التّنانين. *لعلَّ الآلهة لا تُمانع أنهم يتزوَّجون أخواتهم.* سأله دنك: «وهل نجحَت الجرعة؟».

أجابَ إج: «كانت ستنجح، لكني بصقتها. لا أريدُ زوجةً، بل أريدُ أن أصبح فارسًا في الحرس الملكي وأعيش فقط في سبيل خدمة الملك والدِّفاع عنه. رجال الحرس الملكي يُقسِمون على عدم الزَّواج».

ـ «شيء نبيل، ولكن عندما تكبَر قد تكتشف أنك تُفضِّل أن تحظى بفتاةٍ على معطفٍ أبيض». كان دنك يُفكِّر في تانسل مديدة القامة، والطَّريقة التي ابتسمَت له بها في (آشفرد). «السيْر يوستس قال إنني رجلٌ من النَّوع الذي أملَ أن تتزوَّجه ابنته. كان اسمها آليسان».

ـ «إنها ميتة أيُّها السيْر».

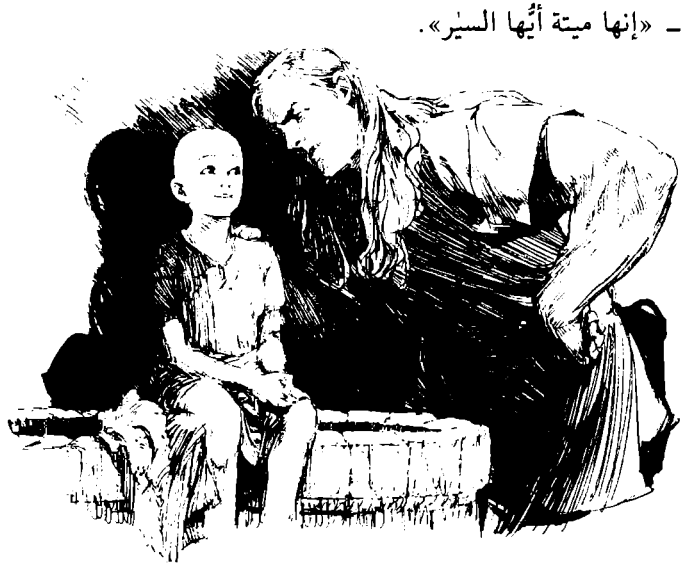

ردَّ دنك مستاءً: «أعرفُ أنها ميتة. لو أنها حيَّة، قال. لو أنها كذلك لودَّ أن تتزوَّجني، أو أحدًا مثلي. لم يعرض لوْرد عليَّ ابنته قبلًا قَط».

ـ «ابنته الميتة! وربَّما كان آل أوزجري لوْردات في الماضي، لكن السيْر يوستس ليس إلَّا فارسًا يملك بعض الأراضي».

ـ «أعرفُ ماهيته. أتُريد لطمةً على الأذن؟».

قال إج: «في الحقيقة أفضِّلُ لطمةً على زوجة، بخاصَّةٍ زوجة ميتة أيُّها السيْر. المرجل يغلي».

حملا الماء إلى الحوض، وخلعَ دنك غلالته. «سأرتدي غلالتي الدوْرنيَّة إلى (الخندق البارد)». تلك الغلالة من الحرير الرَّملي، أجود ثوبٍ يمتلكه، ومرسومة عليها دردارته ونجمته الهاوية.

علَّق إج: «إذا ارتديتها خلال الرِّحلة فسيُبلِّلها العرق أيُّها السيْر. ارتدِ التي ارتديتها اليوم. سأجلبُ الأخرى، ويُمكنك أن تُغيِّرها عندما تصل إلى القلعة».

ـ «بل قبل أن أصل إلى القلعة. سأبدو أحمق إذا غيَّرت ملابسي على الجسر المتحرِّك. ومَن قال إنك ستأتي معي؟».

ـ «الفارس أقوى تأثيرًا وفي حضرته مُرافق».

صحيحٌ هذا. الغُلام يتمتَّع بحُسن التَّمييز في تلك الأمور. وهو *الواجب. لقد عملَ وصيفًا سنتيْن في (كينجز لاندنج)*. ومع ذلك يعزف دنك عن أخذه إلى قلب الخطر، فلا فكرة لديه عن نوع الاستقبال الذي ينتظره في (الخندق البارد). لو أنَّ هذه الأرملة الحمراء خطرة حقًّا كما يقولون فقد ينتهي به الأمر في قفص

غِربان كالرَّجليْن اللذيْن رأياهما على الطَّريق. قال لإج: «ستبقى هنا وتُساعِد السيْر بِنِس على تدريب العوام»، ثم خلعَ بنطاله ركلًا ونزلَ في حوض الماء الباخر قائلًا: «اذهب الآن ونَم ودعني لحمَّامي. لن تذهب، والمسألة منتهية».

***

صحا إج وذهبَ قبل أن يستيقظ دنك وعلى وجهه ضوء شمس الصَّباح. *بحقّ الآلهة، كيف يُمكن أن يحترَّ الطَّقس إلى هذه الدَّرجة بهذه السُّرعة؟* اعتدلَ جالسًا وتمطَّى متثائبًا، ثم نهضَ ونزلَ يتعثَّر ناعسًا إلى البئر، حيث أشعلَ شمعةً سمينةً من الشَّحم ورشَّ قليلًا من الماء البارد على وجهه وارتدى ثيابه.

عندما خرجَ في ضوء الشَّمس وجدَ ثندر في انتظاره مسرَّجًا ملجومًا عند الإسطبل، وفي انتظاره إج أيضًا مع بغله ميْستر.

ينتعل الغُلام حذاءه، وعلى غير العادة يبدو مُرافقًا ملائمًا في دبليَّة أنيقة من المربَّعات الخضراء والذَّهبيَّة وبنطالٍ ضيّق من الصُّوف الأبيض. أعلنَ إج: «مؤخِرة البنطال كانت ممزَّقةً، لكن زوجة سام المحنيّ خاطته لي».

ـ «كانت ثياب أدام». قالها السيْر يوستس وهو يقود حصانه الرَّماديَّ المخصيَّ من الإسطبل، وقد زيَّن أسد مربَّعاتٍ معطف الشَّيخ الحريري المهترئ الذي ينسدِل من فوق كتفيْه. «في الدَّبليَّة نزرٌ يسير من الزَّنخ من الصُّندوق، ولكن يُفترَض أن

تَصلُح. الفارس أقوى تأثيرًا وفي حضرته مُرافق، ولذا قرَّرتُ أن يصحبك إج إلى (الخندق البارد)».

ـ *فاقَني حيلةً غُلام في العاشرة*. رمقَ دنك إج، وبصمتٍ تفوَّه بعبارة «لطمة على الأذن»، ليبتسم الغُلام باتِّساع.

قال السيْر يوستس: «معي شيء لك أيضًا أيُّها السيْر دنكن»، وأخرجَ معطفًا ونفضَه بحركةٍ واحدة واثقة.

المعطف من الصُّوف الأبيض، مؤطَّر بمربَّعاتٍ من السَّاتان الأخضر وقُماش الذَّهب. آخِر ما يحتاج إليه دنك في هذا الحرّ معطف من الصُّوف، ولكن حين أسدلَه السيْر يوستس من حول كتفيْه رأى دنك الفخر على وجهه ووجدَ نفسه عاجزًا عن الرَّفض. «أشكرك يا سِيدي».

قال الشَّيخ: «يُناسِبك جدًّا. ليتني أستطيعُ أن أعطيك أكثر»، وارتعشَ شاربه وهو يُتابع: «لقد أرسلتُ سام المحنيَّ إلى القبو ليبحث بين أغراض أبنائي، لكن إدون وهارولد كانا أصغر حجمًا، أنحف صدرًا وسيقانهما أقصر كثيرًا. يُحزنني أن أقول إنَّ شيئًا تركاه لن يَصلُح لك».

ـ «المعطف يكفي يا سِيدي. لن أهينه».

ـ «لا أشكُّ في ذلك». قالها الشَّيخ وربَّت على حصانه مرَّةً مردفًا: «خطرَ لي أن أركب معكما جزءًا من الطَّريق لو أنك لا تُمانع».

ـ «إطلاقًا يا سِيدي».

قادَهما إج وهُم ينزلون التَّل وقد جلسَ منتصب القامة على

ظهر ميْستر. سألَ السيْر يوستس دنك: «أيجب أن يعتمر تلك القبَّعة القش المرنة؟ إنه يبدو سخيفًا قليلًا، ألا ترى هذا؟».

ـ «ليس بالسُّخف الذي سيبدو به ورأسه يتقشَّر يا سِيدي». حتى في هذه السَّاعة والشَّمس بالكاد تعلو خطَّ الأفق، في الجوّ سخونة. *بحلول الأصيل سيَسخُن سرجانا إلى حدّ إصابتنا بالقروح*. قد يبدو إج أنيقًا في ثياب الغُلام الميت الفاخرة، لكنه سيُمسي إج مسلوقًا بحلول اللَّيل. على الأقل يستطيع دنك تبديل ملابسه، ففي خُرج سرجه الغلالة الفاخرة وعلى بدنه الخضراء القديمة.

أعلنَ السيْر يوستس: «سنَسلُك الطَّريق الغربي. لم يُطرَق إلَّا قليلًا خلال السَّنوات الماضية، لكنه ما زالَ أقصر طريقٍ من (ستاندفاست) إلى (قلعة الخندق البارد)». أخذَهما الدَّرب حول مؤخِّرة التَّل، مرورًا بالقبور حيث وارى الفارس الشَّيخ زوجته وأبناءه الثَّرى في دغلٍ من شُجيرات التُّوت الأسود. «أحبُّوا قطف التُّوت هنا، أبنائي. في صغرهم اعتادوا أن يأتوني بأوجُهٍ لزجة وأذرُعٍ مخدوشة، فأعرفُ أين كانوا»، وابتسمَ الشَّيخ بحنينٍ

مـواصلًا: «مُرافقـك إج يُذكّـرني بولـدي أدام. صبـيٌّ شُـجاع قياسًـا إلى سـنّه الصَّغيـرة. كان أدام يُحـاوِل حمايـة أخيـه الجريـح هارولـد حيـن اجتاحتهمـا المعركـة. أحـد رجـال النَّهـر بسـتّ جـوزات بلّـوط علـى تُرسـه بتـرَ ذراعـه بفـأس»، ونظـرَت عينـاه الرَّماديَّتـان الحزينتـان في عيـنَي دنـك إذ سـأله: «سـيّدك القديـم هـذا، فـارس (شـجرة البنسـات)... هـل قاتـلَ في تمـرُّد بلاكفايـر؟».

ـ «نعـم يـا سِيدي، قبـل أن يُشـغِلني عنـده». في ذلـك الحيـن لـم يتعـدَّ دنـك الثَّالثـة أو الرَّابعـة، يجـري نصـف عـارٍ في أزقَّـة (سـفح البراغيـث)، أقـرب إلى حيـوانٍ منـه إلى صبـي.

ـ «هل قاتلَ في صفِّ التنّين الأحمر أم الأسود؟».

«أحمر أم أسود؟» سؤالٌ محفوف بالخطر، حتى حاليًا. منذ أيّام إيْجوْن الفاتح حملَ رمز عائلة تارجاريَن تِنّينًا ثُلاثي الرُّؤوس، أحمر على أسود، لكن ديْموْن المدَّعي عكسَ هذيْن اللَّونيْن على راياته على غرار كثيرٍ من النُّغول. ذكّر دنك نفسه: *السيْر يوستس سيّدي الأعلى؛ لهُ حقٌّ في السُّؤال*. «قاتلَ تحت راية اللوْرد هايفوْرد يا سيدي».

ـ «شبكة خضراء على خلفيَّةٍ ذهبيَّة وشريط أخضر متموّج؟».

ـ «ربَّما يا سيدي. إج سيعرف». يستطيع الولد أن يعدَّ شعارات نصف فُرسان (وستروْس).

ـ «اللوْرد هايفوْرد كان مُواليًا بارزًا. الملك ديْروْن عيَّنه يده قُبيْل المعركة. بَتَرول أبلى بلاءً في غاية السُّوء حتى إنَّ كثيرين شككوا في إخلاصه، أمَّا اللوْرد هايفوْرد فكان راسخًا في مناصرته من البداية».

ـ «السيْر آرلان كان بجواره حين سقطَ. لوْرد ما بثلاث قلاعٍ على تُرسه أرداه».

ـ «رجالٌ صالحون كُثر سقطوا يومها، على كلا الجانبيْن. العُشب لم يكن أحمر قبل المعركة. هل حكى لك سيّدك السيْر آرلان ذلك؟».

ـ «لم يطِب للسيْر آرلان قَطُّ أن يتحدَّث عن المعركة. مُرافقه أيضًا ماتَ فيها. روْچر ابن (شجرة البنسات) اسمه، ابن أخت السيْر آرلان». مجرَّد قولها أشعرَ دنك بقدرٍ ضئيل من الذَّنب. *لقد سرقتُ موقعه*. فقط الأمراء واللوْردات الكبار عندهم موارد

تكفي للاحتفاظ بمُرافقيْن معًا. لو أعطى إيْجوْن غير الجدير سيفه لوريثه ديْرون بدلًا من نغله ديْموْن فلربَّما ما كان تمرُّد بلاكفاير ليقوم، ولربَّما ظلَّ روْجر ابن (شجرة البنسات) حيًّا حتى اليوم. *لكان فارسًا في مكانٍ ما، فارسًا أحقَّ مني، ولانتهى بي المطاف إلى المشنقة، أو إلى حرس اللَّيل لأذرع (الجِدار) إلى أن أموت.*

قال الفارس الشَّيخ: «المعارك الكُبرى شيء رهيب، لكن في خضمّ الدِّماء والتَّقتيل جمالًا أيضًا أحيانًا، جمالًا من شأنه أن يفطرَ قلبك. لن أنسى أبدًا منظر الشَّمس وهي تَغرُب على (حقل العُشب الأحمر)... عشرة آلاف رجل ماتوا، واختنقَ الهواء بالأنين والنُّواح، لكن فوقنا اصطبغَتْ السَّماء بالذَّهبي والأحمر والبرتقالي، فاتنة حتى إنَّ علمي أنَّ أبنائي لن يروها أبدًا أبكاني»، وتنهَّد متابعًا: «الفرق بين النَّصر والهزيمة كان أصغر ممَّا يُريدونك أن تعتقد هذه الأيَّام. لولا غُداف الدَّم...».

قال دنك: «سمعتُ دائمًا أنَّ بيْلوْر كاسِر الحراب هو مَن حقَّق النَّصر في المعركة، هو والأمير ميْكار».

اختلجَ شارب الشَّيخ، وقال: «المطرقة والسَّندان؟ المغنُّون يُغفِلون كثيرًا فأكثر. ديْموْن كان **المُحارب** نفسه في ذلك اليوم. لم يستطع أيُّ رجل الوقوف أمامه. لقد حطَّم طليعة اللوْرد آرن تحطيمًا وفتكَ بفارس (النُّجوم التِّسع) ووايل ويْنوود الجامح قبل أن يُواجِه السيْر جويْن كوْربراي فارس الحرس الملكي. طوال ساعةٍ تقريبًا رقصا معًا فوق حصانيْهما، يحومان ويدوران ويهويان بضرباتهما فيما ماتَ الرِّجال حولهما في كلِّ اتِّجاه.

يُقال إنه عندما تقارعَ «اللَّهب الأسود» و«سيّدة البؤس» سُمعَ الصَّوت من بُعد فرسخ كامل. نصف أغنيَّةٍ ونصف صرخةٍ حسبما يقولون. لكن فيَّ النِّهاية عندما توانَت «السيّدة» فلقَ «اللَّهب الأسود» خوذة السيْر جويْن وتركه معميًّا ينزف.

«ترجَّل ديْموْن ليتأكَّد ألَّا يُداس خصمه السَّاقط، وأمرَ النَّاب الأحمر بأخذه إلى الميْسترات في المؤخِّرة. وهو ذا خطؤه المميت، لأن أسنان الغُداف ظفروا بقمَّة (الحيد الباكي)، ورأى غُداف الدَّم لواء أخيه غير الشَّقيق الملكيَّ على بُعد ثلاثمئة ياردة، وديْموْن وابنيْه تحته. أوَّلًا قتلَ غُداف الدَّم إيْجوْن، أكبر التَّوأميْن، إذ علمَ أنَّ ديْموْن لن يَترُك الولد أبدًا ما دامَ في جسده دفء، مع أنَّ السِّهام البيضاء تساقطَت كالمطر. ولم يَترُكه فعلًا رغم أنَّ سبعة سهام اخترقَت جسده مرميَّةً بالشَّعوذة بقدر ما رماها قوس غُداف الدَّم. التقطَ إيْموْن الصَّغير «اللَّهب الأسود» حين فلتَ السَّيف من أصابع أبيه المحتضر، فقتلَه غُداف الدَّم بدوره، أصغر التَّوأميْن. هكذا هلكَ التنِّين الأسود وابناه.

«وقعَ كثيرٌ فأكثر بعدها، أعرفُ. لقد شهدتُ جزءًا منه بنفسي... فرار المتمرّدين والفولاذ الأليم يلمُّ شتاتهم ويقود هجمته المجنونة... قتاله ضد غُداف الدَّم الذي لا يبزُّه إلَّا القتال الذي خاضَه ديْموْن ضد جويْن كوْربراي... ضربة مطرقة الأمير بيْلوْر على مؤخِّرة المتمرّدين وصُراخ الدوْرنيّين جميعًا وهُم يملؤون الهواء بالحراب... لكن شيئًا من ذلك لم يفرق في النِّهاية. الحرب انتهَت عندما ماتَ ديْموْن.

«فرقٌ صغير جدًّا... لو أنَّ ديْموْن داسَ جويْن كوْربراي وتركَه

لمصيره فلربَّما استطاعَ تحطيم ميسرة ميْكار قبل أن يستولي غُداف الدَّم على الحيد، وعندئذٍ كان النَّصر سيُصبح من نصيب التَّنانين السُّود وقد ماتَ اليد وانفتحَ لهم الطَّريق إلى (كينجز لاندنج). لربَّما كان ديْمون جالسًا على العرش الحديدي بالفعل عند وصول الأمير بيْلوْر مع رجاله من لوْردات العواصف ومن الدوْرنيّين.

«للمُغنّين أن يُغنُّوا ما شاؤوا عن مطرقتهم وسندانهم أيُّها السيْر، إلَّا أنَّ قاتل الأقربين هو مَن قلبَ الوضع بسهم أبيض وتعويذةٍ سوداء. إنه يَحكمنا الآن أيضًا، تأكَّد من هذا. الملك إيْرس صنيعته. لن يُدهشني أن أعلم بأن غُداف الدَّم سحرَ جلالته ليُخضِعه لإرادته. لا عجب أننا ملعونون».

هزَّ السيْر يوستس رأسه وغرقَ في صمتٍ عابس، وتساءلَ دنك كم سمعَ إج، ولكن لا سبيل إلى سؤاله. *كم عينًا للوْرد غُداف الدَّم؟*

حرارة النَّهار في ارتفاع بالفعل. علَّق دنك لنفسه: *حتى الذِّئاب هربَ. الذِّئاب أعقل منَ الفُرسان. إنه يبقى بعيدًا عن الشَّمس.* تساءلَ هل سيُقدَّم له ولإج واجب الضِّيافة في (الخندق البارد). سيُرحِّب جدًّا بدورقٍ من المزرِ البنّيِ فاتر الحرارة، ولكن بينما تأمَّل دنك ذلك الاحتمال بتلذُّذ، تذكَّر ما قاله إج عن تسميم الأرملة الحمراء أزواجها، ونفرَ عطشه في الحال. ثمَّة أشياء أسوأ من الحلوق الجافَّة.

قال السيْر يوستس: «في زمنٍ ماضٍ حازَت عائلة أوْزجري جميع الأراضي على امتدادِ فراسخ عديدة، من (نَني) في

الشَّرق إلى (غار الحصى). (الخندق البارد) كانت ملكنا، و(تلال الحدوة)، والكهوف في (تباب درنج)، وقُرى (دؤسك) و(دؤسك الصُّغرى) و(سفح البراندي)، وكلا ضفَّتي (البُحيرة المورقة)... وتزوَّجت عذراوات أوْزجري من عائلات فلؤرنت وسوان وتاربك، وحتى هايتاور وبلاكوود».

لاحَت حافة (خميلة وات) لأنظارهم. سترَ دنك عينيْه بيده وضيَّقهما رامقًا الخُضرة، وعلى غير العادة حسدَ إج على قبَّعته المرنة. *على الأقل سنجد شيئًا من الظِّل.*

قال السيْر يوستس: «سابقًا امتدَّت (خميلة وات) حتى (الخندق البارد) نفسها. لا أذكرُ مَن هو وات، ولكن قبل الفتح كان بإمكانك أن تجد في خميلته ثيرانًا برّيَّةً وإلكات عظيمةً طولها عشرون شبرًا أو أكثر، وأيضًا غزالات حمراء أكثر ممَّا يستطيع أيُّ رجل أن يصطاد في عُمره بأكمله، إذ لم يُسمَح إلَّا للملك وأسد المربَّعات بالصَّيد هنا. حتى في أيَّام أبي ارتفعَت الأشجار على جانبَي الجدول، لكن العناكب أزالوها لكي يرعى بقرهم وخرافهم وأحصنتهم».

زحفَت إصبعٌ رفيعة من العرق على صدر دنك، ووجدَ نفسه يتمنَّى من صميم قلبه لو يَصمُت سيّده الأعلى. *الكلام لا يُطاق في هذا الحرّ. الرُّكوب لا يُطاق في هذا الحرّ. لا شيء يُطاق في هذا الحرّ اللَّعين.*

في الخميلة صادَفوا جثَّة قطِّ أشجارٍ بنِّي ضخم تفشو فيها اليرقات. قال إج وهو يدور بميْستر من حولها: «إيو! رائحتها أسوأ من السيْر بِنِس!».

كبحَ السيْر يوستس حصانه قائلًا: «قطُّ أشجار. لم أعرف أنَّ أيًّا منها تبقَّى في هذه الخميلة. تُرى ما الذي قتلَه؟»، وإذ لم يتلقَّ جوابًا قال: «سأعودُ أدراجي من هنا. واصِلا التَّقدُّم على الطَّريق الغربي وسيأخذكما إلى (الخندق البارد) مباشرةً. هل معك المال؟». أومأ دنك برأسه إيجابًا، فقال الفارس الشَّيخ: «عظيم. عُد بمائي أيُّها السيْر»، وخبَّ مبتعدًا في الاتِّجاه الذي جاؤوا منه.

لمَّا رحلَ قال إج: «فكَّرتُ في الأسلوب الذي ينبغي أن تُخاطِب به الليْدي وِيَر أيُّها السيْر. عليك أن تكسبها إلى صفِّك بالإطراء الكيِّس». يبدو الغُلام فاتر الحرارة منتعشًا في غلالته ذات المربَّعات كما بدا السيْر يوستس في معطفه.

ـ *أأنا الوحيد الذي يعرق*؟ «الإطراء الكيِّس. إطراء كيِّس من أيِّ نوع؟».

ـ «كما تعرف أيُّها السيْر. قُل لها كم تبدو بهيَّةً وجميلةً».

ساورَت دنك الشُّكوك. «لقد عمَّرت أكثر من أربعة أزواج، فلا بُدَّ أنها عجوزٌ كالليْدي ڤيْث. إذا قلتُ إنها بهيَّةٌ وجميلة في حين أنها عجوزٌ في وجهها ثآليل فستعدُّني كذَّابًا».

ـ «ما عليك إلَّا أن تجد شيئًا حقيقيًّا تقوله عنها. هكذا يفعل أخي ديْرڤن. يقول إنه واردٌ أن تتمتَّع العاهرات العجائز القبيحات أنفُسهن بشعرٍ حُلو أو آذان حسنة الشَّكل».

ـ «آذان حسنة الشَّكل؟». بدأت شكوك دنك تتنامى.

ـ «أو أعيُن جميلة. قُل لها إنَّ فُستانها يُبرِز لون عينيْها»،

وفكّر الغُلام لحظةً ثم قال: «ما لم تكن لها عينٌ واحدة مثل اللؤلؤ غُداف الدَّم».

ـ *سيّدتي، هذا الفُستان يُبرز لون عينيْك.* سمعَ دنك فُرسانًا ولؤلؤات صغارًا يتفوَّهون بمجاملات شبيهة لليْديهات أخريات، وإن لم يُعيّروا عنها قَطّ بتلك الجرأة. *سيّدتي الكريمة، جميلٌ هذا الفُستان، يُبرز لون عينيْك الفاتنتيْن كلتيْهما.* بعض تلك اليْديهات كان عجوزًا ومهزولًا، أو بدينًا ومتورّد البشرة، أو نديبًا بفعل الجُدري ودميمًا، لكنهن ارتدين فساتين جميعًا وامتلكَ كلٌّ منهن عينيْن، وعلى حدّ ذاكرة دنك سرَّتهن الكلمات المنمَّقة جدًّا. *يا له من فُستانٍ بديع يا سيّدتي، يُبرز الجمال البديع في عينيْكِ جميلتَي اللَّون.* قال دنك بكآبة: «حياة الفارس الجوَّال أبسط. إذا قلتُ القول الخطأ فغالبًا ستضعني في جوالٍ مليء بالصَّخر وتُخيّطه عليَّ وتُلقي بي في خندقها».

ردَّ إج: «أشكُّ في أنَّ عندها جوالًا كبيرًا إلى تلك الدَّرجة أيُّها السيْر. يُمكننا أن نستخدم حذائي بدلًا من ذلك».

زمجرَ دنك: «لا، لا يُمكننا».

عندما خرجا من (خميلة وات) وجدا نفسيْهما على مسافةٍ بعيدة عكس التيَّار من السَّد، وقد ارتفعَت المياه إلى منسوبٍ كافٍ لأن يأخذ الغطسة التي يَحلُم بها. *عميقة بما يكفي لإغراقِ رجلٍ.* على الجانب الآخَر شُقَّت الضفَّة وحُفِرَ أخدودٌ لتحويل جزءٍ من المجرى غربًا، والأخدود يمتدُّ بمحاذاة الطَّريق ليُغذّي عديدًا من القنوات الأصغر التي تسعى كالثَّعابين عبر الحقول. *حالما نَعبُر الجدول سنُصبِح تحت سُلطة الأرملة.* تساءلَ دنك

إلامَ يركب. إنه مجرَّد رجلٍ واحد يحمي ظهره غُلام في العاشرة.

هوَّى إج وجهه سائلًا: «سيْر؟ لماذا توقَّفنا؟».

ـ «لم نتوقَّف». همزَ دنك مطيَّته بكعبيْه وخاضَ في الجدول، وتبعَه إج فوق البغل. ارتفعَت المياه حتى بطن ثندر قبل أن تُعاود الانخفاض، وخرجا والماء يَقطُر منهما على جانب الأرملة. أمامهما يمتدُّ الأخدود مستقيمًا كالحربة، يَبرُق بالأخضر والذَّهبي في الشَّمس.

حين أبصَرا أبراج (الخندق البارد) بعد عدَّة ساعات، توقَّف دنك ليُبدِّل بغلالته الغلالة الدورنيَّة الأنيقة ويُخلخِل سيفه الطَّويل في غمده، فلا يُريد أن يعلق النَّصل إذا دعَت الحاجة إلى سحبه، وهزَّ إج مقبض خنجره أيضًا وعلى وجهه نظرةٌ جادَّة تحت قبَّعته المرنة، ثم استأنَفا الرُّكوب جنبًا إلى جنب، دنك فوق برذونه الكبير والغُلام فوق بغله، ورايةُ أوزجري تُرفرِف بخمولٍ فوق ساريتها.

إلى حدٍّ ما خيَّبت (الخندق البارد) أمله بعد كلِّ ما قاله عنها السيْر يوستس. مقارنةً بـ(ستورمز إند) أو (هايجاردن) وغيرها من المقارِ اللوْرديَّة التي رآها دنك فهي قلعةٌ متواضعة... غير أنها قلعةٌ حقيقيَّة لا بُرج حراسة محصَّن؛ ترتفع أسوارها الخارجيَّة المفرَّجة ثلاثين قدمًا، وفي كلِّ رُكن بُرج يُعادِل ارتفاع (ستاندفاست) مرَّةً ونصفًا، ومن كلِّ بُريج وقمَّة تتدلَّى رايات وبَر السَّوداء ثقيلةً يُزخرِف كلًّا منها عنكَبٌ أرقط على شبكةٍ فضِّيَّة.

قال إج: «سيْر؟ الماء، انظُر أين يذهب».

ينتهي الأخدود تحت أسوار (الخندق البارد) الشَّرقيَّة منصبًّا في الخندق الذي استمدَّت منه القلعة اسمها، وجعلَت خرخرة الماء المنصب دنك يكزُّ على أسنانه. *لن تنال مائي المربَّع*. قال لإج: «تعالَ».

فوق قنطرة البوَّابة الرَّئيسيَّة يتهدَّل صفٌّ من رايات العنكب في الهواء السَّاكن، فوق الرَّمز الأقدم المنقوش بعُمق في الحجر، ورغم أنَّ قرونًا من الرِّيح وعوامل الطَّقس أبلَته فلا يزال شكله مميَّزًا: أسد من المربَّعات يقف منتصبًا على قدم واحدة. البوَّابة تحته مفتوحة، وإذ دبدَبا فوق الجسر المتحرِّك لاحَظَ دنك القدر الذي ينخفضه الخندق. *ستَّة أقدام على الأقل*.

اعترضَ حرَّابان طريقهما عند الشَّبكة الحديديَّة، لأحدهما لحيةٌ سوداء وللآخَر لا. طالبَ اللِّحية بمعرفة غرضهما هنا، فأخبرَه دنك: «سيِّدي أوْزجري بعثَ بي لأتعامل مع الليْدي وِبَر. اسمي السيْر دنكن الطَّويل».

قال الحارس عديم اللِّحية: «حسن، أعرفُ أنك لست بِنِس. كنا سنشمُّه وهو قادم». للرَّجل سنٌّ مخلوعة وشارة عنكبٍ أرقط مخيطة فوق قلبه.

زرَّ اللِّحية عينيْه رامقًا دنك بريبة، وقال: «لا أحد يرى حضرة الليْدي إلَّا بإذن الإنش الطَّويل. تعالَ معي. لصبيِّ الإسطبل أن يبقى مع الخيول».

ردَّ إج بإصرار: «أنا مُرافق لا صبي إسطبل. أأنت أعمى أم غبيٌّ فحسب؟».

انفجرَ عديم اللِّحية ضاحكًا، أمَّا اللِّحية فصوَّب رأس حربته إلى حلق الغُلام وقال: «أعِد ما قُلت».

لطمَ دنك إج على أذنه قائلًا: «لا، اخرس واعتنِ بالخيول»، وترجَّل مخاطبًا الحارس: «سأرى السيْر لوكس الآن».

خفضَ اللِّحية حربته، وردَّ: «إنه في السَّاحة».

مرَّا من تحت الشَّبكة الحديديَّة مدبَّبة الرُّؤوس وكُوَّة دفاع قبل أن يَخرُجا إلى السَّاحة الخارجيَّة. كانت كلاب الصَّيد تنبحُ في الوجار، وسمعَ دنك إنشادًا من النَّوافذ الزُّجاجيَّة المطليَّة بالرَّصاص في جُدران السِّيت الخشبي سُباعي الأجناب. أمام ورشة الحدادة انهمكَ حدَّاد في تركيب حدوةٍ لجوادٍ حربيّ بمساعدة صبيِّه، وعلى مقربةٍ أطلقَ مُرافق سهامه على أهدافٍ الرِّماية، فيما بارَته فتاةٌ منمَّشة ذات ضفيرةٍ طويلة رميةً برمية، وقد راحَ الطَّاووس يدور أيضًا إذ أخذَ نصف دستةٍ من الفُرسان دورهم في ضربه.

وجدا السيْر لوكَس الإنش الطَّويل بين المتفرّجين عند الطَّاووس، يتكلَّم مع سِپتوْن بدين ضخم يتصبَّب عرقًا أكثر من دنك، رجل أبيض عجيني مستدير في مِسح رطب كأنه ارتداه وهو يغتسل. بجواره يقف إنشفيلد كالرُّمحِ، متيبِّسًا ومنتصب القامة وفارع الطُّول... ولو أنه ليس طويلًا مثل دنك. *ستَّة أقدام وسبع بوصات، وفي كلِّ بوصةٍ كبرياء أكثر من سابقتها*. مع أنه يرتدي الحرير الأسود وقُماش الفضَّة، بدا السيْر لوكَس باردًا كأنَّما يمشي فوق (الجِدار).

ناداه الحارس: «سيِّدي، هذا الشَّخص أتى من بُرج الدَّجاج ليَمثُل أمام حضرة الليْدي».

التفتَ السِّپتوْن أوَّلًا مُطلقًا صيحة ابتهاج حادَّةً جعلَت دنك يتساءَل هل هو سكران. «وما هذا؟ فارسٌ جوَّال؟ عندكم في (المرعى) أماكن كبيرة للتَّجوال»، ثم رسمَ السِّپتوْن علامة بركةٍ وقال: «عسى أن يُقاتِل **المُحارب** في صفِّك دومًا. أنا السِّپتوْن سِفتوْن. اسمٌ مؤسف، لكنه اسمي. وأنت؟».

ـ «السيْر دنكن الطَّويل».

قال السِّپتوْن للسيْر لوكَس: «شخصٌ متواضع هذا. لو أني كبيرٌ مثله لسمَّيت نفسي السيْر سِفتوْن الهائل، السيْر سِفتوْن البُرج، السيْر سِفتوْن ذا السَّحاب حول أذنيْه». وجه الرَّجل البدريُّ محتقن، وعلى ثوبه بُقع نبيذ.

تفرَّس السيْر لوكَس في دنك. رجلٌ أكبر سنًّا هو، في الأربعين على الأقل، ويجوز أنه يَبلُغ الخمسين، بارز الأوتار أكثر منه قويُّ العضلات، وقبيح الوجه إلى حدٍّ لافت، فشفتاه غليظتان،

وأسنانه شبكة من الصُّفرة، وأنفه عريضٌ لحيم، وعيناه جاحظتان. *وغاضب*. هكذا استشعرَ دنك من قبل أن يقول الرَّجل: «الفُرسان الجوَّالة متسوّلون يحملون سيوفًا في أفضل الأحوال، وخارجون عن القانون في أسوئها. ارحل. لا نُريد أحدًا على شاكلتك ها هنا».

اربدَّ وجه دنك، وقال: «السيْر يوستس أوْزجري بعثَ بي من (ستاندفاست) لأتعامل مع سيِّدة القلعة».

ردَّد السِّيتوْن: «أوْزجري؟»، ونظرَ إلى الإنش الطَّويل قائلًا: «أوْزجري صاحب أسد المربَّعات؟ ظننتُ أنَّ آل أوْزجري انقرَضوا».

ـ «قُرابة هذا بما لا يُحدَث فرقًا. الشَّيخ آخرهم. إننا نَترُكه يحتفظ بمنزلٍ مبرَّج متهدِّم يَبعُد بضعة فراسخ شرقًا»، وقال السيْر لوكس عابسًا في وجه دنك: «إذا أرادَ السيْر يوستس الكلام مع حضرة الليْدي فليحضر بنفسه»، وضاقَت عيناه إذ أضافَ: «أنت الذي كان مع بِنس عند السَّد. لا تُحاوِل الإنكار. حريٌّ بي أن أشنقك».

جفَّف السِّيتوْن جبهته من العرق بكُمِّه قائلًا: «ليُنقِذنا **السَّبعة**. أهو قاطع طريق؟ وكبير أيضًا. سيْر، تُب عن شرورك وسترحمك **الأُم**». أوهنَت ضرطةٌ التماس السِّيتوْن المبرور. «أوْه، ويلي. سامِحني على إطلاقي الرِّيح أيُّها السيْر. إنها نتيجة الفاصوليا وخُبز الشَّعير».

قال دنك لكليْهما بكلِّ ما استطاعَ استجماعه من كرامة: «لستُ قاطع طريق».

لم يتأثّر الإنش الطَّويل بإنكاره، وقال: «لا تستغلَّ صبري أيُّها السيْر... لو أنك حقًّا سيْر. اجرِ إلى بُرج الدَّجاج وقُل للسيْر يوستس أن يُسلِّم السيْر بِنس أبا النَّتانة البِنِّيَّة. إذا أغنانا عن متاعب اقتلاعه من (ستاندفاست) فقد تميل حضرة الليْدي أكثر إلى التَّسامُح».

ـ «سأتحدَّثُ مع حضرة الليْدي عن السيْر بِنس والمتاعب عند السَّد، وعن سرقة مائنا أيضًا».

ـ «سرقة؟ قُل هذا لسيِّدتنا وستسبح في جوالٍ قبل أن تَغرُب الشَّمس. أواثقٌ أنت بأنك ترغب في رؤيتها؟».

الشَّيء الوحيد الذي يثق به دنك أنه يُريد أن يهوي بقبضته على أسنان لوكَس إنشفيلد الصَّفراء المعوجَّة. «لقد أخبرتك بما أريده».

حثَّ السِّپتوْن الفارس: «أوْه، دعه يتكلَّم معها. ما الضَّرر في ذلك؟ السيْر دنكن ركبَ طريقًا طويلًا تحت هذه الشَّمس الفظيعة، فدع الرَّجل يقول ما لديه».

عادَ السيْر لوكَس يتفرَّس في دنك، ثم قال: «سِپتوْننا رجلٌ ورِع. تعالَ. سأشكرك إذا تكلَّمت بإيجاز»، وقطعَ السَّاحة بخُطواتٍ واسعة، وأُجبرَ دنك على الإسراع في أعقابه.

كانت أبواب سِپت القلعة قد انفتحَت والمتعبّدون يتدفَّقون نازلين السَّلالم، وقد ضمُّوا فُرسانًا ومُرافقين، ودستَةً من الأطفال، وعدَّة رجالٍ مسنّين، وثلاث سِپتوات في مسوح بيضاء مقلنسة... وسيِّدةً لحيمةً غضَّةً رفيعة الميلاد، ترتدي فُسْتانًا من الدِّمقس

الأزرق الغامق الموشَّى بالمخرَّمات المايريَّة، طويلًا إلى حدِّ أنَّ حواشيه مجرورة في التُّراب. قدَّر دنك أنها في الأربعين. تحت شبكةٍ من الفضَّة المغزولة شعرها الأصحر مكوَّم عاليًا، لكن أشدَّ ما فيها حُمرةً وجهها.

لمَّا وقفا أمامها هي وسيِّتواتها قال السيْر لوكَس: «سيِّدتي، هذا الفارس الجوَّال يَزعُم أنَّ معه رسالةً من السيْر يوستس أوْزجري. هل ستسمعينها؟».

أجابَت: «إذا أردت أيُّها السيْر لوكَس»، وتمعَّنت في دنك بشدَّة حتى إنه لم يسعه إلَّا أن يتذكَّر كلام إج عن الشَّعوذة. *لا أظنُّ أنها تغتسل بالدِّماء لتحفظ جمالها*. الأرملة ممتلئة مربَّعة، لها رأسٌ مدبَّب على نحوٍ غريب لا يُخفيه شعرها بالكامل، وأنفها كبير جدًّا وفمها صغير جدًّا. أراحَه أن يرى أنَّ لها عينيْن، لكن كلَّ فكرةٍ عن الكياسة هجرَت دنك قبل ذلك. «السيْر يوستس أمرَني بالكلام معكِ بشأن المتاعب الأخيرة عند سدِّكِ».

حملقَت إليه قائلةً: «الـ... السَّد تقول؟».

بدأ جمهورٌ يتجمَّع حولهم، وشعرَ دنك بعيونٍ عُدوانيَّة تَرمُقه. «الجدول، (ماء المربَّعات). حضرتكِ بنيتِ سدًّا عبره...».

ردَّت: «أوْه، أنا واثقةٌ تمامًا بأني لم أفعل. إنني منشغلةٌ بعباداتي منذ أوَّل الصَّباح أيُّها السيْر».

سمعَ دنك السيْر لوكَس يُقهقِه، وقال: «لم أعنِ أن أقول إنَّ حضرتكِ بنيتِ السَّد بنفسكِ، بل فقط أنَّ... من غير الماء ستموت محاصيلنا كلُّها... العامَّة لديهم فاصوليا وشعير في

الحقـول، وشـمَّام...».

قالـت: «حقًّا؟ إنـني مغرمةٌ للغايـة بالشـمَّام»، ورسـمَ فمهـا الصَّغيـر قوسًـا سـعيدًا وهي تسـأله: «أيُّ نـوعٍ مـن الشـمَّام هـو؟».

ألـقى دنـك نظـرةً عابـرةً عـلى حلقـة الوجـوه، وشـعرَ بوجهـه هـو يَسـخُن. *شيء ما على غير ما يُرام هنا. الإنـش الطَّويـل يُغفِّلـني.* «سـتِّي، أيُمكننـا أن نُواصِـل نقاشـنا في... مكانٍ أكثـر خصوصيَّـةً؟».

قـال أحدهـم مازحًـا: «أراهـنُ بقطعـةٍ فضِّيَّـة أنَّ الأخـرق الكبيـر يهـدف إلى مضاجعتهـا!»، ليرتـفع هديـرٌ ضاحـك مـن كلِّ جهـة. نكصَـت الليْـدي شـبه مذعـورة ورفعَـت كلتـا يديْهـا لتَسـتُر وجههـا، في حيـن تحرَّكـت إحـدى سِـپتواتها بسـرعةٍ لتقـف بجانبهـا وتُحيـط كتفيْهـا بـذراعٍ حاميـة.

ـ «ومـا كلُّ هـذا المـرح؟». شـقَّ الصَّـوت الضَّحـك بـاردًا حازمًـا. «ألـن يُطلِعـني أحـدٌ عـلى الدُّعابـة؟ أيُّهـا السـيْر الفـارس، لمـاذا تُـزعِج أختـي الصِّهرة؟».

إنهـا الفتـاة الـتي رآهـا قبـل قليـلٍ عنـد أهـداف الرِّمايـة. عـلى إحـدى وركيْهـا جعبـة سـهام، وفي يدِهـا قـوسٌ يُماثِلهـا طـولًا، أي إنـه ليـس طـويلًا إلى تلـك الدَّرجـة. إذا كان دنـك يَنقُـص بوصـةً عـن الأقـدام السَّـبعة فالرَّاميـة تَنقُـص بوصـةً عـن خمسـة أقـدام، وبإمكانـه أن يُطـوِّق خصرهـا بكلتـا يديْـه. شـعرها الأحمـر مربـوطٌ في ضفيـرةٍ طويلـة تمتـدُّ حـتى تمـسَّ مـا تحـت فخذيْهـا، وفي ذقنهـا غمَّـازة، ولهـا أنـفٌ أفطـس، وعـلى خدَّيْهـا نُشـارة خفيفـة مـن النَّمـش.

ـ «سـامِحينا أيَّتهـا الليْـدي روْهـان». المتكلِّـم لوْرد شـابٌّ وسـيم،

على دبليَّته تطريزٌ لقنطور عائلة كازول. «الأخرق الكبير حسبَ الليدي هليسنت أنتِ».

نظرَ دنك من ليدي إلى أخرى، وسمعَ نفسه يقول باندفاع: «أنتِ الأرملة الحمراء؟! لكنكِ...».

ـ «صغيرة السِّن؟». ألقَت الفتاة بالقوس الطَّويل إلى الفتى النَّحيف الذي رآه دنك يُطلق السِّهام معها، وتابعَت: «إنني في الخامسة والعشرين في واقع الأمر. أم إنك قصدت أن تقول صغيرة الحجم؟».

ـ «... حسناء، قصدتُ حسناء». لم يدرِ من أين أتَت الكلمة، وإن سرَّه أنها أتَت. يُعجبه أنفها، ولون شعرها ذو شُقرة الفراولة، والثَّديان الصَّغيران ولكن مكسَّمان تحت جركينتها الجلديَّة. «ظننتكِ ستكونين... أعني... قالوا إنكِ ترمَّلتِ أربع مرَّات، ف...».

ـ «زوجي الأوَّل ماتَ وأنا في العاشرة. كان في الثَّانية عشرة، مُرافق أبي، وقد ديسَ في (حقل العُشب الأحمر). نادرًا ما يعيش أزواجي طويلًا للأسف. الأخير ماتَ في الرَّبيع».

هكذا يقولون دومًا عمَّن قضوا نحبهم خلال الوباء الرَّبيعي العظيم قبل سنتيْن: *ماتَ في الرَّبيع*. عشرات الألوف ماتوا في الرَّبيع، منهم ملكٌ عجوز حكيم وأميران شابَّان واعدان للغاية. «إنني... إنني آسفٌ لخسائركِ يا ستِّي». *مجاملة أيُّها الأنوَك، وجِّه إليها مجاملةً*. «أريدُ أن أقول... فُستانكِ...».

ردَّدت: «فُستاني؟»، ونظرَت إلى حذائها وبنطالها وغلالتها

الكتّان الفضفاضة وجركينتها الجلد قائلةً: «لستُ أرتدي فُستانًا».

ـ «قصدتُ شعركِ... إنه ناعم و...».

ـ «وما أدراك أيُّها السيْر؟ لو لمست شعري من قبل فأظنُّني كنتُ سأتذكّرُ».

قال دنك ببؤس: «ليس ناعمًا. قصدتُ أن أقول إنه أحمر. شعركِ أحمر جدًّا».

ردَّت: «أحمر جدًّا؟ أوْه، آملُ أنه ليس باحمرار وجهك»، وضحكَت ليضحك معها المتفرّجون.

جميعهم باستثناء السيْر لوكَس الإنش الطَّويل، الذي تدخَّل بقوله: «سيّدتي، هذا الرَّجل أحد مرتزِقة (ستاندفاست). لقد رافقَ بِنس صاحب التُّرس البنّي عندما هاجمَ حفَّاريكِ عند السَّد وشقَّ وجه وولمر. العجوز أوْزجري أرسلَه ليتعامَل معكِ».

ـ «صحيحٌ يا ستّي. اسمي السيْر دنكن الطَّويل».

ـ «السيْر دنكن البليد بالأحرى». قالها فارسٌ ملتح يرتدي صاعقة عائلة لِايجود الثُّلاثيَّة، ليرتفع مزيدٌ من الكركرةً، وحتى الليْدي هليسنت تعافَت بما يكفي لأن تُقهقِه.

ـ «هل ماتَت لياقة (الخندق البارد) مع أبي؟». ألقَت الفتاة السُّؤال، وفكّر دنك: *لا، ليست فتاةً، بل امرأة بالغة*. «تُرى كيف ارتكبَ السيْر دنكن غلطةً كهذه؟».

رشقَ دنك إنشفيلد بنظرةٍ شرّيرة، وقال: «الغلطة غلطتي».

ـ «حقًّا؟». تطلَّعت الأرملة الحمراء إلى دنك من قدميْه إلى

رأسه، وإن ثبتَت نظرتها أطول وقتٍ على صدره. «شجرة وشهاب. لم أرَ ذلك الشِّعار من قبل». مسَّت غلالته متحسِّسةً فرعًا من دردارته بإصبعيْن، وقالت: «ومرسومٌ لا مخيط. الدورنيُّون يرسمون على حرايرهم حسبما سمعتُ، لكنك تبدو أكبر من أن تكون دورنيًّا».

ـ «ليس كلُّ الدورنيِّين صغار الحجم يا ستِّي». شعرَ دنك بإصبعيْها عبر الحرير. يدها أيضًا منمَّشة. *أراهنُ أن جسدها كلَّه منمَّش.* أحسَّ بفمه جافًّا على نحوٍ غريب. «لقد قضيتُ سنةً في (دورن)».

سألَته وإصبعاها تتحسَّسان فرعًا من الشَّجرة حول قلبه: «أينمو السِّنديان كلُّه إلى هذا الطُّول هناك؟».

ـ «المفترَض أنها دردارةٌ يا ستِّي».

قالت: «سأتذكَّرُ»، وسحبَت يدها برزانةٍ مستطردةً: «حرُّ السَّاحة وغُبارها لا يسمحان بالحوار. أيُّها السِّبتون، اصحب السيِّر دنكن إلى غُرفة اللِّقاءات».

ـ «من دواعي سروري العظيم يا أختي الصِّهرة».

ـ «لا بُدَّ أنَّ ضيفنا عطشان. لك أن تُرسِل في طلب إبريقٍ من النَّبيذ أيضًا».

أشرقَ وجه الرَّجل البدين، وقال: «أواجبٌ هذا؟ حسن، كما تأمرين».

قالت: «سأنضمُّ إليك حالما أبدِّلُ ثيابي»، وحلَّت حزامها وجعبتها وناولَتهما لرفيقها مضيفةً: «سأريدُ الميْستر كِرك أيضًا.

مكتبة
t.me/soramnqraa

سيْر لوكَس، اذهب واطلُب منه أن يَحضُرني».

قال لوكَس الإنش الطَّويل: «سأجلبه على الفور يا سيِّدتي».

النَّظرة التي حدجَت بها أمين قلعتها كانت باردةً إذ قالت: «لا داعي. أعرفُ أنَّ عندك واجباتٍ عدَّةً في أنحاء القلعة. يكفي أن تُرسِل المِيْستر كِرك إلى مسكني».

ناداها دنك: «ستِّي، لقد جعلوا مُرافقي ينتظر عند البوَّابة. أيُمكن أن ينضمَّ إلينا أيضًا؟».

ـ «مُرافقك؟». حينما تبتسم تبدو كبنتٍ في الخامسة عشر لا امرأة في الخامسة والعشرين. *بنت حسناء مفعمة بالعبث والضَّحك*. «إذا شئت فبالتَّأكيد».

***

ـ «لا تشرب النَّبيذ أيُّها السيّر». قالها له إج همسًا وهما منتظران مع السِّبتوْن في غُرفة لقاءات الليْدي، حيث تُغطِّي الأرض الحجريَّة حصائرُ عاطرة، وتُعلَّق على الجُدران طنافس تُصوِّر مشاهد مباريات ومعارك.

نخرَ دنك بسخرية، وردَّ هامسًا: «لا حاجة بها إلى تسميمي. إنها تحسبني جلفًا كبيرًا بين أذنيْه ثريد بازلَّاء بدلًا من المُخ».

ـ «يتصادَف أنَّ أختي الصِّهرة يطيب لها ثريد البازلَّاء». قالها السِّبتوْن سِفتوْن إذ عاودَ الظُّهور بإبريق نبيذٍ وإبريق ماءٍ وثلاثة أكواب.

«نعم، نعم، لقد سمعتُ. إنني بدين لا أطرش». ملأ السِّبتوْن كوبيْن بالنَّبيذ وواحدًا بالماء، وأعطى الثَّالث لإج الذي رمقَ الكوب بنظرةٍ مستريبة طويلة ووضعَه جانبًا. لم يلحظ السِّبتوْن وهو يُخبِر دنك: «إنه نبيذٌ معتَّق من (الكرمة). ممتازٌ حقًّا، والسُّم يُضيف إليه حرافةً مميَّزةً»، وغمزَ لإج مضيفًا: «نادرًا ما أقربُ العنب عن نفسي، ولكن هكذا سمعتُ»، وناولَ دنك كوبًا.

النَّبيذ سائغٌ وحُلو، إلَّا أنَّ دنك رشفَ منه بحذر، وفقط بعدما عبَّ السِّبتوْن نصف كوبه على ثلاث جرعاتٍ كبيرة متلمِّظًا، أمَّا

إج فربَّع ذراعيْه على صدره وظلَّ يتجاهَل ماءه.

قال السِّپتوْن: «يطيب لها ثريد البازلَّاء، وأنت أيضًا أيُّها السيْر. إنني أعرفُ أختي الصِّهرة. حين رأيتك في السَّاحة أملتُ نوعًا أنك خاطبٌ جاءَ من (كينجز لاندنج) ليَطلُب يد سيِّدتي».

عقدَ دنك حاجبيْه، وسألَه: «كيف عرفت أني من (كينجز لاندنج) أيُّها السِّپتوْن؟».

ـ «لأهل (كينجز لاندنج) طريقةٌ معيَّنة في الكلام». جرعَ السِّپتوْن من النَّبيذ ودوَّره في فمه، ثم ابتلعَ متنهِّدًا باستمتاع، وقال: «لقد خدمتُ هناك سنينَ عدَّةً، في حضرة سِپتوْننا الأعلى بـ(سِپت بيْلوْر الكبير)»، وتنهَّد مواصلًا: «لن تتعرَّف على المدينة بعد الرَّبيع. الحرائق غيَّرتها. رُبع المنازل راحَ، ورُبع آخَر خاو. الجرذان اختفَت أيضًا. هذا أغرب ما في الأمر. لم يَخطُر ببالي قَطُّ أني سأرى مدينةً بلا جرذان».

دنك أيضًا سمعَ هذا. «أكنت هناك خلال الوباء الرَّبيعي العظيم؟».

ـ «أوْه، بالتَّأكيد. وقتٌ مريع أيُّها السيْر، مريع. رجالٌ أقوياء يستيقظون بكامل صحَّتهم عند مطلع الفجر ويحلّ عليهم المساء موتى. كثيرون جدًّا ماتوا سريعًا جدًّا حتى إنَّ الوقت لم يُتح أن يُدفَنوا. بدلًا من ذلك كوَّموهم في (جُب التَّنانين)، ولمَّا صارَ عُمق الجُثث عشرة أقدام أمرَ اللوْرد ريڤرز كهنة النَّار بإحراقها. سطعَ ضوء النِّيران من النَّوافذ كما حدثَ في الأيَّام الغابرة والتَّنانين الحيَّة بعدُ معشِّشة تحت القُبَّة. ليلًا أمكنَ المرء أن يرى الوهج في جميع أنحاء المدينة، وهج النَّار الشَّعواء الأخضر

الدَّاكن. ما زالَ اللَّون الأخضر لا يُفارِق عقلي حتى اليوم. يقولون إنَّ الرَّبيع كان سيِّئًا في (لانسپورت) وأسوأ في (البلدة القديمة)، أمَّا في (كينجز لاندنج) فأودى بأربعةٍ من كلِّ عشرة. لا الصَّغير ولا الكبير جُنِّبَ المرض، ولا الغني ولا الفقير، ولا العظيم ولا الوضيع. سِپتوْننا الأعلى الكريم راحَ في الوباء، صوت الآلهة أنفُسها على الأرض، ومعه ثُلث مجلس القانتين وجميع أخواتنا الصَّامتات تقريبًا. صاحب الجلالة الملك ديْروْن، العذب ماتارِس والجريء ڤالر، اليد... أوْه، كان وقتًا مريعًا. بحلول النِّهاية كان نصف المدينة يتوجَّه بالصَّلاة إلى **الغريب**». أخذَ السِّپتوْن شربةً أخرى، ثم سألَ: «وأين كنت أنت أيُّها السيْر؟».

أجابَ دنك: «في (دوْرن)».

ـ «الشُّكر **للأم** على رحمتها إذًا». لم يصل الوباء الرَّبيعي العظيم إلى (دوْرن) إطلاقًا، ربَّما لأن الدوْرنيِّين أغلَقوا حدودهم وموانيهم مثلما فعلَ آل آرن سادة (الوادي) الذين تجنَّبوا المرض أيضًا. «كلُّ هذا الكلام عن الموت كفيلٌ بتنفير المرء من النَّبيذ، لكن البهجة عزيزة المنال في الأوقات التي نحياها. الجفاف مستمرٌّ على الرغم من صلواتنا. (غابة الملوك) عُلبة صوفان ضخمة، والحرائق مضطرمة هناك ليل نهار. الفولاذ الأليم وأبناء ديْمون بلاكفاير يُدبِّرون المؤامرات في (تايروْش)، وكَراكِن داجوْن جرايجوْي يجوبون (بحر الغروب) كالذِّئاب، متوغِّلين جنوبًا حتى (الكرمة) في غاراتهم. يُقال إنهم نهبوا نصف ثروة (الجزيرة القصيَّة)، ومئة امرأةٍ أيضًا. اللوْرد فارمان يُرمِّم دفاعاته، ولو أنَّ ذلك يبدو لي شبيهًا بالرَّجل الذي يُكبِّل ابنته الحُبلى بحزام عفَّة في حين أنَّ بطنها كبيرٌ كبطني. اللوْرد براكن يُحتضَر ببُطء على

ضفـاف (الثَّالـوث)، وابنـه الأكبـر قـضى في الرَّبيـع. معـنى ذلـك حتميَّـة أن يخلفـه السيْر أوْثو. آل بلاكـوود لـن يهضمـوا أن يُجاوِرهـم غاشـم براكـن أبـدًا. سـيعني ذلـك الحـرب».

يعـرف دنـك بالعـداوة العتيقـة بيـن عائلـتَي بلاكـوود وبراكـن. «ألـن يفـرض عليهـم سـيِّدهم الأعـلى الـسَّلام؟».

قال السِّيتوْن سِفتوْن:

«للأسف، اللوْرد تَلي غُلام

في العاشرة مُحاط بالنِّساء.

(ريفرَّن) ستفعل قليلًا، والملك إيْرس

سـيفعل أقـلَّ. مـا لـم يَكتُـب ميْسـتر مـاكتابًـا عنهـا فقـد تفـوت المسـألة كلُّهـا ملاحظتـه الملكيَّـة. ليـس واردًا أن يسـمح اللوْرد ريفرز لأيِّ براكـن بالدُّخـول لرؤيتـه. أرجـو أن تتذكَّـر أنَّ يدنـا وُلِـدَ نصـف

بلاكوود. إذا تصرَّف على الإطلاق فلن يَحدُث ذلك إلَّا لمعاونة أولاد خؤولته على تضييق الخناق على الغاشم. **الأم** وضعَت على اللوْرد ريفرز علامةً يوم مولده، والفولاذ الأليم وضعَ عليه علامةً أخرى في (حقل العُشب الأحمر)».

يعرف دنك أنه يقصد غُداف الدَّم. برندن ريفرز اسم يد الملك الحقيقيُّ، الذي كانت أمُّه من آل بلاكوود وأبوه الملك إيْجوْن الرَّابع.

شربَ الرَّجل البديل نبيذه واستمرَّ في النَّرثرة: «أمَّا إيْرس فجلالته يُبالي أكثر بالمخطوطات القديمة والنُّبوءات المغبَّرة ممَّا يُبالي باللوْردات والقوانين. إنه يأبى مجرَّد أن يُحرِّك لنفسه لِيُنجِب وريثًا. الملكة إيْلِنوْر تُصلِّي يوميًّا في (السِّبت الكبير)، تتضرَّع إلى **الأم في الأعالي** لتُبارِكها بطفل، لكنها باقيةٌ عذراء. لإيْرس مسكنه الخاص، ويُقال إنه يُؤثِر أن يأخذ إلى الفِراش كتابًا على أيِّ امرأة»، وملأ كوبه ثانيةً متابعًا: «ثِق بأن اللوْرد ريفرز هو الذي يَحكُمنا بتعاويذه وجواسيسه. لا يُوجَد مَن يُعارضه. الأمير ميْكار يقبع واجمًا في (بهو الصَّيف)، مستغرقًا في التَّفكير في ضيم أخيه الملوكي. الأمير ريْجل خنوع بقدر ما هو مجنون، وأطفاله... أطفال. أصدقاء اللوْرد ريفرز ومفضَّلوه يشغلون كلَّ وظيفة، ولوْردات المجلس الصَّغير يلعقون يده، وهذا الميْستر الأكبر الجديد منغمس مثله في الشَّعوذة. (القلعة الحمراء) حاميتها من أسنان الغُداف، ولا أحد يرى الملك دون إذنه».

اعتدلَ دنك باضطراب في جلسته. *كم عينًا للوْرد غُداف الدَّم؟ ألف عينٍ وعين.* أملَ أنَّ يد الملك لا يملك ألف أذنٍ

وأذن أيضًا، فلبعض ما قاله السِّبتوْن سِفتوْن وقع الخيانة. ألقى بنظرةٍ عابرة على إج ليرى كيف يستقبل كلَّ هذا، ورأى الغُلام يُكافح بكامل قوَّته ليُمسِك لسانه.

دفعَ السِّبتوْن نفسه إلى النُّهوض قائلًا: «أختي الصَّهرة ستتأخَّر قليلًا. مثل كلِّ الليْديهات العظيمات، ستجد أنَّ أوَّل عشرة فساتين تُجرِّبها لا تُوائم مزاجها. مزيدٌ من النَّبيذ؟»، ودون أن ينتظر جوابًا أعادَ ملء كلا الكوبيْن.

قال دنك تائقًا إلى الكلام في موضوعٍ آخَر: «الليْدي التي خاطبتها بالخطأ، أهي أختك؟».

أجابَ السِّبتوْن: «إننا جميعًا أطفال **السَّبعة** أيُّها السيْر، ولكن بعيدًا عن ذلك... ويحي، لا! الليْدي هليسنت أخت السيْر رولاند أوفرنج، زوج الليْدي رؤهان الرَّابع الذي ماتَ في الرَّبيع. أخي كان سلفه، السيْر سيمؤن ستاونتن الذي مُنِيَ بسوء حظٍ عظيم واختنقَ بعظمة دجاجة. (الخندق البارد) تعجُّ بالأشباح، ولا بُدَّ من قول هذا. الأزواج يموتون، لكن أقرباءهم باقون ليشربوا خمور سيِّدتي ويأكلوا حلوياتها كوبالٍ من الجراد الوردي السَّمين المخلوق من الحرير والمخمل»، ومسحَ فمه مضيفًا: «وعلى الرغم من ذلك يجب أن تتزوَّج ثانيةً، وقريبًا».

ردَّد دنك: «يجب؟».

ـ «وصيَّة السيِّد والدها تتطلَّب هذا. اللؤرد وايمان أرادَ أحفادًا يُحافظون على نسله. عندما مرضَ حاولَ تزويجها بالإنش الطَّويل ليموت عالمًا أنَّ معها رجلًا قويًّا يحميها، لكن رؤهان رفضَته. هكذا انتقمَ حضرة اللؤرد في وصيَّته. إذا ظلَّت عزباء حتى ذكرى

وفاة أبيها الثَّانية فستؤول (الخندق البارد) وأراضيها إلى ابن عمومته وِندل. ربَّما لمحته في السَّاحة. رجلٌ قصير في عُنقه دُراق، من عادته المستمرَّة إطلاق الرِّيح، ولو أنها حقارةٌ مني أن أقول هذا، فأنا عن نفسي ملعونٌ بريح مفرطة. أيًّا كان. السيِّر وِندل طمَّاع وغبي، لكن السيِّدة زوجتَه أخت اللوْرد رُوان... وخصيبة إلى درجةٍ فظيعة، لا يُمكن إنكار ذلك. إنها تلد بقدر ما يضرط. أبناؤهما يُماثلونه سوءًا، وبناتهما أسوأ، وكلُّهم بدأ يعدُّ الأيَّام. اللوْرد رُوان أقرَّ الوصيَّة، أي إنَّ لدى حضرة الليْدي وقتًا حتى القمر الجديد المقبل فقط».

تساءلَ دنك بصوتٍ عالٍ: «لماذا طالَ انتظارها هذا الوقت كلَّه؟».

هزَّ السِّيتوْن كتفيْه، وقال: «الحقُّ يُقال إنَّ في الخُطَّاب شُحًّا. أختي الصِّهرة ليست دميمة المُحيَّا كما لاحظت، والقلعة القويَّة والأراضي الفسيحة تُضيف إلى مفاتنها. كنت لتحسب أنَّ الأبناء الأصغر والفُرسان عديمي الأراضي سيحتشدون حولها كالذُّباب، وكنت لتُخطئ. الأزواج الموتى الأربعة جعلوهم حذرين، ويُوجَد مَن سيقولون إنها عاقرٌ أيضًا... ولكن ليس على مسمع منها أبدًا ما لم يكونوا مشتاقين إلى رؤية قفص غِربان من الدَّاخل. لقد حملَت طفليْن حتى الوضع، ولدًا وبنتًا، غير أنَّ أحدهما لم يعِش ليشهد يوم ميلاد. القلائل الذين لا يُنفِّرهم الكلام عن التَّسميم والشَّعوذة لا يُريدون التَّعامُل مع الإنش الطَّويل. اللوْرد وايمان كلَّفه على فِراش الموت بحماية ابنته من الخُطَّاب غير اللَّائقين، وهو ما عدَّه الإنش الطَّويل جميع الخُطَّاب. على أيِّ رجلٍ يُريد أن يحظى بيدها أن يُواجِه سيفه أوَّلًا». أنهى السِّيتوْن نبيذه ووضعَ

الكوب جانبًا قائلًا: «لا يعني ذلك أنَّ أحدًا لم يتقدَّم. كليْتن كازوِل وسيمون لِايجود أشدُّهم إصرارًا، مع أنهما يبدوان أكثر اهتمامًا بأراضيها من شخصها. لو أني أنزعُ إلى الزِّهان لراهنت بذهبي على چيْرولد لانستر. ما زالَ لم يظهر بنفسه بعدُ، لكنهم يقولون إنه ذهبيُّ الشَّعر وسريع البديهة، ويَبلُغ أكثر من ستَّة أقدامٍ طولًا...».

ـ «... والليْدي وِيَر مفتونةٌ برسائله». وقفَت الليْدي المعنيَّة في المدخل بجوار ميْستر شاب قبيح له أنفٌ ضخم معقوف. «لخسرت رهانك يا أخي الصِّهر. چيْرولد لن يتخلَّى طواعيةً أبدًا عن مسرَّات (لانسپورت) وأبَّهة (كاسترلي رُك) في سبيل لوردِيَّة صغيرة. إنَّ نفوذه بصفته شقيق اللورد تايبولت ومستشاره أشدُّ ممَّا يُمكن أن يأمل وهو زوجي. والآخَرون، على السيْر سيمون أن يبيع نصف أرضي ليُسدِّد دينه، والسيْر كليْتن يرتعش كورقة شجرٍ متى تعطَّف الإنش الطَّويل ونظرَ في اتِّجاهه. ثم إنه أجمل مني. وأنت أيُّها السِّپتون صاحب أكبر فمٍ في (وستروس)».

دونما ذرَّة خجلٍ قال السِّپتون سِفتون: «البطن الكبير يتطلَّب فمًا كبيرًا وإلَّا فسرعان ما سيَصغُر».

سألَها إج مندهشًا: «أأنتِ الأرملة الحمراء حقًّا؟ إنني أناهزكِ طولًا!».

ـ «صبيٌّ آخَر أبدى الملاحظة نفسها قبل أقل من نصف عام، فأرسلته إلى المِخلعة لتجعله أطول». حين استوَت الليْدي روْهان على المقعد العالي فوق المنصَّة، سحبَت من فوق كتفها ضفيرتها الطَّويلة إلى حدِّ أنَّ طرفها استقرَّ في حجرها ملتفًّا كهرَّةٍ نائمة.

«سيْر دنكن، لم ينبغ أن أعابثك في السَّاحة وأنت تحاول بجهدٍ أن تتكلَّم بدماثة. المشكلة أنَّ وجهك تورَّد بحُمرةٍ شديدة... ألم تُوجَد فتاةٌ تُعابِثك في القرية التي نمَوت فيها إلى هذا الطُّول؟».

ـ «القرية هي (كينجز لاندنج)». لم يَذكُر (سفح البراغيث). «كانت فيها فتيات، ولكن...». نوع المعابثة الشَّائع في (سفح البراغيث) يتضمَّن أحيانًا بتر إصبعٍ من القدم.

ملَّست الليْدي روْهان على ضفيرتها قائلةً: «أتوقَّع أنهن خشين معابثتك. لا شكَّ أنَّ حجمك أرهبَهن. لا تُسئ الظَّن بالليْدي هليسنت، أناشدك. أختي الصِّهرة مخلوقةٌ بسيطة، لكنها خاليةٌ من الأذيَّة. على الرغم من ورعها لا تستطيع إلباس نفسها دون سِبتواتها».

ـ «إنها لم تفعل شيئًا. الغلطة غلطتي».

ـ «تكذب بمنتهى الشَّهامة. أعرفُ أنه السيْر لوكَس. إنه رجلٌ قاسي المزاج، وأنت أسأت إليه بمجرَّد النَّظر».

قال دنك حائرًا:

«كيف؟ أنا لم أوذِه قَطُّ». ابتسمَت ابتسامةً جعلَته يتمنَّى لو أنها أقل جمالًا، وقالت: «لقد رأيتك واقفًا معه. إنك تفوقه طولًا بمقدار يدٍ أو نحوها. مرَّ وقتٌ طويل منذ قابلَ السيْر لوكَس أحدًا لا يُمكنه أن يَنظُر إليه من أعلى. كم سنُّك أيُّها السيْر؟».

ـ «قُرابة العشرين، بعد إذن ستِّي». راقَ دنك رنين كلمة «عشرين»، مع أنه أصغر غالبًا بعام، وربَّما باثنيْن. لا أحد يعلم يقينًا، بالذَّات هو. لا بُدَّ أنه وُلِدَ لأمّ وأب ككلِّ أحدٍ آخَر، إلَّا أنه لم يعرفهما مطلقًا، ولا عرفَ اسميْهِما حتى، ولا أحد في (سفح البراغيث) همَّه كثيرًا متى وُلِدَ أو لمَن.

ـ «أأنت قويٌّ كما تبدو؟».

ـ «إلى أيِّ حدٍّ أبدو قويًّا يا ستِّي؟».

ـ «أوْه، إلى حدِّ مضايقة السيْر لوكَس. إنه أمين قلعتي، ولكن ليس باختياري. مثل (الخندق البارد)، هو إرثٌ من أبي. هل نلت الفروسيَّة في ميدان معركةٍ أيُّها السيْر دنكن؟ كلامك يُوحي بأنك لست وليد دماءٍ نبيلة، إذا سامحتني على قولي هذا».

ـ *إنني وليد دماء الحواري*. «فارسٌ جوَّال اسمه السيْر آرلان

ابن (شجرة البنسات) أخذَني لأعمل عنده مُرافقًا وأنا بعدُ صبيٌّ صغير. لقد علَّمني الشَّهامة وفنون الحرب».

ـ «وهذا السيْر آرلان ذاته هو الذي أسبغَ عليك الفروسيَّة؟».

جرجرَ دنك قدميْه، فرأى رباط إحدى فردتَي حذائه شبه محلول. «لم يكن أحدٌ آخَر سيفعلها».

ـ «أين السيْر آرلان الآن؟».

ـ «ماتَ». رفعَ دنك عينيْه. يُمكنه أن يربط حذاءه فيما بعدُ. «دفنته على جنب تلٍّ».

ـ «هل سقطَ بجسارةٍ في معركة؟».

ـ «بسبب أمطار. أصابَه برد».

ـ «المسنُّون واهنون، أعرفُ. تعلَّمتُ هذا من زوجي الثَّاني. كنتُ في الثَّالثة عشرة حين تزوَّجنا. كان سيَبلُغ الخامسة والخمسين في يوم ميلاده التَّالي لو عاشَ ليشهده. بعدما قضى نصف عام تحت الأرض أنجبتُ له ابنًا صغيرًا، لكن **الغريب** أتاه أيضًا. السِّبتونات قالوا إنَّ أباه أرادَه إلى جواره. ما رأيك أيُّها السيْر؟».

أجابَ دنك بتردُّد: «جائز يا ستِّي».

قالت: «هُراء. الصَّبي وُلِدَ في غاية الضَّعف. شيء ضئيل جدًّا. بالكاد تمتَّع بالقوَّةٍ ليرضع. ولو. الآلهة أعطَت أباه خمسًا وخمسين سنةً. لربَّما حسبتها ستمنح الابن أكثر من ثلاثة أيَّام».

ـ «لربَّما». يعرف دنك قليلًا فأقل عن الآلهة. أحيانًا يذهب إلى السِّبت ويدعو **المُحارب** أن يهب لذراعيْه القوَّة، لكنه يدع

السَّبعة وشأنهم فيما عدا ذلك.

قالت: «يُؤسِفني أنَّ سيِّدك السيْر آرلان ماتَ، ويُؤسِفني أكثر أنك دخلت الخدمة عند السيْر يوستس. ليس كلّ المسنِّين سواءً أيُّها السيْر دنكن. خيرٌ لك أن ترجع إلى دارك في (شجرة البنسات)».

ـ «ليس لي دار إلَّا حيث أتعهَّدُ بسيفي». لم يرَ دنك (شجرة البنسات) قَطّ، بل ويجهل هل هي في (المرعى).

ـ «تعهَّد به هنا إذًا. إننا في أوقاتٍ قلقة، وأنا محتاجةٌ إلى فُرسان. يبدو أنَّ لك شهيَّةً مفتوحةً أيُّها السيْر دنكن. كم دجاجةً يُمكنك أن تأكل؟ في (الخندق البارد) لك كلُّ ما يُشبعك من اللَّحم الوردي الدَّافئ وكعك الفواكه الحُلو. مُرافقك أيضًا يبدو في حاجةٍ إلى تغذية. إنه مهزول إلى درجة أنَّ شعره كلَّه سقطَ. سنجعله يُشارِك صِبيةً آخَرين في سنِّه حُجيرةً، سيُعجبه ذلك. يستطيع قيِّم سلاحي أن يُدرِّبه على فنون الحرب جميعًا».

ردَّ دنك بلهجةٍ دفاعيَّة: «أنا أدرِّبه».

ـ «ومَن أيضًا؟ بِنس؟ العجوز أوْزجري؟ الدَّجاج؟».

في بعض الأيَّام يأمر دنكٍ إج بمطاردة الدَّجاج. *لأن هذا يُساعِد على جعله أسرع*. هكذا فكر، وإن علمَ أنها ستضحك إذا أخبرَها. إنها تُشتِّته بأنفها الأفطس ونمشها، واضطرَّ إلى تذكير نفسه بسبب بعث السيْر يوستس به إلى هنا «سيفي معهود لسيِّدي أوْزجري يا ستِّي، وهكذا الأمر».

ـ «ليكن أيُّها السيْر. لنتكلَّم في أمورٍ أقل لُطفًا»، وشدَّت

الليْـدي روْهـان ضفيرتهـا قائلـةً: «نحـن لا نسـمح بالهجـوم عـلى (الخنـدق البـارد) وأهلهـا، فأخبِـرني إذًا لِـمَ لا يَجدُر بـي أن أخيِّـط عليـك جـوالًا».

ذكَّرهـا: «لقـد جئـتُ لأتفـاوض، كمـا أنـني شـربتُ نبيـذكِ». مـا زالَ المـذاق في فمـه، مـذاقٌ غـنيٌّ وحُلـو. حـتى الآن لـم يُسـمِّمه النَّبيـذ، ولعـلَّ النَّبيـذ هـو مـا مـدَّه بالجـرأة. «وليـس لديـكِ جـوالٌ يسـعني».

أراحَـه أنَّ دُعابـة إج دفعَتهـا إلى الابتسـام. «لكـن عنـدي أجولـةً عـدَّةً تـسع بِنِـس. المِيْسـتر كِـرِك يقـول إنَّ وجـه وِوْلمـر شُـقَّ حـتى العظـم تقريبًـا».

ـ «السـيْر بِنِـس انفعـلَ عـلى الرَّجـل يـا سـتِّي. السـيْر يوسـتس أرسـلَني إلى هنـا لأدفع كفَّـارة الـدَّم».

ضحكَـت قائلـةً: «كفَّـارة الـدَّم؟ إنـه عجـوز، أعـرفُ، لكـني لـم أدرك أنـه طاعـن في السِّـن إلى ذلـك الحـدّ. أيحسـب أننـا نحيـا في عصـر الأبطـال، لمَّـا لـم يُحسَـب أنَّ نفـس الإنسـان تسـوى أكثـر مـن جـوالٍ مـن الفضَّـة؟».

ذكَّرهـا دنـك: «الحفَّـار لـم يُقتَـل يـا سـتِّي. لـم يُقتَـل أحـد حسـبما رأيـتُ. وجهـه جُـرِحَ ليـس إلَّا».

تراقصَـت أصابعهـا بتـراخٍ عـلى ضفيرتهـا، وسـألَته: «كـم يحسـب السـيْر يوسـتس أنَّ وجنـة وِوْلمـر تسـوى يـا تُـرى؟».

ـ «أيَّـلًا فضِّيًّـا واحـدًا، وثلاثـة لكِ يا سـتِّي».

ـ «السـيْر يوسـتس يُثمِّـن شـرفي كمـا البُـخلاء، ولـو أنَّ ثلاثـة أيائـل

فضِيَّة أفضل من ثلاث دجاجات، أقرُّ بهذا. أفضلُ له أن يُسلِّم إليَّ بِنِس لكي يُؤدَّب».

ـ «هل سيتضمَّن ذلك الجوال الذي ذكرتِه؟».

قالت: «محتمَل»، ولفَّت ضفيرتها حول يدها مردفةً: «فليحتفظ أوْزجري بفضَّته. الدَّم وحده ثمن الدَّم».

ـ «طيِّب، قد يصحُّ ما تقولينه يا ستِّي، ولكن لِمَ لا تستدعين ذلك الرَّجل الذي جرحَه بِنِس وتسألينه هل يُفضِّل أيَّلًا فضِيًّا أم بِنِس في جوال؟».

ـ «أوْه، سيختار الفضَّة إذا لم يُمكنه أن ينال هذا وذاك. لا أشكُّ في ذلك أيُّها السيْر. الخيار ليس له. المسألة الآن مسألة الأسد والعنكب، لا وجنة فلَّاحٍ ما. بِنِس مَن أريدُ، وعلى بِنِس سأحصلُ. لا أحد يطأ أراضيَّ ويُؤذي واحدًا من قومي ويَهرُب ضاحكًا لما فعلَه».

ـ «حضرة الليْدي وطأت أرض (ستاندفاست) وآذَت واحدًا من قوم السيْر يوستس». قالها دنك قبل أن يتوقَّف ليُفكِّر في قوله.

ـ «حقًّا؟». مجدَّدًا شدَّت ضفيرتها، وقالت: «لو أنك تعني

سارق الخراف فالرَّجل كان سيّئ السُّمعة. لقد شكوتُ إلى أوزجري مرَّتيْن ولم يفعل شيئًا. أنا لا أطلبُ شيئًا ثلاثًا. قانون الملك يمنحني سُلطة الحُفرة والمشنقة».[13] إج هو الذي ردَّ عليها، فقال الغُلام بإصرار: «على الأراضي التي تملكينها. قانون الملك يمنح اللوْردات سُلطة الحُفرة والمشنقة على الأراضي التي يملكونها».

قالت: «صبيٌّ ذكي. ما دُمت تعرف هذا القدر فمؤكَّد أنك تعرف أيضًا أنَّ الفُرسان مُلَّاك الأراضي لا يتمتَّعون بحقِّ العقاب دون إذن سادتهم الأعلى. السيْر يوستس يتولَّى (ستاندفاست) من اللوْرد رُوان. بِنس انتهكَ سلام الملك حين أراقَ الدَّم، ويجب أن يتحمَّل العاقبة»، ورمقَت دنك مُتبعةً: «إذا سلَّم السيْر يوستس بِنس لي فأشقُّ أنفه وينتهي الأمر. إذا اضطررتُ إلى المجيء لآخذه فلا أقدِّمُ وعودًا».

انتابَ دنك شعورٌ مباغت بالغثيان في فم معدته إذ قال: «سأخبره، لكنه لن يُسلِّم السيْر بِنس»، وتردَّد قبل أن يُواصِل: «السَّد سببُ المتاعب كلِّها. إذا وافقَت حضرة الليْدي على هدمه...».

أعلنَ الميْستر الشَّاب الواقف بجوار الليْدي رؤهان: «مستحيل. (الخندق البارد) تكفل عشرين ضعف عدد العامَّة الذين تكفلهم (ستاندفاست). إنَّ عند حضرة الليْدي حقول قمح وذُرة وشعير، جميعها يموت من الجفاف، وعندها نصف دستةٍ من البساتين،

---

١٣ ـ حقُّ الحُفرة والمشنقة: قانون يسمح للوْردات الإقطاعيّين بتوقيع العقوبة القُصوى على رعاياهم، سنَّه في عالم الواقع مالكم الثَّالث ملك سكوتلندا، ونصَّ على إعدام النِّساء بالإغراق في حُفرة والرِّجال شنقًا. (المترجم).

تُفَّاح ومشمش وثلاثة أنواع من الكمَّثرى، وعندها بقرات على وشك وضع عجولها، وخمسمئة رأس من الخراف سوداء الأنوف، وتستولد أجود خيولٍ في (المرعى). إنَّ عندنا دستةً من الأفراس على وشك وضع مهورها».

قال دنك: «السيْر يوستس أيضًا عنده خراف، وعنده شمَّام في الحقول، وفاصوليا وشعير و...».

رفعَ إج عقيرته قائلًا: «إنكم تأخذون الماء من أجل الخندق!».

فكَّر دنك: *كنتُ سأتطرَّقُ إلى الخندق.*

ردَّ الميْستر بتصميم: «الخندق ضروريٌّ لدفاعات (الخندق البارد). أتقترح أن تَترُك الليْدي روْهان نفسها عُرضةً للهجوم في أوقاتنا المضطربة هذه؟».

ببُطء قال دنك: «الخندق الجاف ما زالَ خندقًا، وعند ستِّي أسوارٌ قويَّة، ووفرةٌ من الرِّجال ليُدافِعوا عنها».

قالت الليْدي روْهان: «سيْر دنكن، لقد كنتُ في العاشرة عندما انتفضَ التنِّين الأسود. توسَّلتُ إلى أبي ألَّا يضع نفسه في الخطر، أو على الأقل يَترُك زوجي. مَن سيحميني إذا غابَ رجلاي كلاهما؟ هكذا أخذَني فوق الأسوار وأشارَ إلى نقاط قوَّة (الخندق البارد) قائلًا لي: *حافِظي على قوَّتها وستُحافظ على أمنك. إذا حرصتِ على دفاعاتكِ فلن يستطيع أحدٌ أن يُؤذيكِ.* أوَّل شيءٍ أشارَ إليه هو الخندق»، وداعبَت وجنتها بذيل ضفيرتها مواصلةً: «زوجي الأوَّل ماتَ في (حقل العُشب الأحمر). وجدَ لي أبي آخَرين، لكن **الغريب** أخذَهم أيضًا. إنني لم أعُد أثقُ

بالرّجال مهما بدَت وفرتهم، بل أثقُ بالحجارة والفولاذ والمياه، أثقُ بالخنادق أيُّها السيْر، وخندقي لن يجفَّ أبدًا».

قال دنك: «ما قاله أبوكِ لا بأس به، لكنه لا يُعطيكِ حقَّ أخذ ماء أوزجري».

شدَّت ضفيرتها قائلةً: «أفترضُ أنَّ السيْر يوستس قال لك إنَّ الجدول جدوله».

ـ «منذ ألف عام. إنَّ اسمه (ماء المربَّعات). الأمر واضح».

ـ «واضحٌ فعلًا». عادَت تشدُّ ضفيرتها، مرَّةً، مرَّتيْن، ثلاثًا. «مثلما يُسمَّى النَّهر (الماندر) رغم أنَّ آل ماندرلي طُردوا من ضفافه منذ ألف عام. (هايجاردن) ما زالَت (هايجاردن) رغم أنَّ آخِر آل جاردنر ماتَ في (حقل النِّيران). (كاسترلي رُك) تعجُّ بآل لانستر رغم خلوّ المكان تمامًا من آل كاسترلي. العالم يتغيَّر أيُّها السيْر. (ماء المربَّعات) هذا يَنبُع في (تلال الحدوة) التي وجدتُني أملكها بالكامل حين نظرتُ آخِر مرَّة. الماء ملكي أيضًا، ميْستر كِرك، أره».

نزلَ الميْستر من فوق المنصَّة. لا يُمكن أنه يكبَر دنك كثيرًا، وإن أضفى عليه مِسحه الرَّمادي وطوقه السَّلسلة سمتًا من الحكمة الجهيمة يُخبِّئ سِنيه الحقيقيَّة. في يد الرَّجل رقٌّ، وفيما بسطَه قال: «انظُر بنفسك أيُّها السيْر»، وقدَّمه لدنك.

ـ *دنك الأنوَك، غليظ العقل كسور قلعة*. مرَّةً أخرى شعرَ بوجنتيْه تحتقنان. بحذرٍ تناولَ الرَّق من الميْستر ونظرَ إلى المكتوب عابسًا. ولا كلمة مفهومة، لكنه يعرف الختم الشَّمعي

تحت التَّوقيع المنمَّق، تبيّن عائلة تارجاريَن ثُلاثي الرُّؤوس. ختم *الملك*. إنه يَنظُر إلى مرسومٍ ملكيّ من نوعٍ ما. حرَّك رأسه من جانبٍ إلى جانبٍ ليحسبوا أنه يقرأ، وبعد لحظةٍ غمغمَ: «ثمَّة كلمة هنا لا أستطيعُ تمييزها. إج، تعالَ وألقِ نظرةً. إنَّ لك عينَيْن أحدَّ».

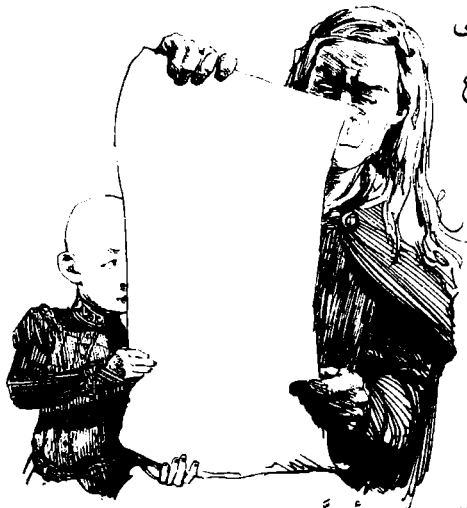

اندفعَ الغُلام إلى جانبه سائلًا: «أيُّ كلمةٍ أيُّها السيّر؟»، فأشارَ دنك. «هذه؟ أوه». قرأ إج بسرعة، ثم رفعَ عينيْه إلى دنك وأومأ إيماءةً خفيفةً.

ـ *إنه جدولها. معها ورقة*. شعرَ دنك كأنَّما لُكِمَ في معدته. *ختم الملك شخصيًّا*. «هذا... لا بُدَّ أنَّ في الأمر خطأ ما. لقد ماتَ أبناء الشَّيخ في خدمة الملك. لماذا يسلبه صاحب الجلالة جدوله؟».

ـ «لو كان الملك ديْرون رجلًا أقلَّ تسامُحًا لفقدَ رأسه أيضًا».

لمُدَّة نصف نبضة قلبٍ غمرَت دنك الحيرة. «ماذا تعنين؟».

أجابَه الميْستر كِرِك: «تعني أنَّ السيّر يوستس أوْزجري متمرِّد

وخائـن».

قالـت الليْـدي رؤهـان: «السـيْر يوسـتس اختـارَ التنّيـن الأسـود فوق الأحمـر عـلى أمـل أن يُعيـد ملـكٌ مـن آل بلاكفايـر الأراضي والـقلاع الـتي خسـرَها آل أوْزجـري تحـت حُكـم آل تارجاريَـن. عـلى الأخـصّ أرادَ (الخنـدق البـارد). أبنـاؤه دفعـوا ثمـن خيانتـه بدمائهـم. عندمـا عـادَ إلى الدّيـار برُفاتهـم وسـلّم ابنتـه رهينـةً إلى رجـال الملـك، ألقَـت زوجتـه بنفسـها مـن فـوق قمّـة بُـرج (ستاندفاسـت). هـل حكى لـك السـيْر يوسـتس ذلـك؟»، وارتسـمَت عـلى شـفتيْها ابتسـامةٌ حزينـة وهي تُضيـف: «لا، لـم أحسـب أنـه فعـلَ».

ـ «التنّيـن الأسـود». *أعهـدت خائنًـا سـيفك أيُّهـا الأنـوَك. أكلـت عيـش خائـن ونمـت تحـت سـقف متمـرّد.* باحثًـا عـن ردّ قـال دنـك: «سـتّي، التنّيـن الأسـود... كلُّ ذلـك حـدَثَ منـذ خمسـة عشـر عامًـا. إننـا في الحاضـر، وفي جـدب. حـتى إن تمـرَّد قـبلًا فمـا زالَ السـيْر يوسـتس محتاجًـا إلى المـاء».

نهضَـت الأرملـة الحمـراء وسـوَّت تنُّورتهـا قائلـةً: «خيـرٌ لـه إذًا أن يُصـلّي طلبًـا للمطـر».

عندئـذ تذكّـر دنـك الكلمـات الـتي فارقَـه بهـا أوْزجـري في الخميلة. «مـا دُمـتِ تَرفُضيـن منحـه حصّـةً مـن المـاء لأجـل خاطـره فافعليهـا لأجـل ابنـه».

ـ «ابنه؟».

ـ «أدام. لقد خدمَ هنا وصيفًا ومُرافقًا لأبيكِ».

كان وجـه الليْـدي رؤهـان حجـرًا إذ قالـت: «ادنُ»، فلـم يـدرِ مـا

العمـل إلَّا الطَّاعـة. تُضيـف المنصَّـة قدمًـا كاملًا إلى طولهـا، ومع ذلـك شـهقَ دنـك فوقهـا. قالـت: «اركع»، ففعـلَ.

وحملَـت الضَّفعـة الـتي نالَهـا منهـا قوَّتهـا كلَّهـا، وهي أقـوى ممَّـا تبـدو. اشـتعلَ خـدُّه، وذاقَ في فمـه دمًـا مـن شـفةٍ مشـقوقة، غيـر أنهـا لـم تُـؤذِه حقًّـا. للحظةٍ لـم يسـتطعِ دنـك إلَّا التَّفكيـر في الإمسـاك بهـا مـن تلـك الضَّفيـرة الحمـراء الطويلـة وشـدِّها إلى حجـره ليصفعهـا عـلى مؤخِّرتهـا كمـا يفعلـون مع الأطفـال المدلَّليـن. *ولكـن إذا فعلـتُ ذلـك فسـتَصرُخ، ويقتحـم عشـرون فارسًـا الغُرفـة ليَقتُلـوني.*

قالـت وقـد اتَّسـعت طاقتـا أنفهـا: «أتجـرؤ عـلى مناشـدتي باسـم أدام؟! أقـصِ نفسـك مـن (الخنـدق البـارد) أيُّهـا السـيِّر، فـورًا».

ـ «لم أقصد...».

ـ «ارحل وإلَّا وجدتُ جوالًا يسعك ولو اضطررتُ إلى تفصيله بنفسي. قُل للسيْر يوستس أن يجلب إليَّ بِنس صاحب التُّرس البنِّي غدًا وإلَّا أتيتُ لأجله بنفسي بالنَّار والسَّيف. هل تفهمني؟ بالنَّار والسَّيف!».

أمسكَ السِّيتوْن سِفتوْن ذراع دنك وسحبَه مسرعًا من الغُرفة، وتبعَهما إج من كثب. همسَ السِّيتوْن البدين وهو يقودهما إلى السَّلالم: «تصرُّف منافٍ تمامًا للحكمة أيُّها السيْر، منافٍ تمامًا للحكمة. أن تأتي على ذِكر أدام أوْزجري...».

ـ «السيْر يوستس قال لي إنها شغفَت بالولد».

ردَّد السِّيتوْن: «شغفَت؟»، ونفخَ بقوَّةٍ مُردفًا: «لقد أحبَّت الولد، وهو أحبَّها. لم يعدُ الأمر قُبلةً أو اثنتيْن، ولكن... أدام هو مَن بكَته بعد (حقل العُشب الأحمر)، لا الزَّوج الذي عرفَته بالكاد. إنها تلوم السيْر يوستس على موته، ولها حقٌّ. الولد كان في الثَّانية عشرة».

يعرف دنك معنى أن يحمل المرء جرحًا. متى ذكرَ أحدهم (مرج آشفرد) فكر في الرِّجال الصَّالحين الثَّلاثة الذين ماتوا لإنقاذ قدمه، والذِّكرى لا تخيب أبدًا في إيلامه. «قُل لستِّي إنني لم أرغب قَطُّ في إيلامها. استمِحها العُذر».

قال السِّيتوْن سِفتوْن: «سأفعلُ كلَّ ما بوسعي أيُّها السيْر، ولكن أخبِر السيْر يوستس أن يجلب إليها بِنس، وبسرعة، وإلَّا فسيتحمَّل ما لا طاقة له به، ما لا طاقة له به إطلاقًا».

***

فقط حين اختفَت أسوار (الخندق البارد) وأبراجها وراءهما في الغرب، التفَت دنك إلى إج سائلًا: «ما الكلام المكتوب على تلك الورقة؟».

ـ «إنها منحة حقوق أيُّها السيْر، للوْرد وايمان وِبَر من الملك. لقاء خدمته المخلصة في التَّمرُّد السَّابق، مُنحَ اللوْرد وايمان وذُرِّيَّته جميع الحقوق في (ماء المربَّعات)، من حيث يَنبُع في (تلال الحدوة) إلى ضفاف (البُحيرة المورقة). تقول الورقة أيضًا إنَّ اللوْرد وايمان وذُرِّيَّته لهم الحقُّ في صيد الغزلان الحمراء والخنازير البرِّيَّة والأرانب في (خميلة وات) متى طابَ لهم ذلك، وأن يقطعوا عشرين شجرةً من الخميلة كلَّ عام»، وتنحنحَ الغُلام متابعًا: «لكن المنحة كانت مؤقَّتةً. الورقة تقول إنه إذا تُوفِّيَ السيْر يوستس دون وريثٍ ذَكر من صُلبه فستؤول (ستاندفاست) إلى التَّاج وتنتهي امتيازات اللوْرد وِبَر».

ـ *كانوا مُشيري (التُّخم الشَّمالي) طيلة ألف عام.* «كلُّ ما تَركوه للعجوز بُرج ليموت فيه».

قال إج: «ورأسه. صاحب الجلالة ترَكَ له رأسه أيضًا أيُّها السيْر، على الرغم من تمرُّده».

أعطى دنك الغُلام نظرةً، وسألَه: «أكنت لتقطع أنت رأسه؟».

اضطرَّ إج إلى التَّفكير في الإجابة قبل أن يقول: «أحيانًا في البلاط خدمتُ مجلس الملك الصَّغير. اعتادوا الشِّجار بشأن هذه المسألة. عمِّي بيْلوْر قال إنَّ الحِلم هو الأفضل عند التَّعامُل مع خصم شريف. إذا اعتقدَ رجلٌ مهزوم أنه سينال عفوًا فقد يتخلَّى عن سَيفه ويركع، أمَّا خلافًا لذلك فسيُواصِل القتال حتى الموت

ويَقتُل مزيدًا من الأوفياء والأبرياء. لكن اللوْرد غُداف الدَّم قال إنه حين يعفو المرء عن المتمرّدين فإنه يزرع بذور التَّمرُّد التَّالي ليس إلّا». تشبَّعت نبرة الغُلام بالشُّكوك وهو يُردِف: «لماذا ينتفض السيْر يوستس ضد الملك ديْرون؟ لقد كان ملكا صالحًا، هكذا يقول الجميع. لقد ضمَّ (دوْرن) إلى البلاد وأكسبَنا صداقة الدوْرنيّين».

ـ «عليك أن تسأل السيْر يوستس يا إج». يظنُّ دنك أنه يعرف الإجابة، إلّا أنها ليست إجابةً يودُّ الغُلام أن يسمعها. *أرادَ قلعةً بأسدٍ على مبنى البوّابة، ولم ينَل إلّا قبورًا وسط التُّوت الأسود.* عندما تتعهَّد بسيفك لرجل فإنك تعده بالخدمة والطّاعة، وأن تُقاتِل لأجله عند الحاجة، لا أن تتطفَّل على شؤونه وترتاب في ولاءاته... لكن السيْر يوستس غفَّله. *قال إنَّ أبناءه ماتوا في سبيل الملك وتركَني أصدّقُ أن الجدول جدوله.*

جنَّ عليهما اللَّيل في (خميلة وات).

غلطة دنك هذه، إذ وجبَ أن يَسلُك طريق العودة المباشر، الطَّريق الذي جاءا منه، لكنه أخذَهما بدلًا من ذلك شمالًا ليُلقي نظرةً أخرى على السَّد. راودَه نصف فكرةٍ أن يُحاوِل تقويضه بيديْه العاريتيْن، غير أنَّ **السَّبعة** والسيْر لوكس الإنش الطَّويل لم يتلطَّفوا بترك الفُرصة له، فعندما وصلا إلى السَّد وجداه تحت حراسة اثنيْن من النَّشَّابين خيطَت على جركينتيْهما شارة العنكب، وقد جلسَ أحدهما غامسًا قدميْه الحافيتيْن في المياه المسروقة. كان بإمكان دنك أن يَخنُق الرَّجل بكلِّ سرور لأجل هذا فحسب، لكنه سمعَهما إذ اقتربا وأسرعَ يختطف نُشَّابيَّته،

في حين ثبَّت زميله الأسرع سهمًا وصوَّبه، ومن ثمَّ فأقصى ما استطاعَه دنك أنه عبسَ في وجهيْهما مهدِّدًا.

بعد ذلك لم يَعُد أمامهما إلَّا أن يرتدَّا على أعقابهما. لا يعرف دنك هذه الأراضي كما يعرفها السيْر بِنِس، ومن المهين أن يتوه في غابةٍ صغيرة كـ(خميلة وات). لدى عبورهما الجدول كانت الشَّمس قد انخفضَت في الأفق وباكورة النُّجوم تظهر مصحوبةً بسحاباتٍ من الهوام. بين الأشجار السَّوداء الطَّويلة عثرَ إج على صوته من جديد، فقال: «سيْر؟ ذلك السِّبتوْن البدين قال إنَّ أبي يقبع واجمًا في (بهو الضَّيف)».

ـ «الكلام هواء».

ـ «أبي لا يجِم».

قال دنك: «جائزٌ أنه يجِم. أنت تجِم».

قطَّب الغُلام وجهه قائلًا: «لستُ أجِمُ أيُّها السيْر. هل أفعلُ ذلك حقًّا؟».

ـ «أحيانًا، ليس كثيرًا جدًّا، وإلَّا للطمتك على الأذن مرَّاتٍ أكثر».

ـ «لقد لطمتني على أذني عند البوَّابة».

ـ «نصف لطمةٍ على الأكثر. إذا لطمتك لطمةً كاملةً يومًا فستعرف».

ـ «الأرملة الحمراء لطمتك أنت لطمةً كاملةً».

مسَّ دنك شفته المتورِّمة. «لا داعي إلى قولها بكلِّ هذا السُّرور».

لكن أحدًا لم يلطم أباك على الأذن قطُّ. ربَّما لهذا السَّبب أصبحَ الأميرُ ميكار الأميرَ ميكار. قال مذكِّرًا إج: «عندما عيَّن الملك اللوْرد غُداف الدَّم يده، رفضَ السيِّد والدك أن يكون جزءًا من مجلسه وغادرَ (كينجز لاندنج) إلى مقرِّه. إنه في (بهو الصَّيف) منذ سنةٍ كاملة ونصف سنةٍ أخرى. ماذا تُسمِّي ذلك لو أنه ليس وجومًا؟».

أعلنَ إج بتعال: «أسمِّيه غيظًا. لقد وجبَ أن يجعل جلالة الملك أبي يدًا. إنه أخوه الشَّقيق، وأرفع قائدٍ عسكريّ في البلاد منذ موت عمِّي بيلوْر. اللوْرد غُداف الدَّم ليس لوْردًا بحقّ أصلًا، بل هي مجرَّد مجاملة سخيفة. إنه مشعوذ، ووضيع المولد علاوةً على ذلك».

ـ «نغـل المولـد لا وضيـع المولـد». قـد لا يُعَـدُّ غُـداف الـدَّم لوردًا بحـقّ، لكنـه نبيـلٌ مـن كلتـا النَّاحيتيْـن، فأمُّـه كانـت واحـدةً مـن عشيقات الملك إيْـجوْن غيـر الجديـر العديـدات. أصبحَ نغـول إيْـجوْن آفـة (الممالـك السَّـبع) منـذ مـوت الملـك المُسـن الـذي شـرعنَهم أجمعيـن عـلى فِـراش المـوت؛ ليـس فقـط النُّغـول العظـام كغُـداف الـدَّم والفـولاذ الأليـم وديْـموْن بلاكفايـر الذيـن كانـت أمَّهاتهـم ليْديهـات، بـل أيضًـا النُّغـول الأدنى الذيـن أنجبَهـم مـن عاهـراتٍ وعـاملات حانـات وبنـات تُجَّـار ومشـخّصاتٍ وكلِّ فلّاحـةٍ حسـناء تصـادفَ أنهـا لفتَـت نظـره. «*النَّـار والـدَّم*» كلمـاتُ عائلـة تارجاريَـن، لكـن دنـك سـمعَ السـيْر آرلان يقـول مـرَّةً إنَّ الأحـرى بكلمـات إيْـجوْن أن تكـون «*اغسـلوها واجلبوهـا إلى فِـراشي*». قـال يُذكِّـر إج: «الملـك إيْـجوْن نظَّـف غُـداف الدَّم مـن النُّغولـة، تمامًـا كمـا فعـلَ مع بقيَّتهـم».

قـال الغُلام بعنـاد: «السِّـپتوْن الأعـلى القديـم قـال لأبـي إنَّ قوانيـن الملـك شيء وقوانيـن الآلهـة شيء آخَـر. الأولاد شـرعيُّو المولـد نتـاج فِـراش الزَّوجيَّـة ويُبارِكهـم **الأب والأُم**، أمَّـا النُّغـول فمولـودون مـن الشَّـهوة والضَّعـف كمـا قـال. الملـك إيْـجوْن قـضى أنَّ نغولـه ليسـوا نغـولًا، إلَّا أنـه لـم يسـتطع تغييـر طبيعتهـم. السِّـپتوْن الأعـلى قـال إنَّ النُّغـول جميعًـا مولـودون ليخونـوا... ديْـموْن بلاكفايـر، الفـولاذ الأليـم، وحتى غُـداف الـدَّم. قـال إنَّ اللوْرد ريڤـرز تمتَّع بدهـاءٍ أشـد مـن الاثنيْـن الآخَريْـن، لكنـه سـيُثبت في النِّهايـة أنـه خائـنٌ أيضًـا. السِّـپتوْن الأعـلى نـصحَ أبـي بعـدم الثِّقـة بـه أبـدًا، ولا بـأيٍّ مـن غيـره مـن النُّغـول، كبيرهـم أو صغيرهـم».

فكِّـر دنـك: *مولـودون ليخونـوا. مولـودون مـن الشَّـهوة والضَّعـف.*

لا تجب الثِّقة بهم أبدًا، كبيرهم أو صغيرهم، ثم قال: «إج، ألم تُفكِّر قَطُّ في احتمال أني نغل؟».

باغتَ السُّؤال الغُلام. «أنت أيُّها السيْر؟ لستَ كذلك».

ـ «لعلِّي كذلك. إنني لم أعرف أمِّي أو ما جرى لها قَطُّ. ربَّما وُلِدتُّ كبيرًا جدًّا وقتلتها. في الغالب كانت عاهرةً أو عاملةً بحانة. المرء لا يجد ليْديهات بنات أعيان في (سفح البراغيث). ولو تزوَّجت أبي... طيِّب، ماذا جرى له هو إذًا؟». لا يحبُّ دنك أن يُذكِّر بحياته قبل أن يجده السيْر آرلان. «كان في (كينجز لاندنج) محلُّ أكل اعتدتُ أن أبيعه الجرذان والقِطط والحمام من أجل أوعية البَنِّي. لطالما زعمَ الطبَّاخ أنَّ أبي كان لصًّا أو نشَّالًا، وتعوَّد أن يقول لي: *رأيته مشنوقًا غالبًا، ولكن ربَّما اكتفوا بإرساله إلى (الجِدار)*. وقت عملي مُرافقًا عند السيْر آرلان سألته أكثر من مرَّة هل يُمكننا الذَّهاب في ذلك الاتِّجاه يومًا ما، لنَدخُل الخدمة في (وينترفل) أو غيرها من القلاع الشَّماليَّة. لقد تملَّكتني هذه الفكرة، أنه إذا استطعتُ بلوغ (الجِدار) فحسب فقد أصادفُ رجلًا عجوزًا، رجلًا فارع الطُّول يُشبهني. لكننا لم نذهب قَطُّ. السيْر آرلان قال إنه ليس في الشَّمال أسوجةٌ للفُرسان الجوَّالة، وإنَّ الغابات كلَّها مليئة بالذِّئاب». هزَّ دنك رأسه مُردفًا: «الخُلاصة أنَّ مَن تُرافقه غالبًا نغل».

على غير العادة لم يجد إج شيئًا ليقوله. بدأت العتمة تستشري حولهما، وحشرات القناديل تتحرَّك ببُطء بين الأشجار، أضواؤها الصَّغيرة مثل عديد من النُّجوم السَّابحة في الهواء. وفي السَّماء نجومٌ أيضًا، نجومٌ أغزر ممَّا يُمكن لرجلٍ أن يأمل أن يُحصي

أبدًا ولو بلغَ عُمر الملك چهيْرس. ما على دنك إلَّا أن يرفع عينيْه ليجد أصدقاء مألوفين: «الفحل»

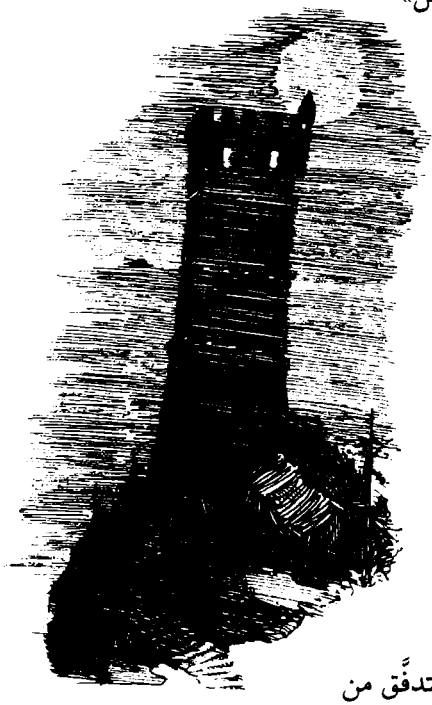

و«الخنزيرة»، و«تاج الملك» و«قنديل الملكة»، و«القادس» و«الشَّبح» و«عذراء القمر». على أنَّ إلى الشَّمال سحابًا حجبَ عنه عين «تنّين الجليد» الزَّرقاء، العين الزَّرقاء التي تُشير شمالًا.

طلعَ القمر قبل وصولهما إلى (ستاندفاست) القائمة مظلمةً عاليةً فوق قمَّة تلّها.

رأى دنك ضوءًا أصفر شاحبًا يتدفَّق من نوافذ البُرج العُليا. في معظم اللَّيالي يَخلُد السيْر يوستس إلى فِراشه ما إن يتعشَّى، ولكن ليس اللَّيلة على ما يبدو. *إنه ينتظرنا.*

وبِنِس صاحب التُّرس البنّي مستيقظٌ في انتظارهما أيضًا. وجداه جالسًا على درجات البُرج، يلوك التَّبغ المُرَّ ويشحذ سيفه الطَّويل في ضوء القمر، لينتقل صوت الاحتكاك البطيء للحجر بالفولاذ مسافةً طويلةً. مهما أهملَ السيْر بِنِس ثيابه ونفسه فإنه حريصٌ على العناية بأسلحته.

قال بِنس: «الأنوَك يعود. وأنا الذي كنتُ أسنُّ فولاذي لأذهب وأنقذك من تلك الأرملة الحمراء».

ـ «أين الرِّجال؟».

ـ «مَنج ووات المبلول واقفان حراسةً فوق السَّطح، في حال أتَت الأرملة لزيارتنا. الباقون زحفوا إلى الفِراش متأوِّهين. لكم يتوجَّعون. لقد شغَّلتهم بقسوة. أرقتُ قليلًا من دم ذلك الأبله الكبير لمجرَّد أن أغضبه. إنه يُقاتِل أفضل وهو غاضب»، وابتسمَ بِنس ابتسامته البنِّيَّة والحمراء قائلًا: «تُعجِبني شفتك الدَّامية. المرَّة القادمة إيَّاك أن تقلب الصُّخور. ماذا قالت المرأة؟».

ـ «تنوي الاحتفاظ بالماء. وتُريدك أيضًا مقابل جرح ذلك الحفَّار عند السَّد».

قال بِنس: «كما حسبتُ»، وبصقَ متابعًا: «كثيرٌ من العناء من أجل فلاحٍ ما. حريٌّ به أن يَشكرني. النِساء يُحبِبن ذوي النُدوب».

ـ «لن تُمانع أن تشقَّ أنفك إذًا».

ردَّ الرَّجل: «تبًّا لذلك. لو أردتُ أن يُشَقَّ أنفي لشققته بنفسي»، ورفعَ إبهامه بحركةٍ حادَّة مستطردًا: «ستجد السيْر متعوس في مسكنه، يجترُّ محزونًا عظمته الغابرة».

تكلَّم إج فقال: «لقد قاتلَ في صفِّ التنِّين الأسود».

كان يُمكن أن يلطم دنك الغُلام، لكن الفارس البنِّي اكتفى بالضَّحك قائلًا: «طبعًا. ما عليك إلَّا النَّظر إليه. أيبدو لك من النَّوع الذي يختار الطَّرف الرَّابح؟».

قال دنك: «ليس أكثر ممَّا تختاره أنت، وإلَّا لما كنت معنا هنا»، والتفتَ إلى إج آمرًا: «اعتنِ بثندر وميْستر ثم اصعد لتنضمَّ إلينا».

عندما صعدَ دنك داخلًا من الباب الأفقي، وجدَ الفارس الشَّيخ جالسًا بمعطف النَّوم عند المستوقد مع أنَّ نارًا ليست مشتعلة، وفي يده كوب أبيه، كوبٌ فضِّيٌّ ثقيل سُبِكَ لأجل واحدٍ من اللؤلؤردات أوزجري قبل الفتح، يُزيِّنه أسد مربَّعاتٍ مصنوع من شذور اليشم والتِبر، ولو أنَّ بعض اليشم ضاعَ. لمَّا سمعَ الفارس الشَّيخ خُطوات دنك رفعَ ناظريْه وأرمشَ كرجلٍ يستيقظ من حُلم. «سيْر دنكن. لقد عُدت. هل جعلَ منظرُك لوكَس إنشفيلد يتردَّد أيُّها السيْر؟».

ـ «ليس حسبما رأيتُ يا سيدي. الأرجح أنه أغاظَه». روى دنك كلَّ شيءٍ بقدر استطاعته، وإن حذفَ جزئيَّة الليْدي هليسنت التي أبدَته في غاية الحماقة. كان سيُغفِل ذِكر اللَّطمة أيضًا لولا أنَّ شفته المشقوقة تورَّمت حتى تضاعفَ حجمها العادي، ولم يسَع السيْر يوستس إلَّا أن يُلاحِظها.

وحين لاحظَ عبسَ قائلًا: «شفتك...».

لمسَها دنك بحذر، وقال: «حضرة الليْدي صفعَتني».

ـ «ضربتك؟!». انفتحَ فم الرَّجل وانغلقَ. «ضربَت مبعوثي الذي أتاها تحت أسد المربَّعات؟ تجرَّأت ووضعَت يديْها على شخصك؟».

ردَّ دنك: «يدًا واحدةً فقط أيُّها السيْر»، وكوَّر قبضته مواصلًا: «إنها تُريد السيْر بِنس لا فضَّتك، وتَرفُض هدم السَّد. لقد أرَتني رقًّا عليه كتابة، وختم الملك ذاته. يقول إنَّ الجدول جدولها. و...». تردَّد قبل أن يُتابِع: «تقول إنك كنت... إنك...».

ـ «... انتفضتُ مع التنِّين الأسود؟». بدا أنَّ السيْر يوستس غاصَ في مقعده. «كما خشيتُ. لو أنك ترغب في ترك خدمتي فلن أمنعك»، وحملقَ الفارس الشَّيخ في كوبه، وإن لم يدرِ دنك عمَّ يبحث.

ـ «قلتَ لي إنَّ أبناءك ماتوا وهُم يُقاتِلون في سبيل الملك».

ـ «وهو ما حدثَ. الملك الشَّرعي، ديْموْن بلاكفاير، الملك الذي حملَ السَّيف»، وارتعشَ شارب الشَّيخ إذ واصلَ: «رجال التنِّين الأحمر يُسمُّون أنفُسهم بالموالين، ولكن نحن الذين

اخترنا الأسود لم نقلَّ موالاةً في الماضي. أمَّا الآن... الرِّجال الذين زحفوا بجواري لإجلاس الأمير ديْمون على العرش الحديدي تبخَّروا كندى الصَّباح. ربَّما حلمتُ بهم. أو الأرجح أنَّ اللؤرد غُداف الدَّم ورجاله أسنان الغُداف بثُّوا فيهم الخوف. لا يُمكن أنهم ماتوا جميعًا».

لم يستطع دنك إنكار صحَّة قوله. حتى اللَّحظة لم يلقَ قَطُّ رجلًا قاتلَ في سبيل المدَّعي. *ولكن لا بُدَّ أني التقيتُ بعضهم. لقد كانوا ألوفًا. نصف البلاد أيَّد التنِّين الأحمر ونصفها أيَّد الأسود.* «كلا الفريقيْن قاتلَ ببسالةٍ حسبما قال السيْر آرلان دومًا». خطرَ له أنَّ الفارس الشَّيخ سيُريد أن يسمع هذا.

احتوى السيْر يوستس كوب نبيذه بكلتا يديْه، وقال: «لو دعسَ ديْمون جويْن كوربراي... لو لم يُقتَل كُرة النَّار عشيَّة المعركة... لو أعارَنا هايتاور وتاربك وأوكهارت وبَتَرول كامل قوَّتهم بدلًا

من وضعهم قدمًا في كلا المعسكريْن... لو أثبتَ مانفرد لوثستن وفاءه بدلًا من خيانته... لو لم تُؤخِر العواصف إبحار اللوْرد براكن بالنَّشَّابة المايريّين... لو لم يُقبَض على الإصبع السَّريع ومعه بيض التَّنانين المسروق... افتراضات كثيرة جدًّا أيُّها السيْر... في حال اختلاف عاقبة أيّ منها لأمكنَ أن ينقلب كلُّ شيءٍ في الاتّجاه الآخَر. حينئذٍ كنا سنُدعى نحن بالموالين ويُذكَر التَّنانين الحُمر باعتبارهم رجالًا قاتَلوا للإبقاء على الغاصِب ديْرون باطل الميلاد فوق عرشه المسروق وفشلوا».

قال دنك: «أيًّا ما كان يا سيدي، لكن الأمور مضَت كما مضَت. كلُّ هذا حدثَ منذ سنين، وعُفِيَ عنكم».

ـ «أجل، عُفِيَ عنا. شريطة أن نركع ونُسلِّمه رهينةً لضمان ولائنا في المستقبل، سامحَ ديْرون الخونة والمتمرّدين». تكلَّم الرَّجل بنبرةٍ مريرة. «لقد اشتريتُ رأسي بحياة ابنَتي. آليسان كانت في السَّابعة حينما أخذوها إلى (كينجز لاندنج)، وفي العشرين حينما ماتَت أختًا صامتةً. في مرَّةٍ ذهبتُ إلى (كينجز لاندنج) لأراها، وأبَت أن تُكلِّمني، أنا والدها. رحمة الملك هديَّةٌ مسمومة. ديْرون تارجاريَن تركَ لي الحياة، لكنه أخذَ كبريائي وأحلامي وشرفي». ارتجفَت يده، وانسكبَ النَّبيذ أحمرَ في حجره، لكن الشَّيخ لم ينتبه له. «كان يَجدُر بي أن أذهب مع الفولاذ الأليم إلى المنفى، أو أموت بجوار أبنائي وملكي الجميل. لكانت تلك ميتةً تليق بأسد مربَّعاتٍ سليل كثير من اللوْردات العزاز والمُحاربين الأشاوس. رحمة ديْرون صغَّرتني».

فكَّر دنك مدركًا: *في قلبه لم يَمُت التنّين الأسود قَطُّ.*

ـ «سيّدي؟». الصَّوت صوت إج، إذ دخلَ الغُلام والسيْر يوستس يتكلّم عن موته. حدَّق إليه الفارس الشَّيخ كأنّما يراه للمرَّة الأولى، وقال: «نعم أيُّها الصَّبي؟ ما الأمر؟».

ـ «بعد إذنك... الأرملة الحمراء قالت إنك تمرَّدت لتَحصُل على قلعتها. لا صحَّة لقولها، أليس كذلك؟».

ـ «القلعة؟». بدا الرَّجل مرتبكًا. «(الخندق البارد)... (الخندق البارد) وعدَني بها ديْموْن، نعم، ولكن... لم أفعلها من أجل المكسب، لا...».

سألَه إج: «لماذا إذًا؟».

ردَّد السيْر يوستس عاقدًا حاجبيْه: «لماذا؟».

ـ «لماذا كنت خائنًا ما دامَ السَّبب ليس القلعة فقط؟».

نظرَ السيْر يوستس إلى إج طويلًا قبل أن يُجيب: «أنت مجرَّد صبيّ صغير. لن تفهم».

ردَّ إج: «لعلّي أفهمُ».

ـ «الخيانة... ما هي إلّا كلمة. عندما يتقاتَل أميران في سبيل كُرسي يُمكن أن يجلس عليه واحدٌ فقط، على اللوْردات الكبار والرِّجال العوام سواسيةً أن يختاروا. وعندما تضع المعركة أوزارها يُهتَف للمنتصرين باعتبارهم رجالًا أوفياء مخلصين، فيما يُعرَف مَن هُزِموا إلى أبد الآبدين باعتبارهم متمرِّدين وخونة. هكذا كان مصيري».

فكَّر إج وقتًا، ثم قال: «نعم يا سيّدي، ولكن... الملك ديْرون

كان رجلًا صالحًا. ما الذي جعلَك تختار ديْمون؟».

ـ «ديْـرون...». لفـظَ السـيْر يوسـتس الكلمـة بطريقـةٍ أقـرب إلى الهمهمـة، وأدركَ دنـك أنـه شـبه سكـران. «ديْـرون كان نحيـف الأطـراف مسـتدير الكتفيْـن، ولـه بطـنٌ صغيـر يـرتجُّ وهـو يمـشي. ديْـمون وقـفَ مسـتقيمًا أبيًّـا، ببطـن مسـتوٍ صُلـب كتُـرس مـن السِّـنديان. ويـا لبراعتـه في القتـال! بالفَـأس أو الرُّمح أو المِخْبـاط، كان مـن أمهـر الفُرسـان الذيـن رأيتهـم عـلى الإطلاق، أمَّـا بالسَّـيف فكان **المُحـارب** ذاتـه. متى أمسـكَ الأمير ديْـمون «اللَّهب الأسـود» لـم يُوجَـد رجـلٌ يُباريـه... لا أولـرك ديْـن حـاملًا «فجـر»، لا، ولا حـتى الفـارس التنِّيـن حـاملًا «الأخـت المظلمـة».

«يُمكنـك أن تعـرف الرَّجـل مـن أصدقائـه يـا إج. ديْـرون أحـاطَ نفسـه بالميْسـترات والسِّـپتونات والمُطربيـن، ودائمًـا لازمَتـه نسـاء يُوَسوسـن لـه، وحفـلَ بلاطـه بالدورنيِّيـن. وكيـف لا وقـد أخـذَ امـرأةً دورنيَّـةً إلى فِراشـه وبـاعَ أختـه الجميلـة نفسـها لأميـر (دورن) رغـم أنهـا أحبَّـت ديْـمون؟ ديْـرون حمـلَ اسـم التنِّيـن الصَّغيـر، ولكـن عندمـا أعطَتـه زوجتـه الدورنيَّـة ابنًـا سمَّى الطِّفـل بيْـلور، عـلى اسـم أوهـن ملـكٍ جلـسَ عـلى العـرش الحديـدي.

«أمَّـا ديْـمون... ديْـمون لـم يكـن أشـدَّ ورعًـا ممَّـا يلـزم ملـك، وفُرسـان البـلاد العُظمـاء كلُّهـم توافَـدوا إليـه. مـن مصلحـة الـلورد غُـداف الـدَّم أن تُنسـى أسـماؤهم جميعًـا، ولـذا حظـرَ علينـا الغنـاء عنهـم، لكنـني أذكـرُ. روب ريْـن، جـارِث الرَّمـادي، السـيْر أوْبـري آمبـروز، الـلورد جورمون پيـك، بايـرن فلاورز الأسـود، النَّـاب الأحمـر، كُـرة النَّـار... الفـولاذ الأليـم! إنـني أسـألك، هـل وُجـدَت

يومًا صُحبة بذلك النُّبل؟ مثل قائمة الأبطال تلك؟

«لماذا أيُّها الصَّبي؟ تسألني لماذا؟ لأن ديْمون كان الرَّجل الأفضل. الملك المُسن رأى هذا أيضًا، وأعطى ديْمون السَّيف، «اللَّهب الأسود»، سيف إيْجون الفاتح، الحُسام الذي حملَه كلُّ ملك تارجاريَن منذ الفتح... وضعَ السَّيف في يد ديْمون يوم أسبغَ عليه الفروسيَّة وهو صبيٌّ في الثَّانية عشرة».

قال إج: «أبي يقول إنَّ السَّبب أنَّ ديْمون كان سيَّافًا وديْرون لم يكن كذلك قَط. لماذا تُعطي رجلًا لا يستطيع الرُّكوب حصانًا؟ السَّيف لم يكن المملكة على حدِّ تعبيره».

رجفَت يد الفارس الشَّيخ بشدَّةٍ سكبَت النَّبيذ من كوبه الفضِّي، وقال: «أبوك أحمق».

ردَّ الغُلام: «لا، ليس كذلك».

قال أوزجري الذي التوَت قسماته غضبًا: «أنت سألت سؤالًا وأنا أجبتُ عنه، لكني لن أسمح بالوقاحة. سيْر دنكن، ينبغي أن تضرب هذا الولد أكثر. إنَّ عنده نقصًا عظيمًا في الأدب. لو أنَّ عليَّ أن أفعلها بنفسي فسأفعل...».

تدخَّل دنك: «لا. لن تفعل أيُّها السيْر». لقد حزمَ أمره. «الظَّلام سائدٌ الآن. سنرحل مع مطلع الفجر».

شخصَ السيْر يوستس ببصره مصعوقًا، وردَّد: «ترحلان؟».

ـ «من (ستاندفاست)، من خدمتك». *لقد كذبتَ علينا. سمّ الأمر كما تشاء، لكنه خلا من الشَّرف.* حلَّ دنك أربطة معطفهَ وطواه ووضعَه في يد الشَّيخ.

ضاقَت عينا أوزجري إذ سألَه: «هل عرضَت تلك المرأة أن تضمَّك إلى خدمتها؟ أتَترُكني إلى فِراش تلك العاهرة؟».

قال دنك: «لا أدري هل هي عاهرة، أو ساحرة أو مُسمِّمة أو ما إلى ذلك، ولكن أيًّا ما كانته لا يهمُّ. إننا راحلان إلى الأسوجة وليس إلى (الخندق البارد)».

ـ «تعني إلى الأخاديد. تَترُكانني لتجوبا الأحراش كالذِّئاب، لتتربَّصا بالصَّالحين على الطُّرق». قالها الرَّجل ويده ترتجف، وسقطَ الكوب من أصابعه ساكبًا ما فيه من نبيذٍ وهو يتدحرَج على الأرض. «اذهبا إذًا. اذهبًا. لا أريدكما هنا. لم يَجدُر بي قَطُّ أن أستخدمكما. اذهبا!».

ـ «كما تقول أيُّها السيْر». وأشارَ دنك، وتبعَه إج.

***

في تلك اللَّيلة الأخيرة أرادَ أن يبتعد عن يوستس أوْزجري أطول مسافةٍ بإمكانه، وهكذا ناما في القبو بين بقيَّة جيش (ستاندفاست) الضَّئيل. قضى دنك اللَّيلة في تململ؛ لِم وبِيْت محمرُّ العينيْن كلاهما غطَّ في نومه، الأوَّل بضجَّةٍ والثَّاني باستمرار، وأفعمَت القبو أبخرةٌ رطبة مرتفعةً عبر البابِ الأفقيّ من الأقبية الأعمق. تقلَّب دنك وتلوَّى على الفِراش الخشنِ، يروح في نوم جزئي ليستيقظ فجأةً في الظُّلمة وقد استحكته قرصات الحشَرات التي أصابَته في الخميلة بشدَّة، كما أنَّ في القشِّ براغيث. *سيكون خيرًا لي أن أخلص من هذا المكان، أن أخلص من الشَّيخ، ومن السيْر بِنِس، ومن بقيَّتهم.* ربَّما حانَ الوقت لأن يُعيد إج إلى (بهو الصَّيف) ليرى أباه. سيسأل الغُلام في الصَّباح بعد أن يُغادِرا ويبتعدا.

على أنَّ الصَّباح بدا بعيدًا. امتلأ رأس دنك بالتَّنانين الحمراء والسَّوداء... امتلأ بأُسود المربَّعات والتِّراس القديمة والأحذية البالية... امتلأ بالجداول والخنادق والسُّدود، وبالأوراق الممهورة بختم الملك العظيم الذي لا يُمكنه قراءته.

وها هي ذي حاضرةٌ أيضًا، الأرملة الحمراء، رؤهان سيِّدة (الخندق البارد). رأى دنك وجهها المنمَّش، وذراعيْها النَّاحلتيْن، وضفيرتها الحمراء الطَّويلة، وأشعرَه مرآها بالذَّنب. *المفروض أن أحلم بتانسل. بتانسل مديدة القامة دعوها، لكنها لم تكن في نظري مديدة القامة.* رسمَت الفتاة على تُرسه شعارًا، وأنقذَها هو من الأمير السَّاطع، إلَّا أنها اختفَت قبل المحاكمة بالسَّبعة. كثيرًا ما قال لنفسه: *لم تتحمَّل أن تراني أموتُ*، ولكن أنَّى له أن يعرف؟ إنه غليظ العقل كسور قلعة. مجرَّد التَّفكير في الأرملة

الحمراء دليلٌ كافٍ على هذا. *تانسل ابتسمَت لي، لكننا لم نتعانَق قَطُّ أو نتبادَل قُبلةً ولو على الخدِّ.* رؤهان على الأقل لمسَته، ولديه الشَّفة المتورِّمة ليُثبِت هذا. *لا تكن سخيفًا. إنها ليست لأمثالك. إنها أصغر حجمًا من اللَّازم، وأذكى من اللَّازم، وأخطر جدًّا من اللَّازم.* أخيرًا بعد طول انتظارٍ أخذَه النُّعاس، وحلمَ دنك. كان يجري في فسحةٍ في قلب (خميلة وات)، يجري صوب رؤهان، وتَرشُقه هي بالسِّهام. كلُّ سهمٍ أطلقته طارَ نحو هدفه مباشرةً واخترقَ صدره، ومع ذلك أحسَّ بالألم حُلوًا على نحوٍ غريب. وجبَ أن يدور ويَهرُب، لكنه جرى نحوها بدلًا من ذلك، جرى ببُطء كما يَحدُث دائمًا في الأحلام، كأن الهواء نفسه استحال عسلًا. سهمٌ آخَر نفذَ، وآخَر، وبدا أنَّ في كنانتها سهامًا بلا نهاية. لاحَت عيناها خضراوَيْن ورماديَّتَيْن ومليئتَيْن بالعبث. أرادَ أن يقول لها: *فُستانكِ يُبرِز*

لون عينيك، غير أنَّ فُستانًا لم يَكسُها، أو أيَّ ثيابٍ بالمرَّة. على ثدييْها الصَّغيريْن رشاشٌ من النَّمش، وحلمتاها حمراوان قاسيتان كالتُّوت الصَّغير. جعلَته السِّهام يبدو مثل شيهم ضخم إذ كبا عند قدميْها، وإن وجدَ بوسيلةٍ ما القوَّة ليقبض على ضفيرتها، وبجذبةٍ واحدة شديدة سحبَها فوقه وقبَّلها.

واستيقظَ فجأةً على إثر صيحة. في القبو المظلم ضربَ الارتباك أطنابه. تردَّدت الشَّتائم والشَّكاوى جيئةً وذهابًا، وتعثَّر بعض الرِّجال في بعضٍ وهُم يُحاوِلون التقاط حرابهم أو بناطيلهم. لم يعرف أحدٌ ماذا يَحدُث. وجدَ إج شمعة الشَّحم وأشعلَها ليُلقي بقليلٍ من الضَّوء على المشهد، أمَّا دنك فهو أوَّل من انطلقَ يرتقي السَّلالم، وكادَ يرتطم بسام المحنيّ المندفع إلى أسفل نافخًا كالكير ومهذرمًا بكلام مفكَّك. اضطرَّ دنك إلى إمساكه من كتفيْه كلتيْهما ليحول دونَ سقوطه، وسألَه: «سام، ما الخطب؟».

نشجَ العجوز مجيبًا: «السَّماء، السَّماء!». لم يُمكن استخلاص

شيءٍ آخَر مفهوم منه، فصعدوا جميعًا لإلقاء نظرة من السَّطح الذي سبقَهم إليه السيْر يوستس ووقفَ بمعطف النوم عند الدَّرايا، يُحدِّق إلى بعيد.

كانت الشَّمس تُشرِق من الغرب.

ومرَّت لحظةٌ طويلة قبل أن يُدرِك دنك ما يعنيه هذا، وبصوتٍ مكتوم قال: «(خميلة وات) تحترق». من أسفل عند قاعدة البُرج وصلَ صوت بِنِس يسبُّ منهالًا بسيلٍ من القاذورات الشَّائنة الكفيلة بجعل إيْجوْن غير الجدير نفسه يتورَّد خجلًا، في حين شرعَ سام المحنيُّ يُصلِّي.

حالَت المسافة البعيدة دون تمييزهم اللَّهب، لكن الوهج الأحمر ابتلعَ نصف الأفق الغربي، وفوق الضَّوء بدأت النُّجوم تختفي، فتوارى «تاج الملك» جزئيًّا فعلًا وقد حجبَه ستارٌ من الدُّخان المتصاعد.

كما قالت، بالنَّار والسَّيف.

***

ظلَّ الحريق مشتعلًا اللَّيل بطوله، ولم ينَم أحدٌ في (ستاندفاست) اللَّيلة. لم يمضِ وقتٌ طويل قبل أن يشمُّوا الدُّخان ويروا ألسنة اللَّهب تتراقَص من بعيد كفتيات في تنانير قرمزيَّة، متسائلين جميعًا هل ستبتلعهم النَّار. وقفَ دنك وراء الدَّرايا، ترتقِب عيناه الملتهبتان وصول خيَّالةٍ في اللَّيل، ولمَّا صعدَ الفارس البنِّي

ماضغًا تبغه المُرَّ بادرَه: «بِنِس، إنها تُريدك أنت. ربَّما عليك أن تذهب».

نهقَ بِنِس: «ماذا؟ أهربُ؟ على حصاني هذا؟ كأني أحاولُ الطَّيران راكبًا إحدى هذه الدَّجاجات اللَّعينة».

ـ «سلِّم نفسك إذًا. ستكتفي بشقِّ أنفك».

ـ «أنفي يُعجبني كما هو أيُّها الأنوَك. دعها تُحاول أن تأخذني وسنرى ما الذي سيُشَقُّ». جلسَ بِنِس مربّعًا رجليْه ومُسندًا ظهره إلى ثلمة، ومن قرابه أخرجَ مشحذًا ليسنَّ سيفه. وقفَ السيْر يوستس فوقه، وبصوتيْن خفيضيْن ناقشا كيف سيخوضان الحرب. سمعَ دنك الفارس الشَّيخ يقول: «الإنش الطَّويل سيتوقَّعنا عند السَّد، ولذا سنُحرق محاصيلها بدلًا من ذلك. النَّار بالنَّار». ارتأى السيْر بِنِس أنَّ تصرُّفًا كهذا عين العقل، ولكن لعلَّ عليهم أن يُضرِموا النَّار في الطَّاحونة أيضًا. «إنها تقع على بُعد ستَّة فراسخ من جانب القلعة الآخَر. الإنش الطَّويل لن يبحث عنا هناك. نُحرِق الطَّاحونة ونَقتُل الطحَّان. سيُكلِّفها هذا ثمنًا باهظًا».

إج أيضًا كان مصغيًا. سعلَ الغُلام ونظرَ إلى دنك بعينيْن بيضاويْن متَّسعتيْن قائلًا: «سيْر، يجب أن نمنعهما».

سأله دنك: «كيف؟». *الأرملة الحمراء ستمنعهما، هي ولوكَس الإنش الطَّويل هذا*. «إنهما يُجعجعان لا أكثر يا إج. إمَّا ذلك وإمَّا أن يتبوَّلا في بنطاليْهما. ولا علاقة للأمر بنا الآن».

بزغَ الفجر بسماواتٍ سديميَّة غائمة وهواءٍ يُلهِب العيون. انتوى

دنك أن يتحرَّكا مبكِّرًا، ولكن بعد ليلتهما الأرِقة لم يعرف كم سيبتعدان. أفطرَ هو وإج بيضًا مسلوقًا فيما جمعَ بِنس الآخَرين بخشونةٍ في الخارج لأجل مزيدٍ من التَّدريب. قال دنك لنفسه: *هُم رجال أوزجري ونحن لا*. أكلَ أربعة بيضات؛ السيْر يوستس مدينٌ له بهذا القدر في نظره. أمَّا إج فأكلَ اثنتيْن، وبلَّعا ما أكلاه بالمزر.

قال الغُلام وهما يجمعان أغراضهما: «يُمكننا الذَّهاب إلى (الجزيرة القصيَّة) أيُّها السيْر. ما داموا يتعرَّضون لغارات الحديديِّين فلعلَّ اللوْرد فارمان يبحث عن بعض السيَّافة».

فكرةٌ جيِّدة. «هل زُرت (الجزيرة القصيَّة) من قبل؟».

ـ «لا أيُّها السيْر، لكنهم يقولون إنها جميلة، ومقرُّ اللوْرد فارمان جميل أيضًا. اسمه (القلعة القصيَّة)».

ضحكَ دنك قائلًا: «إلى (القلعة القصيَّة) إذًا». أحسَّ كأن عبئًا عظيمًا رُفعَ عن كتفيْه. عندما ربطَ درعه في حزمةٍ وأوثقَها بحبلٍ من القنَّب قال: «سأتولَّى الخيول. اصعد إلى السَّطح وأحضِر لفَّتَي النَّوم». آخِر ما يُريده هذا الصَّباح مواجهةٌ أخرى مع أسد المربَّعات. «إذا رأيت السيْر يوستس فدعه وشأنه».

ـ «سأفعلُ أيُّها السيْر».

في الخارج كان بِنس قد صفَّ مجنَّديه بحرابهم وتراسهم ويُحاول تعليمهم التَّقدُّم وحدةً واحدةً، ولم يُعِر الفارس البِنّي دنك أدنى انتباهٍ وهو يَعبُر السَّاحة. *سيقودهم إلى موتهم كافَّةً. الأرملة الحمراء قد تصل في أيِّ لحظة*. أتى إج مندفعًا من باب

البُـرج ونـزلَ السَّلالـم بلفّـتَي النَّـوم المُخشخشـتيْن، وأعلاه وقـفَ السيْر يوسـتس في الشُّرفة بجمـودٍ مُريحًـا يديْـه عـلى دريئـة. لمَّـا لاقَت عيناه عينَي دنك ارتعشَ شاربه وأسرعَ يُشيح بوجهه، وقد أضـفى الدُّخـان الهـابُّ عـلى الهـواء غشـاوةً.

علَّـق بِنـس تُرسـه عـلى ظهـره، تُرسًـا طـويلًا لـوزيَّ الـشَّكل مـن الخشـب غيـر المطلي، غمَّقت طبقـات مـن الورنيـش القديـم لونـه ويُطوّقه كاملًا الحديـد. لا يحمـل التُّـرس صـورةً، فقـط حلقـة مركزيَّـة يقطعهـا شـريط، ذكّـرت دنـك بعيـنٍ عظيمـة مغلقـة عـن آخِرهـا. *عمياء مثله*. سـألَه دنـك: «كيـف تنويـان قتالهـا؟».

رمـقَ السيْر بِنـس جنـوده وريقـه يجـري محمـرًّا بفعـل التَّبـغ المُـرّ، وأجـابَ: «لا يُمكننـا الحفـاظ عـلى التَّـل بهـذه الحـراب القليلـة. يجـب أن نركـن إلى البُـرج. سـنَكمُن جميعًـا في الدَّاخـل»، وأشـارَ

برأسه إلى الباب متابعًا: «طريقٌ واحد فقط للدُّخول. سنَكمُن أعلى تلك السَّلالم الخشب ولن يجدوا طريقةً لبلوغنا أبدًا».

ـ «إلى أن يبنوا هُم سلالم. قد يجلبون حبالًا وخطاطيف أيضًا ويُكاثِرونكم نزولًا من السَّطح، ما لم يكتفوا بالوقوف بنُشَّابيَّاتهم وإمطاركم بالسِّهام فيما تُحاوِلون إبقاء الباب مغلقًا».

استمعَ الشمَّام والفاصوليا والشَّعير لكلِّ ما قالاه، وقد عُصِفَ بكلامهم الشُّجاع برُمَّته رغم خلوّ الهواء من نسمة ريح واحدة، فوقفوا قابضين على عِصيِّهم المبريَّة ناظرين إلى دنك وبِنس وبعضهم بعضًا.

قال دنك بإيماءةٍ نحو جيش أوزجري المهلهَل: «هذه الثُّلَّة لن تنفعكما مقدار لحسة. فُرسان الأرملة الحمراء سيُمزِّقونهم أشلاءً إذا تركتماهم في العراء، وحرابهم لن تُجدي نفعًا داخل البُرج».

ردَّ بِنس: «بإمكانهم إلقاء أشياء من السَّطح. مَنج يُجيد القذف بالصُّخور».

ـ «بإمكانه أن يقذف بصخرةٍ أو اثنتيْن على ما أظنُّ، إلى أن يغرز فيه أحد رُماة الأرملة سهمًا».

وقفَ إج بجواره قائلًا: «سيْر؟ سيْر، إذا كنا ننوي الذَّهاب فالأفضل أن نذهب لو أنَّ العذراء قادمة».

الغُلام على حق. *إذا تلكَّأنا فسنُحبَس هنا*. ومع ذلك تردَّد دنك. «دعهم يرحلون يا بِنس».

قال بِنس: «وأفقدُ فِتيتنا الصَّناديد؟»، ونظرَ إلى الفلَّاحين وحذَّرهم بنهيقه الضَّاحك: «لا تُراودنَّ أحدكم أيَّة أفكار. سأبقرُ

بطـن أيِّ رجـلٍ يُحـاوِل الفـرار».

ـ «حـاوِل وسـأبقرُ أنـا بطنـك». استلَّ دنـك سـيفه مخاطبًا العـوام: «ارحلـوا إلى دياركـم جميعًـا. عـودوا إلى قُراكـم وانظُـروا هـل تجنَّبت النَّـار بيوتكـم ومحاصيلكم».

لم يتحرَّك أحد، وحدَّق إليه الفارس البنِّي وفمه يتحرَّك. مرَّةً أخرى قال دنك للعوام: «ارحلوا». كأن إلهًا ما وضعَ الكلمة في فمه. *ليس المَحارب أللحمقى إله؟* «**ارحلوا!**». مجدَّدًا كرَّرها هادرًا هذه المرَّة. «خُذوا حرابكم وتراسكم، ولكن ارحلوا حالًا وإلَّا فلـن تعيشـوا لتـروا الغـد. أتُريـدون أن تُقبِّلوا زوجاتكـم ثانيـةً؟ أتُريـدون أن تحتضنـوا أطفالكـم؟ عـودوا إلى دياركـم! هـل صُمِمتـم جميعًـا؟».

لا، لـم يُصَمِّـوا. بيـن الدَّجـاجِ انـدلعَ تـدافُع محمـوم. داسَ رؤوب الكبيـر دجاجـةً إذ انـدفعَ، وحـالَ نصـف قـدم فقـط دون فـتح بِئـت بطـن ويـل الفاصوليـا حيـن تعثَّـر في حربتـه، لكنهـم انطلَقـوا كلُّهـم

راكضين. ذهبَ الشمَّام في اتِّجاه، والفاصوليا في آخَر، والشَّعير في ثالث، فيما راحَ السيْر يوستس يزعق فيهم من أعلى، بيد أنَّ أحدًا لم يُعِره اهتمامًا. *آذانهم مصمومةٌ عنه على الأقل.*

عندما خرجَ الفارس الشَّيخ من البُرج وهرعَ ينزل السَّلالم، لم يَعُد باقيًا بين الدَّجاج إلَّا دنك وإج وبِنس. زعقَ السيْر يوستس في الجيش الهارب: «ارجعوا. لستُ آذَنُ لكم في الرَّحيل. لستُ آذنُ لكم!».

قال بِنس: «لا فائدة يا سِيدي. لقد رحلوا».

التفتَ السيْر يوستس بحدَّةٍ إلى دنك وشاربه يرتجف حنقًا، وصاحَ: «لا حقَّ لك في صرفهم، لا حقَّ! لقد منعتهم من الرَّحيل، حرَّجته عليهم، حرَّجتُ عليك تحريجًا أن تصرفهم!». خلعَ إج قبَّعته ليَطرُد الدُّخان قائلًا:

«لم نسمعك يا سيّدي. قوقأة الدَّجاج كانت صاخبةً جدًّا».

انهارَ الشَّيخ على سُلَّمة (ستاندفاست) الدُّنيا، وبصوتٍ كئيب سألَ دنك: «ماذا عرضَت عليك تلك المرأة لتُسلِّمني إليها؟ كم من الذَّهب أعطَتك لتخونني؟ لتصرف فِتيتي وتَترُكني هنا وحدي؟».

أغمدَ دنك سيفه، وردَّ: «لست وحدك يا سيدي. لقد نمتُ تحت سقفك وأكلتُ بيضك هذا الصَّباح. ما زلتُ مدينًا لك بشيءٍ من الخدمة. لن أنسلَّ هاربًا وذيلي بين قدميَّ. سيفي ما زالَ هنا». قالها ومسَّ المقبض.

ـ «سيفٌ واحد». نهضَ الفارس الشَّيخ ببُطء قائلًا: «ما أمل سيفٍ واحد في مواجهة تلك المرأة؟».

ـ «سيُحاول أن يُقصيها عن أرضك بدايةً». تمنَّى دنك لو أنه واثقٌ حقًّا كما أوحَت نبرته.

ارتعدَ شارب الفارس الشَّيخ كلَّما أخذَ نفسًا، وأخيرًا قال: «نعم. خيرٌ لي أن أموت بجرأةٍ من الاختباء وراء جُدران حجريَّة. خيرٌ لي أن أموت أسدًا من أرنب. لقد كنا مُشيري (التُّخم الشَّمالي) طيلة ألف عام. يجب أن أرتدي درعي»، وشرعَ يصعد السَّلالم.

كان إج يَنظُر إلى دنك، وقال الغُلام: «لم أعرف قَطُّ أنَّ لك ذيلًا أيُّها السيّر».

ـ «أتُريد لطمةً على الأذن؟».

ـ «لا أيُّها السيّر. أتُريد درعك؟».

قال دنك: «أريدها، هي وشيء آخَر».

***

قيلَ بعضُ كلام عن مجيء السيْر بِنس معهم، لكن في النِّهاية أمرَه السيْر يوستَس بالبقاء والدِّفاع عن البُرج، فسيفه لن ينفع نفعًا يُذكَر ضد الاحتمالات التي سيُواجِهونها، ومرآه سيُهيِّج الأرملة أكثر.

لم يتطلَّب الفارس البنِّي كثيرًا من الإقناع. ساعدَه دنك على خلع الأوتاد الحديديَّة التي تُثبِّت الدَّرجات العُليا، ثم تسلَّقها بِنس وحلَّ حبل القنَّب الرَّمادي القديم وشدَّه بقوَّته كلِّها، وبصرير وأنين ارتفعَ السُّلَّم الخشبيُّ تاركًا عشرة أقدام من الهواء بين أعلى الدَّرجات الحجريَّة ومدخل البُرج الوحيدَ. كان سام المحنيُّ وزوجته قد دخلا، أمَّا الدَّجاج فعليه أن يُدبِّر أموره بنفسه. قاعدًا بالأسفل فوق حصانه الرَّمادي المخصي، رفعَ السيْر يوستس عقيرته قائلًا: «إذا لم نرجع بحلول اللَّيل...».

ـ «... فسأركبُ إلى (هايجاردن) يا سيدي وأبلِّغُ اللوْرد تايرل أنَّ تلك المرأة أحرقَت خميلتك وقتلَتك».

تبعَ دنك إج وميْستر في نزول التَّل، وبعده الشَّيخ في درعه المُصلصلة بخفوت. من باب التَّغيير بدأت ريحٌ تهبُّ، وسمعَ دنك معطف الرَّجل يُرفرِف.

حيث قامَت (خميلة وات) من قبل وجدوا قفرًا يتصاعَد منه

الدُّخان. إلى حدٍّ كبير خمدَ الحريق قبل وصولهم إلى الخميلة، وإن ظلَّ هنا وهناك عددٌ من الرُّقع المشتعلة، جُزر ناريَّة في بحرٍ من الرَّماد والجمر، وفي بقاعٍ أخرى أنشبَت جذوع الشَّجر المحروق أنفُسها في السَّماء كحرابٍ مسودَّة. سقطَت أشجارٌ أخرى وارتمَت معترضةً الطَّريق الغربي بفروعٍ متفحِّمة ومكسورة، تتوهَّج نيران حمراء باهتة في قلوبها الجوفاء، وعلى أرض الغابة بؤر ساخنة أيضًا، وأماكن علقَ فيها الدُّخان في الهواء كغيوم رماديَّة ساخنة. أصابَت السيْر يوستس نوبة سُعال، ولبضع لحظاتٍ خشيَ دنك أن يضطرَّ الشَّيخ أن يعود أدراجه، لكن النَّوبة مرَّت في النِّهاية.

مرُّوا بجثَّة غزالٍ أحمر، ولاحقًا بما قد يكون غُريرًا. لا حياة في شيءٍ إلَّا الذُّباب. الذُّباب قادرٌ على العيش في أيِّ ظرفٍ كما يبدو. قال السيْر يوستس: «هكذا بدا (حقل النِّيران) لا ريب. هناك بدأت ويلاتنا قبل مئتَي عام. آخِر الملوك الخُضر هلكَ في ذلك الحقل، وحوله أبدع أزهار (المرعى). قال أبي إنَّ نيران التَّنانين استعرَت إلى درجة أنها صهرَت سيوفهم في أيديهم. بعدها جُمعَت السُّيوف وأُخذَت لعمل العرش الحديدي. انتقلَت (هايجاردن) من ملوكٍ إلى وُكلاء، واضمحلَّ آل أوْزجري وتضاءَلوا حتى لم يَعُد مُشيرو (التُّخم الشَّمالي) أكثر من فُرسان مُلَّاك أراضٍ موثقين بالولاء لآل رُوان».

لم يملك دنك تعليقًا على هذا، وهكذا ركبوا في صمتٍ وقتًا، إلى أن سعلَ السيْر يوستس وقال: «سيْر دنكن، هل تَذكُر القصَّة التي حكيتها لك؟».

قال دنك: «ربَّما أيُّها السيْر. أيُّ واحدة؟».

ـ «الأسد الصَّغير».

ـ «أذكرُ. كان أصغر خمسة أبناء».

ـ «أحسنت». سعلَ الفارس الشَّيخ ثانيةً. «حين قتلَ لانسل لانستل ارتدَّ الغربيُّون على أعقابهم. من غير الملك لم تَقُم حرب. أتفهم ما أقوله؟».

أجابَ دنك بتردُّد: «أجل». *أيُمكنني أن أقتل امرأةً؟* على غير المعتاد تمنَّى دنك لو أنه بحقٍّ غليظ العقل كسور تلك القلعة. *يجب ألَّا تَبلُغ الأمور ذلك الحدَّ. يجب ألَّا أدعها تَبلُغه.*

لم تزَل أشجارٌ قليلة واقفةً حيث يَعبُر الطَّريق الغربيُّ (ماء المربَّعات)، جذوعها متفحِّمة ومسودَّة من ناحيةٍ واحدة، وبعدها مباشرةً يتلألأ الماء بألوانٍ داكنة. *أزرق وأخضر، لكن الذَّهبي كلَّه اختفى.* أمَّا الشَّمس فطمسَها الدُّخان.

حين بلغَ السيْر يوستس حافة الماء توقَّف قائلًا: «لقد حلفتُ يمينًا مغلَّظةً. لن أعبر ذلك الجدول ما دامَت الأرض بعده ملكها». يرتدي الفارس الشَّيخ حلقاتٍ وصفائح معدنيَّةً تحت

معطفه المصفر، وعلى وركه سيفه.

سألَ إج: «ماذا لو لم تأتِ أيُّها السيْر؟».

ـ *بالنَّار والسَّيف*. «ستأتي».

وقد أتَت، وقبل تمام السَّاعة.

سمعوا الخيول أوَّلًا، ثم قعقعة الدُّروع المعدنيَّة الخافتة تعلو فتعلو. صعَّب الدُّخان

المُنساق تحديد كم يَبعُدون، إلى أن اخترقَ حامل رايتها السِّتار الرَّمادي المهترئ، يُتوِّج ساريته عنكبٌ حديديٌّ مطليٌّ بالأبيض والأحمر، تتدلَّى تحته راية آل وِبَر السَّوداء بخمول.

لمَّا رآهم الرَّجل عبر الماء توقَّف عند الضفَّة، وبعد نصف نبضة قلبٍ ظهرَ السيْر لوكَس إنشفيلد مدرَّعًا من رأسه إلى قدميْه.

عندئذٍ فقط ظهرَت الليْدي رؤهان نفسها مقتعدةً فرسًا سوداء كالفحم مزيَّنةً بخيوطٍ من الحرير المفضَّض تُحاكي شباك العناكب. معطف الأرملة أيضًا مفصَّل من تلك الخيوط، ينتفخ متموِّجًا من كتفيْها ومعصميْها خفيفًا خفَّة الهواء، كما أنها

هي الأخرى مدرَّعةٌ ببِزَّةٍ من صفائح المينا المتشابكة المنقوشة بالذَّهب والفضَّة، تُناسِب قدَّها مثلما يُناسِب القُفَّاز يدًا، وتُبديها كأنَّما تلتحف بأوراق شجرٍ صيفيَّة، وقد تدلَّت ضفيرتها الحمراء الطَّويلة وراءها متوثِّبةً وهي تتحرَّك. إلى جانبها السِّبتوْن سِفتوْن محمرُّ الوجه فوق حصانٍ رماديّ مخصيّ كبير، وإلى جانبها الآخَر ميْسترها الشَّاب كِرك راكبًا بغلَةً.

تبعَهم مزيدٌ من الفُرسان، نصف دستةٍ منهم، يُصاحِبهم العدد نفسه من المُرافقين، فيما تألَّفت المؤخِّرة من طابورٍ من النَّشَّابين، انتشرَ على جانبَي الطَّريق بمجرَّد بلوغ (ماء المربَّعات) ورؤية دنك منتظرًا على الضفَّة الأخرى. ثلاثة وثلاثون فردًا مُقاتلًا إجمالًا، بعد استثناء السِّبتوْن والميْستر والأرملة ذاتها. لفتَ أحد الفُرسان نظر دنك؛ رجلٌ أصلع قصير مكتنز كالبرميل يرتدي الحلقات المعدنيَّة والجلد، له وجهٌ غاضب وفي رقبته دُراق قبيح.

تقدَّمت الأرملة الحمراء بفرسها إلى حافة الماء، ونادَت عبر الجدول: «سيْر يوستس، سيْر دنكن، رأينا حريقكم مشتعلًا ليلًا».

ردَّ السيْر يوستس زاعقًا: «رأيتموه؟ أجل، رأيتموه... بعدما أشعلتموه».

ـ «اتِّهامٌ دنيء هذا».

ـ «بفعلةٍ دنيئة».

ـ «كنتُ نائمةً في فِراشي البارحة، مُحاطةً برفيقاتي. الصِّياح من الأسوار أيقظَني مثلما أيقظَ كلَّ أحدٍ تقريبًا. المسنُّون تسلَّقوا

سلالم الأبراج العالية ليَنظُروا، والرُّضَّع رأوا الضَّوء الأحمر وبكوا خائفين. وهذا هو كلُّ ما أعرفه عن حريقكم أيُّها السيْر».

قال السيْر يوستس بإلحاح: «إنه حريقكِ يا امرأة. خميلتي راحَت، راحَت أقولُ لكِ!».

تنحنحَ السِّبتوْن سِفتوْن، وقال بصوتٍ جهوري: «سيْر يوستس، إنَّ في (غابة الملوك) حرائق، وفي (الغابة المطيرة) نفسها. القحط حوَّل غاباتنا كلَّها إلى هشيم».

رفعَت الليْدي روْهان ذراعها مشيرةً، وقالت: «انظُر إلى حقولي يا أوْزجري. انظُر كم هي جافَّة. لكنتُ حمقاء لو أني أشعلتُ حريقًا. لو بدَّلت الرِّيح اتِّجاهها فلربَّما وثبَ اللَّهب عبر الجدول وحرقَ نصف محاصيلي».

زعقَ السيْر يوستس: «لربَّما؟ خميلتي هي التي احترقَت، وأنتِ التي أحرقتِها. على الأرجح ألقيتِ تعويذةً ما من تعاويذ السَّاحرات لتُزجي الرِّيح، تمامًا كما استخدمتِ فنونكِ الظَّلاميَّة لتقضي على أزواجكِ وإخوتكِ!».

ازدادَ وجه الليْدي روْهان قسوةً. رأى دنك هذه النَّظرة من قبل في (الخندق البارد) قُبيل صفعتها. قالت الأرملة للشَّيخ: «هُراء. لن أبدِّد عليك مزيدًا من الكلام أيُّها السيْر. ائتِ بِبِنِس صاحب التُّرس البنِّي وإلَّا فسنأتي ونأخذه».

أعلنَ السيْر يوستس بنبرةٍ رنَّانة: «هذا ما لن تفعلوه. هذا ما لن تفعلوه أبدًا»، وارتعشَ شاربه وهو يُردِف: «إيَّاكم أن تتقدَّموا. هذا الجانب من الجدول ملكي، ولستم مرغوبين هنا.

لن تنالوا مني ضيافةً، لا عيشًا وملحًا، ولا حتى ظلًّا وماءً. إنكم متطفِّلون. أمنعكم من وطء أرض أوزجري».

سحبَت الليْدي رؤهان ضفيرتها من فوق كتفها، ولم تقل إلَّا: «سيْر لوكَس»، ليُشير الإنش الطَّويل إشارةً ترجَّل على إثرها الرُّماة وشدُّوا أوتار أقواسهم بواسطة الخُطَّاف والرِّكاب، والتقطوا السِّهام من جعابهم، ولمَّا وُتِّرَ كلُّ قوسٍ ورُفعَ وجهزَ نادَت حضرة الليْدي: «والآن أيُّها السيْر، مَمَّ منعتني؟».

سمعَ دنك ما فيه الكفاية. «إذا عبرتم الجدول دون إذنٍ فإنكم تنتهكون سلام الملك».

همزَ السِّپتوْن سِفتوْن حصانه متقدِّمًا خُطوةً، وصاحَ: «الملك لن يعلم أو يكترث. إننا جميعًا أطفال **الأُم** أيُّها السيْر. إكرامًا لها تنحَّ جانبًا».

قطَّب دنك وجهه قائلًا: «لا أعرفُ كثيرًا عن الآلهة أيُّها السِّپتوْن... ولكن أولسنا أطفال **المُحارب** أيضًا؟»، وفركَ مؤخِّرة عُنقه مضيفًا: «إذا حاولتم العبور فسأردعكم».

ضحكَ السيْر لوكَس الإنش الطَّويل، وقال للأرملة الحمراء: «ها هو ذا فارسٌ جوَّال يشتاق إلى أن يُصبح قُنفذًا يا سيِّدتي. ألقي الأمر وسنغرز فيه دستةً من السِّهام. من هذه المسافة ستنفذ كأن درعه مصنوعةٌ من البُصاق!».

ـ «لا، ليس بعدُ أيُّها السيْر». تفرَّست الليْدي رؤهان في دنك من مكانها عبر الجدول، وقالت: «أنتم رجلان وغُلام. نحن ثلاثةٌ وثلاثون. كيف تنوي منعنا من العبور؟».

ـ «سأخبركِ، ولكن أنتِ فقط».

ـ «كما تشاء». ضغطَت بكعبيْها على جنبَي فرسها ونزلَت في الجدول، وحين ارتفعَ الماء حتى بطن الفرس كبحَتها وانتظرَت. «هأنذي. ادنُ أيُّها السيْر. أعدُك ألَّا أخيِّط عليك جوالًا».

أمسكَ السيْر يوستس دنك من ذراعه قبل أن يُجيب، وقال الفارس الشَّيخ: «اذهب إليها، ولكن تذكَّر الأسد الصَّغير».

ـ «كما تقول يا سيدي». مشى دنك بثندر خائضًا الماء، وتوقَّف بجوارها قائلًا: «ستِّي».

ـ «سيْر دنكن». مدَّت يدها واضعةً إصبعيْن على شفته المتورِّمة، وسألَته: «أسبَّبتُ أنا هذا أيُّها السيْر؟».

ـ «لا أحد غيركِ صفعَني على وجهي في الآونة الأخيرة يا ستِّي».

ردَّت: «كان تصرُّفًا سيِّئًا مني. السِّبتيون الكريم يُؤنِّبني منذ حينها»، ونظرَت عبر الماء إلى السيْر يوستس قائلةً: «لم أعُد أتذكَّرُ أدام إلَّا بالكاد. لقد انقضى أكثر من نصف حياتي منذ ذلك الوقت. لكنني أذكرُ أني أحببته. الآخَرون لم أحبَّ أيًّا منهم».

ـ «أبوه دفنَه وسط التُّوت الأسود. كان مغرمًا بالتُّوت الأسود».

ـ «أذكرُ. اعتادَ أن يقطفه لي لنأكله في وعاءٍ من القشدة».

قال دنك: «الملك سامحَ العجوز على ديْمون. آنَ الأوان منذ زمنٍ أن تُسامِحيه على أدام».

ـ «أعطِني بِنِس وسأفكِّرُ في الأمر».

ـ «بِنِس ليس ملكي لأعطيه لكِ».

تنهَّدت قائلةً: «سيُسعِدني ألَّا أضطرَّ إلى قتلك».

ـ «سيُسعِدني ألَّا أموت».

ـ «أعطِني بِنِس إذًا. سنقطع أنفه ونُعيده وتُصبِح المسألة منتهيةً».

ـ «لكنها لن تنتهي. ما زالَ علينا التَّعامُل مع السَّد، ومع الحريق. هل ستُسلِّمين إلينا الرِّجال الذين أشعَلوه؟».

ـ «كانت في الغابة حشرات قناديل. ربَّما أشعلَت هي الحريق بقناديلها الصَّغيرة».

حذَّرها دنك: «كفى عبثًا يا ستِّي. الآن ليس وقته. اهدمي السَّد ودعي السيْر يوستس يحظى بالماء عوضًا عن الخميلة. إنه

العدل، أليس كذلك؟».

ردَّت: «ربَّما لو أني أحرقتُ الخميلة، وهو ما لم أفعله. لقد كنتُ في (الخندق البارد)، آمنةً في فِراشي»، وخفضَت ناظريْها إلى الماء متابعةً: «ما الذي يمنعنا من عبور الجدول مباشرةً؟ هل بعثرتم حسكًا[14] بين الصُّخور؟ خبَّأتم رُماةً في الرَّماد؟ أخبِرني بما تحسبه سيمنعنا».

خلعَ دنك فردةً من قُفَّازه قائلًا: «أنا. في (سفح البراغيث) كنتُ دائمًا أكبر وأقوى من الصِّبيان الآخَرين، ولذا اعتدتُ أن أضربهم حتى أدميهم وأسرق منهم. العجوز علَّمني ألَّا أفعل ذلك. قال لي إنه خطأ، وأحيانًا للصِّبيان الصِّغار إخوةٌ كبار ضخام. هاكِ، ألقي نظرةً على هذا»، ولفَّ الخاتم حتى انخلعَ من إصبعه وقدَّمه لها، لتفلت ضفيرتها رغمًا عنها لكي تأخذه.

قالت حينما أحسَّت بوزنه: «ذهب؟ ما هذا أيُّها السيْر؟»، وقلبَته في يدها مُردفةً: «طابَع ختم. ذهب وجزْع»، وضاقَت عيناها الخضراوان إذ أمعنَت بهما النَّظر إلى الختم، وسألَته: «أين عثرت على هذا أيُّها السيْر؟».

ـ «في حذاء، ملفوفًا بخِرَقٍ ومحشورًا في الإصبع الكبيرة».

انغلقَت يد الليْدي روْهان حوله، وألقَت نظرةً عابرةً نحو إج والسيْر يوستس. «خاطرت مخاطرةً عظيمةً لمَّا أريتني هذا الخاتم أيُّها السيْر. ولكن ما نفعه لنا؟ إذا أمرتُ رجالي بالعبور...».

---

١٤ ـ الحسك Caltrops: يُعرَف أيضًا بقدم الغُراب، وهو سلاحٌ دفاعيٌّ مكوَّن من اثنيْن أو أكثر من المسامير أو الأشواك الحادَّة المشكلة بحيث يُشير أحدها دائمًا إلى أعلى وينغرس في قدم مَن يخطو عليه. (المُترجم).

ـ «فسيعني ذلك أنَّ عليَّ أن أقاتل».

ـ «وتموت».

ـ «غالبًا، وسيعود إج إلى داره ويحكي ما حدثَ هنا».

ـ «ليس إذا ماتَ أيضًا».

ـ «لا أظنُّكِ ستَقتُلين غُلامًا عنده عشر سنوات». قالها آملًا أنه مصيب. «ليس هذا الغُلام ذي السَّنوات العشر تحديدًا على الأقل، لن تَقتُليه. إنَّ معكِ ثلاثةً وثلاثين رجلًا كما قلتِ. الرِّجال يتكلَّمون. ذلك البديـن هناك بالذَّات. مهما غارَ عُمق القبور التي ستَحفُرينها فستنفضح الحكاية، وحينئذٍ... قد تَقتُل لدغة

عنكبوت رقطاء أسدًا، لكن التنّين حيوانٌ من نوعٍ آخَر».

ـ «أوثرُ أن أكون صديقة التنّين». جرَّبت الخاتم على إصبعها، فوجدَته كبيرًا حتى على إبهامها. «بتنّينٍ أو من غيره، يجب أن أنال بِنس صاحب التُّرس البنّي».

ـ «لا».

ـ «إنك سبعة أقدامٍ من العناد».

ـ «ناقص بوصة».

أعادَت إليه الخاتم قائلةً: «لا يُمكنني العودة إلى (الخندق البارد) خاوية الوفاض. سيقولون إنَّ الأرملة الحمراء فقدَت قُدرتها على اللَّدغ، إنها أضعف من أن تُنزِل العدالة، إنها لم تقوَ على حماية رعاياها. لست تفهم أيُّها السيْر».

ـ «قد أفهمُ». *أكثر ممَّا تحسبين*. «أذكرُ مرَّةً ضمَّ فيها لوْرد صغير الشَّأن في (أراضي العواصف) السيْر آرلان إلى خدمته، ليُعينه على قتال لوْرد آخَر صغير الشَّأن. لمَّا سألتُ العجوز علامَ يتقاتَلان قال: *لا شيء يا فتى. إنها مجرَّد مسابقة تبوُّل*».

رمَته الليْدي روْهان بنظرةٍ مصدومة، وإن لم تستطع الحفاظ عليها وقتًا أطول من نصف نبضة قلبٍ قبل أن تستحيل إلى ابتسامةٍ عريضة. «سمعتُ ألف مجاملةٍ فارغةٍ في حياتي، لكنك أوَّل فارسٍ على الإطلاق يقول «تبوُّل» في حضوري». اكتسبَ وجهها المنمَّش جهامةً إذ أتبعَت: «بمسابقات التَّبوُّل تلك يُقدِّر بعض اللوْردات قوَّة بعض، وويلٌ لأيّ رجلٍ يُبدي ضعفه. على المرأة أن تَبذُل ضعفَي الجهد في التَّبوُّل لو أنها تأمل أن تَحكم. وإذا

تصادفَ أنَّ تلك المرأة صغيرة الحجم أيضًا... اللوْرد ستاكهاوس يشتهي (تلال الحدوة)، السيْر كليفرد كوْنكلِن له أحقيَّة قديمة في (البُحيرة المورقة)، وآل دَرول المأفونون هؤلاء يعيشون على سرقة المواشي... وتحت سقفي ذاته الإنش الطَّويل. كلَّ يوم أصحو متسائلةً أهذا هو اليوم الذي سيتزوَّجني فيه قسرًا». انْقبضَت يدها بشدَّةٍ حول ضفيرتها، بقوَّةٍ كأن الضَّفيرة حبلٌ وكأنَّما تتدلَّى هي من شفا هاوية. «إنه يُريد الزَّواج بي، أعرفُ، ولا يمتنع إلَّا خشية غضبتي، مثلما يتصرَّف كوْنكلِن وستاكهاوس وآل دَرول بحرص حين يتعلَّق الأمر بالأرملة الحمراء. إذا ظنَّ أيٌّ منهم لحظةً أني صرتُ ضعيفةً ليِّنةً...».

وضعَ دنك الخاتم حول إصبعه من جديد، وسحبَ خنجره.

واتَّسعت عينا الأرملة لمرأى الفولاذ المجرَّد، وقالت: «ماذا تفعل؟ هل فقدت عقلك؟! إنَّ دستةً من النُّشَّابيَّات مصوَّبة إليك».

ردَّ: «لقد أردتِ دمًا بدم»، ووضعَ الخنجر على وجنته متابعًا: «ما أخبروكِ به خطأ. ليس بِنِس مَن جرحَ الحفَّار، بل أنا»، وضغطَ بحدِّ الفولاذ على وجهه وشقَّه إلى أسفلٍ. عندما نفضَ الدَّم عن النَّصل انتشرَ بعضه على وجهها، ففكر: *مزيدٌ من النَّمش*. «هاكِ، الأرملة الحمراء نالَت ما لها. وجنةٌ بوجنة».

قالت وقد ملأ الدُّخان عينيْها بالدُّموع: «أنت مجنون حقًّا. لو أنك أليَق مولدًا لتزوَّجتك».

ـ «أجل يا ستِّي. ولو أنَّ للخنازير أجنحةً وحراشف ولهبًا تنفثه لكانت مثل التِّنانين». أعادَ دنك السكِّين إلى غِمده شاعرًا

بنبضات الألم الذي دبَّ في وجهه. سالَ الدَّم على وجنته وتقاطرَ على عُنقيَّته، وجعلَت الرَّائحة ثندر ينخر ويُحرِّك أقدامه في الماء. «أعطيني الرِّجال الذين أحرَقوا الخميلة».

ردَّت: «لا أحد أحرقَ الخميلة، ولكن لو فعلَها رجلٌ ما من رجالي فلا بُدَّ أنه قصدَ إرضائي. كيف أعطيك رجلًا كهذا؟»، وألقَت نظرةً إلى الوراء نحو مُصاحبيها مضيفةً: «الأفضل أن يسحب السيْر يوستس اتِّهامه ليس إلَّا».

ـ «بعد أن تنفث تلك الخنازير النَّار يا ستِّي».

قالت: «في تلك الحالة يتحتَّم أن أؤكِّد براءتي أمام أعيُن الآلهة والبشر. قُل للسيْر يوستس إنني أطالبُ باعتذار... أو بمحاكمة. الخيار له»، ودارَت بفرسها لترجع إلى رجالها.

***

سيكون الجدول ميدان المعركة بينهما.

تقدَّم السِّيبتوْن سفتوْن متمايلًا وردَّد دُعاءً استعطفَ به **الأب في الأعالي** أن يَنظُر من عليائه إلى هذيْن الرَّجليْن ويَحكُم عليهما بالعدل، وسألَ **المُحارب** أن يمدَّ بقوَّته صاحب القضيَّة العادلة الشَّريفة، واستجدى رحمة **الأم** للكاذب عسى أن تُغفَر له خطاياه. عند تمام الدُّعاء والفروغ منه التفتَ السِّيبتوْن إلى السيْر يوستس أوْزجري مرَّةً أخيرةً قائلًا: «سيْر، أتوسَّلُ إليك من جديد، اسحب اتِّهامك».

ردَّ العجوز وشاربه يرتجف: «لن أفعل».

التفتَ السِّيتوْن إلى الليْدي روْهان، وقال لها: «أختي الصِّهرة، إذا فعلتِ هذه الفعلة فاعترفي بذنبكِ واعرضي على السيْر يوستس تعويضًا عن خميلته، وإلَّا لوجبَ أن تُراق الدِّماء».

ـ «نصيري سيُثبِت براءتي أمام أعيُن الآلهة والبشر».

قال السِّيتوْن الخائض في الماء حتى الخصر: «المحاكمة بالقتال ليست السَّبيل الوحيد. فلنذهب إلى (البُستان الذَّهبي)، أناشدكما أنتما الاثنان، ونطرح المسألة على اللوْرد رُوان طلبًا لحُكمه».

قال السيْر يوستس: «مُحال»، فيما هزَّت الأرملة الحمراء رأسها رفضًا.

نظرَ السيْر لوكَس إنشفيلد إلى الليْدي روْهان بوجهٍ اربدَّ غيظًا، وقال: «ستتزوَّجينني حين تنتهي هذه المهزلة، كما رغبَ السيِّد والدكِ».

ردَّت: «السيِّد والدي لم يعرفك كما أعرفك».

جثا دنك على رُكبةٍ واحدة بجوار إج ووضعَ في يد الغُلام طابَع الختم: أربعة تنانين ثُلاثيَّة الرُّؤوس، اثنان واثنان، شعار ميْكار أمير (بهو الصَّيف). «أعِده إلى الحذاء، ولكن إذا حدثَ ومتُّ فاذهب إلى أقرب أصدقاء أبيك واجعله يُعيدك إلى (بهو الصَّيف). لا تُحاوِل قطع (المرعى) بأكمله بمفردك. إيَّاك أن تنسى، وإلَّا فسيأتي شبحي ويلطمك على الأذن».

قال إج: «حاضر أيُّها السيْر، لكنني أفضِّلُ ألَّا تموت».

ـ «الطَّقس أشدُّ حرارةً من أن أموت».

اعتمرَ دنك خوذته، وساعدَه إج على ربطها بإحكام بعُنقيَّته. أحسَّ بلزوجة الدَّم على وجهه رغم أنَّ السيْر يوستس مزَّق قطعةً من معطفه ليُساعِد على وقف الجرح عن النَّزيف. نهضَ وذهبَ إلى ثندر، ورأى وهو يعتلي سرجه أنَّ أكثر الدُّخان انقشعَ، وإن ظلَّت السَّماء معتمةً. غيوم، غيوم *مظلمة*. طالَ الوقت جدًّا منذ غامَت السَّماء. *لعلَّها بشارة، ولكن أهي بشارة له أم لي*؟ لا يُجيد دنك تفسير البشائر.

عبر الجدول ركبَ السيْر لوكَس أيضًا حصانه، وهو حصانٌ عدَّاء كستنائي، حيوانٌ بديع، سريعٌ وقوي، لكنه ليس كبيرًا كثندر. على أنَّ ما يفتقر إليه الحصان في الحجم عوَّضه صاحبه بالتَّدريع، فألبسَه واقي رقبةٍ وواقي رأسٍ وكسوةً من السَّلاسل الخفيفة. أمَّا الإنش الطَّويل نفسه فارتدى صفائح مطليَّة بالمينا الأسود وزردًا مفضَّضًا، وقد جثمَ عنكبٌ من الجزْع بخُبث أعلى

خوذته، لكن تُرسه عرضَ شعاره الخاص، شريطًا مائلًا مربَّعًا بالأبيض والأسود على خلفيَّةٍ رماديَّة باهتة. شاهدَ دنك السيْر لوكَس يُناوِل مُرافقه التُّرس، ففكر: *لا ينوي استخدامه*، وعندما أتاه مُرافق آخَر بفأس حربيَّة علمَ السَّبب. الفأس طويلةٌ مميتة، ذات مقبض مدعَّم ورأسٍ ثقيل وأسلةٍ خبيثة المنظر على ظهرها، لكنها سلاحٌ يُمسَك باليدَيْن، أي إنَّ على الإنش الطَّويل أن يتَّكل على درعه لتحميه. *يجب أن أندِمه على هذا الاختيار.*

وضعَ دنك تُرسه هو على ذراعه اليُسرى، التُّرس الذي رسمَت عليه تانسل دردارته وشهابه. في رأسه تردَّدت أسجوعة التِّراس القديمة: *السِّنديان والحديد يقيانني خير وقاء، وإلَّا فأنا ميِّتٌ وإلى الجحيم الانتهاء.* سحبَ سيفه الطَّويل من غِمده، واستحسنَ وزنه في يده.

همزَ جنبَي ثندر بكعبيْه ونزلَ بالبِرذون الكبير إلى الماء، وعبر الجدول حذا السيْر لوكَس حذوه. عمدَ دنك إلى اليمين ليُواجِه الإنش الطَّويل بجنبه الأيسر المحميّ بتُرسه، إلَّا أنَّ ذلك امتيازٌ أبى السيْر لوكَس أن يُخوّله له، فدارَ بحصانه العدَّاء سريعًا، وتلاقَيا في معمعةٍ من الفولاذ الرَّمادي والرَّذاذ الأخضر. ضربَ السيْر لوكَس بفأسه الحربيَّة، واضطرَّ دنك إلى الالتواء فوق سرجه ليصدَّ الضَّربة بتُرسه، لتمرق قوَّتها في ذراعه وتصكَّ أسنانه. هوى دنك بسيفه ردًّا في ضربةٍ جانبيَّة أصابَت الفارس الآخَر تحت ذراعه المرفوعة، وصرخَ الفولاذ على الفولاذ، وابتدأ القتال.

همزَ الإنش الطَّويل عدَّاءه في دائرةٍ محاولًا الدَّوران إلى جنب دنك المكشوف، لكن ثندر دارَ ليُقابِله ناهشًا الهواء في وجه

الحصان الآخَر. نزلَ السيْر لوكَس بضربة عاتية تلو أخرى وهو واقفٌ فوق ركابيْه ليضع وزنه وبأسه كلَّهما وراء رأس الفأس، وحرَّك دنك تُرسه ليصدَّ كلَّ ضربةٍ تَبلُغه. شبه مُقع أسفل سنديان التُّرس، انهالَ بالضَّربات على ذراعَي الإنش الطَّويل وجنبه وساقيْه، لكن صفائحه المعدنيَّة ردَّتها جميعًا. وهكذا دارا، وثانيةً دارا وألسنة الماء تلعق سيقانهما. هاجمَ الإنش الطَّويل، ودافعَ دنك مترقّبًا نُقطة ضعف.

وأخيرًا أبصرَها. كلَّما رفعَ السيْر لوكَس فأسه توطئةً لضربةٍ أخرى ظهرَت ثغرةٌ تحت ذراعه، حيث تُوجَد حلقات معدنٍ

وجلد وبطانةٌ تحتهما، ولكن لا صفائح فولاذ. أبقى دنك تُرسه مرتفعًا محاولًا أن يُوقِّت هجمته. *قريبًا. قريبًا*. هوَت الفأس، وانتُزِعَت، وارتفعَت. *الآن!* بقوَّةٍ بالغة ضربَ بمِهمازيْه ثندر دانيًا به أكثر، وطعنَ بسيفه الطَّويل ناشدًا أن يغرز رأسه في الفتحة.

غير أنَّ النَّغرة اختفَت بسرعة ظهورها، وحكَّ رأس سيفه قُرصًا واقيًا، وكادَ دنك الذي مدَّ جسده أكثر من اللَّازم يَسقُط من جلسته. هوَت الفأس مرتطمةً بحافة تُرس دنك الحديديَّة ومنحرفةً عنها لتصدم جنب خوذته وتُصيب ثندر بضربةٍ عابرة على طول العُنق.

صرخَ البِرذون وشبَّ على قائمتيْه الخلفيَّتيْن، عيناه بيضاوان زائغتان ألمًا فيما تُفعِم رائحة الدَّم النُّحاسيَّة النفَّاذة الهواء. رفسَ الحصان بحافريْه الحديديَّيْن في اللَّحظة نفسها التي كرَّ فيها الإنش الطَّويل، فأصابَ واحدهما السيْر لوكَس في وجهه والآخَر في كتفه، ثم سقطَ الجواد الحربيُّ الثَّقيل فوق عدَّائه.

حدثَ كلُّ شيءٍ في غضون نبضة قلب. سقطَ الحصانان متشابكيْن، يتراكلان ويتعاضَّان ويمخضان المياه والوحل تحتها. حاولَ دنك أن يُلقي بنفسه من فوق سرجه، لكن إحدى قدميْه علقَت في رِكاب، وسقطَ على وجهه وهو يعبُّ جرعةً يائسةً من الهواء قبل أن يتدفَّق الجدول إلى داخل خوذته عبر فتحة الرُّؤية. ظلَّت قدمه عالقةً، وشعرَ بجذبةٍ ضارية إذ كادَ كفاح ثندر يخلع ساقه من تجويفها. وبالسُّرعة نفسها تحرَّر، وانقلبَ، وغاصَ. للحظةٍ تلوَّى بعجزٍ في الماء، والعالم من حوله أزرق وأخضر وبنِّي.

سحبَه وزن درعه إلى أسفل حتى صدمَت كتفه قاع الجدول. *ما دامَ هذا تحت فالاتِّجاه الآخر فوق.* تلمَّست يدا دنك المقفَّزتان بالفولاذ الحجارة والرِّمال، وبوسيلةٍ ما عدلَ ساقيْه تحته ونهضَ يترنَّح ويَقطُر وحلًا وينصبُّ الماء من فتحتَي التَّنفُّس في خوذته المنبعجة، لكنه وقفَ ونهلَ الهواء نهلًا.

ظلَّ تُرسه المحطَّم عالقًا بذراعه اليُسرى، إلَّا أنَّ غِمده فارغٌ وسيفه اختفى، وفي داخل خوذته دمٌ علاوةً على الماء، وعندما حاولَ الارتكاز بوزنه على قدمه الأخرى طعنَ كاحلُه ساقَه بطولها برُمح من الألم. رأى كلا الحصانيْن وقد قاما مجدَّدًا بعد عناء، ودارَ برأسه مضيِّقًا عينًا واحدةً مفتوحةً لينفذ بها من ستارٍ من الدَّم بحثًا عن خصمه، ثم فكَّر: *ماتَ، غرقَ أو سحقَ ثندر*

جمجمتـه.

وانبثـقَ السـيْر لوكَـس مـن المـاء أمامـه مباشـرةً وسـيفه في يـده، وهـوى عـلى عُنـق دنـك بضربـةٍ ضاريـة، ووحـده سُـمك عُنقيَّتـه أبـقى رأسـه عـلى كتفيْـه. ليـس معـه سـيفٌ يـردُّ بـه، بـل تُرسـه فقـط، وهكذا تقهقـرَ، وتقـدَّم الإنـش الطَّويـل صارخًـا منهـالًا بالضَّربـات. تلقَّـت ذراع دنـك المرفوعـة ضربـةً مخـدِّرةً فـوق المرفـق، ودفعَـه جـرح في وركـه إلى الأنيـن مـن الألـم، وإذ تـراجعَ انقلبَـت صخـرةٌ تحـت قدمـه وسـقطَ عـلى رُكبتـه ليَبـلُغ منسـوب المـاء صـدره. رفعَ دنـك تُرسـه، لكـن الضَّربـة الـتي وجَّههـا السـيْر لوكَـس هـذه المـرَّة بلغَـت مـن العتـوِّ أنهـا شـقَّت السَّـنديان مـن المنتصـف وأطاحَـت بالبقايـا في وجـه دنـك، الـذي رنَّـت أذنـاه وامتلأ فمـه بالـدَّم، ومـن مكانٍ مـا بعيـد سـمعَ إج يَصـرُخ: «نـل منـه أيُّهـا السـيْر، نـل منـه، نـل منـه، إنـه أمامـك مباشـرةً!».

وانقـضَّ دنـك. كان السـيْر لوكَـس قـد خلَّـص سـيفه مـن أجـل ضربـةٍ أخـرى، لكـن دنـك ارتطـمَ بـه عـلى ارتفـاع الخصـر وأسـقطَه. مـن جديـدٍ ابتلعَهمـا الجـدول، لكـن دنـك كان مسـتعدًّا هـذه المـرَّة، فأبـقى إحـدى ذراعيْـه حـول الإنـش الطَّويـل ودفعَـه إكراهًـا إلى القـاع. تدفَّقـت الفقاقيـع مـن خلـف مقدِّمـة خـوذة إنشـفيلد المنبعجـة الملتويـة، ومع ذلـك قـاومَ. في قـاع الجـدول وجـدَ صخـرةً وانهـالَ بهـا ضربًـا عـلى رأس دنـك ويديْـه، وتلمَّـس دنـك حـزام سـيفه متسـائلًا: *هـل فقـدتُ الخنجـر أيضًـا*؟ لا، هـا هـو ذا. انغلقَـت يـده حـول المقبـض، وانتـزعَ الخنجـر وغـرزَه ببُـطء عبـر المـاء الممخـوض، عبـر الحلقـات الحديـد والجلـد المغلـي تحـت ذراع لوكَـس الإنـش الطَّويـل مـدوِّرًا إيـاه وهـو يُغمِـده. انتفـضَ السـيْر لوكَـس وتلـوَّى،

وغادرَته القوَّة، ودفعَه دنك وطفا شاعرًا بحريقٍ في صدره. برقَت سمكةٌ مارَّةٌ أمام وجهه، بيضاء وطويلة ونحيفة، وتساءلَ دنك: *ما هذا؟ ما هذا؟ ما هذا؟*

***

استعادَ وعيه في القلعة الخطأ.

حين انفتحَت عيناه لم يدرِ أين هو، وإن شعرَ بالجوّ فاتر الحرارة على نحوٍ بهيج. في فمه مذاق الدَّم، وعلى عينيْه قُماشة، قُماشة ثقيلة تعبَق برائحة مرهمٍ ما فكّر دنك أنَّ له رائحة القرنفل.

تلمَّس دنك وجهه مزيلًا القُماشة. أعلاه يتلاعَب ضوء المشاعل على سقفٍ مرتفع، تمشي فوق عوارضه غِدفان تُحدِّق إلى أسفل بأعيُنٍ سوداء صغيرة وتنعق له. *لستُ أعمى على الأقل.* إنه في بُرج ميْستر. تصطفُّ على الجُدران رفوفٌ من الأعشاب والعقاقير في جرارٍ من الخزف وآنيةٍ من الزُّجاج الأخضر، وعلى مقربةٍ تُغطّي طاولةٌ طويلةٌ بحامليْن كُتب ورُقوق وأدواتٍ غريبة من البرُنز، تُلطِّخها جميعًا فضلات الغِدفان الجاثمة فوق العوارض. سمعَها دنك يغقُّ بعضها لبعض.

حاولَ أن يجلس واتَّضح أنه خطأ كبير. دارَ رأسه، وصرخَت ساقه اليُسرى من الألم المبرِّح عندما حمَّلها أخفَّ وزن. رأى كاحله مربوطًا بالكتَّان، وحول صدره وكتفيْه أيضًا شرائط كتَّانية.

ـ «اثبت». ظهرَ فوقه وجه، وجهٌ شابٌّ ممصوص فيه عينان بنِيَّتان داكنتان على جانبَي أنفٍ معقوف. يعرف دنك هذا الوجه. ثياب الرَّجل الذي يملكه رماديَّة بالكامل، وحول عُنقه يرتخي طوقٌ سلسلة، سلسلة ميْستر من معادن شتَّى. أمسكه دنك من رُسغه سائلًا: «أين...؟».

قال الميْستر: «(الخندق البارد). جراحك كانت أبلغ من أن ترجع إلى (ستاندفاست)، فأمرَتنا الليْدي روْهان بالمجيء بك إلى هنا. اشرب هذا»، ورفعَ كوبًا من... شيءٍ ما... إلى شفتَي دنك. للعقَّار مذاقٌ مُرٌّ كالخل، لكنه أزالَ مذاق الدَّم على الأقل.

دفعَ دنك نفسه إلى شُربه كلِّه، وبعد ذلك ثنى أصابع يد سيفه وبسطها، ثم اليد الأخرى. *على الأقل لا تزال يداي تعملان، وذراعاي*. «ماذا... ماذا جرحتُ؟».

نخرَ الميْستر ساخرًا، وقال: «ما الذي لم تجرحه؟ كاحل مكسور، رُكبة ملتوية المفاصل، ترقوة مكسورة، رضوض... أعلى جذعك معظمه أخضر وأصفر، وذراعك اليُمنى لونها أسود ضارب إلى الأرجواني. حسبتُ أنَّ جمجمتك متصدِّعة أيضًا، ولكن لا يبدو أنها كذلك. وفي وجهك ذلك الشَّق أيُّها السيْر. ستحمل ندبةً للأسف. أوْه، وكنت قد غرقت وقت أن انتشلناك من الماء».

ردَّد دنك: «غرقتُ؟».

ـ «لم أتصوَّر قطُّ أنَّ رجلًا واحدًا يُمكنه أن يبتلع كلَّ ذلك الماء ولو كان كبيرًا مثلك أيُّها السيْر. عُدَّ نفسك محظوظًا أني حديديُّ الميلاد. رُهبان الإله الغريق يعرفون كيف يُغرِقون رجلًا

ويُعيدونه، وقد درستُ معتقداتهم وأعرافهم».

ـ غرقتُ. حاولَ دنك ثانيةً أن يجلس، إلَّا أنه خلا من القوَّة. *غرقتُ في ماءٍ لم يرتفع إلى عُنقي* حتى. أطلقَ ضحكةً، ثم أنينًا متوجِّعًا، وسألَ: «السيْر لوكس؟».

ـ «ماتَ. أشككت في هذا؟».

ـ لا. شكَّ دنك في أشياء عدَّة، ولكن ليس في هذا. تذكَّر كيف فارقَت القوَّة أطراف الإنش الطَّويل كلَّها في آنٍ واحد. أمكنَه أن يلفظ: «إج. أريدُ إج».

قال الميْستر: «الجوع علامةٌ مبشِّرة، لكنك محتاجٌ الآن إلى النَّوم لا الطَّعام».

هزَّ دنك رأسه، وفي الحال ندمَ. «إج مُرافقي...».

ـ «حقًّا؟ صبيٌّ شُجاع، وأقوى ممَّا يبدو. هو الذي سحبَك من الجدول، وساعدَنا كذلك على خلع درعك، وركبَ معك العربة حين جلبناك إلى هنا. لقد أبى أن ينام، بل جلسَ إلى جوارك وسيفك على حجره تحسُّبًا لأن يُحاول أحدٌ أذيَّتك. لقد ارتابَ فيَّ أنا نفسي، وأصرَّ أن أذوق أيَّ شيءٍ أنوي أن أُطعِمك إيَّاه. طفلٌ غريب الأطوار، لكنه متفانٍ».

ـ «أين هو؟».

ـ «السيْر يوستس سألَ الولد أن يَحضُره في مأدبة الزِّفاف. لم يُوجَد أحدٌ آخَر بجانبه. لكانت قلَّة أدبٍ منه لو رفضَ».

ـ «مأدبة الزِّفاف؟». لم يفهم دنك.

ـ «لم يُمكنك أن تعرف طبعًا. (الخندق البارد) و(ستاندفاست) تصالحَتا بعد معركتك. الليْدي روْهان استأذنَت السيْر يوستس العجوز أن تَعبُر إلى أرضه وتزور قبر أدام، ومنحَها ذلك الحقَّ. ركعَت أمام التُّوت الأسود وأجهشَت بالبُكاء، وتأثَّر هو إلى درجة أنه ذهبَ ليُواسيها. لقد أمضَيا اللَّيلة بأكملها في الكلام عن أدام الصَّغير ووالد سيِّدتي النَّبيل. اللوْرد وايمان والسيْر يوستس كانا صديقيْن صدوقيْن حتى تمرُّد بلاكفاير. حضرة اللوْرد وسيِّدتي تزوَّجا هذا الصَّباح على يد سِپتوْننا الكريم سِفتوْن. يوستس أوْزجري سيِّد (الخندق البارد) الآن، وأسده ذو المربَّعات يخفق بجوار عنكب وبَر على كلِّ بُرج وجِدار».

أخذَ عالم دنك يدور ببُطء من حوله. *ذلك العقَّار. لقد أعادَني إلى النَّوم.* أسبلَ جفنيْه وتركَ ألمه كلَّه يتسرَّب منه سامعًا الغدفان ينعق بعضها ويَصرُخ لبعض، وصوت تنفُّسه، وشيئًا آخَر أيضًا... صوتًا أنعم، ثابتًا، ثقيلًا، ومريحًا بشكلٍ ما. بنُعاسٍ تمتمَ: «ما هذا؟ هذا الصَّوت...؟».

قال المِيستر: «هذا؟»، وأصغى ثم أجابَ: «مجرَّد مطر».

***

لم يرَها حتى يوم رحيلهما.

ـ «ما تفعله طيشٌ أيُّها السيْر». قالها السِّپتوْن سِفتوْن بتبرُّم فيما حجلَ دنك بخُطواتٍ ثقيلة قاطعًا السَّاحة، يُؤرجِح قدمهُ

المجبَّرة ويتَّكئ على عُكَّاز. «الميْستر كِرك يقول إنك لم تُشفَ ولو نصفيًّا بعدُ، وهذا المطر... سيُصيبك بردٌ غالبًا إذا لم تغرق ثانيةً. على الأقل انتظِر حتى يتوقَّف المطر».

ـ «قد يطول الانتظار أعوامًا». يَشعُر دنك بالامتنان للسّيتوْن البديـن الذي زارَه كلَّ يوم تقريبًا... ليُصلِّي من أجله في الظَّاهر، وإن بدا أنَّ وقتًا أطول استُغرقَ في الحكي والنَّميمة. سوف يفتقد لسانه الطَّليق النَّشط وصُحبته المرحة، لكن ذلك لا يُغيِّر شيئًا. «يجب أن أرحل».

كان المطر ينهمر حولهما، يجلده على ظهره كألف سوطٍ رماديّ بارد، وقد شبَّع الماء معطفه بالفعل، المعطف الصُّوف الأبيضَ الذي أعطاه له السيْر يوستس، بحاشيته ذات المربَّعات الخضراء والذَّهبيَّة. مرَّةً أخرى أصرَّ الفارس الشَّيخ أن يأخذه هديَّة وداع، وقال: «لقاء شجاعتك وخدمتك المخلصة أيُّها السيْر». الدبُّوس الذي يُثبّت المعطف إلى كتفه هديَّة أيضًا، دبُّوس عاجي بشكل عنكبٍ بأَرجُلٍ فضِّيَّة، تُكوِّن عناقيد من العقيق الأحمر المسحوق رُقطًا على ظهره.

قال السّيتوْن سِفتوْن: «آملُ أنه ليس مسعى مجنونًا لمطاردة بِنِس. إنك مكدوم ومرضوض إلى درجة أني سأخشى عليك إذا وجدَك ذلك الرَّجل في هذه الحالة».

فكَّر دنك بمرارة: *بِنِس، بِنِس الملعون*. بينما صمدَ دنك على موقفه عند الجدول، قيَّد بِنِس سام المحنيَّ وزوجته ونهبَ (ستاندفاست) من عاليها إلى سافلها، ثم ولَّى هاربًا بكلِّ شيءٍ ذي قيمة عثرَ عليه، من الشُّموع والملابس والأسلحة إلى كأس

أوزجري الفضِّيَّة القديمة وخبيئةٍ صغيرة من المال أخفاها الشَّيخ في غُرفته الشَّمسيَّة وراء طنفسةٍ تنمو فيها العفونة. يأمل دنك أن يُقابِل السيْر بِنِس صاحب التُّرس البنِّي ثانيةً يومًا ما، وحينما يُقابِله... «فليبقَ بِنِس إلى وقتٍ لاحق».

ـ «أين ستذهب؟». كان السِّپتوْن يلهث بشدَّة، فحتى مع استناد دنك إلى عُكَّاز حالَت بدانته المفرطة دون أن يُجاري خُطوته.

أجابَ دنك: «(الجزيرة القصيَّة). (هارنهال). (الثَّالوث). الأسوجة في كلِّ مكان»، وهزَّ كتفيْه مضيفًا: «لطالما أردتُ رؤية (الجِدار)».

ـ «(الجِدار)؟». توقَّف السِّپتوْن بحركةٍ حادَّة، وزعقَ وهو واقفٌ في الوحل باسطًا يديْه والمطر يهطل من حوله: «لقد يئستُ منك أيُّها السيْر دنكن! صلِّ أيُّها السيْر، صلِّ أن تُنير **العجوز** طريقك!»، إلَّا أنَّ دنك واصلَ المشي.

ألفاها في انتظاره داخل الإسطبلات، واقفةً عند حُزمِ التِّبن الصَّفراء في فُستانٍ أخضر كما الصَّيف. قالت عندما دخلَ مندفعًا من الباب: «سيْر دنكن». ضفيرتها الحمراء متدلِّية من الأمام، يُلامِس طرفها فخذها. «يسرُّني أن أراك على قدميْك».

ـ *لم تريني على ظهري قطُّ*. «ستِّي. ما الذي أتى بكِ إلى الإسطبلات؟ اليوم مبتلٌ لا يَصلُح للرُّكوب».

ـ «يُمكنني أن أقول لك الشَّيء عينه».

ـ «إج أخبرَكِ؟». *إنني مدينٌ له بلطمةٍ أخرى على الأذن.*

ـ «فلتغتبِط لأنه فعلَ، وإلَّا لأرسلت في أعقابك رجالًا يجرُّونك

عودةً. قسوةٌ منك أن تُحاوِل المغادرة متسلِّلًا دونما مجرَّد وداع».

وهو في عناية المِيستر كِرك لم تأتِ لزيارته ولو مرَّةً. قال: «هذا الأخضر لائقٌ بكِ جدًّا يا ستِّي، يُبرِز لون عينيْكِ»، ونقلَ وزنه بعُسر على عُكازه قائلًا: «إنني هنا من أجل حصاني».

ـ «ليس عليك أن ترحل. إنَّ لك مكانًا هنا حالما تتعافى. قائد حرسي. ويُمكن لإج أن ينضمَّ إلى مُرافقيَّ الآخَرين. لا داعي لأن يعرف أحدٌ مَن هو أبدًا».

ـ «شُكرًا لكِ يا ستِّي، ولكن لا». في مربطٍ يَبعُد دستةً من المواضع يقبع ثندر، وقد تقدَّم دنك إليه حجلًا.

قالت ماشيةً بجواره: «أرجوك أعِد النَّظر أيُّها السيْر. إننا في أوقاتٍ حافلة بالخطر، حتى على التَّنانين وأصدقائهم. ابقَ حتى تُشفى. سيسرُّ ذلك اللوْرد يوستس أيضًا. إنه مولعٌ بك للغاية».

أيَّدها دنك: «مولعٌ للغاية. لو لم تَمُت ابنته لأرادَني أن أتزوَّجها، وعندئذٍ لأصبحتِ السيِّدة والدتي. لم تكن لي والدة قَط، ناهيكِ بسيِّدة».

لمُدَّة نصف نبضة قلبٍ بدا كأنَّ الليْدي روْهان ستصفعه ثانيةً. *قد تكتفي بركل عُكازي.* على أنها قالت بدلًا من ذلك: «إنك غاضبٌ مني أيُّها السيْر. يجب أن تدعني أكفِّرُ عن غلطتي».

قال: «حسن، يُمكنك أن تُساعِديني على تسريج ثندر».

قالت: «كنتُ أفكِّرُ في شيءٍ آخَر»، ومدَّت يدها إلى يده، يدًا منمَّشةً أصابعها قويَّة نحيلة. *أراهنُ أنَّ جسدها كلَّه منمَّش.* «ما قدر معرفتك بالخيول؟».

ـ «إنني أركبُ واحدًا».

ـ «بِرذون عجوز مستولَد للمعارك، بطيء المشية ومعتلُّ المزاج. ليس حصانًا يُركَب من مكانٍ إلى مكان».

ـ «إذا احتجتُ إلى الذَّهاب من مكانٍ إلى مكانٍ فإمَّا هو وإمَّا هاتان». قالها دنك مشيرًا إلى قدميْه.

علَّقت: «لك قدمان كبيرتان، ويدان كبيرتان أيضًا. أظنُّك كبيرًا في كلِّ موضع لا بُدَّ. أكبر من أن تركب رهوانًا. سيبدو كفرس قزم وأنتَ جاثمٌ على ظهره. على كلِّ حال، ستنفعك مطيَّةٌ أسرع. حصانٌ عدَّاء كبير مهجَّن بجواد رمالٍ دوْرني لأجل تحمُّل المشاق»، وأضافَت مشيرةً إلى المربط المقابل لمربط ثندر: «حصان مثلها».

فرسٌ كُميت دمويَّة هي، ذات عينيْن لامعتيْن وعُرف ناري طويل. أخرجَت الليْدي رؤهان من كُمِّها جزرةً وملَّست على رأس الفرس إذ أخذَتها، وقالت لها: «الجزرة لا الأصابع»، قبل أن تلتفت إلى دنك من جديد قائلةً: «أسمِّيها فليْم، ولكن لك أن تُسمِّيها أيَّ اسم تشاء. سمِّها «ترضية» إذا أردت».

للحظة عجزَ عن الكلام. استندَ إلى عُكَّازه ونظرَ إلى الكُميت الدَّمويَّة نظرةً جديدةً. كم هي رائعة، مطيَّة أفضل ممَّا امتلكَ العجوز يومًا. ما عليك إلَّا النَّظر إلى هذه الأطراف الطَّويلة النَّظيفة لترى كم هي سريعة.

ـ «لقد استولدتها في سبيل الجمال وفي سبيل السُّرعة».

عادَ يلتفت إلى ثندر قائلًا: «لا يُمكنني أن آخذها».

ـ «ولِمَ لا؟».

ـ «إنها حصانٌ أفضل من أن أركبه. انظُري إليها».

زحفَ التَّورُّد على وجه رؤهان، وقبضَت على ضفيرتها لاويةً إيَّاها بين أصابعها. «لقد اضطررتُ إلى الزَّواج، أنت تعلم هذا. وصيَّة أبي... أوه، لا تكن أحمق هكذا».

ـ «وماذا أكونُ خلاف هذا؟ إنني غليظ العقل كسور قلعة، ونغل المولد كذلك».

ـ «خُذ الحصان. أرفضُ أن أدعك ترحل دون شيءٍ تَذكُرني به».

ـ «سأذكرُ يا ستِّي. لا تخشي ذلك».

ـ «خُذها!».

قبضَ دنك على ضفيرتها وشدَّ وجهها إلى وجهه، حركته خرقاء من جرَّاء العُكَّاز وفرق الطُّول بينهما حتى إنه كادَ يقع قبل أن يَبلُغ بشفتيْه شفتيْها. قبَّلها بقوَّة، ودارَت إحدى يديْها حول عُنقه والأخرى حول صدره. في لحظةٍ تعلَّم عن التَّقبيل أكثر ممَّا عرفَ يومًا من المشاهدة، ولكن حين انفصَلا أخيرًا سحبَ خنجره قائلًا: «أعرفُ ما أريدُ أن أذكرك به يا ستِّي».

وجدَ إج في انتظاره عند مبنى البوَّابة، يمتطي رهوانةً حسناء جديدةً ذات لونٍ بنِّي محمر ويُمسِك مقود ميْستر. عندما خبَّ دنك إليهم على صهوة ثندر لاحَت الدَّهشة على الغُلام، وعلَّق: «قالت إنها تُريد إعطاءك حصانًا جديدًا أيُّها السيْر».

قال دنك وهما راكبان في طريق الخروج على الجسر المتحرّك: «حتى شريفات النَّسب لا ينلن ما يُردنه دومًا. ليس حصانًا ما أردتُ». المياه في الخندق مرتفعة إلى درجة التَّهديد بالطُّفوح على ضفافه. «أخذتُ شيئًا آخَر أذكرها به عوضًا عن ذلك، خُصلةً من ذلك الشَّعر الأحمر»، ومدَّ دنك يده تحت معطفه، وأخرجَ الضَّفيرة، وابتسمَ.

***

في القفص الحديدي عند تقاطُع الطُّرق لا تزال الجثَّتان متعانقتيْن، تبدوان وحيدتيْن، مهجورتيْن. حتى الذِّباب تخلَّى عنهما، والغِربان أيضًا، ولم يتبقَّ على عظام الرَّجليْن الميتيْن إلَّا

رُقع قليلة من الجلد والشَّعر.

توقَّف دنك مقطِّبًا جبينه. كاحله يُؤلِمه من الرُّكوب، ولكن لا يهمُّ، الألم جزء من الفروسيَّة مثله مثل السُّيوف والتِّراس. سألَ إج: «أيُّهما الطَّريق إلى الجنوب؟». صعبٌ أن يعرف والعالم بأسره مطرٌ ووحلٌ والسَّماء رماديَّة كحائطٍ من الجرانيت.

أشارَ إج مجيبًا: «هذا هو الجنوب أيُّها السيْر، وهذا هو الشَّمال».

ـ «(بهو الصَّيف) في الجنوب. أبوك».

ـ «(الجِدار) في الشَّمال».

نظرَ إليه دنك قائلًا: «طريقٌ طويل من الرُّكوب هذا».

ـ «عندي حصانٌ جديد أيُّها السيْر».

ابتسمَ دنك مرغمًا، وقال: «صحيح. ولِمَ تُريد أن ترى (الجِدار)؟».

أجابَ إج: «أسمعُ أنه طويل».

الفارس الغامض

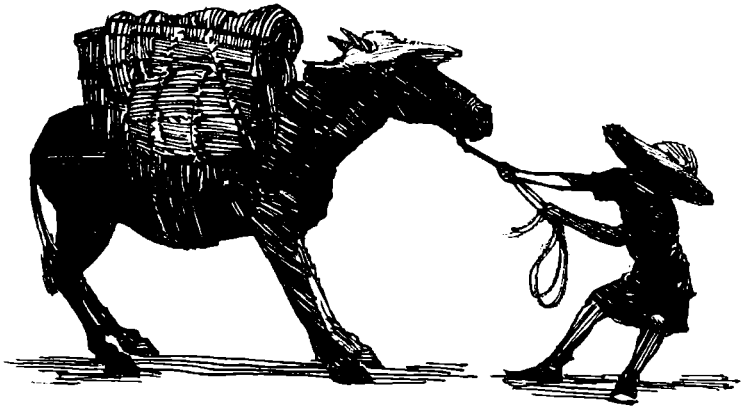

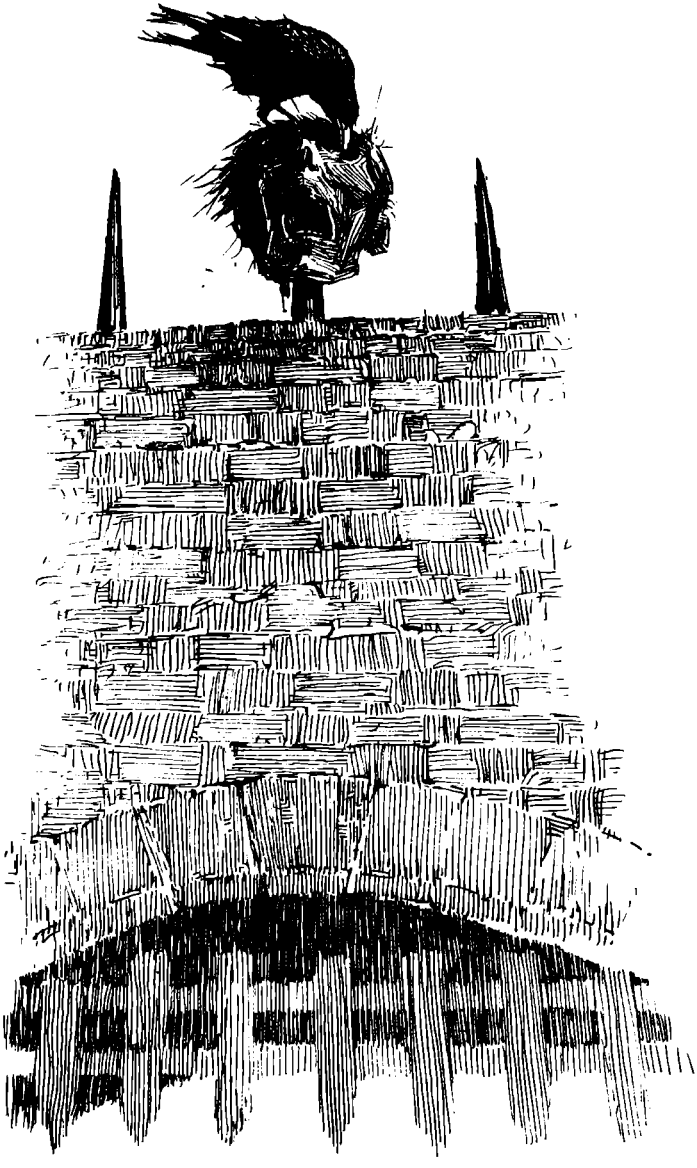

كان مطرٌ صيفيٌّ خفيف يَسقُط فيما انصرفَ دنك وإج من (السِّبت الحجري).

ركبَ دنك جواده الحربيَّ العجوز ثندر، وبجواره إج على متن الرَّهوان الشَّاب النَّشيط الذي سمَّاه رِيْن، يقود بغلهما ميْستر. على ظهر ميْستر حُزمَت درع دنك وكُتب إج، ومعها لفَّتا النَّوم وخيمتهما وثيابهما، وعدَّة شرائح سميكة من اللَّحم البقري المملَّح القاسي، ونصف إبريقٍ من البِتع، وقربتان من الماء. وقَت قبَّعة إج القش القديمة ـ القبَّعة المرنة عريضة الحافة ـ رأس البغل من المطر، وقد فرَّغ فيها الغُلام فتحتيْن لأذنَي ميْستر، أمَّا قبَّعته الجديدة فمستقرَّة فوق رأسه. باستثناء فتحتَي الأذنيْن، تبدو القبَّعتان لدنك بلا فرقٍ يُذكَر.

مع دنوّهما من بوَّابة البلدة كبحَ إج حصانه بحدَّة. فوق المدخل رأسُ خائنٍ مخوزق على وتدٍ حديدي، يبدو من منظره أنه مقطوعٌ حديثًا، لحمه ورديٌّ أكثر منه أخضر، وإن باشرَت غِربان الجيف شُغلها عليه بالفعل. شفتا الرَّجل الميت ووجنتاه ممزَّقةٌ متهتِّكة، وعيناه ثقبان بنِيَّان يذرفان ببُطء دموعًا حمراء إذ تمتزج قطرات المطر بقشور الدَّم الجاف، وفم الرَّجل الميت يرتخي مفتوحًا كأنَّما ليَخطُب في المسافرين العابرين من البوَّابة أسفله.

رأى دنك مشاهد مماثلةً من قبل، وهكذا أخبرَ إج: «في (كينجز لاندنج)، وأنا بعدُ صبيٌّ، سرقتُ رأسًا عن خازوقه مرَّةً». في الحقيقة، ابن مقرض هو مَن تسلَّق السُّور ليختطف الرَّأس بعدما قال رافي وپودنج إنه لن يجرؤ أبدًا، ولكن عندما أتى الحُرَّاس مسرعين ألقى به ابن مقرض من عل، ودنك هو الذي تلقَّفه. «كان لوردًا متمرِّدًا ما أو فارسًا لصًّا، أو ربَّما مجرَّد قاتلٍ عادي. الرَّأس رأس. كلُّها يبدو سواءً بعد بضعة أيَّام على الخازوق». استخدمَ دنك وأصدقاؤه الثَّلاثة الرَّأس لإرعاب فتيات (سفح البراغيث)، فاعتادوا مطاردتهن في الأزقَّة وإجبارهن على تقبيل الرَّأس قبل أن يُطلِقوا سراحهن. قُبَيلَ هذا الرَّأس كثيرًا حسبما يَذكُر، ففي (كينجز لاندنج) كلِّها لم تُوجَد فتاة استطاعَت الجري بسرعة رافي. على أنه أحسن لإج ألَّا يسمع ذلك الجزء. *ابن مقرض ورافي وپودنج. وحوشٌ صغار أولئك الثَّلاثة، وأنا أسوؤهم على الإطلاق.* احتفظَ وأصدقاؤه بالرَّأس حتى اسودَّ اللَّحم وبدأ ينسلخ، وهو ما أفرغَ مطاردة الفتيات من المرح، وعليه اقتحَموا محلَّ أكل ذات ليلةٍ وألقوا بما تبقَّى في القدر. قال لإج: «الغِربان تقصد العيون دومًا، وبعد ذلك تغور الوجنتان

ويخضرُّ اللَّحم...»، ثم ضيَّق عينيْه معلِّقًا: «مهلًا. أعرفُ هذا الوجه».

قال إج: «تعرفه فعلًا أيُّها السيْر. قبل ثلاثة أيَّام. السِّبتوْن الأحدب الذي سمعناه يعظ ضد اللوْرد غُداف الدَّم».

عندها تذكَّر. *كان رجلًا تقيًّا أعهدَ* ***السَّبعة*** *نفسه، وإن وعظَ بالخيانة*. جاهرَ الأحدب للجمهور الذي اجتمعَ في ميدان السُّوق: «يداه ملطَّختان بالقرمزي من دم أخ ومن دماء ابنَي أخيه الصَّغيريْن. بأمره جاءَ ظلٌّ ليَخنُق أبناء الأمير قالر الشُّجاع في رحِم أمِّهم. أين أميرنا الشَّاب الآن؟ أين أخوه العذب ماتارِس؟ أين ذهبَ الملك الصَّالح ديْرون والجَسور بيْلوْر كاسِر الحراب؟ القبر حصدَهم، جميعهم بلا استثناء، ومع ذلك يبقى هو، ذلك الطَّائر الشَّاحب ذو المنقار الدَّامي الذي يجثم على كتف الملك إيْرس وينعب في أذنه. إنَّ سِمة الجحيم على وجهه وفي عينه الجوفاء، ولقد جلبَ علينا الجفاف والآفات والقتل غيلةً. انتفِضوا أقولُ لكم، وتذكَّروا ملكنا الحقيقيَّ عبر الماء. سبعة آلهة لنا، وسبع ممالك، والتِّنِّين الأسود خلَّف سبعة أبناء! انتفضوا أيا سادتي وسيِّداتي، انتفِضوا أيُّها الفُرسان الشُّجعان والأتباع الأجلاد وأطيحوا بغُداف الدَّم، ذلك المشعوذ البغيض، لئلَّا يُلعَن أولادكم وأولاد أولادكم إلى أبد الآبدين».

ـ *كلُّ كلمة قالها خيانة*. وعلى الرغم من ذلك صدمَته رؤية الرَّجل هنا بفجوتيْن احتلَّتهما سابقًا عيناه. قال دنك: «إنه هو، أجل، وسببٌ وجيه آخَر لوضع هذه البلدة وراء ظهريْنا»، ومسَّ ثندر بالمِهماز، وخرجَ هو وإج من بوَّابة (السِّبت الحجري)

مستمعيْن لوقع المطر الخفيف.

تقول الأحجية: *كم عينًا للوَرد غُداف الدَّم؟ ألف عين وعين.* يَزعُم بعضهم أنَّ يد الملك تلميذٌ للفنون الظَّلاميَّة يستطيع تبديل ملامحه؛ يلبس وجه كلب أعور، بل ويتحوَّل إلى ضباب، ويقول أناسٌ إنَّ قُطعانًا من الذِّئاب الشَّهباء الضَّارية تُطارِد أعداءه حتى تقتنصهم، وإنَّ غِربان الجيف تتجسَّس لحسابه وتهمس في أذنه بالأسرار. لا يشكُّ دنك أن معظم الحكايات إن هو إلَّا حكايات، لكن أحدًا لا يُمكن أن يشكَّ أنَّ لغُداف الدَّم مُخبرين في كلِّ مكان.

رأى دنك الرَّجل مرَّةً بأمّ عينيْه في (كينجز لاندنج). أبيضُ كالعظم جلد برندن ريڤرز وشعره، وعينه ـ عينٌ وحيدة إذ فقدَ الأخرى على يد أخيه غير الشَّقيق الفولاذ الأليم في (حقل العُشب الأحمر) ـ حمراء كالدَّم، وتحمل الوجنة والرَّقبة الوحمة الخمريَّة التي أكسبَته اسمه.

لمَّا اتَّسعت المسافة بينهما وبين البلدة خلفهما تنحنحَ دنك وقال: «أمرٌ سيِّئ قطعُ رؤوس السِّپتوْنات. كلُّ ما فعلَه أنه تكلَّم. الكلام هواء».

ـ «بعض الكلام هواء أيُّها السيِّر، وبعضه خيانة». إج نحيلٌ كعصا، بارز الضُّلوع والمرفقيْن، لكنه طويل اللِّسان حقًّا.

ـ «الآن تتكلَّم كأميرٍ حقيقي».

عدَّها إج إهانةً، وهي كذلك. «ربَّما كان سِپتوْنًا، لكنه وعظَ بالأكاذيب أيُّها السيْر. الجفاف لم يكن ذنب اللوْرد غُداف الدَّم، ولا الوباء الرَّبيعي العظيم».

ـ «واردٌ أنَّ هذا صحيح، ولكن إذا شرعنا نقطع رأس كلِّ أحمق وكذَّاب فسيَفرُغ نصف البلدات في (الممالك السَّبع)».

***

بعد ستَّة أيَّام لم يَعُد المطر إلَّا ذكرى.

خلعَ دنك غلالته ليستمتع بضوء الشَّمس على جلده، وعندما هبَّ قليلٌ من النَّسيم الفاتر العليل العبِق كأنفاس عذراء، تنهَّد وأعلنَ: «ماء. هل تشمُّه؟ لا بُدَّ أن البُحيرة قريبة».

قال إج: «لا أشمُّ إلَّا ميْستر أيُّها السيْر. رائحته كريهة»، وشدَّ مقود البغل بفظاظة. كان ميْستر قد توقَّف ليرعى في الكلأ على جانب الطَّريق كما يفعل بين حينٍ وآخَر.

ـ «عند شاطئ البُحيرة خان». توقَّف دنك هناك مرَّةً وهو يُرافِق العجوز. «السيْر آرلان قال إنهم يُخمِّرون مزرًا بنِّيًّا ممتازًا. لعلَّ بإمكاننا أن نتذوَّقه ونحن ننتظر العبَّارة».

رمقَه إج بنظرة أملٍ سائلًا: «لنُبلِّع الطَّعام أيُّها السيْر؟».

ـ «أيَّ طعام؟».

قال الغُلام. «شريحة من الشِّواء؟ قطعة من البطِّ؟ وعاء من اليخنة؟ أيًّا كان ما عندهم أيُّها السيْر».

وجبتهما السَّاخنة الأخيرة أكلاها قبل ثلاثة أيَّام، ومنذ ذلك الحين يعيشان على سُقاط الأشجار وشرائح قديمةٍ من اللَّحم البقري المملَّح القاسي كالخشب. *سيَحسُن أن نضع طعامًا حقيقيًّا في بطنيْنا قبل أن نتوجَّه شمالًا. الطَّريق إلى ذلك (الجِدار) طويل.*

اقترحَ إج: «يُمكننا البيات أيضًا».

ـ «هل يُريد سِيدي سريرًا محشوًّا بالرِّيش؟».

ردَّ إج شاعرًا بالإهانة: «القشُّ سيُناسِبني تمامًا أيُّها السيْر».

ـ «ليس معنا مال للأسرَّة».

ـ «معنا اثنان وعشرون بنسًا وثلاث نجومٍ وأيَّل واحد، وقطعة العقيق القديمة المكسورة أيُّها السيْر».

حكَّ دنك أذنه قائلًا: «ظننتُ أنَّ معنا أيَّليْن».

ـ «كان معنا إلى أن اشتريتَ الخيمة. الآن معنا واحد».

ـ «ولن يتبقَّى معنا شيء إذا بدأنا ننام في الخانات. أتُريد أن تُقاسِم بائعًا متجوِّلًا ما سريرًا وتستيقظ مُعدًى ببراغيثه؟»، ونخرَ دنك متابعًا: «أنا لا أريدُ. إنَّ لديَّ براغيثي، وهي ليست مولعةً بالغُرباء. سننام تحت النُّجوم».

علَّق إج: «النُّجوم حُلوة، لكن الأرض صُلبة أيُّها السيْر، ومن اللَّطيف أحيانًا أن يحظى المرء بوسادةٍ لرأسه».

ـ «الوسائد للأمراء». إج مُرافق صالح يُريده أيُّ فارس، لكن مشاعر الأمراء تموج فيه أحيانًا. *الولد في عروقه دم التنّين، إيّاك أن تنسى.* عن نفسه، في عروق دنك دم شحّاذين... أو هكذا اعتادوا أن يقولوا له في (سفح البراغيث) إذا لم يقولوا له إنَّ الشَّنق مصيره الأكيد. «لعلَّ باستطاعتنا دفع تكلفة قليل من المزر وعشاءٍ ساخن، لكنني لن أبدِّد مبلغًا فادحًا على سرير. علينا أن ندَّخر بنساتنا للنُّوتي». آخِر مرَّةٍ عبرَ فيها البُحيرة كلَّفت العبَّارة قليلًا من القطع النُّحاسيَّة، لكن ذلك حدثَ قبل ستِّ سنوات، أو ربَّما سبع. كلُّ شيءٍ غلا منذ ذلك الوقت.

قال إج: «حسن، يُمكننا استخدام حذائي للعبور».

ردَّ دنك: «يُمكننا، لكننا لن نفعل». استخدام الحذاء خطر. *سينتشر الخبر. دائمًا ينتشر الخبر.* مُرافقه ليس أصلع مصادفةً. إنَّ لإج عينَي (ڤاليريا) القديمة الأرجوانيَّتيْن، وشعرًا يَبرُق كما لو أنَّ ذهبًا مطرَّقًا حُبِكَ بجدائل من الفضَّة. كأنه يضع دبُّوسًا بشكل تنّين ثُلاثي الرُّؤوس لو تركَ ذلك الشَّعر ينمو. إنها أوقاتٌ محفوفة بالمخاطر في (وستروس)، و... الأفضل تجنُّب المخاطرة. «كلمةٌ أخرى عن حذائك اللَّعين وسألطمك على الأذن بشدَّةٍ تُطيّرك من فوق البُحيرة طيرانًا».

ـ «أوثرُ أن أسبح أيُّها السيْر». يُجيد إج السِّباحة، أمَّا دنك فلا. التفتَ الغُلام فوق سرجه، وقال: «سيْر؟ أحدهم قادم على الطَّريق خلفنا. أتسمع الخيول؟».

ـ «لستُ أصمَّ». يرى دنك الغُبار الذي يُثيرونه أيضًا. «فِرقة كبيرة، ومتعجِّلة».

تساءلَ إج: «أتظنُّهم خارجين عن القانون أيُّها السيْر؟»، وقامَ واقفًا فوق ركابيْه، متحمِّسًا أكثر منه خائف. هكذا ديدن الغُلام.

ـ «لو أنهم خارجون عن القانون لكانوا أهدأ». هزَّ دنك مقبض سيفه ليُخلخِل النَّصل في غِمده، وقال: «ومع ذلك سنَخرُج عن الطَّريق ونَترُكهم يمرُّون. اللوْردات أنواع». لا يضرُّ أبدًا أن يتحلَّى المرء بشيءٍ من الحذر، فالطُّرق لم تَعُد بأمنها السَّابق والملك ديْرون الصَّالح جالسٌ على العرش الحديدي.

أخفى هو وإج نفسيْهما وراء شُجيرةٍ شائكة، وحلَّ دنك تُرسه وركَّبه على ذراعه. تُرس قديم هو، طويل وثقيل وبشكل حبَّة لوز، مصنوع من خشب الصَّنوبر ومؤطَّر بالحديد. ابتاعَه دنك في (السِّبت الحجري) عوضًا عن التُّرس الذي أحالَته ضربات الإنش الطَّويل إلى شظايا حين تقاتَلا، ولم يجد الوقت ليجعل أحدهم يرسم عليه دردارته وشهابه، ولذا ما زالَ يحمل شعار

مالكه الأخير: رجلًا مشنوقًا يتأرجح كئيب المنظر رماديًّا أسفل شجرة شنق. ليس بالرَّمز الذي يُحبِّذ أن يختاره لنفسه، لكنه اشترى التُّرس بثمنٍ رخيص.

خلال لحظاتٍ مرَّ أوَّل الخيَّالة مهروليْن: لوردان صغيران شابَّان يمتطيان زوجيْن من الأحصنة العدَّاءة. يعتمر راكب الكميت خوذةً مفتوحة الوجه من الفولاذ المذهَّب ذات ثلاث ريشات، واحدة بيضاء وواحدة حمراء وواحدة ذهبيَّة، تُضاهيها ريشات تُزيِّن واقي عُنق حصانه. أمَّا الفحل الأسود الذي يُجاوِره فمدرَّع بالأزرق والذَّهبي، تتموَّج كُسوته في ريح مروره وهو ينطلق مدبدبًا كهزيم الرَّعد. جنبًا إلى جنبٍ اندفعَ الخيَّالان يمرَّان متصايحيْن متضاحكيْن، يسترسل معطفاهما الطَّويلان وراءهما.

بمزيدٍ من الرَّصانة تبعَهما لوَرد ثالث على رأس طابورٍ طويل. في الرَّكب دستتان من الرِّجال، ساسة وطبَّاخون وخدم، كلُّهم

لمُصاحبة ثلاثة فُرسان فقط، وعلاوةً على ذلك رجال مسلَّحون ونشَّابون راكبون، ودستة من خيول الجرّ المثقلة بدروعهم وخيامهم ومؤنهم. من سرج اللوْرد يتدلّى تُرسه البرتقاليُّ الغامق المرسومة عليه ثلاث قلاعٍ سوداء.

يعرف دنك هذا الشِّعار، ولكن من أين؟ اللوْرد الذي يحمله رجلٌ أكبر سنًّا، قاسي الفم ومتجهّم، له لحية قصيرة القَصَّة بلونَي الملح والفلفل. فكر دنك: *ربَّما كان في (مرج آشفرد)، أو جائزٌ أننا خدمنا في قلعته في أثناء مُرافقتي السيّر آرلان.* على مرّ السِّنين أدَّى الفارس الجوَّال العجوز خدماتٍ في حصونٍ وقلاعٍ كثيرة إلى درجة أنَّ دنك لا يتذكّر نصفها.

كبحَ اللوْرد حصانه فجأةً رامقًا شُجيرة الشَّوك بعبوس، وقال: «أنت، في الدَّغل، أظهِر نفسك». خلفه ثبَّت اثنان من الرُّماة سهميْن إلى قوسيْهما، فيما استمرَّ الباقون في طريقهم.

تحرَّك دنك وسط العُشب الطَّويل واضعًا تُرسه على ذراعه ومريحًا يُمناه على قبيعة سيفه الطَّويل، وقد تحوَّل وجهه إلى قناع بنّي محمر من الغُبار الذي أثارَته الخيول، إضافةً إلى عُريه فوقَ الخصر. عرفَ أنه يبدو قذر الهيئة، لكن الرَّاجح أنَّ حجمه هو ما جعلَ الآخَر يتوقَّف. قال دنك: «لسنا نُريد شجارًا يا سيدي. لا يُوجَد إلَّانا، أنا ومُرافقي»، وأشارَ لإج بالتَّقدُّم.

ـ «مُرافق؟ أتدَّعي أنك فارس؟».

لم تَرُق دنك طريقة نظر الرَّجل إليه. *من شأن هاتيْن العينيْن أن تسلخا رجلًا.* بدا له تصرُّفًا سديدًا أن يرفع يده عن سيفه. «أنا فارسٌ جوَّال أبحثُ عن خدمة».

ـ «كلُّ فارس لصّ شنقته قال الشَّيء نفسه. لعلَّ رمزك نبوءة أيُّها السيْر... لَو أنكَ «سيْر» بحق. مشنقةٌ ورجل مشنوق. هذا شعارك؟».

ـ «لا يا سِيدي. عليَّ أن أعيد طلاء التُّرس».

ـ «لماذا؟ هل سرقته من جثَّة؟».

ـ «بل اشتريته، وبثمنٍ كبير». *ثلاث قلاع، أسود على برتقالي... أين رأيتها من قبل؟* «لستُ لصًّا».

سألَه اللوْرد وعيناه باديتان كشظيَّتيْن من الصوَّان: «كيف حصلت على تلك النَّدبة على خدِّك؟ جرحٌ من كُرباج؟».

ـ «خنجر، لكن وجهي ليس من شأنك يا سِيدي».

ـ «سأحكمُ أنا على ما هو من شأني».

عندئذٍ كان الفارسان الأصغر سنًّا قد عادا يخبَّان ليريا ما عطَّل الرَّكب. «هأنتذا يا جوْرمي». صاحَ بها خيَّال الحصان الأسود، شابٌّ نحيف رشيق صاحب وجهٍ وسيم حليق وملامح متناسقة، ينسدل شعرٌ أسود لامع حتى ياقته. دبليَّته مفصَّلة من الحرير الأزرق القاتم المحفَّف بالسَّاتان الذَّهبي، وعلى صدره صليبٌ مشرشَر مطرَّز بخيطٍ ذهبي، في رُبعيْه الأوَّل والثَّالث كمنجةٌ ذهب، وفي الثَّاني والرَّابع سيفٌ ذهب. انعكسَ في عينيْه أزرق دبليَّته العميق وتلألأ فيهما الاستطراف إذ قال: «آلِن خشيَ أنك سقطت من فوق حصانك. عُذر ملموس كما يبدو لي. كنتُ على وشك أن أسبقه».

سألَ راكب الكُميت: «مَن قاطعا الطَّريق هذان؟».

استشاطَ إج غضبًا من الإهانة، وردَّ: «لا يُوجَد ما يدعو إلى وصفنا بقاطعَي الطَّريق يا سيِّدي. عندما رأينا غُباركم حسبناكم أنتم خارجين عن القانون. إنه السَّبب الوحيد لاختبائنا. هذا السيْر دنكن الطَّويل، وأنا مُرافقه».

لم يُعِر اللوْردان الصَّغيران كلامه انتباهًا أكثر من انتباههم لنقيق ضفدعة، بل أعلنَ فارس الرِّيشات الثَّلاث: «أعتقدُ أنَّ هذا أكبر أخرق رأيته على الإطلاق». للرَّجل وجه مكتنز تحت شعرٍ مجعَّد بلون العسل الغامق. «سبعة أقدام طولًا على أقل تقدير، أراهنُ. يا للدَّوي العظيم الذي سيُصدِرهُ حينما يَسقُط أرضًا!».

شعرَ دنك بوجهه يحتقن، وفكَّر: *ستخسر رهانك*. آخِر مرَّةٍ أُخذَت فيها مقاساته، أعلنَ إيْمون أخو إج أنَّ بينه وبين بلوغ الأقدام السَّبعة بوصةً.

قال اللوْرد الصَّغير المريَّش: «أهذا جوادك الحربيُّ أيُّها السيْر عملاق؟ يُمكننا أن نذبحه لأجل لحمه في ظِنِّي».

قال الفارس أسود الشَّعر: «كثيرًا ما ينسى اللوْرد آلِن كياسته. أرجو أن تُسامِحه على فظاظة كلامه أيُّها السيْر. آلِن، ستسأل السيْر دنكن عفوه».

ـ «إذا كان ولا بُدَّ. هلَّا سامحتني أيُّها السيْر؟». قالها ولم ينتظر ردًّا، بل أدارَ كُميته وخبَّ على الطَّريق مبتعدًا.

أمَّا الآخَر فمكثَ وسألَ: «أأنت متَّجه إلى الزِّفاف أيُّها السيْر؟».

شيء ما في نبرته جعلَ دنك يُريد أن يتملَّقه، إلَّا أنه قاومَ الرَّغبة المباغتة قائلًا: «نقصد العبَّارة يا سيدي».

ـ «ونحن أيضًا... لكن لا سادة في هذا الجوار إلَّا جؤرمي وذلك السَّفيه الذي تركَنا، آلن كؤكشؤ. أنا فارسٌ جوَّال متشرِّد مثلك. أُدعى بالسيْر چؤن الكمنجي».

اسمٌ من النَّوع الوارد أن يختاره فارسٌ جوَّال، لكن دنك لم يرَ قَطُّ فارسًا جوَّالًا مكسوًّا أو مسلَّحًا أو راكبًا بهذه الفخامة. *فارس السِّياج الذَّهبي*. «تعرف اسمي. مُرافقي يُدعى بإج».

ـ «لقاءٌ سعيد أيُّها السيْر. تعالَ، اركب معنا إلى (الجُدران البيضاء) واكسر بعض الرِّماح لمساعدة اللؤرد بَتَرول على الاحتفال بزيجته الجديدة. أراهنُ أنك ستُثبِت امتياز أدائك».

لم يَخُض دنك أيَّة مثاقفات منذ (مرج آشفرد). فكَّر: *إذا أمكنَني الفوز ببعض الفديات فسنأكل طعامًا طيِّبًا في الطَّريق شمالًا*، لكن اللؤرد ذا القلاع الثَّلاث على تُرسه قال: «السيْر دنكن محتاجٌ إلى مواصلة رحلته، ونحن كذلك».

لم ينتبه چؤن الكمنجي للرَّجل الأكبر سنًّا، وقال: «سأحبُّ حقًّا أن يتقارَع سيفانا أيُّها السيْر. لقد جرَّبتُ رجالًا من شتَّى الأراضي والأعراق، لكن أحدهم لم يكن بحجمك إطلاقًا. أكان أبوك كبيرًا أيضًا؟».

ـ «لم أعرف أبي قَطُّ أيُّها السيْر».

ردَّ الكمنجي: «يُحزنني أن أسمع هذا. لقد أُخِذَ والدي مني مبكِرًا جدًّا»، ثم التفتَ إلى اللؤرد ذي القلاع الثَّلاث قائلًا: «ينبغي أن نَطلُب من السيْر دنكن الانضمام إلى صُحبتنا المرحة».

ـ «نوعه لا يلزمنا».

عجزَ دنك عن الكلام. الفُرسان الجوَّالة المفلسون لا يُطلَب منهم في أغلب الأحيان الرُّكوب مع لوْردات عُلاة المقام. *سأجدُ أشياء مشتركة أكثر بيني وبين خدمه*. حسبما قدَّر من طول الطَّابور، جلبَ اللوْرد كوْكشوْ والكمنجي معهما ساسةً للعناية بخيولهما، وطبَّاخين لإطعامهما، ومُرافقين لتنظيف دروعهما، وحرسًا للدِّفاع عنهما. دنك معه إج.

ضحكَ الكمنجي قائلًا: «نوعه؟ أيُّ نوع هذا؟ النَّوع الكبير؟ انظُر إلى حجمه! نُريد رجالًا أقوياء. السيَّافة الشُّبَّان قيمتهم أعلى من الأسماء القديمة كما سمعتُ كثيرًا».

ـ «سمعتَ من حمقى. إنك تعرف قليلًا فأقلَّ عن هذا الرَّجل. قد يكون قاطع طريق، أو أحد جواسيس اللوْرد غُداف الدَّم».

قال دنك: «لستُ جاسوسًا لأحد. ولا يُوجَد ما يدعو سِيدي إلى الكلام عني كأني أصمُّ أو ميت أو في (دوْرن)».

تفرَّست فيه هاتان العينان الصوَّانيَّتان، وقال الرَّجل: «(دوْرن) مكانٌ يليق بك أيُّها السيْر. لك إذني في الذَّهاب إلى هناك».

قال الكمنجي: «لا تُعِره اهتمامًا. إنه عجوزٌ قاسي الحسّ يرتاب في الجميع. جوْرمي، يُراوِدني شعورٌ طيِّب بشأن هذا الشَّخص. سيْر دنكن، هلَّا أتيت معنا إلى (الجُدران البيضاء)؟».

ـ «سيدي، إنني...». كيف يُشارِك أمثال هؤلاء مخيَّمًا؟ خدمهم سينصبون سُرادقاتهم، وساستهم سيُمشِّطون أحصنتهم، وطبَّاخوهم سيُقدِّمون لكلٍّ منهم ديكًا مسمَّنًا أو قطعةً كبيرةً من لحم البقر، فيما يقضم دنك وإج من شرائح اللَّحم المملَّح القاسي. «لا أستطيعُ».

علَّق اللؤرد ذو القلاع الثَّلاث: «كما ترى، إنه يعرف مقامه، ومقامه ليس معنا»، وعادَ يدور بحصانه نحو الطَّريق مضيفًا: «الآن يسبقنا اللؤرد كؤكشؤ بنصف فرسخ».

ـ «أظنُّ أنَّ عليَّ مطاردته ثانيةً»، وابتسمَ الكمنجي لدنك معتذرًا، وقال: «قد نلتقي مرَّةً أخرى يومًا ما. آملُ هذا. سأحبُّ حقًّا أن أجرِّب فيك رُمحي».

لم يدرِ دنك بِمَ يردُّ، وأخيرًا استطاعَ أن يقول: «حظًّا سعيدًا في المضمار أيُّها السيِّر»، غير أنَّ السيِّر چؤن كان قد دارَ لملاحقة الرَّكب بالفعل، وركبَ اللؤرد الأكبر سنًّا وراءه. سرَّ دنك أن يراه يرحل، فلم تُعجبه عيناه الصوَّانيَّتان، ولا غطرسة اللؤرد آلن. الكمنجي تحدَّث بدماثةٍ كافية، لكن فيه شيئًا غريبًا كذلك. قال لإج وهما يُشاهِدان غُبار رحيلهما: «كمنجتان وسيفان في صليبٍ مشرشَر. أيُّ عائلةٍ هذه؟».

ـ «ليست عائلةً أيُّها السيْر. لم أرَ ذلك التُّرس قَطُّ في أيِّ لائحة شعارات».

ـ *لعلَّه فارسٌ جوَّال رغم كلِّ شيء*. ابتكرَ دنك شعاره في (مرج آشفرد)، عندما سألَته محرِّكة دُمى اسمها تانسل مديدة القامة ماذا يُريد أن يرسم على تُرسه. «هل اللوْرد الأكبر سنًّا قريبٌ ما لعائلة فراي؟». يحمل آل فراي قلاعًا على تراسهم، وأملاكهم ليست بعيدةً عن هنا.

دوَّر إج عينيْه في محجريْهما، وردَّ: «رمز فراي بُرجان أزرقان لا قلعتان، يربط بينهما جسر على خلفيَّةٍ رماديَّة. أمَّا تلك فثلاث قلاعٍ لا أبراج، أسود على برتقالي أيُّها السيْر. هل رأيت جسرًا؟».

ـ «لا». *يفعل هذا ليُضايقني فحسب*. «والمرَّة التَّالية التي تُدوِّر فيها عينيْك لي سألطمك على الأذن بشدَّةٍ تغرسهما في رأسك للأبد».

أبدى إج حُسن الأدب إذ قال: «لم أقصد...».

ـ «دعك ممَّا قصدته. أخبِرني مَن هو فحسب».

ـ «جوْرموْن بيك، سيِّد (ستارپايك)».

ـ «إنها في (المرعى)، أليس كذلك؟ أيملك ثلاث قلاعٍ حقًّا؟».

ـ «على تُرسه فقط أيُّها السيْر. عائلة بيك امتلكَت ثلاث قلاعٍ سابقًا فعلًا، لكن اثنتيْن منهما ضاعَتا».

ـ «كيف يُضيِّع المرء قلعتيْن؟».

ـ «بقتاله في صفوف التنّين الأسود أيُّها السيّر».

ـ «أوه». شعرَ دنك بالغباء. *تلك المسألة مجدَّدًا.*

طوال مئتَي عام حكمَ البلاد أخلاف إيجوْن الفاتح وأختيْه الذين وحَّدوا (الممالكَ السَّبع) وصاغوا العرش الحديدي، وتحمل راياتهم الملكيَّة تنّين عائلة تارجاريَن ثُلاثي الرُّؤوس، أحمر على أسود. قبل ستَّة عشر عامًا انتفضَ ابنٌ نغل للملك إيجوْن الرَّابع اسمه ديمْون بلاكفاير متمرّدًا ضد أخيه شرعي المولد، واستخدمَ ديمْون التنّين ثُلاثي الرُّؤوس على راياته بدوره، بيد أنه عكسَ اللَّونيْن مثلما يفعل كثيرٌ من النُّغول. انتهى انتفاض ديمْون في معركة (حقل العُشب الأحمر)، حيث ماتَ وابناه التَّوأمان تحت وابلٍ من سهام اللوْرد غُداف الدَّم، والمتمرّدون الذين نجوا وركعوا نالوا عفوًا، لكن بعضهم فقدَ أراضيَ، وبعضهم ألقابًا، وبعضهم ذهبًا، وسلّموا جميعًا رهائن لضمان ولائهم مستقبلًا.

ـ *ثلاث قلاع، أسود على برتقالي.* «الآن أذكرُ. السيّر آرلان لم يحبَّ قطُّ أن يتكلَّم عن (حقل العُشب الأحمر)، ولكن في مرَّةٍ وهو سكران حكى لي كيف ماتَ ابن أخته». يكاد يسمع صوت العجوز من جديدٍ ويشمُّ النَّبيذ في أنفاسه. «روْجر ابن (شجرة البنسات)، كان هذا اسمه. حطّمت رأسه مِقمعةٌ حملَها لوْرد على تُرسه ثلاث قلاع». *اللوْرد جوْرمون بيك. العجوز لم يعرف اسمه قطُّ، أو إنه لم يرغب في معرفته قطُّ.* الآن لا يعدو اللوْرد بيك وچوْن الكمنجي وركبهما سحابةٌ بعيدةٌ من الغُبار الأحمر. *وقعَ ذلك منذ ستَّة عشر عامًا. المدَّعي ماتَ، ومَن تبعوه نُفوا أو صُفِحَ عنهم. على كلِّ حال، الأمر لا يمتُّ لي بصلة.*

لفترةٍ واصَلا الرُّكوب دونما كلام، يُصغيان إلى صياح الطَّير الشَّجي. بعد نصف فرسخٍ تنحنحَ دنك وقال: «بَتَرول، أراضيه قريبة؟».

ـ «على ضفَّة البُحيرة الأخرى أيُّها السيّر. اللوْرد بَتَرول كان قيِّم النَّقد والملك إيْجوْن بعدُ على العرش الحديدي. الملك ديْروْن عيَّنه يدًا، ولكن ليس لوقتٍ طويل. شعاره شرائط خضراء وصفراء وبيضاء متموِّجة أيُّها السيّر». يحبُّ إج استعراض إلمامه برموز النَّبالة.

ـ «أهو صديقٌ لأبيك؟».

لوى إج قسماته استهجانًا، وقال: «أبي لم يحبَّه قَطُّ. خلال التَّمرُّد قاتلَ ابن اللوْرد بَتَرول الثَّاني في سبيل المدَّعي وابنه الأكبر في سبيل الملك. بهذه الطَّريقة ضمنَ أنه مع الطَّرف الرَّابح. اللوْرد بَتَرول لم يُقاتِل في سبيل أيّ أحد».

ـ «قد يصف بعضهم ذلك بالحصافة».

ـ «أبي يصفه بالجُبن».

ـ *أجل، معقول.* الأمير ميْكار رجلٌ قاسٍ، ذو كبرياء ومفعمٌ بالازدراء. «علينا أن نمرَّ على (الجُدران البيْضاء) لنَبلُغ (طريق الملوك). لِمَ لا نملأ بطنيْنا؟». مجرَّد الفكرة جعلَ بطنه يُقرقِر. «قد يحتاج أحد ضيوف الزِّفاف إلى حراسةٍ في طريق العودة إلى مقرِّه».

ـ «قلتَ إننا ذاهبان شمالًا».

ـ «(الجِدار) قائمٌ منذ ثمانية آلاف سنة. سيبقى وقتًا أطول. بين هنا وهناك ألف فرسخ، وسينفعنا مزيدٌ من الفضَّة في كيس نقودنا». قالها دنك متخيّلًا نفسه على متن ثندر، يدعس ذلك اللوْرد العجوز عابس الوجه ذا القلاع الثَّلاث على تُرسه. *لكم سيكون ذلك حُلوًا. حينما يأتي ليدفع فدية سلاحه ودرعه يُمكنني أن أخبره: «مُرافق العجوز السيْر آرلان هو الذي هزمَك، الصَّبي الذي حلَّ محلَّ الصَّبي الذي قتلته». سيُعجِب العجوز ذلك.*

ـ «لستَ تُفكِّر في دخول مضمار النِّزال، أليس كذلك أيُّها السيْر؟».

ـ «ربَّما حانَ الوقت».

ـ «لم يحن أيُّها السيْر».

ـ «ربَّما حانَ الوقت لأن أعطيك لطمةً موجعةً على الأذن». *لن يلزمني إلَّا الفوز في مُثاقفتيْن. إذا أمكنَني أن أجني فديتيْن وأدفع واحدةً فقط فسأكل كالملوك عامًا كاملًا.* «إذا أقاموا التحامًا جماعيًّا فقد أشتركُ فيه». حجم دنك ويأسه سيُجديانه في التحامٍ جماعي نفعًا أكثر من المضمار.

ـ «لم تجرِ العادة على إقامة التحامٍ جماعيٍّ في زفافٍ أيُّها السيْر».

ـ «لكن العادة جرَت على إقامة مأدبة. إنَّ أمامنا طريقًا طويلًا. لِمَ لا ننطلق ببطنيْن ممتلئيْن من باب التَّغيير؟».

***

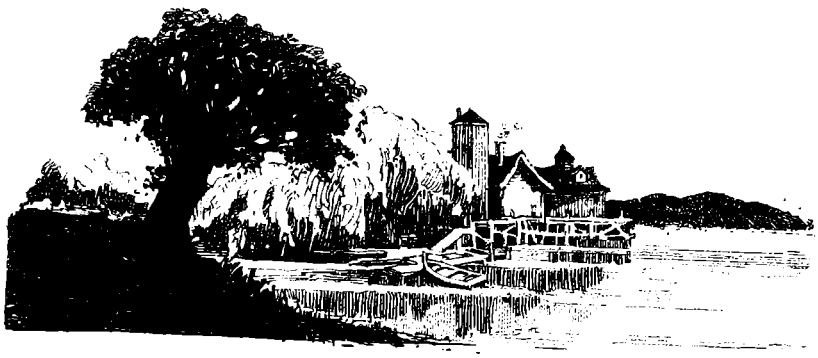

كانت الشَّمس منخفضةً في الغرب عندما رأيا البُحيرة المتألّقة مياهها حمراء وذهبيَّةً، لامعةً مثل رقيقة من النُّحاس المطرَّق. حين لمحا بُريجات الخان فوق بعض أشجار الصَّفصاف، عادَ دنك يرتدي غلالته الملوَّثة بالعرق وتوقَّف ليرشَّ وجهه بقليل من الماء، فغسلَ غُبار الطَّريق قدر الإمكان، ومرَّر أصابع مبتلَّةً في ثنايا شعره الكثيف الذي فتَّحت لونه الشَّمس. ليس بإمكانه أن يفعل شيئًا حيال حجمه أو النَّدبة التي تسِم خدَّه، لكنه يُريد أن يُخفِّف من مظهره الشَّبيه بفارس لصّ جامح.

تبيَّن أنَّ الخان أكبر ممَّا توقَّع، عبارة عن مكانٍ رماديّ عظيم يمتدُّ مبنيًّا بالخشب ومزوَّدًا ببُريجات، نصفه مُقام على ركائز فوق الماء، وقد فُرِشَ طريقٌ من ألواح الخشب المقطَّعة بغير انتظام فوق شطِّ البُحيرة الموحل حتى مرسى العبَّارة، ولكن لا العبَّارة ولا النَّواتي باديان للعيان. عبر الطَّريق يرتفع إسطبلٌ مسقوف بالقشّ، ويُحوّط سورٌ من الأحجار الجافَّة السَّاحة، لكن البوَّابة مفتوحة. في الدَّاخل وجدا بئرًا ومِسقاةً، فقال دنك لإج: «اعتنِ بالحيوانات، ولكن احرص ألَّا تشرب أكثر من اللَّازم.

سأسألُ عن طعام».

وجدَ صاحبة الخان تَكنُس السَّلالم، وخاطبَته المرأة: «هل أتيت من أجل العبَّارة؟ وصلت متأخِّرًا. الشَّمس تغيب، ونِد لا يحبُّ العبور ليلًا إلَّا والبدر تامٌّ. سيرجع في الصَّباح الباكر».

ـ «أتعرفين كم يَطلُب؟».

ـ «ثلاثة بنسات لكلِّ فرد، وعشرة للحصان».

ـ «معنا حصانان وبغل».

ـ «عشرة للبغل أيضًا».

أجرى دنك الحسبة في رأسه، فتوصَّل إلى أنَّ النَّتيجة ستَّة وثلاثين، أكثر ممَّا أملَ أن يُنفِق. «آخِر مرَّةٍ جئتُ فيها إلى هذه الأنحاء كلَّف العبور بنسيْن فقط، وستَّة للأحصنة».

ـ «كلِّم نِد في ذلك. الأمر لا يعنيني. لو أنك تبحث عن سرير فليس عندي. اللوْرد شاوني واللوْرد كوستيْن جلبا حاشيتيْهما. المكان ممتلئ حدَّ الانفجار».

ـ «هل اللوْرد پيك هنا أيضًا؟». *لقد قتلَ مُرافق السيْر آرلان.*

«كان مع اللوْرد كوْكشوْ وچوْن الكمنجي».

أجابَت: «نِد عبرَ بهم في رحلته الأخيرة»، ونظرَت إلى دنك من أعلى إلى أسفل سائلةً: «أكنتما ضمن صُحبتهم؟».

ـ «قابلناهم على الطَّريق لا أكثر». من نوافذ الخان تتسرَّب رائحةٌ طيِّبة، رائحةٌ أسالَت لُعاب دنك. «قد نودُّ أن نتناوَل قليلًا ممَّا تشوين، لو أنَّ التَّكلفة ليست فوق قُدرتنا».

قالت المرأة: «إنه خنزيرٌ برّي، متبَّل بكثيرٍ من الفلفل ويُقدَّم مع البصل وعيش الغُراب والسَّلجم المهروس».

ـ «يُمكننا الاستغناء عن السَّلجم. بضع شرائح من الخنزير

وكوز من مزركِ البنّي الممتاز كفايةٌ لنا. كم تَطلُبين ثمنًا لذلك؟ وهل لنا بمكانٍ على أرضيَّة إسطبلك لنبيت اللَّيلة؟».

أخطأ دنك لمَّا قال هذا، إذ ردَّت المرأة: «الإسطبلات للخيول. لهذا نُسمّيها إسطبلات. إنك كبيرٌ كحصان، أقرُّ بهذا، لكنني لا أرى إلَّا ساقيْن»، ولوَّحت بمكنستها في اتّجاهه لتَطرُده. «لا يُمكن أن يُرجى مني أن أطعم (الممالك السَّبع) بأكملها. الخنزير لضيوفي، وكذلك مزري. لن أدع اللوردات يقولون إنَّ عندي نقصًا في الطَّعام والشَّراب قبل أن يُتخِموا بطونهم. البُحيرة مليئة بالأسماك، وستجد بعضًا من الأشقياء الآخَرين مخيّمًا عند الأرومات. فُرسان جوَّالة لو صدَّقتهم». أوضحَت لهجتها تمامًا أنها لا تُصدّقهم. «لعلَّ معهم طعامًا يقتسمونه. الأمر لا يعنيني. فلتنصرف الآن. عندي عمل». انغلقَ الباب بخبطةٍ قويَّة وراءها قبل أن يُفكِّر دنك في مجرَّد الاستفسار أين يجد تلك الأرومات.

وجدَ إج جالسًا فوق مِسقاة الخيول، يغمس قدميْه في الماء ويُهوّي وجهه بقبَّعته المرنة الكبيرة. «هل يشوون خنزيرًا أيُّها السيْر؟ أشمُّ رائحته».

أجابَ دنك بنبرةٍ كئيبة: «خنزيرٌ برّي، ولكن مَن يُريد لحم خنزيرٍ برّي ونحن معنا لحمٌ بقريٌّ مملَّح ممتاز؟».

أبدى إج تقزُّزه، وقال: «أيُمكنني من فضلك أن آكل حذائي بدلًا من ذلك أيُّها السيْر؟ سأفضِّل زوجيْن جديديْن من اللَّحم المملَّح. إنه أقسى».

قال دنك محاولًا ألَّا يبتسم: «لا، لا يُمكنك أن تأكل حذاءك، ولكن كلمة واحدة أخرى وستأكل قبضتي. ارفع قدميْك من هذه المِسقاة»، ثم وجدَ خوذته العظيمة على ظهر البغل وقذفَ بها من تحت ذراعه لإج قائلًا: «اسحب ماءً من البئر وانقع اللَّحم». ما لم تنقعه وقتًا طويلًا، فغالبًا سيكسر اللَّحم المملَّح أسنانك. أفضل مذاقٍ له وهو منقوعٌ في المزر، لكن الماء سيَصلُح. «ولا تستخدم المِسقاة، فلا أريدُ أن أذوق قدميْك».

لوى إج أصابع قدميْه قائلًا: «قدماي ستُحسِّنان المذاق ليس إلَّا أيُّها السيْر»، لكنه نفَّذ الأمر.

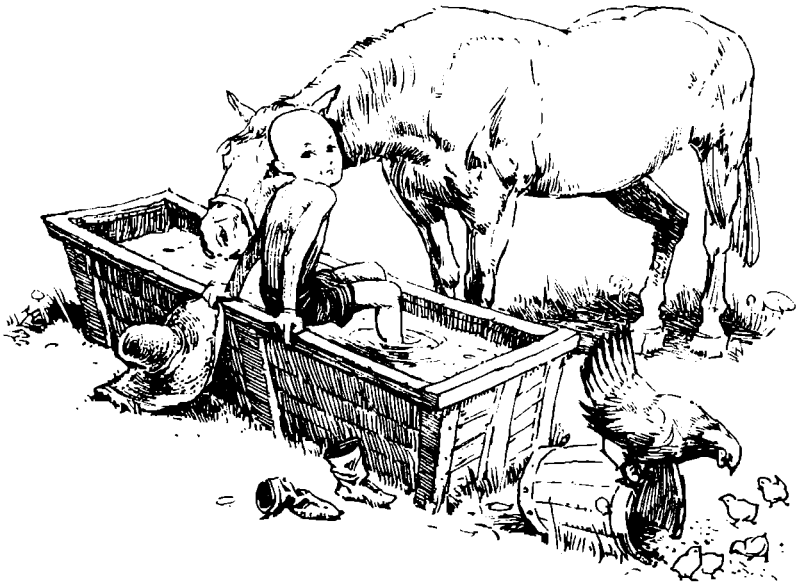

***

اتَّضح أنَّ العثور على الفُرسان الجوَّالة ليس صعبًا. لمحَ إج نارهم تُومِض في الغابة المطلَّة على شطِّ البُحيرة، وهكذا اتَّجها إليها قائديْن حيواناتهما خلفهما. تحت ذراعه حملَ الغُلام خوذة دنك التي راحَ الماء يتلاطَم فيها مع كلِّ خُطوة. حينئذٍ لم تَعُد الشَّمس إلَّا ذكرى حمراء في الغرب. لم يمض وقتٌ طويل حتى انفتحَت الأشجار، ووجدا نفسيْهما في مكانٍ لَا بُدَّ أنَّ غيضة ويرروود احتلَّته في الماضي. لم يتبقَّ إلَّا حلقةٌ من الأرومات البيضاء وشبكةٌ من الجذور البيضاء كالعظم للدَّلالة على البقاع التي ارتفعَت فيها الأشجار من قبل، لمَّا كان الحُكم لأطفال الغابة في (وسترؤس).

وسط أرومات الويرروود وجدا رجليْن يجلسان القرفصاء قُرب نار طبخ، يتبادَلان الشُّرب من قربة نبيذ فيما يرعى حصاناهما في الكلأ وراء الغيضة، وقد رصَّا أسلحتهما ودروعهما في كومتيْن منظَّمتيْن، وعلى مسافةٍ منهما يجلس رجلٌ أصغر سنًّا مُسندًا ظهره إلى شجرة كستناء. نادى دنك بصوتٍ بشوش: «لقاءٌ سعيد أيُّها الفُرسان». ليس من الحكمة أبدًا أن تأتي رجالًا مسلَّحين على حين غرَّة. «أُدعى بالسيْر دنكن الطَّويل. الولد اسمه إج. ألنا أن نُشارِككم ناركم؟».

نهضَ لتحيَّتهما رجلٌ ممتلئ في منتصف العُمر، يرتدي أسمال ثيابٍ فاخرة، ويُؤطِّر وجهه شعرٌ أصهب صارخ. «لقاءٌ سعيد يا سيْر دنكن. كبير الحجم أنت... وعلى الرَّحب والسَّعة بالتَّأكيد، وصبيُّك كذلك. أهو إج؟ أيُّ نوعٍ من الأسماء هذا إذا سمحت؟».

ـ «اسمٌ قصير أيُّها السيْر». إج أعقل من أن يقرَّ بأن «إج» اختصار «إيْجوْن»، بخاصَّةٍ لمَن لا يعرفهم.

ـ «حقًّا. ماذا جرى لشعرك؟».

فكَّر دنك: *دود الجذور، أخبره أنَّ دود الجذور السَّبب يا ولد.* تلك أكثر قصَّة مأمونة، الحكاية التي يحكيانها في أغلب الأوقات... غير أنَّ إج يعنُّ له أحيانًا أن يلعب لُعبةً طفوليَّةً ما.

ـ «حلقته أيُّها السيْر. أنوي أن أبقى حليق الرَّأس إلى أن أستحقَّ فروسيَّتي». مكتبة سُر مَن قرأ

ـ «نذرٌ نبيل. أنا السيْر كايل، قِطٌّ (البراح الغائم). تحت شجرة الكستناء هناك يجلس السيْر جلندُن، آه، بوْل. وهنا عندك رجلنا الكريم السيْر ماينارد پلَم».

أصاخَ إج السَّمع إذ ذُكِرَ الاسم، وسألَ: «پلَم... أأنت قريبٌ للوْرد ڤسيْرس پلَم أيُّها السيْر؟».

اعترفَ السيْر ماينارد: «من بعيد». رجلٌ فارع نحيل محدودب الكتفيْن هو، له شعرٌ طويل مستوكتَّاني اللَّون. «ولو أني أشكُّ في أنَّ حضرَة اللوْرد سيقرُّ بذلك. قد يقول المرء إنه من فرع آل پلَم الحُلو، في حين أنني من الفرع الحامض». معطف پلَم أرجوانيٌّ كاسمه البرقوقي، غير أنه مهترئ الحواف ورديء الصِّباغة، ويُثبِّته إلى الكتف دبُّوس حجر قمر كبير كبيضة دجاجة، ولكن باستثناء ذلك يرتدي الرَّجل الخيش البنِّي الرَّمادي والجلد البنِّي المبقَّع.

قال دنك: «معنا لحم بقر مملَّح».

قال كايل القِطُّ: «السيْر ماينارد معه كيسٌ من التُّفَّاح، وأنا معي مخلَّل بيض وبصل. إذًا لدينا معًا مقوّمات وليمة! تفضَّل بالجلوس أيُّها السيْر. عندنا خيارات ممتازة من أرومات الشَّجر لكي تستريح. سنبقى هنا حتى منتصف الصَّباح ما لم يخب تخميني. لا يُوجَد إلّا عبَّارة وحيدة، وليست كبيرةً بما يكفي لاستيعابنا جميعًا. يجب أن يَعبُر اللوْردات وأتباعهم أوَّلًا».

ـ «ساعِدني مع الخيول». قالها دنك لإج، ومعًا خلعا سرجَي ثندر وريْن وبردعة ميْستر.

فقط بعدما أُطعمَت الدَّواب وسُقيَت وشُكلَت لتستقرَّ اللَّيلة، قبلَ دنك قربة النَّبيذ التي قدَّمها له السيْر ماينارد. قال كايل القِطُّ:

«حتى النَّبيذ الحامض أفضل من لا شيء. سنشرب أصنافًا معتَّقةً أجود في (الجُدران البيضاء). يُقال إنَّ عند اللورد بَتَرول أفضل خمورٍ شمال (الكرمة). لقد كان يد الملك، مثل والد والده من قبله، ويُقال إنه فضلًا عن ذلك رجلٌ تقيٌّ، وغنيٌّ جدًّا».

قال ماينارد بلَم: «ثروته كلها من البقر. يَجدُر به أن يتَّخذ ضرعًا منتفخًا شعارًا. آل بَتَرول هؤلاء يجري في عروقهم حليب، وآل فراي ليسوا أحسن. ستكون هذه زيجةً بين لصوص بقرٍ وجُباة رسوم، زُمرة من مُشخشخي النُّقود تنضمُّ إلى أخرى. عندما انتفضَ التنّين الأسود، أرسلَ سيّد البقر هذا ابنًا إلى ديْمون وآخَر إلى ديْرون ليتيقَّن أنَّ على الجانب الرَّابح واحدًا من آل بَتَرول. كلاهما هلكَ في (حقل العُشب الأحمر)، والأصغر ماتَ في الرَّبيع. لهذا يعقد هذه الزّيجة الجديدة. ما لم تمنحه زوجته الجديدة ابنًا فسيموت اسم بَتَرول معه».

قال السيْر جلنـدُن بوْل: «وهو الواجب»، ومرَّر المشحذ على سيفه مرَّةً أخرى مضيفًا: «**المُحارب** يكره الجُبناء».

دفعَ الاحتقار في صوته دنك إلى النَّظر إلى الشَّاب بمزيدٍ من التَّدقيق. ملابس السيْر جلنـدُن من قُماشٍ جيّد، لكنها باليةٌ ومتنافرة، يبدو عليها سابق استعمال. من تحت خوذته القصيرة الحديد تَبرُز خُصل من الشَّعر البنّي الدَّاكن، والفتى نفسه قصيرٌ مكتنز، عيناه صغيرتان متقاربتان، وكتفاه غليظتان، وذراعاه مفتولتا العضلات، وله حاجبان أشعثان يبدوان مثل يُسروعيْن بعد ربيعٍ بليل، وأنفٌ بصليٌّ وذقن ناتئ. كما أنه صغير السِّن. *عنده ستَّة عشر عامًا ربَّما. لا، أكثر من ثمانية عشر.* لربَّما عدَّه دنك مُرافقًا لو لم يَدعُه السيْر كايل بـ«السيْر». على وجنتَي الفتى

بثورٌ بدلًا من الشَّعر.
سأله دنك: «منذ متى وأنت فارس؟».

ـ «منذ وقت طويل كفايةً. نصف عام عندما يدور القمر. أسبغَ عليَّ الفروسيَّةَ السيْر مؤرجن دنستيْبل ابن (شلّالات الحاوي)، وشهدَت هذا دستتان من النَّاس، لكنني أتدرَّب على الفروسيَّة منذ ميلادي. لقد ركبتُ الخيل قبل أن أمشي، وخلعَت ضربتي سنَّ رجلٍ بالغ من رأسه قبل أن يَسقُط أيٌّ من أسناني. أنوي أن أحقِّق صيتي في (الجُدران البيضاء) وأظفر ببيضة التنِّين».

ـ «بيضة التنِّين؟ أتلك جائزة البطل؟ حقًّا؟». التنِّينة الأخيرة نفقَت قبل نصف قرن، على أنَّ السيْر آرلان رأى مجموعةً من بيضاتها ذات مرَّة، وأخبرَ العجوز دنك: *كانت صُلبةً كالحجر، ولكن جميلة المرأى*. «أنَّى للوْرد بَتَرول ببيضة تنِّين؟».

أجابَ السيْر ماينارد بِلَم: «الملك إيْجوْن قدَّم البيضة لوالد والده بعد نزوله ضيفًا ليلةً في قلعته القديمة».
سألَ دنك: «أهي مكافأة على فعل شُجاع ما؟».
قهقهَ السيْر كايل مجيبًا: «قدْ يصفه بعضهم بذلك. يُفترَض أنه كانت للوْرد بَتَرول القديم ثلاث بنات عذراوات حين جاءَ صاحب الجلالة للزِّيارة. بحلول الصَّباح حملَت ثلاثتهن نغولًا ملكيّين في بطونهنَّ الصَّغيرة. عملُ ليلة ساخنة ذاك».
سبقَ أن سمعَ دنك كلامًا مشابهًا. لقد ضاجعَ إيْجوْن غير الجدير نصف عذارى البلاد، ويُفترَض أنه أنجبَ منهن جميعًا نغولًا. الأدهى أنَّ الملك المُسن شرعنَهم جميعًا وهو على فِراش الموت، وُضعاء المولد الذين خلَّفتهم عاملات الحانات والعاهرات وراعيات المواشي، والنُّغول العظام أولاد الأمَّهات شريفات النَّسب. «لكنا كلُّنا أبناءً نغولًا للملك إيْجوْن المُسن لو صحَّ نصف تلك الحكايات».

قال السيْر ماينارد مازحًا: «ومَن يقول إننا لسنا كذلك؟».

حثَّ السيْر كايل دنك قائلًا: «حريٌّ بك أن تأتي معنا إلى (الجُدران البيضاء) يا سيْر دنكن. مؤكد أنَّ حجمك سيلفت انتباه أحد صغار اللوْردات. قد تجد خدمةً جيّدةً هناك. أعرفُ أني سأفعلُ عن نفسي. چوْفري كازوِل سيحضر هذا الزِّفاف، سيّد (جسر العلقم). وهو في الثَّالثة من عُمره صنعتُ له سَيفه الأوَّل، نحتُّه من خشب الصَّنوبر ليُناسِب يده. وأنا بعدُ أكثر اخضرارًا أعهدتُ أباه سيفي».

سألَه السيْر ماينارد: «أكان منحوتًا من خشب الصَّنوبر أيضًا؟».

تحلَّى كايل القِطُّ بالأريحيَّة ليضحك، وقال: «ذلك السَّيف كان من الفولاذ الممتاز، أؤكِّدُ لك. سيسرُّني حقًّا أن أستعمله مجدَّدًا في خدمة القنطور. سيْر دنكن، حتى إن لم تختَر أن تُثاقف فانضمَّ إلينا في مأدبة الزِّفاف. سنجد هناك مُطربين وموسيقيّين، وبهلوانات وحُواةً، وفِرقةً من الأقزام الهزليّين».

عقدَ دنك حاجبيْه قائلًا: «أنا وإج أمامنا رحلةٌ طويلة. إننا متَّجهان شمالًا إلى (وينترفل). اللوْرد بيْرون ستارك يجمع سيَّافةً لطرد الكراكِن من سواحله بلا رجعة».

قال السيْر ماينارد: «الطَّقس هناك باردٌ جدًّا عليَّ. إذا أردت قتل الكراكِن فاذهب غربًا. آل لإنستر يبنون سُفنًا ليردُّوا على الحديديّين عُدوانهم في جُزرهم الأم. هكذا تضع نهايةً لداجوْن جرايجوْي. لا طائل من قتاله على اليابسة، لأنه يتملَّص عائدًا إلى البحر لا أكثر. يجب أن تهزمه في الماء».

لقوله رنين الحقيقة، إلَّا أنَّ إمكانيَّة قتال الحديديّين في البحر ليست شيئًا يستسيغه دنك. لقد ذاقَ ذلك على مَتن «الليْدي البيضاء» في أثناء إبحاره من (دوْرن) إلى (البلدة القديمة)، عندما لبسَ درعه لمساعدة الطَّاقم على درء بعض المُغيرين. كانت المعركة يائسةً داميةً، وفي مرَّةٍ كادَ يَسقُط في الماء،

ولأصبحَت تلك نهايته.

أعلنَ السيْر كايل القِطُّ: «على الأقل يُقاتِلون. ما الذي يفعله آل تارجاريَن؟ الملك إيْرس مختبئ بين كُتبه، والأمير ريْجل يتبختر عاريًا في أروقة (القلعة الحمراء)، والأمير ميْكار يقبع واجمًا في (بهو الصَّيف)».

كان إج يُذكي النَّار بعصا باعثًا شرارًا يطفو في هواء اللَّيل. سُرَّ دنك لرؤيته يتجاهَل ذِكر اسم والده. *ربَّما تعلَّم أخيرًا أن يُمسِك لسانه هذا.*

تابعَ السيْر كايل: «عن نفسي ألومُ غُداف الدَّم. إنه يد الملك، ومع ذلك لا يُحرّك ساكنًا فيما يَنشُر الكَراكِن اللَّهب والهلع في أقصى (بحر الغروب) وأدناه».

هزَّ السيْر مِاينارد كتفيْه، وقال: «عينه شاخصةٌ إلى (تايرؤش) حيث يجلس الفولاذ الأليم في المنفى يتآمَر مع أبناء ديْمؤن بلاكفاير، ولذا يُبقي سُفن الملك في متناول اليد خشية أن يسعوا للعبور».

ردَّ السيْر كايل: «أجل، لعلَّ في ذلك صحَّةً، لكن كثيرين سيُرحِّبون بعودة الفولاذ الأليم. غُداف الدَّم أصل ويلاتنا كلِّها، الدُّودة البيضاء التي تلتهم قلب البلاد».

عبسَ دنك متذكِّرًا السِّپتؤن الأحدب في (السِّپت الحجري)، وقال: «من شأن كلام كهذا أن يُكلِّف المرء رأسه. قد يقول البعض إنك تتحدَّث بالخيانة».

قال كايل القِطُّ: «كيف يُمكن أن تكون الحقيقة خيانةً؟ في أيَّام الملك ديْرؤن لم يُفرَض على الرَّجل أن يخاف أن يُصرِّح بما في نفسه، أمَّا الآن؟»، وأطلقَ صوتًا بذيئًا مواصلًا: «غُداف الدَّم وضعَ الملك إيْرس على العرش الحديدي، ولكن إلى متى؟ إيْرس ضعيف، ولمَّا يموت ستندلع حربٌ دامية بين اللؤرد ريڤرز والأمير ميْكار على التَّاج، اليد ضد الوريث».

احتجَّ السيْر مِاينارد بلهجة رفيقة: «نسيتَ الأمير ريْجل يا صديقي. إنه هو التَّالي في الدُّور بعد إيْرس وليس ميْكار، ومن بعده أولاده».

ـ «ريْجل واهي العقل. إنني لا أضمرُ له أيَّ عداوة، غير أنَّ الرَّجل في حُكم الميت، وتوأماه هذان أيضًا، ولكن سواء أماتوا بمِقمعة ميْكار أو تعاويذ غُداف الدَّم...».

ـ *لِيَقِذنا السَّبعة*. قالها دنك في نفسه إذ تدخَّل إج متكلِّمًا بصوتٍ عالٍ حاد: «الأمير ميْكار شقيق الأمير ريْجل. إنه يحبُّه حُبًّا جمًّا، ولا يُمكن أبدًا أن يُؤذيه هو أو آله».

زمجرَ فيه دنك: «صمتًا يا ولد. هؤلاء الفُرسان لا يُريدون أيًّا من آرائك».

ـ «أستطيعُ الكلام إذا أردتُ».

ردَّ دنك: «لا، لا تستطيع». *فمك هذا سيتسبَّب في مقتلك يومًا ما، وأنا أيضًا على الأرجح*. «اللَّحم المملَّح نُقعَ بما فيه الكفاية على ما أظنُّ. شريحة لكلٍّ من أصدقائنا، وأسرِع».

احمرَّ وجه إج، ولنصف نبضة قلبٍ خشيَ دنك أن يردَّ الغُلام، لكنه اكتفى بدلًا من ذلك بنظرةٍ واجمة والغليان في أعماقه كما يُمكن لغُلام في الحادية عشرة فقط أن يغلي. «حاضر أيُّها السيْر». قالها إجّ مفتِّشًا في قاع خوذة دنك وقد التمعَ رأسه المحلوق بالحُمرة في ضوء النَّار وهو يُناوِلهم شرائح اللَّحم المملَّح.

أخذَ دنك قطعته ونهشَها. النَّقع حوَّل اللَّحم من خشبٍ إلى جلد، لكن هذا كلُّ شيء. راحَ يمصُّ أحد الأطراف متذوِّقًا الملح ومحاولًا ألَّا يُفكِّر في الخنزير البرِّي المشوي في الخان، يُطقطِق على سيخه ويَقطُر منه الدُّهن.

مع توغُّل الغسق أتى الذُّباب والبعوض الصَّغير القارص في أسراب غفيرة من البُحيرة. فضَّل الذُّباب ابتلاء خيولهم، أمَّا البعوضُ فيحبُّ طعم اللَّحم البشري، والوسيلة الوحيدة لتجنُّب القرص أن يجلسوا قريبًا من النَّار متنفِّسين الدُّخان. فكَّر دنك بكآبة: *نُطهى أو نلتهم. خياران أحلاهما مُرٌّ*، وحكَّ ذراعيْه ودنا ببُطء من النَّار.

سرعان ما دارَت القربة دورتها. ما فيها من نبيذ لاذعٍ وقويٍّ، وقد أخذَ دنك جرعةً كبيرةً ثم ناولَ القربة، فيما بدأ قِطّ (البراح الغائم) يحكي كيف أنقذَ حياة سيِّد (جسر العلقم) خلال تمرُّد بلاكفاير. «حين سقطَ حامل راية اللوْرد آرموْند وثبتُّ من فوق حصاني والخونة حولنا من كلِّ جهة...».

قاطعَه جلندُن بوْل: «سيْر، مَن هؤلاء الخونة؟».

ـ «عنيتُ رجال بلاكفاير».

لمعَ ضوء النَّار على الفولاذ في يد السيْر جلندُن، لتلتهب البثور في وجهه حمراء كالقروح المفتوحة، ويبدو كلٌّ وترٍ من أوتاره مشدودًا عن آخِره كما النُّشَّابيَّة. «أبي قاتلَ في سبيل التنِّين الأسود».

ـ *تلك المسألة مجدَّدًا*. أطلقَ دنك نخيرًا. «أحمر أم أسود؟» ليس سؤالًا تُلقيه على رجل، ذلك أنه يُؤدِّي دائمًا إلى متاعب. «أنا واثقٌ بأن السيْر كايل لم يقصد أن يُهين أباك».

مكتبة
t.me/soramnqraa

أيَّده السيْر كايل: «على الإطلاق. إنها حكاية قديمة، التنّين الأحمر والتنّين الأسود. ليس من العقل أن نتشاجَر بشأنها الآن يا فتى. جميعنا هنا إخوان الأسوجة».

بدا أنَّ السيْر جلندُن يزن كلمات القِطِّ ليرى هل يتعرَّض للسُّخرية، قبل أن يقول: «ديْموْن بلاكفاير لم يكن خائنًا. الملك المُسن أعطاه هو السَّيف. لقد رأى جدارة ديْموْن على الرغم من ميلاده نغلًا. لأيّ سببٍ غير ذلك وضعَ «اللَّهب الأسود» في يده بدلًا من يد ديْرون؟ لقد أرادَه أن يحظى بالمملكة أيضًا. ديْموْن كان الرَّجل الأفضل».

رانَ عليهم السُّكوت. سمعَ دنك طقطقة النَّار الخافتة، وأحسَّ بالبعوض يزحف على قفاه، فهوى عليه بكفِّه وهو يُراقِب إج موصيًا إيَّاه في سريرته أن يبقى ساكنًا. لمَّا بدا أنَّ أحدًا آخَر لن يتكلَّم قال: «كنتُ صبيًّا صغيرًا حين خاضوا معركة (حقل العُشب الأحمر)، لكنني رافقتُ فارسًا قاتلَ في سبيل التنّين الأحمر، ولاحقًا خدمتُ آخَر قاتلَ في سبيل الأسود. كان على كلا الجانبيْن رجالٌ شُجعان».

ردَّد كايل القِطُّ بشيءٍ من الضَّعف: «رجالٌ شُجعان».

ـ «أبطال». أدارَ جلندُن بوْل تُرسه ليروا جميعهم الرَّمز المرسوم عليه: كُرة ناريَّة مضطرمة بالأحمر والأصفر على خلفيَّةٍ بسواد اللَّيل. «إنني متحدِّرٌ من دم بطل».

قال إج: «أنت ابن كُرة النَّار».

وهذه أوَّل مرَّةٍ رأوا فيها السيْر جلندُن يبتسم.
تفرَّس السيْر كايل القِط في الفتى، وتساءلَ: «كيف يُمكن ذلك؟ كم سنُّك؟ كونتِن بوْل ماتَ...».
أكملَ السيْر جلندُن: «... قبل أن أُولَد. لكنه يحيا فيَّ من جديد»، وعادَ يدسُّ سيفه في غِمده بحركةٍ حادَّة، وأردفَ: «سأريكم جميعًا في (الجُدران البيضاء) حين أظفرُ ببيضة التنِّين».

***

أثبتَ اليوم التَّالي صحَّة نبوءة السيْر كايل، فعبَّارة نِد لا تتَّسع البتَّة لكلِّ الرَّاغبين في العبور، ولذا فلا بُدَّ أن يَعبُر اللوْردان كوْستيْن وشاوني أوَّلًا ومعهما أتباعهما. تطلَّب ذلك رحلاتٍ عدَّةً استغرقَ كلٌّ منها ما يربو على ساعة، إذ يجب التَّعامُل مع المسطَّحات الطِّينيَّة صعبة الاجتياز، ونقل الخيول والعربات على الألواح الخشبيَّة، وتحميل القارب بها، ثم تفريغه منها على ضفَّة البُحيرة الأخرى. كما أنَّ اللوْرديْن عوَّقا الأمور أكثر بانخراطهما في مباراة زعيقٍ بشأن الأسبقيَّة؛ شاوني أكبرهما سنًّا، لكن كوْستيْن يعتبر نفسه أرقى نسبًا.

لم يُوجَد ما يُمكن أن يفعله دنك غير الانتظار والتَّصبُّب عرقًا. قال إج: «يُمكننا الذَّهاب أوَّلًا إذا تركتني أستخدمُ حذائي».

ردَّ دنك: «يُمكننا، لكننا لن نفعل. اللوْرد كوْستيْن واللوْرد شاوني هنا من قبلنا، ثم إنهما لوْردان».

قلبَ إج سحنته قائلًا: «لوْردان متمرِّدان».

رمقَه دنك مقطِّبًا جبينه، وسألَه: «ماذا تعني؟».

ـ «لقد ناصَرا التنّين الأسود. اللوْرد شاوني فعلَ، وأبو اللوْرد كوْستيْن. أنا وإيْمون اعتدنا خوض المعركة على طاولة الميْستر ملاكوين الخضراء بجنودٍ مطليّين ورايات صغيرة. شعار كوْستيْن مقسَّم إلى أربعة مربَّعات، في اثنيْن كأسٌ فضِّيَّة على خلفيَّةٍ سوداء وفي اثنيْن زهرةٌ سوداء على خلفيَّةٍ ذهبيَّة. تلك الرَّاية كانت في ميسرة جيش ديْمون. شاوني كان مع الفولاذ الأليم في الميمنة، وكادَ يموت متأثِّرًا بجراحه».

ـ «تاريخٌ قديم زائل. إنهما هنا الآن، أليس كذلك؟ أي إنهما ركعا وعفا عنهما الملك ديْرون».

ـ «نعم، ولكن...».

أغلقَ دنك شفتَي الغُلام بأنامله قائلًا: «أمسِك لسانك».

فأمسكَ إج لسانه.

لم تكد الحمولة الأخيرة من رجال شاوني تتحرَّك حتى ظهرَ اللوْرد والليْدي سمؤلوود بأتباعهما عند المرسى، وهكذا عليهما الانتظار ثانيةً.

واضحٌ للعيان أنَّ رِفقة الأسوجة لم تَصمُد اللَّيل بطوله. انفردَ السيْر جلندُن بنفسه في نكد ووجوم، في حين قدَّر كايل القِطُّ أنَّ النَّهار سوف ينتصِف قبل أن يُسمَح لهم بركوب العبَّارة، ففصلَ نفسه عن الآخَرين ليُحاوِل ضمَّ نفسه تزلُّفًا إلى حاشية اللوْرد سمؤلوود الذي تجمعه به معرفةٌ طفيفة، أمَّا السيْر ماينارد فقضى وقته في النَّميمة مع صاحبة الخان.

حذَّر دنك إج: «ابقَ بعيدًا تمامًا عن هذا الشَّخص». في بِلَم شيء ما يُزعِجه. «قد يكون فارسًا لصًّا على حدِّ علمنا».

بدا أنَّ التَّحذير لم يُؤدِّ إلَّا إلى زيادة اهتمام إج بالسيْر ماينارد. قال الغُلام: «لم أعرف أيَّ فُرسانٍ لصوص قَط. أتظنُّه ينوي سرقة بيضة التنّين؟».

ردَّ دنك: «اللوْرد بَتَرول سيضع البيضة تحت حراسةٍ مشدَّدة، أنا واثق»، وحكَّ رقبته حيث قرصَه البعوض قائلًا: «أتحسب أنه سيعرضها خلال المأدبة؟ أودُّ أن ألقي نظرةً على واحدة».

ـ «لربَّما أريتك بيضتي أيُّها السيْر، لكنها في (بهو الصَّيف)».

ـ «بيضتك؟ بيضتك بيضة التنّين؟». حدجَ دنك الغُلام بنظرةٍ عابسة متسائلًا أهذه دُعابة. «من أين أتَت؟».

ـ «من تنّينٍ أيُّها السيْر. لقد وضعوها في مهدي».

ـ «أتُريد لطمةً على الأذن؟ لا تُوجَد تنانين».

ـ «نعم، ولكن يُوجَد بيض. التنّينة الأخيرة تركَت مجموعةً من خمس، وعندهم مزيدٌ في (دراجنستون)، بيضات قديمة من قبل الرَّقصة. إخوتي كلُّهم

لديهم بيض أيضًا. بيضة إيْريوْن تبدو كما لو أنها من الذَّهب والفضَّة، وتسري فيها عروقٌ من النَّار. بيضتي أنا بيضاء وخضراء، مليئة بالدوَّامات».

ـ «بيضتك بيضة التنِّين». *وضعوها في مهده.* اعتادَ دنك إج إلى درجة نسيانه أحيانًا أنَّ إيْجوْن أمير. *طبعًا وضعوا بيضة تنِّين في مهده.* «طبِّب، احرص ألَّا تَذكُر تلك البيضة حيث يُمكن أنْ يسمعك أحد».

قال إج: «لستُ بذلك الغباء أيُّها السيْر»، وخفضَ صوته متابعًا: «يومًا ما سترجع التَّنانين. أخي ديْروْن حلمَ بهذا، والملك إيْرس قرأه في نبوءة. قد تفقس بيضتي أنا. لكم سيكون ذلك رائعًا!».

ـ «أسيكون كذلك حقًّا؟». راودَت دنك في ذلك الشُّكوك.

أمَّا إج فلا. «أنا وإيْمون اعتدنا التَّظاهُر بأن بيضتيْنا هما اللتان ستفقسان. إذا حدثَ ذلك فسنُحلِّق في السَّماء على متنَي تنِّينيْنا مثل أوَّل إيْجون وأختيْه».

ـ «أجل، وإذا ماتَ كلُّ فارس آخَر في البلاد فسأصبحُ اللورد قائد الحرس الملكي. لو أنَّ تلك البيضات قيِّمةٌ إلى ذلك الحدِّ فلِمَ يتخلَّى اللورد بَتَرول عن بيضته؟».

ـ «ليُري البلاد قدر ثرائه؟».

ـ «على ما أظنُّ». عادَ دنك يحكُّ رقبته وألقى بنظرةٍ عابرة على السيْر جلندُن بوْل الذي يُحكِم أحزمة سرجه فيما ينتظر العبَّارة. *لن يَصلُح ذلك الحصان أبدًا*. مطيَّة السيْر جلندُن حصانٌ معيب أقعس، عجوز وأصغر من اللَّازم. «ماذا تعرف عن والده؟ لماذا دعوه بكُرة النَّار؟».

ـ «لطباعه الحامية وشعره الأحمر. السيْر كونتِن بوْل عملَ قيِّم سلاح في (القلعة الحمراء)، وقد علَّم أبي وأعمامي القتال، والنُّغول العظام أيضًا. الملك إيْجون وعدَ بترقيته إلى الحرس الملكي، فجعلَ كُرة النَّار زوجته تلتحق بالأخوات الصَّامتات، ولكن لمَّا شغرَ مكانٌ كان الملك إيْجون قد ماتَ، وعيَّن الملك ديْرون السيْر وِلِم وايلد بدلًا منه. أبي يقول إنَّ كُرة النَّار أقنعَ ديْمون بلاكفاير بالمطالبة بالتَّاج بقدر ما أقنعَه الفولاذ الأليم، وإنه أنقذَه عندما أرسلَ ديْرون الحرس الملكي للقبض عليه. لاحقًا قتلَ كُرة النَّار اللورد لِفورد عند بوَّابة (لانسپورت) ودفعَ الأسد الأشيب إلى الهرب منسحبًا ليختبئ داخل (الصَّخرة).

عند معبر (الماندر) فتكَ بأبناء الليْدي پنروْز واحدًا تلو آخَر. يقولون إنه أبقى على حياة أصغرهم رفقًا بأمِّه».

أقرَّ دنك رغمًا عنه: «شهامةٌ منه»، ثم سألَ: «هل ماتَ السيْر كونِتن في (حقل العُشب الأحمر)؟».

أجابَ إج: «قبل ذلك أيُّها السيْر. رام ما غرزَ سهمًا في حلقه وهو يترجَّل عند جدولٍ ليشرب. مجرَّد رجلٍ تقليدي، لا أحد يعرف مَن».

ـ «من شأن هؤلاء الرِّجال التَّقليديِّين أن يصيروا خطرين حينما يعنُّ لهم الشُّروع في قتل اللوْردات والأبطال». رأى دنك العبَّارة تزحف مقتربةً ببطء عبر البُحيرة، فقال: «ها هي ذي قادمة».

ـ «إنها بطيئة. هل سنذهب إلى (الجُدران البيضاء) أيُّها السيْر؟».

قال دنك: «ولِمَ لا؟ أريدُ أن أرى بيضة التنِّين هذه»، وابتسمَ مُردفًا: «إذا فزتُ بالدَّورة فسيملك كلانا بيضة تنِّين».

رمقَه إج بشكٍّ.

ـ «ماذا؟ لماذا تَنظُر إليَّ هكذا؟».

أجابَ الغُلام برزانة: «يُمكنني أن أخبرك أيُّها السيْر، ولكن عليَّ أن أتعلَّم أن أمسك لساني».

***

أجلَسوا الفُرسان الجوَّالة أسفل الملح بمسافةٍ بعيدة، أقرب إلى الباب من المنصَّة.

(الجُدران البيضاء) شبه جديدةٍ بالقياس إلى القلاع عمومًا، إذ شيَّدها منذ أربعين عامًا فحسب جدُّ سيّدها الحالي. في هذه الأنحاء يُسمّيها العامَّة (دار الحليب)، ذلك أنَّ أسوارها وحصونها وأبراجها من أحجارٍ بيضاء مقطَّعة بإتقان، قُلعَت في (الوادي) وجُلبَت عبر الجبال بكلفةٍ باهظة. في الدَّاخل أرضيَّات وأعمدة من الرُّخام الأبيض اللَّبني المجزَّع بالذَّهبي، والعوارض بالأعلى منحوتة من جذوع شجر الويرووود الشَّاحبة كالعظم. لم يستطع دنك أن يتصوَّر مجرَّد تصوُّرٍ كم كلَّف هذا كلُّه.

على أنَّ القاعة الكُبرى ليست واسعةً كقاعاتٍ أخرى عرفَها. *على الأقل سُمِحَ لنا بالدُّخول تحت السَّقف.* قالها دنك سرًّا إذ اتَّخذ موضعه على الدكَّة بين السيْر مايناردٍ پلَم وكايل القِطّ. على الرغم من حضورهم غير مدعوّين، رُحِّبَ بثلاثتهم في المأدبة بسرعةٍ كافية، فممَّا يجلب سوء الطَّالع أن تأبى على فارسٍ الضِّيافة يوم زفافك.

لكن الأمر تعسَّر على السيْر جلندُن الشَّاب. سمعَ دنك وكيل اللوْرد بَتَرول يقول له بصوتٍ عالٍ: «كُرة النَّار لم يُنجِب ابنًا قَطُّ»، فردَّ الفتى المراهق بحرارة، وذُكِرَ اسم السيْر موْرجن دنستيْبل عدَّة مرَّات، لكن الوكيل ثبتَ على موقفه. عندما لمسَ السيْر جلندُن مقبض سيفه ظهرَت دستةٌ من الرِّجال المسلَّحين الحاملين حرابهم، وللحظةٍ بدا أنَّ دماءً قد تُراق. وحده تدخُّل فارسٍ أشقر كبير اسمه كِربي پِم أنقذَ الموقف. حالَ جلوس

دنك بعيدًا دون أن يسمع، وإن رأى بِم يُطوّق كتفَي الوكيل بذراعه ويُغمغِم في أذنه ضاحكا، ليُقطِّب الوكيل ويقول للسيْر جلندُن شيئًا ما ضرَّج وجه الفتى بالأحمر القاني. فكر دنك وهو يُشاهِد: *يبدو كأنه على وشك البكاء. إمَّا ذلك وإمَّا أن يَقتُل أحدًا.* بعد ذلك كلِّه سُمِحَ أخيرًا للفارس الشَّاب بدخول قاعة القلعة.

أمَّا إج المسكين فلم يُحالِفه الحظُّ نفسه، فحين حاولَ دنك الدُّخول بالغُلام أبلغَهما وكيلٌ مساعد بعجرفة: «القاعة الكبرى للوُردات والفُرسان. لقد نصبنا طاولاتٍ في السَّاحة الدَّاخليَّة

للمُرافقين والسَّاسة والرِّجال المسلّحين».

ـ *لو أنَّ لديك فكرةً عن هُويَّته لأجلسته فوق المنصَّة على عرشٍ موسَّد*. لم يُعجِب دنك كثيرًا منظر المُرافقين الآخَرين. قليلون منهم غِلمانٍ في سنِّ إج، غير أنَّ معظمهم أكبر، مُقاتلون متمرّسون اختارَ كلٌّ منهم قبل زمن طويل أن يخدم فارسًا بدل أن يُصبح واحدًا. *هل امتلكوا خيارًا أصلًا*؟ الفروسيَّة تتطلَّب ما هو أكثر من الشَّهامة والمهارة في السِّلاح، تتطلَّب حصانًا وسيفًا ودرعًا أيضًا، وكلٌّ هذا مكلِّف. قال لإج قبل أن يَترُكه مع تلك

الصُّحبة: «صُن لسانك. هؤلاء رجالٌ بالغون ولن يتقبَّلوا وقاحتك بسماحة. اجلس وكُل وأصغِ، فقد تتعلَّم بضعة أشياء».

من ناحيته، سُرَّ دنك لمجرَّد أن يستتر من الشَّمس الحامية، أمامه كوب نبيذٍ وفُرصة لأن يملأ معدته. حتى الفُرسان الجوَّالة يتعبون من قضاء نصف ساعةٍ في مضغ كلِّ لُقمةٍ من الطَّعام. هنا أسفل الملح ستكون الوجبة بسيطةً أكثر من فاخرة، ولكن بلا نُقصان. أسفل الملح يُناسِب دنك كفايةً.

إلَّا أنَّ الكبرياء عند الوضيع عارٌ عند الرَّفيع، كما اعتادَ العجوز القول. بانفعالٍ قال السيِّر جلندُن بؤل للوكيل المساعد: «لا يُمكن أنَّ هذا مكاني اللَّائق». ارتدى الفتى دبليَّةً نظيفةً من أجل المأدبة، ثوبًا أنيقًا قديمًا مزيَّنًا بمخرَّماتٍ ذهبيَّة عند الكفَّتيْن والياقة، ومخيطة على صدره شِفرونة عائلة بؤل وصفائحها البيضاء. «أتعرف مَن كان أبي؟».

أجابَ الوكيل المساعد: «فارسًا نبيلًا ولوردًا قديرًا لا شكَّ، لكن الشَّيء نفسه ينطبق على كثيرين هنا. تفضَّل بالجلوس أو تفضَّل بالانصراف أيُّها السيِّر. لا فرق عندي».

في النِّهاية اتَّخذ الفتى موضعه أسفل الملح مع بقيَّتهم وقد أطبقَ فمه بوجوم. بدأت القاعة البيضاء الطويلة تمتلئ إذ تزاحمَ مزيدٌ من الفُرسان على الدِّكك. الحشد أكبر ممَّا توقَّع دنك، ويبدو من منظره أنَّ بعض الضُّيوف قطعَ طريقًا طويلًا جدًّا. لم يحضر هو وإج بين كلِّ هذا العدد من اللوردات والفُرسان منذ (مرج آشفرد)، ولا سبيل إلى تخمين الشَّخص التَّالي الذي سيظهر. *كان ينبغي أن نبقى بالخارج بين الأسوجة وننام تحت الأشجار. إذا*

حين وضعَ خادمٌ رغيفًا من الخُبز الأسمر على المفرش أمام كلٍّ منهم، شعرَ دنك بالامتنان لهذا الإلهاء. شقَّ الرَّغيف بالطول، ثم فرَّغ النِّصف السُّفلي ليستخدمه طبقًا وأكلَ النِّصف العُلوي. وجدَه بائتًا، ولكن مقارنةً بلحمه المملَّح فهو كَسْتَرْد. على الأقل لا يجب أن يُنقَع في مزرٍ أو حليبٍ أو ماءٍ ليطرى بما يكفي للمضغ.

ـ «سيْر دنكن، يبدو أنك تلفت قدرًا كبيرًا من الانتباه». ألقى السيْر ماينارد بلَم بالملاحظة فيما مرَّ بهم اللوْرد ڤيرول وفوجه متبخترين في طريقهم إلى مواضع الشَّرف السَّامي عند رأس القاعة. «يبدو أنَّ الفتيات فوق المنصَّة لا يستطعن رفع أعيُنهن عنك. أراهنُ أنهن لم يرين رجلًا بحجمك قَطُّ. حتى وأنت جالس تفوق أيَّ رجلٍ في القاعة طولًا بنصف رأس».

حني دنك كتفيْه. لقد تعوَّد حملقة الآخَرين، لكن ذلك لا يعني أنها تُعجِبه. «فليَنظُرن».

قال السيْر ماينارد: «هو ذا الثَّور العجوز هناك أسفل المنصَّة. ينعتونه بالضَّخامة، ولكن يبدو لي أنَّ أكبر ما فيه بطنه. إنك عملاقٌ مقارنةً به».

ـ «بالتَّأكيد أيُّها السيْر». قالها أحد رفاقهم على الدكَّة، رجلٌ شاحب كئيب الهيئة يرتدي الرَّمادي والأخضر، عيناه صغيرتان ثاقبتان متقاربتان تحت حاجبيْن رفيعيْن مقوَّسيْن، وتُؤطِّر لحيةٌ سوداء مشذَّبة بعنايةٍ فمه عوضًا عن شعره المنحسر. «في ميدانٍ كهذا يُفترَض أن يجعلك حجمك وحده واحدًا من أشد المتنافسين مهابةً».

قال رجلٌ آخَر يجلس على مسافةٍ أبعد: «سمعتُ أنَّ غاشم براكن قد يأتي».

ردَّ مرتدي الأخضر والرَّمادي: «لا أظنُّ. ليس هذا إلَّا قليلًا من النِّزال للاحتفال بعُرس حضرة اللوْرد، مُثاقفة في السَّاحة تتماشى مع المُثاقفة بين الملاءات. بالكاد يستحقُّ الأمر الجهد عند أمثال أوثوْ براكن».

شربَ السيْر كايل القِطُّ من النَّبيذ، وقال: «أراهنُ أن سيِّدي اللوْرد بَتَرول لن ينزل هو الآخَر إلى الميدان. سيُشجِّع أنصاره من مقصورة اللوْرد في الظِّل».

قال السيْر جلندُن بوْل بزهو: «سيرى أنصاره يَسقُطون إذًا، وفي النِّهاية سيُسلِّم إليَّ بيضته».

شرحَ السيْر كايل للرَّجل الجديد: «السيْر جلندُن ابن كُرة النَّار. ألنا أن تُشرِّفنا باسمك أيُّها السيْر؟».

ـ «السيْر أوثوْر أندرليف. لستُ ابن أحدٍ ذي أهمِّيَّة».

ملابس أندرليف من قُماش جيّد، نظيفة ومعتنى بها، لكنها بسيطة التَّفصيل، ويُثبّت معطفه مشبكٌ فضّي بشكل حلزون. «لو أنَّ رُمحك مكافئ للسانك يا سيْر جلندُن فقد يُمكنك أن تُنافِس رفيقنا الكبير هذا».

ألقى السيْر جلندُن بنظرةٍ سريعة على دنك فيما صُبَّ النَّبيذ، وردَّ: «إذا تلاقينا فسيَسقُط. لا يهمُّني حجمه».

قال دنك وهو يُشاهِد خادمًا يملأ كوبه: «إنني أفضل بالسَّيف من الرُّمح فعلًا، وأفضل من هذا بالفأس الحربيَّة. هل سيُقام التحامٌ جماعيٌّ هنا؟». سيمنحه حجمه وقوَّته أفضليَّةً في التحام جماعي، ويعلم أنَّ بإمكانه أن يردَّ الصَّاع بالصَّاع. أمَّا المُثاقفةُ فمسألةٌ أخرى.

ـ «التحامٌ جماعي؟ في زفاف؟». بدا السيْر كايل مصدومًا. «لن يليق ذلك».

قهقهَ السيْر ماينارد قائلًا: «الزَّواج ذاته التحام، وهو ما يُمكن أن يقوله لك أيُّ رجلٍ متزوِّج».

بدوره قهقهَ السيْر أوثوْر، وقال: «ثمَّة مُثاقفة فقط للأسف، ولكن بجانب بيضة التنّين وعدَ اللوْرد بَترول بثلاثين تنّينًا ذهبيًّا للخاسر في النِّزال الأخير، وبعشرةٍ لكلٍّ من الفُرسان المهزومين في الجولة السَّابقة».

ـ *عشرة تنانين ليست مبلغًا سيئًا*. عشرة تنانين تكفي لشراء رهوان لكيلا يضطرَّ دنك إلى ركوب ثندر في غير المعارك. عشرة تنانين تكفي لشراء بِزَّةٍ من الصَّفائح المعدنيَّة لإج، وسُرادق فارسٍ لائق تُخاط عليه شجرة دنك ونجمته الهاوية. *عشرة تنانين ستعني إوزًّا مشويًّا وأفخاذ خنازير وفطائر حمام.*

أضافَ السيْر أوثوْر وهو يُفرّغ رغيفه: «وتُوجَد فديات أيضًا للفائزين بمبارياتهم، وسمعتُ شائعةً تقول إنَّ بعض الرِّجال يُراهِن على المُثاقفات. اللوْرد بَتَرول ليس مغرمًا بالمجازفة، ولكن بين ضيوفه مَن يُراهِنون بمبالغ طائلة».

ما كادَ يتكلَّم حتى دخلَ آمبروْز بَتَرول مصحوبًا بجوقةٍ من الأبواق من شُرفة الموسيقيِّين. دفعَ دنك نفسه إلى النُّهوض مع البقيَّة إذ ا صطحبَ بَتَرول عروسه الجديدة المتأبِّطة ذراعه فوق بساطٍ مايري مزخرف إلى المنصَّة . الفتاة في الخامسة عشرة وحديثة الإزهار، والسيِّد زوجها في الخمسين وحديث التَّرمُّل، هي ورديَّة وهو رمادي. تحرَّكت مجرجرةً وراءها معطف العروس

المفصَّل بشرائط خضراء وبيضاء وصفراء متموّجة، وقد بدا ساخنًا وثقيلًا حتى إنَّ دنك تساءلَ كيف تحتمل ارتداءه. اللوْرد بَتَرول أيضًا بدا ساخنًا وثقيلًا بألغاده الغليظة وشعره الكتَّاني الذي يزحف عليه الصَّلع.

تبعَ أبو العروس ابنته من كثب ويده في يد ابنه الصَّغير. اللوْرد فراي سيِّد (المعبر) رجلٌ نحيف تبدو عليه الأناقة بالأزرق والرَّمادي، ووريثه صبيٌّ ضامر الذَّقن في الرَّابعة يتساقَط من أنفه المُخاط. بعد ذلك أتى اللوْردان كوْستيْن وريزلي مع السيِّدتيْن زوجتيْهما، وهما ابنتان للوْرد بَتَرول من زوجته الأولى. تبعَتهم بنات فراي مع أزواجهن، ثم أتى اللوْرد جوْرموْن پيك واللوْردان سمولوود وشاوني وعدَّةٌ من اللوْردات الأدنى شأنًا والفُرسان مُلَّاك الأراضي. بينهم لمحَ دنك كلًّا من چوْن الكمنجي وآلن كوْكشوْ، وقد بدا اللوْرد آلن مخمورًا رغم أنَّ المأدبة لم تبدأ فعليًّا بعدُ. بحلول الوقت الذي مشوا فيه جميعًا الهُوينى إلى المنصَّة، كانت المائدة العالية قد ازدحمَت مثلها مثل الدِّكك. جلسَ اللوْرد بَتَرول وعروسه فوق وسائد منتفخة محشوَّة بالرِّيش على عرشٍ مزدوج من السِّنديان المذهَّب، فيما زرعَ الباقون أنفُسهم في مقاعد طويلة ذات أذرُع فخمة النَّحت. على الحائط خلفهم عُلِّقَت من عوارض السَّقف رايتان ضخمتان: بُرجا عائلة فراي التَّوأمان، أزرق على رمادي، وشرائط آل بَتَرول الخضراء والبيضاء والصَّفراء.

وقعَ على عاتق اللوْرد فراي أن يقود الأنخاب، فبدأ ببساطة: «الملك!».

رفعَ السيْر جلندُن كوب نبيذه فوق حوض الماء، ليقرعه دنك بكوبه، وكذا كوب السيْر أوثوْر والبقيَّة أيضًا، ثم شربوا.

فيما يلي هتفَ فراي: «اللوْرد بَتَرول، مُضيفنا الأنيس، عسى أن يمنحه **الأب** طول العُمر وكثرة الأبناء».

وشربوا ثانيةً.

ـ «الليْدي بَتَرول، العروس العذراء، ابنتي الحبيبة، عسى أن تمنحها **الأم** الخصوبة»، وأعطى فراي الفتاة ابتسامةً مضيفًا: «سأريدُ حفيدًا قبل نهاية العام. سيطيب لي أكثر أن تُنجبي توأميْن، فأحسِني مخض الزُّبدة اللَّيلة يا حُلوتي».

دوَّى الضَّحك بين عوارض السَّقف، وشربَ الضُّيوف مرَّةً

أخرى من النَّبيذ الأحمر الغني الحُلو.

ثم قال اللوْرد فراي: «نخب يد الملك، برندن ريڤرز، عسى أن يُنير قنديل **العجوز** سبيله إلى الحكمة»، ورفعَ كأسه عاليًا وشربَ مع اللوْرد بَتَرول وعروسه والآخَرين فوق المنصَّة، أمَّا أسفل الملح فقد قلبَ السيْر جلندُن كوبه ليَسكُب محتوياته على الأرض.

علَّق ماينارد پلَم: «مضيعةٌ محزنة لنبيذٍ ممتاز».

ردَّ السيْر جلندُن: «لا أشربُ نخب قتَلة الأقربين. اللوْرد غُداف الدَّم مشعوذ ونغل».

أيَّده السيْر أوثوْر برفق: «وُلِدَ نغلًا»، ثم أتبعَ: «لكن والده الملوكي شرعنَه وهو راقدٌ يُحتضَر»، وشربَ بعُمق مثلما فعلَ السيْر ماينارد وكُثر آخَرون في القاعة، في حين خفضَ العدد نفسه تقريبًا الأكواب أو قلبَها على غرار بوْل. أمَّا دنك فأحسَّ بكوبه ثقيلًا في يده. تقول الأحجية: *كم عينًا للوْرد غُداف الدَّم؟ ألف عينٍ وعين.*

تبعَ النَّخبُ النَّخبَ، بعضها قدَّمه اللوْرد فراي وبعضها آخَرون. شربوا على شرف اللوْرد تَلي، سيِّد اللوْرد بَتَرول الأعلى الذي اعتذرَ عن حضور الزِّفاف، وشربوا في صحَّة ليوْ الشَّوكة الطَّويلة، سيِّد (هايجاردن) الذي يُشاع أنه مريض، وشربوا في ذكرى أمواتهم البواسل. فكَّر دنك متذكِّرًا: *أجل، يسرُّني أن أشرب نخبهم.*

قـدَّم السـيْر چون الكمنـجي النَّخـب الأخيـر: «إلى أخـويَّ الشُّـجاعيْن! أعلـمُ أنكمـا تبتسـمان اللَّيلـة!».

لـم ينـو دنـك أن يُسـرِف في الشُّـرب بسـبب المُثاقفـات الـتي سـتُقام غـدًا، لكـن الأكـواب مُلئَـت مـن جديـد بعـد كلّ نخـب، ووجـدَ أنـه عطشـان. ذات مـرَّة قـال لـه السـيْر آرلان: «إيـاكَ أن تَرفُـض كـوب نبيـذ أو قـرن مـزر، فقـد ينقـضي عـامٌ قبـل أن تـرى واحـدًا آخَـر». قال دنـك لنفسـه: *مـن قلَّـة الأدب ألَّا أشـرب نخـب العـروس والعريـس، ومـن الخطـر ألَّا أشـرب نخـب الملـك ويـده في وجـود كلّ هـؤلاء الأغـراب.*

مـن الرَّحمـة أنَّ الكمنـجي اختتـمَ الأنخـاب، ثـم نهـضَ الـلورد بَتَـرول بثقـلٍ ليَشكرهـم عـلى حضورهـم ويعدهـم بمُثاقفـاتٍ مثيـرة غـدًا. «فلتبـدأ المأدبـة!».

قُدِّمَت للمائدة العاليـة خنازيـر رضيعـة، وطـاووس مشـويٌّ بريشـه، وسـمكة كـراكي ضخمـة مغلَّفـة باللَّـوز المسـحوق. ولا لُقيمـة واحـدة مـن ذلـك كلِّه وصلَت إلى أسـفل الملح، فبدلًا مـن الخنازيـر الرَّضيعة قدَّمـوا لهـم لحـم خنزيـرٍ مملَّحًـا منقوعًـا في حليـب اللَّـوز ومفلـفلًا عـلى نحـوٍ سـار، وبـدلًا مـن الطَّـاووس وُضعَـت لهـم ديـوك مسـمَّنة حُمِّرَت حتى قرمشَت وصارَت بنِّيَّةً، وحُشيَت بالبصل والأعشاب والفطـر والكسـتناء المحمَّـص، وبـدلًا مـن الكـراكي أكلـوا قطعًـا

مفتَّتـةً مـن سـمك القُـد الأبيـض في لفائـف معجنـات، مع نـوع مـا مـن الصَّلصـة البنِّيَّـة اللَّذيـذة لـم يسـتطع دنـك تحديـده. بالإضافـة إلى ذلـك قُـدِّمَ ثريـد بـازلَّاء، ولفـت بالزُّبـدة، وجـزر مرشـوش بالعسـل، وجُبنـة بيضـاء قديمـة رائحتهـا قويَّـةٌ كرائحـة بِنـس صاحـب التُّـرس البـنِّي. أكلَ دنـك بشـهيَّة، وإن تسـاءلَ طـوال الوقـت عمَّـا يُعطونـه لإج في السَّـاحة، وعـلى سـبيل الاحتيـاط دسَّ نصـف ديـكٍ في جيـب

معطفه مع بعض كُتل الخبز وقليل من الجُبنة خبيثة الرَّائحة.

وفيما أكلوا ملأت المزامير والكَمنجات الهواء بأنغام طروب، وتحوَّل الكلام إلى مُثاقفات غد. «السيْر فرانكلن فرأي يتمتَّع بمقدار وافر من الاحترام على طول (الفرع الأخضر)». قالها أوثور أندرليف الذي يبدو أنه يعرف أولئك الأبطال المحلِّيِّين جيِّدًا. «هو ذا فوق المنصَّة، عمُّ العروس. لوكَس نِايلاند جاءَ من (مستنقع هاج) ولا يجب أن يُنتقَص قدره، أو قدر السيْر مؤرتمر بوجز ابن (رأس المخالب). بخلاف ذلك ستكون غالبًا دورةً لفُرسان أهالي البيوت وأبطال القُرى. كِربي پِم وجالتري الأخضر أفضل هؤلاء، ولو أنَّ لا هذا ولا ذاك ندٌّ لابن اللوْرد بَتَرول الصِّهر، توْم هِدل الأسود. شخصٌ مقيت. يُقال إنه فازَ بيد ابنة حضرة اللوْرد الكُبرى بقتل ثلاثة من خُطَّابها الآخَرين، وفي مرَّة أسقطَ سيِّد (كاسترلي رُك) من فوق حصانه».

سأَلَه السيْر مايِنارد: «مَن؟ اللوْرد تايبولت الشَّاب؟».

ـ «لا، الأسد الأشيب الرَّاحل، الذي ماتَ في الرَّبيع».

هكذا يتكلَّم النَّاس عمَّن قضوا نحبهم في الوباء الرَّبيعي العظيم: *ماتَ في الرَّبيع*. عشرات الألوف ماتوا في الرَّبيع، منهم ملكٌ وأميران وشابَّان.

قال كايل القطُّ: «لا تستخفَّ بالسيْر بوفرد بولوَر. الثَّور العجوز قتلَ أربعين رجلًا في (حقل العُشب الأحمر)».

علَّق السيْر مايِنارد: «وكلَّ عام يزداد العدد. أيَّام بولوَر ولَّت. انظُر إليه. تجاوزَ الستِّين، وسمينٌ وخرِع، وعينه اليُمنى في حُكم العمياء».

أتى صوتٌ من خلف دنك يقول: «لا تُتعِبوا أنفُسكم بالبحث في القاعة عن البطل. هأنذا أيُّها الفُرسان. متِّعوا أبصاركم».

التفتَ دنك ليجد السيْر چوْن الكمنجي مرتفعًا فوقه وعلى شفتيْه نصف ابتسامة. لدبليَّته الحرير البيضاء كُمَّان مُشرَّطا الحافات مبطَّنان بالسَّاتان الأحمر، طويلان إلى درجة أنَّ طرفيْهما يتدلَّيان متجاوزيْن رُكبتيْه، وقد التفَّت سلسلةٌ ثقيلة على صدره مطعَّمةً بأحجار جمشت داكنة ضخمة ينسجم لونها مع لون عينيْه. فكر دنك: *قيمة هذه السِّلسلة تُعادِل كلَّ ما أملك.*

قال السيْر جلندُن الذي صبغَ النَّبيذ وجنتيْه وألهبَ بثوره: «مَن أنت لتتبجَّح هكذا؟».

ـ «يدعونني بچوْن الكمنجي».

ـ «أأنت موسيقيٌّ أم مُحارب؟».

ـ «يتصادَف أني أستطيعُ تأليف أغانٍ عذبة بالرُّمح أو بقوس كمنجةٍ مصقول بالرَّاتنج. كلُّ زفافٍ يلزمه مغنٍّ، وكلُّ دورة مباريات يلزمها فارسٌ غامض. ألي أن أنضمَّ إليكم؟ بَتَرول تكرَّم وأجلسَني فوق المنصَّة، لكنني أفضِّلُ صُحبة زُملائي الفُرسان الجوَّالة على صُحبة السيِّدات العجائز المتورِّدات والرِّجال المسنِّين»، ثم ربَّت الكمنجي على كتف دنك بقوَّةٍ قائلًا: «كُن رفيقًا طيِّبًا وانزَح أيُّها السيْر دنكن».

انزاحَ دنكن معلِّقًا: «تأخَّرت على الطَّعام أيُّها السيْر».

ـ «لا يهمُّ. إنني أعرفُ مكان مطابخ بَتَرول. ما زالَ لديكم نبيذ على ما آملُ، أليس كذلك؟». تفوح من الكمنجي رائحة البرتقال والبنزهير، وتحتهما لمحةٌ من تابل شرقيّ غريب. جوز الطِّيب ربَّما. لا يدري دنك، فما الذي يعرفُه عنْ جوز الطِّيب؟

خاطبَ السيْر جلندُن الكمنجي: «تبجُّحك لا يليق».

ـ «حقًّا؟ عليَّ إذًا أن أتوسَّل مغفرتك أيُّها السيْر. لا يُمكن أن أرغب أبدًا في الإساءة لأيّ ابنٍ لكُرة النَّار».

أدهشَ هذا الشَّاب، وقال: «تعرف مَن أنا؟».

ـ «ابن أبيك على ما آملُ».

قال السيْر كايل القِطُّ: «انظُروا، فطيرة الزِّفاف».

دفعَها ستَّة صِبيان مطبخ من الباب فوق عربةٍ عريضة ذات عجلات. الفطيرة بنِّيَّة وقشريَّة وهائلة الحجم، ومن داخلها تَصدُر ضوضاء، صرير وصياح وخبطات مكتومة. هبطَ اللوْرد والليْدي بَتَرول من فوق المنصَّة للقائها ممسكيْن سيفًا، ولمَّا شقَّاها انبثقَ منها نصفمئة من الطُّيور التي طارَت في أرجاء القاعة. في مآدب زفافٍ أخرى حضرَها دنك حُشيَت الفطائر باليمام أو الطُّيور المغرَّدة، أمَّا هذه ففي داخلها طيور زرياب أزرق وقُبَّرة ومُحاكٍ، وحمام ويمام وعنادل، وعصافير بنِّيَّة صغيرة وببغاء أحمر ضخم.
قال السيْر كايل: «واحد وعشرون صنفًا من الطُّيور».

قال السيْر ماينارد: «واحد وعشرون صنفًا من زرق الطُّيور».

ـ «أنت صاحب قلبٍ خالٍ من الشَّاعريَّة أيُّها السيْر».

ـ «أنت على كتفك خراء».

تنشَّق السيْر كايل منظِّفًا غلالته، وقال: «هذه هي الطَّريقة السَّليمة لحشو الفطائر. الفطيرة ترمز إلى الزَّواج، والزَّواج الحقيقي فيه شتَّى الأشياء، الفرح والحُزن، الألم والمسرَّة، الحُب والشَّهوة والإخلاص. من اللَّائق إذًا أنَّ في هذه طيورًا من أصنافٍ عدَّة. لا أحد يعرف حقًّا ما ستجلبه له زوجةٌ جديدة».

قال بِلَم: «فرجها، وإلَّا فما الجدوى؟».

دفعَ دنك نفسه لينهض عن المائدة قائلًا: «أحتاجُ إلى نسمة هواء». ما يحتاج إليه هو التَّبوُّل في الحقيقة، ولكن في صُحبةٍ ممتازة كهذه من الأحسن أدبًا أن يتكلَّم عن الهواء. «أرجو أن تَعذُروني».

قال الكمنجي: «أسرِع بالعودة أيُّها السيْر. يُوجَد عرض حواة، ولست تُريد أن يفوتك الإضجاع».

في الخارج راحَت ريح اللَّيل تلعق دنك كألسنة وحشٍ عظيم، وبدا أنَّ أرض السَّاحة التُّرابيَّة الصُّلبة تتحرَّك تحت قدمَيْه... أو يجوز أنه هو الذي يترنَّح.

نُصِبَ مضمار النِّزال في مركز السَّاحة الخارجيَّة، وبُنيَت مدرَّجات مشاهدة خشبيَّة من ثلاثة صفوف أسفل الأسوار، لكي يجلس اللوْرد بَتَرول وضيوفه النُّبلاء محتمين بالظِّلِّ فوق مقاعدهم الموسَّدة. عند طرفَي المضمار خيامٌ سيرتدي فيها الفُرسان دروعهم، ورفوف من رماح المباريات الجاهزة. عندما رفعَت الرِّيح الرَّايات لحظةً تناهَت إلى أنف دنك رائحة الجير المطلي به حاجز النِّزال. انطلقَ يبحث عن السَّاحة الدَّاخليَّة. عليه أن يُفتِّش عن إج ويبعث بالغُلام إلى قيِّم المباريات ليُدرِج اسمه في قوائم النِّزال، فهذا واجب المُرافق.

على أنَّ (الجُدران البيضاء) غريبةٌ عليه، وبطريقةٍ ما ضلَّ دنك طريقه. ألفى نفسه خارج الأوجرة، حيث اشتمَّت كلاب الصَّيد رائحته وبدأت تنبح وتعوي. *تُريد تمزيق حلقي، أو إنها تُريد الدِّيك الذي في معطفي.* عادَ أدراجه من حيث أتى مارًّا بالسِّپت، ومرَّت به امرأةٌ تجري متقطِّعة الأنفاس ضحكًا، يُطاردها فارسٌ أصلع بحماسة. ظلَّ الرَّجل يَسقُط إلى أن عادَت المرأة مضطرَّةً في النِّهاية وساعدَته على القيام. فكر دنك: *حريٌّ بي أن أنسل إلى داخل السِّپت وأدعو* **السَّبعة** *أن يجعلوا هذا الفارس خصمي الأوَّل*، لكن سؤالًا كذلك كان سيخلو من الورع. *ما يلزمني حقًا بيت خلاء* **لا** *بيت دُعاء.* على مقربة منه رأى بعض الشُّجيرات تحت سلالم حجريَّة باهتة. *ستَصلُح.* تلمَّس طريقه خلفها وحلَّ أربطة بنطاله. كانت مثانته ممتلئةً إلى حدِّ الانفجار، ودرَّ البول ودرَّ.

في مكانٍ ما فوقه انفتحَ باب. سمعَ دنك خُطوات أقدام على الدَّرجات واحتكاك أحذيةٍ بالحجر. «... مأدبة الشحَّاذينَ التي فرشتها أمامنا. من غير الفولاذ الأليم...».

قال صوتٌ مألوف بإصرار: «فليُنَك الفولاذ الأليم. لا نغل أهلٌ للثِّقة، حتى هو. ستجلبه بضعة انتصاراتٍ عبر الماء بالسُّرعة المنشودة».

ـ *اللورد بيك*. حبسَ دنك أنفاسه... وبوله.

ـ «الكلام عن الانتصارات أسهل من إحرازها». للمتحدِّث صوتٌ أعمق من صوت بيك؛ قعقعةٌ جهيرة لها سمتٌ غاضب. «صاحب الدَّم اللَّبني العجوز توقَّع أنه مع الفتى، وكذا سيتوقَّع الباقون كلُّهم. الكلام المزوَّق والظَّرافة لا يُعوِّضان ذلك».

ـ «من شأن تنّين أن يُعوِّضه. الأمير مصرٌّ أنَّ البيضة ستفقس. لقد حلمَ بهذا، تمامًا كما حلمَ من قبل بموت أخويْه. سيجني لنا تنّينٌ حيٌّ كلَّ السُّيوف التي نُريدها».

ـ «التنّين شيء والحُلم شيء آخَر. أؤكِّدُ لك أنَّ غُداف الدَّم ليس مستغرقًا في الأحلام. يلزمنا مُحارب لا حالم. هل الفتى ابن أبيه؟».

ـ «ما عليك إلَّا أن تُؤدِّي دورك كما وعدت ودعني أنا أقلقُ بهذا الشَّأن. بمجرَّد أن نحظى بذهب بَتَرول وسيوف عائلة فراي ستتبعهما (هارنهال)، ثم آل براكن. أوثِقُ يعلم أنَّ لا أمل له في الوقوف...».

خفتَ الصَّوتان إذ ابتعدَ المتكلِّمان، وعادَ البول يدرُّ. نفضَ دنك قضيبه ثم عادَ يعقد أربطة بنطاله متمتمًا: «ابن أبيه. عمَّن يتكلَّمان؟ ابن كُرة النَّار؟».

عند خروجه من تحت السَّلالم كان اللوردان قد عبرا السَّاحة إلى جانبها الآخَر. كادَ دنك يُناديهما ليجعلهما يُظهِران وجهيْهما، إلَّا أنه عدلَ عن ذلك. إنه بمفرده وأعزل، ونصف سكران علاوةً على ذلك. *أكثر من نصف ربَّما*. وقفَ في مكانه مقطِّبًا هُنيهةً، ثم استدارَ عائدًا إلى القاعة.

في الدَّاخل قُدِّمَ الطَّبق الأخير وبدأ اللَّهو. عزفَت واحدةٌ من بنات اللوْرد فراي «قلبان ينبضان كواحد» على القيثارة السَّامية بمنتهى الرَّداءة، وتبادلَ بعض الحُواة قذف مشاعل موقدة لبعض وقتًا، وأدَّى بعض البهلوانات العجلة الدوَّارة في الهواء. بدأ ابن شقيق اللوْرد فراي يُغنِّي «الدُّب، الدُّب، والفتاة الحسناء» فيما دقَّ السيْر كربي بِم الإيقاع على المائدة بملعقة خشبيَّة، وانضمَّ إليهما آخَرون إلى أن صارَت القاعة كلُّها تهدر: «*دُب! دُب! كلُّه أسود وبنِّي ويُغطِّيه شعرٌ أزب!*». غابَ اللوْرد كازول عن الوعي وهو جالسٌ إلى المائدة ليَسقُط وجهه في بِركة من النَّبيذ، وأجهشَت الليْدي ڤيرول بالبُكاء، ولو أنَّ أحدًا لم يُدرِك بالضَّبط سبب غمِّها.

وطوال الوقت ما انفكَّ النَّبيذ يتدفَّق. أفسحَت خمور (الكرمة) الحمراء الغنيَّة الطَّريق لأصناف محلِّيَّة، أو هكذا قال الكمنجي، فالحقيقة أنَّ دنك لم يستطع التَّمييز. وقُدِّمَ هبقراط[١٥] أيضًا،

---

١٥ - الهبقراط Hippocras: شراب من النَّبيذ المحلَّى والمتبَّل، ابتكرَه أبو الطِّب أبقراط وسُمِّيَ باسمه. (المترجم).

ووجبَ أن يُجرّب منه كوبًا. *قد ينقضي عامٌ قبل أن أشرب واحدًا آخَر*. بدأ الفُرسان الجوَّالة الآخَرون ـ وجميعهم أشخاصٌ لطاف ـ يتكلَّمون عن النِّساء اللاتي عرفوهن، فوجدَ دنك نفسه يتساءَل أين تانسل الليلة. أمَّا الليدي رؤهان فيعلم يقينًا أين هي... في الفِراش بـ(قلعة الخندق البارد) وبجانبها السيْر يوستس الشَّيخ، وهكذا حاولَ ألَّا يُفكِّر فيها. *هل تُفكِّران فيَّ أبدًا*؟

قُوطعَت تأمُّلاته المحزونة بوقاحة عندما انبثقَت من بطن خنزير خشبيّ بعجلات فِرقةٌ من الأقزام المطليّين بالألوان أخذواً يُطاردوُن مهرّج اللوْرد بَتَرول حول الموائد ويُوسعونه ضربًا بمثانات خنازير منفوخة تُصدِر أصواتًا فجَّةً كلَّما أصابَت ضربةٌ هدفها، وهو أطرف شيءٍ رآه دنك منذ سنوات، وقد ضحكَ مع الآخَرين كلِّهم. أُخِذَ ابن اللوْرد فِراي بهذه الطَّرائف إلى درجة أنه اشترك فيها وراحَ يضرب ضيوف الزِّفاف بمثانةٍ استعارَها من أحد الأقزام. للطِّفل أشدُّ ضحكة مزعجة سمعَها دنك على الإطلاق، ضحكة عالية حادَّة شبيهة بالفواق جعلَته يُريد أن يأخذ الصَّبي على رُكبته ليصفعه على مؤخِّرته أو يرميه في بئر. *إذا ضربَني بتلك المثانة فقد أفعلها*. فيما مرَّ بهم الطِّفل السَّخيف ضامر الذَّقن صارخًا، قال السيْر ماينارد: «ها هو ذا الصَّغير الذي أدىً إلى حدوث هذه الزّيجة».

ـ «كيف؟». ألقى الكمنجي السُّؤال رافعًا كوبه الخالي، فملأه خادمٌ مار.

نظرَ السيّر ماينارد نظرةً عابرةً نحو المنصَّة حيث تُطعم العروس زوجها كرزًا، وأجابَ: «حضرة اللوْرد لن يكون أوَّل مَن يدهن تلك البسكويتة بالزُّبدة. عروسه قطفَ زهرتها عامل مطبخ في (التَّوأمتيْن) حسبما يقولون. اعتادَت أن تتسلَّل إلى المطابخ لتُقابله، وللأسف في ليلةٍ تسلَّل أخوها الصَّغير هذا في أعقابها، ولمَّا رآهما متلاحميْن أطلقَ صرخةً، فهرعَ الطَّهاة والحرس مقبلين ليجدوا ستِّي وصبيَّها غسَّال القدور يتجامَعان فوق لوح الرُّخام الذي يفرد عليه الطبَّاخ العجين، كلاهما عارٍ كيوم ميلاده ويُغطّيه بالدَّقيق من رأسه إلى قدميْه».

فكِّر دنك: *لا يُمكن أنَّ ذلك صحيح*. اللوْرد بَتَرول يملك أراضيَ شاسعةً وقدورًا من الذَّهب الأصفر، فلِمَ يتزوَّج فتاةً لوَّث شرفها عامل مطبخ ويتخلَّى عن بيضة التنِّين التي يملكها احتفالًا بالقران؟ آل فرِّاي سادة (المعبر) ليسوا أنبل من آل بَتَرول. إنهم يملكون جسرًا بدلًا من البقر، وهذا هو الفرق الوحيد. *يا للوْردات. مَن يقدر على فهمهم أبدًا*؟ أكلَ دنك قليلًا من المكسَّرات وتفكَّر في ما سمعَه وهو يتبوَّل. *دنك السَّكران، ماذا تحسب نفسك سمعت*؟ شربَ كوبًا آخَر من الهبقراط بما أنَّ طعم الأوَّل راقَه جدًّا، ثم وضعَ رأسه فوق ذراعيْه المطويَّتيْن وأغلقَ عينيْه لحظةً فقط ليُريحهما من الدُّخان.

***

حين فتحَهما ثانيةً ألفى نصف ضيوف الزِّفاف على أقدامهم يصيحون: «*أضجِعوهما! أضجِعوهما!*»، يُصدِرون جلبةً عظيمةً أيقظَت دنك من حُلم بهيج تضمَّن تانسل مديدة القامة والأرملة الحمراء. دوَّى الهتاف: «*أضجِعوهما! أضجِعوهما!*»، واعتدلَ دنك جالسًا وفركَ عينيْه.

كان السيْر فرانكلن فراي يُطوِّق العروس بذراعيْه ويحملها على الممشى مُحاطًا بجمهرةٍ من الرِّجال والصِّبية، في حين حاصرَت ليْديهات المائدة العالية اللوْرد بَتَرول، وقد بدا أنَّ الليْدي ڤيرول تعافَت من كربها وتُحاول جذب حضرة اللوْرد من فوق مقعده، فيما تحلُّ إحدى بناته أربطة حذائه وتخلع امرأةٌ ما من آل فراي غلالته. أخذَ بَتَرول يُلوِّح بذراعيْه لهن بلا جدوى ويضحك، ورأى دنك أنه سكران، وأنَّ السيْر فرانكلن أشدُّ سُكرًا... سكران إلى درجة أنه كادَ يُوقع العروس. قبل أن يُدرِك دنك ما يَحدُث بالضَّبط، سحبَه چوْن الكمنجي حتى وقفَ، وصاحَ: «هنا! دعوا العملاق يحملها!».

وإذا به يصعد سلالم بُرج والعروس تتلوَّى بين ذراعيْه. كيف استطاعَ البقاء على قدميْه فهذا شيء يتعدَّى قُدرته على الاستيعاب. الفتاة لم تَسكن لحظةً، والرِّجال تحلَّقوا حوله من كلِّ جانب مُلقين بدُعاباتٍ مقذعة عن تغطيتها بالدَّقيق وعجنها جيِّدًا قبل أن ينزعوا ثيابها. وانضمَّ إليهم الأقزام أيضًا، فاحتشَدوا حول ساقَي دنك صائحين ضاحكين ضاربين ربلتَيه بمثاناتهم، ليبذل غاية جهده لكيلا يتعثَّر فيهم.

لم يملك فكرةً عن موقع غُرفة نوم اللوْرد بَتَرول، لكن الرِّجال الآخَرين دفعوه وحثُّوه إلى أن بلغَها، وعندئذٍ كانت العروس محمرَّة الوجه وتُكركِر وعاريةً إلَّا من فردة الجورب الطَّويل على ساقها اليُسرى، التي نجَت بوسيلةٍ ما من رحلة الصُّعود. دنك أيضًا اصطبغَ وجهه بالقرمزي، وليس من المجهود.

لاتَّضح تهيُّجه لو أنَّ أحدًا نظرَ إليه، إلَّا أنَّ العيون كلَّها ركَّزت لحُسن الحظِّ على العروس. لا تُشبِه الليْدي بَتَرول تانسل إطلاقًا، لكن وجود إحداهما تتلوَّى شبه عاريةٍ بين ذراعيْه حدا بدنك إلى التَّفكير في الأخرى. *تانسل مديدة القامة اسمها، لكنها لم تكن في نظري مديدة القامة*. تساءلَ هل سيَعثُر عليها يومًا. لقد مرَّت عليه ليالٍ حسبَ فيها أنها بالتَّأكيد ليست إلَّا من بنات أحلامه. *لا أيُّها الأنوَك، لقد حلمت فقط أنك أعجبتَها*.

لمَّا وجدَ غُرفة نوم اللوْرد بَتَرول وجدَها واسعةً باذخةً. تُغطِّي الأرضيَّة بُسط مايريَّة، وتشتعل مئة شمعةٍ معطَّرة في الزَّوايا والأركان، وتقف بجوار الباب بِزَّة مدرَّعة مطعَّمة بالذَّهب والجواهر، وللغُرفة أيضًا مرحاضها الخاص المبني في تجويفٍ حجريٍّ صغير في الجِدار الخارجي.

عندما رمى دنك العروس فوق فِراش الزَّوجيَّة أخيرًا، قفزَ قزمٌ إلى جوارها وأطبقَ على أحد ثدييْها لأجل قليل من المداعبة الشَّهوانيَّة، فأطلقَت الفتاة صرخةً حادَّةً، وانفجرَ الرِّجال يضحكون، وقبضَ دنك على القزم من ياقته ورفعَه عن ستِّي ورجلاه تَركُلان. حملَ دنك الرَّجل الصَّغير عبر الغُرفة ليُلقي به من الباب، وعندئذٍ رأى بيضة التنِّين.

وضعَها اللوْرد بَتَرول على وسادةٍ مخمليَّة سوداء فوق قاعدة عمودٍ من الرُّخام. أكبرُ هي كثيرًا من بيضة دجاجة، ولكن ليس إلى الحدِّ الذي تخيَّله، وتُغطِّي سطحها حراشف حمراء ناعمة تلتمع كالجواهر في ضوء المصابيح والشُّموع. أسقطَ دنك القزم والتقطَ البيضة ليتحسَّسها لحظةً فقط، فألفاها أثقل ممَّا توقَّع. *يُمكنك أن تُحطِّم بها رأس رجلٍ من غير أن تنكسر القشرة نهائيًّا.* الحراشف ملساء تحت أصابعه، والأحمر الغنيُّ العميق بدا كأنَّما يتوهَّج إذ أدارَ البيضة بين يديْه. فكَّر: *دمٌ ولهب*، غير أنَّ فيها أيضًا شذراتٍ من الذَّهبي، ودوَّاماتٍ من أسود منتصف اللَّيل.

ـ «أنت يا هذا! ماذا تحسب نفسك فاعلًا أيُّها السيْر؟». كان فارسٌ لم يتعرَّف عليه يرميه بنظراتٍ ناريَّة، رجلٌ كبير الحجم ذو لحيةٍ فاحمة ودمامل، لكن الصَّوت هو ما جعلَه يُحدِّق، صوتٌ عميق غلَّظه الغضب. *إنه هو، الرَّجل الذي كان مع بيك*. أدركَ دنك هذا والرَّجل يقول: «ضعها في مكانها. سأشكرك إذا أبعدت أصابعك الملوَّثة بالدُّهن عن كنوز حضرة اللوْرد، وإلَّا فأقسمُ **بالسَّبعة** أن تتمنَّى لو أنك فعلت».

لا يُقارِب الفارس دنك في السُّكر، ولذا بدا من الحكمة أن يفعل كما قال، فعادَ بِضع البيضة على وسادتها بمنتهى الحرص، ومسحَ أصابعه على كُمِّه. «لم أقصد أذًى أيُّها السيْر». *دنك الأنوك، غليظ العقل كسور قلعة*. ثم إنه اندفعَ متجاوزًا ذا اللِّحية السَّوداء وخرجَ من الباب.

سمعَ ضوضاء في بئر السُّلَّم، صياحًا مرحًا وضحكاتٍ بناتيَّةً. النِّساء يجلبن اللوْرد بَتَرول إلى عروسه. لم يرغب دنك في لقائهم، وبدلًا من النُّزول صعدَ ليجد نفسه فوق سطح البُرج تحت النُّجوم، والقلعة الشَّاحبة تَبرُق من حوله في نور القمر.

دوَّر النَّبيذ رأسه، فاستندَ إلى دريئةٍ متسائلًا: *هل سأتقيَّأ؟* لماذا لمسَ بيضة التنِّين؟ تذكَّر عرض عرائس تانسل والتنِّين الخشبيَّ الذي بدأ المتاعب كافَّةً هناك في (آشفرد)، وأشعرَته الذِّكرى بالذَّنب كما يَحدُث على الدَّوام. *ثلاثة رجال صالحين ماتوا في سبيل إنقاذ قدم فارس جوَّال.* شيء لا يُعقَل، ولم يُعقَل قطُّ. *تعلَّم درسًا من هذا أيُّها الأنوَك. ليس لأمثالك أن يعبثوا مع التَّنانين وبيضها.*

ـ «تكاد تبدو مبنيَّةً بالثَّلج».

التفتَ دنك ليرى چون الكمنجي واقفًا وراءه، يبتسم مرتديًا الحرير وقُماش الذَّهب. «ما المبنيُّ بالثَّلج؟».

ـ «القلعة. كلُّ هذه الأحجار البيضاء في ضوء القمر. هل ذهبت شمال (العُنق) من قبل يا سيِّر دنكن؟ يُقال لي إنَّ الثُّلوج تَسقُط هناك حتى في الصَّيف. هل رأيت (الجِدار) يومًا؟».

ـ «لا يا سيدي». *لماذا يتكلَّم عن (الجِدار)؟* «كانت تلك وجهتنا أنا وإج، شمالًا إلى (وينترفل)».

ـ «ليتني أستطيعُ الانضمام إليكما. يُمكنك أن تُريني الطَّريق».

قطَّب دنك جبينه قائلًا: «الطَّريق؟ إنها على (طريق الملوك) مباشرةً. إذا ظللت على الطَّريق وواصلت التَّقدُّم شمالًا فلا يُمكن أن تفوتك».

ضحكَ الكمنجي وقال: «أظنُّ... ولو أنَّ الأشياء التي تفوت بعض النَّاس قد تُدهشك»، وتقدَّم إلى الدَّريئة جائسًا ببصره في أنحاء القلعة. «يقولون إنَّ أولئك الشَّماليِّين قومٌ همجيُّون، وغاباتهم ملأى بالذِّئاب».

ـ «سيدي؟ لماذا صعدت إلى هنا؟».

ـ «آلِن كان يبحث عني ولم أُرِد أن يُعثَر عليَّ. إنه مضجرٌ عندما يشرب، هكذا آلِن. رأيتك تنسلُّ من غُرفة نوم الأهوال تلك وانسللتُ وراءك. لقد شربتُ كثيرًا جدًّا من النَّبيذ، أقرُّ لك، ولكن ليس ما يكفي لمواجهة بَتَرول وهو عارٍ». أعطى الكمنجي دنك ابتسامةً غامضةً مُردفًا: «لقد حلمتُ بك يا سيِّر دنكن، من قبل أن ألقاك حتى. حين رأيتك على الطَّريق تعرَّفتُ على وجهك من فوري. كأننا صديقان قديمان».

راودَ دنك عندئذٍ إحساسٌ في غاية الغرابة، كأنه عاشَ هذا الموقف كلَّه من قبل. *حلمتُ بك، قال. أحلامي ليست كأحلامك أيُّها السيِّر دنكن. أحلامي أنا صحيحة.* قال بصوتٍ أثقلَه النَّبيذ: «حلمت بي؟! أيَّ نوعٍ من الأحلام؟».

أجابَ الكمنجي: «حلمتُ أنك تلبس أبيض على أبيض من رأسك إلى قدميْك، ومن فوق هاتيْن الكتفيْن العريضتيْن يسترسل معطفٌ باهت طويل. كنتَ سيفًا أبيض أيُّها السيِّر، أخًا محلَّفًا في الحرس الملكي، أعظم فُرسان في (الممالك السَّبع) بأسرها، ولم تعِش لغايةٍ إلَّا حراسة مليكك وخدمته وإرضاءه»، ووضعَ يده على كتف دنك مضيفًا: «أنت حلمت الحُلم نفسه، أعلمُ أنك فعلت».

ولقد فعلَ، صحيح. *لمَّا تركَني العجوز أمسكُ سيفه للمرَّة الأولى.* «كلُّ صبيٍّ يَحلُم بالخدمة في الحرس الملكي».

ـ «غير أنَّ سبعة صِبية فقط يكبَرون ليرتدوا المعطف الأبيض. هل سيسرُّك أن تكون واحدًا منهم؟».

ـ «أنا؟». بهزَّةٍ من كتفه أزاحَ دنك يد اللوْرد الصَّغير التي بدأت تُدلِّكها. «يجوز. أو لا يجوز». فُرسان الحرس الملكي يخدمون مدى الحياة ويُقسِمون ألَّا يتَّخذوا زوجةً أو يملكوا أراضيَ. *قد أعثرُ على تانسل يومًا ما. لِمَ لا تكون لي زوجةً وأبناء؟* «لا يهمُّ ما أحلمُ به. ملكٌ فقط مَن يستطيع أن يرفع فارسًا إلى الحرس الملكي».

ـ «معنى ذلك إذًا في ظنِّي أنه يجب أن آخذ العرش. أوثرُ أن أعلِّمك العزف على الكمنجة».

ـ «أنت سكران». *وفي مرَّةٍ عيَّر الغُراب الغُداف بسواده.*

ـ «سكران أروع سُكر. النَّبيذ يجعل الأشياء كلَّها ممكنةً يا سيْر دنكن. ستبدو كإلهٍ بالأبيض على ما أظنُّ، ولكن إذا لم يُناسِبك اللَّون فلعلَّك تُفضِّل أن تكون لوْردًا؟».

ضحكَ دنك في وجهه، وردَّ: «لا، أفضِّلُ أن ينبت لي جناحان أزرقان كبيران وأطير. هذا سيٌّ ذاك».

ـ «الآن تسخر مني. الفارس الحقيقي لا يسخر من مليكه أبدًا». حملَ صوت الكمنجي وقعًا جريحًا. «آملُ أن تضع مزيدًا من الإيمان في ما أخبرك به حينما ترى التنِّين يَخرُج من البيضة».

ـ «هل سيَخرُج تنّين؟ تنين حي؟ هنا؟».

ـ «هكذا حلمتُ. هذه القلعة البيضاء الباهتة، أنت، تنّين ينبثق من بيضة، حلمتُ بهذا كلّه، تمامًا كما حلمتُ من قبل بموت أخويَّ. كانا في الثّانية عشرة وأنا في السّابعة فقط، ولذا ضحكا مني، وماتا. إنني في الثّانية والعشرين الآن، وأثقُ بأحلامي».

كان دنك يتذكّر دورة مباريات أخرى، يتذكّر سيره تحت الأمطار الرَّبيعيَّة الخفيفة مع أميرٍ صغير آخَر. يومها قال له ديْرون أخو إج: *حلمتُ بك وبتنّين ميت، وحش عظيم، هائل، جناحاه كبيران إلى درجة تغطية هذا المرج. سقطَ التنّين فوقك، لكنك ظللت حيًّا وماتَ التنّين.* وقد ماتَ فعلًا، بيْلوْر المسكين. الأحلام أرضٌ لا تُؤتمَن للبناء. قال للكمنجي: «كما تقول يا سِيدي. أرجو أن تَعذُرني».

ـ «أين ستذهب أيُّها السيْر؟».

ـ «إلى فِراشي لأنام. إنني سكران كالكلاب».

ـ «كُن كلبي أيُّها السيْر. اللَّيلة زاخرةٌ بالوعود. يُمكننا أن نعوي معًا ونُوقِظ الآلهة أنفُسها».

ـ «ماذا تُريد مني؟».

ـ «سيفك. أريدُ أن أجعلك رجلي وأرفعك عاليًا. أحلامي لا تكذب يا سيْر دنكن. سوف تحظى بذلك المعطف الأبيض، ويجب أن أحظى أنا ببيضة التنِّين، يجب! أحلامي جعلَت هذا بيِّنًا. قد تفقس البيضة، وإلَّا...».

من ورائهما انفتحَ الباب بخبطةٍ عنيفة. «ها هو ذا يا سيِّدي». خطا زوجان من الرِّجال المسلَّحين على السَّطح، وخلفهما مباشرةً اللوْرد جوْرموْن بيك.

ـ «جوْرمي!». قالها الكمنجي متشدِّقًا بالكلمة. «ماذا تفعل في غُرفة نومي يا سيِّدي؟».

ردَّ اللوْرد جوْرموْن: «إنه سطحٌ أيُّها السيْر، وأنت أفرطت في شُرب النَّبيذ»، ثم أشارَ بحدَّةٍ ليتقدَّم الحارسان. «اسمح لنا بمساعدتك على الذّهاب إلى فِراشك. ستخوض مُثاقفاتٍ غدًا، تذكَّر من فضلك. من شأن كِربي بِم أن يُثبِت أنه خصمٌ خطير».

ـ «أملتُ أن أثاقف السيْر دنكن الكريم».

حدجَ بيك دنك بنظرةٍ خالية من التَّعاطُف قائلًا: «لاحقًا ربَّما. في مُثاقفتك الأولى رسَت قُرعتك على السيْر كِربي بِم».

ـ «إذًا يجب أن يَسقُط بِم! وكذا جميعهم! الفارس الغامض يغلب المتحدّين كلَّهم، وفي أثره تَرقُص الأعاجيب». أمسكَ أحد الحارسيْن الكمنجي من ذراعه، ونادى الرَّجل والاثنان يُساعِدانه على نزول السَّلالم: «سيْر دنكن، يبدو أنَّ فراقنا لازم».

وحده اللوْرد جوْرموْن بقيَ فوق السَّطح مع دنك، وقد دمدمَ: «أيُّها الفارس الجوَّال، ألم تُعلِّمك أمُّك قَطُّ ألَّا تمدَّ يدك في فم التنّين؟».

ـ «لم أعرف أمّي قَطُّ يا سِيدي».

ـ «وهو ما يُفسِّر الأمر. بِمَ وعدَك؟».

ـ «لوْرديَّة. معطف أبيض. جناحيْن أزرقيْن كبيريْن».

ـ «إليك وعدي أنا: ثلاثة أقدام من الفولاذ البارد مغروزة في بطنك إذا ذكرت كلمةً عمَّا حدثَ الآن».

هزَّ دنك رأسه ليُصفّي عقله، ولم يبدُ أنَّ ذلك أجداه نفعًا. انحنى حتى خصره، وأفرغَ معدته.

تناثرَ شيء من القيء على قدم پيك، وأطلقَ اللوْرد سبَّةً وزعقَ باشمئزاز: «يا للفُرسان الجوَّالة. لا مكان لك هنا. لا فارس حقيقيًّا يَنقُصه الأدب إلى درجة مجيئه بلا دعوة، ولكن أنتم يا مخلوقات الأسوجة...».

ـ «ليس مرغوبًا فينا في أيّ مكانٍ ونظهر في كلِّ مكان». مدَّ النَّبيذ دنك بالجرأة، وإلَّا لأمسكَ لسانه. مسحَ فمه بظهر يده.

ـ «حاوِل أن تتذكَّر ما أخبرتك به أيُّها السيّر. سيَحدُث لك ما لا تُحمَد عُقباه إذا لم تفعل». نفضَ اللوْرد پيك القيء عن حذائه، ثم رحلَ.

عادَ دنك يستند إلى الدَّريئة متسائلًا مَن أشدُّهما جنونًا، اللوْرد جوْرموْن أم الكمنجي.

لدى عودته إلى القاعة وجدَ ماينارد پلَم فحسب باقيًا من أصحابه، وقد أرادَ الرَّجل أن يعرف: «أرأيتم على ثدييْها أيَّ دقيقٍ عندما خلعتهم ثيابها التَّحتيَّة؟».

هزَّ دنك رأسه نفيًا، وصبَّ لنفسه كوب نبيذٍ آخَر وتذوَّقه، ثم قرَّر أنه شربَ ما يكفي.

***

وجدَ وُكلاء بَتَرول غُرفًا في الحصن للوْردات والليْديهات، وأفرشةً في الثُّكنات لحشمهم، أمَّا بقيَّة الضُّيوف فلهم اختيار سريرٍ قش في القبو أو بُقعةٍ من الأرض تحت الأسوار الشَّماليَّة لنصب سُرادقاتهم. الخيمة المفصَّلة من قُماش الأشرعة التي حصلَ عليها دنك في (السِّبت الحجري) لا تُعَدُّ سُرادقًا، لكنها تقي من المطر والشَّمس.

ما زالَ بعض جيرانه مستيقظًا، تتوهَّج حوائط سُرادقاتهم الحرير كقناديل ملوَّنة في سواد اللَّيل. من داخل سُرادق أزرق مغطًّى بعبَّاد الشَّمس تَصدُر ضحكات، ومن واحدٍ مخطَّط بالأبيض والأرجواني أصواتُ الحُبّ. كان إج قد ضربَ خيمتهما بعيدًا بعض الشَّيء عن الأخريات، وقد شُكِلَ ميْستر والحصانان على مقربة، وكُوّمَت أسلحة دنك ودرعه بعناية قُبالة سور القلعة. عندما انسلَّ إلى داخل الخيمة وجدَ مُرافقه يجلس مربّعًا ساقيْه بجوار شمعة، يلمع رأسه وهو يُدقِّق النَّظر إلى صفحات كتاب.

ـ «القراءة على ضوء الشُّموع ستُعميك». تظلُّ القراءة عند دنك لُغزًا رغم أنَّ الولد حاولَ تعليمه.

ـ «أحتاجُ إلى ضوء شموعٍ لأرى الكلمات أيُّها السيْر».

ـ «أتُريد لطمةً على الأذن؟ ما هذا الكتاب؟». رأى دنك ألوانًا زاهيةً في الصَّفحة، تراسًا صغيرةً مرسومةً تختبئ وسط الحروف.

ـ «لائحة شعارات أيُّها السيْر».

ـ «تبحث عن الكمنجي؟ لن تجده. إنهم لا يضعون فُرسانًا جوَّالةً في تلك اللَّوائح، بل اللؤردات والأبطال فقط».

ـ «لم أكن أبحثُ عنه. لقد رأيتُ بعض الرُّموز الأخرى في السَّاحة... اللؤرد سندرلاند هنا أيُّها السيْر. إنه يحمل رؤوس ثلاث سيِّداتٍ شاحبات على شرائط خضراء وزرقاء متموِّجة».

ـ «رجلٌ من (الأخوات)؟ حقًّا؟». (الثَّلاث أخوات) جُزر في (الخليج النَّاهش)، وقد سمعَ دنك سِبتوْنات يقولون إنَّ تلك الجُزر جحورٌ للخطيئة والجشع. (بلدة الأخوات) أسوأ وكرٍ للمهرّبين سُمعةً في (وستروْس) بأكملها. «لقد سافرَ مسافةً طويلةً. لاَ بُدَّ أنه قريبٌ لعروس بَتَرول الجديدة».

ـ «ليس كذلك أيُّها السيْر».

قال دنك: «إذًا فقد جاءَ من أجل المأدبة. إنهم يأكلون السَّمك في (الثَّلاث أخوات)، أليس كذلك؟ المرء يملُّ السَّمك. هل أكلت ما يكفي؟ جلبتُ لك نصف ديكٍ وقليلًا من الجُبنة»، ومدَّ يده يُنقِّب في جيب معطفه.

ـ «أطعَمونا ضلوعًا أيُّها السيْر». قالها إج وأنفه مدفونٌ في الكتاب. «اللوْرد سندرلاند قاتلَ في سبيل التنّين الأسود أيُّها السيْر».

ـ «مثل السيْر يوستس العجوز؟ إنه لم يكن بذلك السُّوء، أليس كذلك؟».

قال إج: «نعم أيُّها السيْر، ولكن...».

بينما يَذخُر دنك الطَّعام مع خُبزهما الجامد ولحمهما المملَّح قال: «لقد رأيتُ بيضة التنّين. معظمها أحمر. هل يملك اللوْرد غُداف الدَّم بيضة تنّينٍ أيضًا؟».

خفضَ إج كتابه قائلًا: «ولِمَ؟ إنه وضيع المولد».

ـ «نغلٍ المولد لا وضيع المولد». غُداف الدَّم وليد سِفاح، لكنه نبيلٌ من كلتا الجهتيْن. أوشكَ دنك أن يحكي لإج عن الرَّجليْن اللذيْن سمعَهما، لكنه لاحظَ حينئذٍ وجه الغُلام. «ماذا جرى لشفتك؟».

ـ «شجار أيُّها السيْر».

ـ «دعني أراها».

ـ «لم تنزف إلَّا قليلًا. مسحتها بقليلٍ من النَّبيذ».

ـ «مع مَن تشاجرت؟».

ـ «بعض المُرافقين الآخَرين. قالوا...».

ـ «دعك ممَّا قالوه. بِمَ أخبرتك؟».

قال الغُلام: «أن أمسك لساني ولا أسبّب متاعب»، ومسَّ شفته المشقوقة مُردفًا: «لكنهم نعتوا أبي بقاتِل الأقربين».

ـ *هو كذلك أيُّها الصَّبي، ولو أنني لا أظنُّه تعمَّد أن يفعلها.* قال دنك لإج نصفمئة مرَّةٍ ألَّا يأخذ كلامًا من ذلك النَّوع على محمل الجدّ. *أنت تعلم الحقيقة. ارضَ بهذا.* سبقَ أن سمعا كلامًا مشابهًا في الخمَّارات والحانات الوضيعة وحول نيران المخيَّمات في الغابات. البلاد كلُّها تعرف أنَّ مِقمعة الأمير ميْكار جندلَت أخاه بيْلوْر كاسر الحراب في (مرج آشفرد)، أي إنَّ الكلام عن المؤامرات متوقَّعٌ بطبيعة الحال. «لو دروا أنَّ الأمير ميْكار أبوك لما قالوا مثل هذه الأشياء قَطُّ». *وراء ظهرك نعم، ولكن ليس في وجهك أبدًا.* «وماذا قلت أنت لهؤلاء المُرافقين الآخَرين بدلًا من أن تُمسِك لسانك؟».

بدا على إج الخجل، وأجابَ: «إنَّ موت الأمير بيْلوْر كان مجرَّد حادثة، ولكن عندما قلتُ إنَّ الأمير ميْكار أحبَّ أخاه بيْلوْر، قال مُرافق السيْر أدام إنه أحبَّه حتى الموت، وقال مُرافق السيْر مالوْر إنه ينوي أن يحبَّ أخاه إيْرس بالطَّريقة نفسها. عندئذٍ ضربته، ضربته بشدَّة».

ـ «حريٌّ بي أنا أن أضربك بشدَّة. أذنٌ متورِّمة تتماشى مع هذه الشَّفة المتورِّمة. لفعلَ أبوك المثل لو أنه هنا. أتظنُّ أنَّ الأمير ميْكار يلزمه أن يُدافع عنه ولدٌ صغير؟ ماذا قال لك عندما أرسلَك معي؟».

ـ «أن أخدمك بإخلاصٍ بصفتي مُرافقك، وألَّا أحجم عن أيِّ تكليفٍ أو مشقَّة».

ـ «وماذا أيضًا؟».

ـ «أن أطيع قوانين الملك وقواعد الشَّهامة وأطيعك».

ـ «وماذا أيضًا؟».

أجابَ الغُلام بتردُّدٍ واضح: «أن أبقي شعري محلوقًا أو مصبوغًا، وألَّا أخبر أحدًا باسمي الحقيقي».

أومأ دنك برأسه، وسألَه: «كم شربَ هذا الصَّبي من النَّبيذ؟».

ـ «كان يشرب بيرة الشَّعير».

ـ «أترى؟ بيرة الشَّعير هي التي تكلَّمت. الكلام هواء يا إج. دعه يهبُّ ويتجاوَزك».

ـ «بعض الكلام فقط هواء». أكثر ما يتَّسم به الصَّبي هو العناد. «بعض الكلام خيانة. هذه دورة مباريات للخونة أيُّها السيْر».

قال دنك: «ماذا؟ جميعهم؟»، وهزَّ رأسه مُتابعًا: «لو صحَّ ذلك فقد حدثَ منذ زمنٍ طويل. التنّين الأسود ماتَ، ومَن قاتَلوا معه هربوا أو نالوا عفوًا. وما تقوله ليس صحيحًا. ابنا اللوْرد بَتَرول قاتَلا على كلا الجانبيْن».

ـ «وهو ما يجعله نصف خائنٍ أيُّها السيْر».

ـ «قبل ستَّة عشر عامًا». انقشعَت عن دنك غشاوة النَّبيذ اللَّطيفة وشعرَ بالغضب، ويكاد يُفيق. «وكيل اللوْرد بَتَرول هو قيِّم المباريات، رجلٌ اسمه كوْزجروْف. اعثُر عليه وأدرِج اسمي ضمن المتنازلين. لا، انتظِر... احجب اسمي». في وجود كلِّ هؤلاء اللوْردات قد يتذكَّر أحدهم السيْر دنكن الطَّويل من (مرج آشفرد). «أدرِجني باسم فارس المشنقة». يحبُّ العوام أن يظهر فارسٌ غامض في دورة مباريات.

داعبَ إج شفته المتورِّمة بإصبعه سائلًا: «فارس المشنقة أيُّها السيْر؟».

ـ «نسبةً إلى التُّرس».

ـ «نعم، ولكن...».

قاطعَه دنك: «اذهب وافعل كما قلتُ. لقد قرأت كفايةً اللَّيلة»، وأطفأ الشَّمعة بقرصةٍ من سبَّابته وإبهامه.

***

أشرقَت الشَّمس ساخنةً قاسيةً، لا ترحم.

ارتفعَت موجات الحرارة مترأرئةً من أحجار القلعة البيضاء، وحملَ الهواء رائحة التُّربة المخبوزة والعُشب الممزَّق، ولم تهبَّ نسمة ريح واحدة لتُحرِّك الرَّايات المتدلِّية فوق الحصن ومبنى البوَّابة بخُضَرتها وصُفرتها وبياضها.

بدا ثندر مضطربًا على نحوٍ قلَّما رآه دنك من قبل. طوَّح الفحل رأسه من جانب إلى جانب فيما أحكمَ إج ربط حزام السَّرج، بل وكشَّر عن أسنانه المربَّعة الكبيرة في وجه الغُلام. فكَّر دنك: *الحرُّ شديد، أشدُّ من احتمال إنسانٍ أو دابَّة. الجياد الحربيَّة ليست مطواعةً ولو في أفضل الأوقات. **الأم** ذاتها كان مزاجها سيتعكَّر في هذا القيظ.*

في مركز السَّاحة بدأ المُتثاقفان جولةً أخرى. يركب السيْر هاربرت حصانًا عدَّاءً ذهبيًّا مكسوًّا بالأسود مزيَّنًا بأفعيَي عائلة بِيْچ، واحدة حمراء وواحدة بيضاء، والسيْر فرانكلن كُميتًا تحمل كسوته الحرير الرَّماديَّة بُرجَي فِراي التَّوأميْن. حين التقيا انقصمَ الرُّمح الأحمر والأبيض شقَّيْن وانفجرَ الأزرق إلى شظايا، لكن أيًّا من الرَّجليْن لم يَسقُط. ارتفعَ هتافٌ من مدرَّجات المشاهدة والحُرَّاس فوق أسوار القلعة، إلَّا أنه هتافٌ قصير وهزيل وأجوف. *الحرُّ أشدُّ من أن يهتف أحد.* جفَّف دنك جبهته من العرق. *الحرُّ أشدُّ من أن يتثاقف أحد.* راحَ رأسه يدقُّ كالطَّبلة. *فلأفُز في هذا النِّزال ثم في واحدٍ آخَر وسأرضى.*

دارَ الفارسان بحصانيْهما عند طرفَي المضمار وتخلَّصا من بقايا رُمحيْهما المحزَّزة، رابع زوجيْن يكسرانهما. *أزيد من اللَّازم بثلاثة.* أرجأ دنك ارتداء درعه أطول فترةٍ يجرؤ عليها، ومع ذلك بدأ بالفعل يحسُّ بثيابه التَّحتيَّة تلتصق بجلده تحت الفولاذ. *ثمَّة أشياء أسوأ من الغرق في العرق.* قالها لنفسه متذكِّرًا القتال على متن «الليْدي البيضاء»، عندما انصبَّت حشود الحديديِّين من فوق جنبها. انتهى ذلك اليوم وهو غارقٌ في الدِّماء.

برُمحيْن جديديْن في يديْهما عادَ بِيْچ وفِراي يهمزان مطيَّتيْهما، لتنتثر كتل من التُّربة الجافَّة المتشقِّقة وراءهما من تحت حوافر حصانيْهما المهروليْن مع كلِّ خُطوةٍ يخطوانها. أجفلَت دنك طقطقة الرُّمحين إذ انكسَرا. *فرطٌ من النَّبيذ البارحة، وفرطٌ من الطَّعام.* في عقله ذكرى مبهمة عن حمل العروس على السَّلالم ولقاء چوْن الكمنجي واللوْرد پيك فوق سطح. *ماذا كنتُ أفعل فوق سطح؟* يَذكُر كلامًا عن التَّنانين، أو عن بيض التَّنانين، أو

شيء ما، ولكن...

اخترقَ ضجيجٌ حُلمه اليقظ، جزء منه هدير وجزء أنين. رأى دنك الحصان الذهبي يخبُّ بلا راكبٍ إلى طرف المضمار فيما تدحرجَ السيْر هاربرت پيْج بوهنٍ على الأرض. *مُثاقفتان أخريان قبل دوري.* إسقاطه السيْر أوثوْر من فوق حصانه في أقرب وقتٍ معناه أن يخلع درعه في أقرب وقتٍ ويتناوَل شرابًا باردًا ويستريح. المفترَض أن يحظى بساعةٍ على الأقل قبل أن يُنادوا اسمه ثانيةً.

تسلَّق حاجب اللوْرد بَتَرول الممتلئ إلى قمَّة المنصَّة ليستدعي الزَّوجيْن التَّاليْن من المُتثاقفين، وصاحَ: «السيْر آرجريْف المتحدِّي، فارسٌ من (نَني) في خدمة اللوْرد بَتَرول سيِّد (الجُدران البيضاء). السيْر جلندُن فلاورز، فارس (صفصاف القِطط). تقدَّما وأثبتا بسالتكما». عندئذٍ ماجَت المدرَّجات بعاصفةٍ من الضَّحك.

السيْر آرجريْف رجلٌ أهيف متين، فارس أهل بيتٍ مخضرم يرتدي درعًا رماديَّةً منبعجةً ويمتطي حصانًا بلا كسوة. لدنك خبرةٌ سابقة بنوعه؛ مثل هؤلاء الرِّجال قاسٍ كالجذور القديمة ويعرف عمله. خصمه السيْر جلندُن الشَّاب، الذي يركب حصانه المعيب البائس ويُدرِّع نفسه بزردٍ ثقيل وخوذةٍ حديد قصيرة مفتوحة الوجه، وعلى ذراعه يعرض تُرسه رمز أبيه النَّاري. فكر دنك: *تلزمه صدريَّة وخوذة لائقة. من شأن ضربةٍ على الرَّأس أو الصَّدر أن تَقتُله بملبسه هذا.*

واضحٌ أنَّ تقديم السيْر جلندُن أثارَ حفيظته، إذ أدارَ مطيَّته في دائرةٍ غاضبة زاعقًا: «أنا جلندُن بوْل لا جلندُن فلاورز. اسخر مني على مسؤوليَّتك أيُّها الحاجب. دعني أحذِّرك، إن فيَّ دماء بطل». لم يُكلِّف الحاجب نفسه الرَّدَّ، لكن اعتراض الفارس الشَّاب استُقبلَ بمزيدٍ من الضَّحك.

تساءلَ دنك بصوتٍ مسموع: «لماذا يضحكون منه؟ أهو نغلٌ إذًا؟». «فلاورز» هو اللَّقب الذي يُطلَق على النُّغول المولودين للآباء النُّبلاء في (المرعى). «وما معنى ذلك الكلام عن صفصاف القِطط؟».

قال إج: «يُمكنني أن أستعلم أيُّها السيْر».

ـ «لا. ليس ذلك من شأننا. أمعك خوذتي؟».

خفضَ السيْر آرجريْف والسيْر جلندُن رُمحيْهما أمام اللوْرد والليْدي بَتَرول، ورأى دنك بَتَرول يميل هامسًا في أذن عروسه بشيءٍ جعلَ الفتاة تُقهقِه.

ـ «نعم أيُّها السيْر». يعتمر إج قبَّعته المرنة ليَستُر عينيْه ويُبعِد الشَّمس عن رأسه المحلوق. يحبُّ دنك معابثة الغُلام بشأن تلك القبَّعة، غير أنه تمنَّى الآن تحديدًا لو أنَّ لديه واحدةً مثلها. *قبَّعةٌ قش خيرٌ من واحدةٍ حديد تحت هذه الشَّمس*. أزاحَ شعره عن عينيْه، وبهدوءٍ أنزلَ الخوذة العظيمة في مكانها بكلتا يديْه وربطَها إلى عُنقيَّته. فاحَت من البطانة رائحة العرق القديم الكريهة، وشعرَ دنك بوزن كلِّ هذا الحديد على رقبته وكتفيْه، وقد أخذَ رأسه ينبض من جرَّاء نبيذ البارحة.

قال إج: «سيْر، أوان الانسحاب لم يَفُت. إذا خسرت ثندر ودرعك...».

ـ *فهي نهاية فروسيَّتي*. سألَه دنك: «ولِمَ أخسرُ؟». كان السيْر آرجريْف والسيْر جلندُن قد ركبا إلى طرفَي المضمار. «ليس الأمر كأنني سأواجهُ العاصفة الضَّاحكة. أيُوجَد هنا فارسٌ يرجح أن يُتعِبني؟».

ـ «كلُّهم تقريبًا أيُّها السيْر».

ـ «أدينُ لك بلطمةٍ على الأذن لقاء قولك هذا. السيْر أوثوْر يكبَرني بعشر سنواتٍ وحجمه نصف حجمي».

أنـزلَ السيْر آرجريْـف مقدّمـة خوذتـه، أمَّـا السيْر جلنـدُن فليسـت لخوذتـه مقدّمـةٌ ليُنزلهـا.

ـ «إنك لم تركب في نزالٍ منذ (مرج آشفرد) أيُّها السيْر».

ـ *ولـدٌ صفيـق*. «لقـد تمرَّنـتُ». ليـس بالـدَّأب الواجـب طبعًـا، فمـتى اسـتطاعَ يأخـذ دوره في التَّدريـب عـلى الطَّواويـس أو الحلقات حيثمـا توفَّـرت، وأحيانًـا يأمـر إج بتسـلُّق شـجرةٍ وتعليـق تُـرس أو ضـلع برميـل تحـت فـرعٍ مناسـب المـوضع ليضربـاه بالرِّمـاح.

قـال إج: «إنـك أفضـل بالسَّـيف مـن الرُّمح. بفـأسٍ أو مِقمعـةٍ في يـدك، قلائـل يُمكنهـم مباراتـك في القـوَّة».

حمـلَ القـول مـا يكـفي مـن حقيقـةٍ لمضايقـة دنـك أكثـر فأكثـر. «لا تُوجـد مسـابقة للسُّـيوف أو المقـامع». ألـقى بالإشـارة فيمـا بـدأ ابـن كُـرة النَّـار والسيْر آرجريْـف المتحـدِّي كرَّتهمـا. «اذهـب وأحضِر تُـرسي».

لوى إج قسماته، ثم ذهبَ ليجلب التُّرس.

عبـر السَّـاحة ضـربَ رُمح السيْر آرجريْـف تُـرس السيْر جلنـدُن وانزلـقَ مخلّفًـا شـقًّا غائـرًا في المذنَّـب المرسـوم، إلَّا أنَّ سـنان رُمح بوْل المثلَـم أصـابَ مركـز صدريَّـة خصمـه بقـوَّةٍ عاتيـة مزَّقـت حـزام سـرجه، ليهـوي الفـارس والسَّـرج معًـا في التُّـراب. شـعرَ دنـك بالإعجـاب رغمًـا عنـه. *الفـتى يُجيـد المُثاقفـة بقـدر إجادتـه الكلام تقريبًـا*. تسـاءلَ هـل سـيمنعهم هـذا مـن الضَّحـك منـه.

دوَّى بـوقٌ بصخـبٍ أجفـلَ دنـك، ومـرَّةً أخـرى تسـلَّق الحاجـب منصَّتـه. «السـيْر چوڤَـري سـليل عائلـة كازول، سـيِّد (جسـر العلقـم) وحافـظ المخاضـات. السـيْر كايـل، قِـطٌّ (البـراح الغائـم). تقدَّمـا وأثبِتـا بسـالتكما».

لا بـأس بجـودة درع السـيْر كايـل، لكنهـا قديمـةٌ وباليـة، فيهـا كثيـرٌ مـن الانبعاجـات والخـدوش. في طريقـه إلى المضمـار قـال الرَّجـل لدنـك وإج: «**الأُم** منَّـت عليَّ بالرَّحمـة يـا سـيْر دنكـن. لقـد أُرسِـلتُ ضـد اللـوْرد كازول، الرَّجـل عينـه الـذي جئـتُ لأراه».

لـو أنَّ أيَّ رجـلٍ في الميـدان في حـالٍ أسـوأ مـن دنـك هـذا الصَّبـاح فلا بُـدَّ أنـه اللـوْردَ كازول الـذي شـربَ خلال المأدبـة حتى غـابَ عـن الـوعي. قـال دنـك: «إنهـا لأعجوبـةٌ أن يسـتطيع ركـوب حصـانٍ بعـد ليلـة أمـس. النَّصـر لـك أيُّهـا السـيْر».

ابتسـمَ السـيْر كايـل ابتسـامةً حريريَّـةً قـائلًا: «أوْه، لا. عـلى القِـطِّ الـذي يُريـد وعـاء القشـدة أن يعـرف متى يُخرخِـر ومتى يُبـرز مخالِبـه يـا سـيْر دنكـن. إذا حـكَّ رُمح حضـرة اللـوْرد تُـرسي مجـرَّد حكـةٍ فسأسـقطُ أرضًـا. بعـد ذلـك، حيـن آخـذُ إليـه حصـاني ودرعي، سـأجاملُ حضرتـه عـلى شـوكته الـتي قويَـت منـذ صنعـتُ لـه سـيفه الأوَّل. سـيُذكِّره ذلـك بـي، وقبـل انتهـاء اليـوم سـأعودُ مـن رجـال كازول، فارسًـا لـ(جسـر العلقـم)».

كادَ دنـك يقـول: *لا شـرف في ذلـك*، غيـر أنـه امتنـعَ عـن الـرَّد. لـن يكـون السـيْر كايـل أوَّل فـارس جـوَّال يُبـادِل بشـرفه موضعًـا دافئًـا عنـد النَّـار. غمغـمَ: «حظًـا سـعيدًا لـك. أو تعيسًـا إذا فضَّلـت».

اللورد چوفري كازول شابٌّ مهزول في العشرين، وإن وجبَ الإقرار بأنه يبدو أشدَّ إثارةً للإعجاب بدرعه ممَّا بدا ليلة أمس ووجهه في بِركةٍ من النَّبيذ. على تُرسه رُسِمَ قنطور أصفر يسحب وتر قوسٍ طويل، ويُزيّن القنطور نفسه كسوة حصانه الحريريَّة البيضاء، ويلتمع على قمَّة خوذته بالذَّهب الأصفر. *المفترَض أن يُحسِن رجلٌ رمزه قنطور الرُّكوب أكثر*. لا يدري دنك إلى أيّ حدٍّ يُجيد السيْر كايل استخدام الرِّماح، ولكن من الطَّريقة التي جلسَ بها اللورد كازول فوق حصانه بدا كما لو أنَّ سُعالًا مرتفعًا كفيلٌ بإسقاطه. *ما على القِطِّ إلَّا أن يتجاوَزه بسرعةٍ فائقة*.

أمسكَ إج رسن ثندر فيما وثبَ دنك بحركةٍ خرقاء بطيئة ليعتلي السَّرج اليابس المرتفع، وإذ جلسَ هناك منتظرًا شعرَ بالأعيُن المحملقة إليه. *يتساءَلون هل يتمتَّع الفارس الجوَّال الكبير بأيّ براعة*. لدى دنك التَّساؤل نفسه، وعمَّا قريب سيُدرِك الجواب.

أوفى قِطُّ (البراح الغائم) بكلمته. ظلَّ رُمح اللورد كازول يتقلقَل طوال الطَّريق عبر الميدان، والسيْر كايل لم يُحسِن تصويب رُمحه، ولم يتعدَّ أيٌّ من الرَّجليْن بحصانه الخبب، وعلى الرغم من ذلك سقطَ القِطُّ لمَّا خبطَ سنان رُمح اللورد چوفري كتفه مصادفةً. بينما تدحرجَ الفارس الجوَّال في التُّراب فكر دنك: *ظننتُ أنَّ القِطط كلَّها تحطُّ برشاقةٍ على أقدامها*. بقيَ رُمح اللورد كازول سليمًا، وإذ دارَ بحصانه رفعَه عاليًا وطعنَ به الهواء مرَّةً تلو مرَّةٍ كأنه أسقطَ لتوِّه ليوْ الشَّوكة الطَّويلة أو العاصفة الضَّاحكة، أمَّا القِطُّ فخلعَ خوذته وذهبَ ليقبض على حصانه.

قال دنك لإج: «تُرسي»، فناولَه الغُلام التُّرس، ودسَّ دنك ذراعه اليُسرى من تحت الحزام وأغلقَ يده حول المقبض. أحسَّ بوزن التُّرس لوزي الشَّكل مطمئنًا، ولو أنَّ طوله يُصعِّب التَّحكم فيه، كما أنَّ رؤية الرَّجل المشنوق ثانيةً بثَّت فيه شعورًا بالاضطراب. *شعارٌ مشؤوم هذا*. عزمَ على رسم صورةٍ أخرى على التُّرس في أقرب وقتٍ ممكن. *عسى* ***المَحارب*** *أن يمنحني سبيلًا سلسًا ونصرًا سريعًا*. ردَّد دنك الدُّعاء في سريرته فيما عادَ حاجب بَتَرول يرتقي الدَّرجات بجهد، ليُدوِّي صوته: «السيْر أوثور أندرليف. فارس المشنقة. تقدَّما وأثبِتا بسالتكما».

ـ «تـوخَّ الحـذر أيُّهـا السـيْر». ألـقى إج بالتَّنبيـه وهـو يُنـاول دنـك رُمح مباريـات، قنـاةً خشبيَّةً يتناقَـص قُطرهـا تدريجيًّـا ويَبـلُغ طولهـا اثنَي عشـر قدمًـا، تنتهي بـرأسٍ حديـديّ مـدوَّر بشكل قبضـةٍ مضمومـة. «المُرافقـون الآخَـرون يقولـون إنَّ السـيْر أوثور يتمـتَّع بالثَّبـات فـوق حصانـه، كمـا أنـه سـريع».

قـال دنـك سـاخرًا: «سـريع؟ إنَّ عـلى تُرسـه حلزونًـا! كـم يُمكـن أن يَبـلُغ مـن السُّـرعة؟»، وهمـزَ جنبَـي ثنـدر بكعبيْه وتحرَّك بالحصان في مشيةٍ بطيئة رافعًا رُمحه. *نصرٌ واحد ولن أصبح أسوأ حالًا ممَّا أنا حاليًّا. اثنان سيجعلاننا نتقدَّم بشوطٍ طويل. الأمل في اثنيْن ليس أبعد من أن يتحقَّق وسط هذه الصُّحبة.* على الأقل حالفَه الحظُّ في الاقتراع، فبالسُّهولة نفسها كان يُمكن أن يسـحب اسم الثَّور العجوز أو السيْر كربي بِم أو أيّ بطلٍ محليّ آخَر. تساءل دنك هل يتعمَّد قيِّم المباريات وضع بعـض الفُرسـان الجوَّالـة في مواجهـة بعـض كي لا يُكابـد أيُّ لوْرد صغيـر هـوان الهَزيمـة أمـام أحدهـم في الجولـة الأولى. *لا يهـمُّ. خصـمٌ واحـد في المـرَّة، هكـذا قـال العجـوز دومًـا. يجـب ألَّا أشـغل نفـسي الآن بغيـر السـيْر أوثور.*

التقيا أسفل المدرَّجات حيث يجلس اللوْرد والليْدي بَتَرول على وسائدهما في ظُلَّة أسوار القلعة، ويُجاورهما اللوْرد فراي الذي يُهدهِد على رُكبته ابنه ذا الأنف المتَّسخ بالمُخاط. وقفَ صفٌّ من الخادمات لتهويتهم، ومع ذلك تلوَّثت غلالة اللوْرد بَتَرول تحت الإبطيْن، وتهدَّل شعر السيّدة زوجته من التَّعرُّق، وقد بدَت حرَّانة وضجرةً ويعوزها الارتياح، ولكن لمَّا رأت دنك أبرزَت ثدييْها بطريقةٍ احمرَّ لها وجهه تحت خوذته. خفضَ رُمحه لها وللسيّد زوجها، وفعلَ السيْر أوثوْر المثل، فتمنَّى لهما بَتَرول نزالًا موفَّقًا، في حين أخرجَت زوجته لسانها.

حانَ الوقت. خبَّ دنك إلى طرف المضمار الجنوبي، وعلى بُعد ثمانين قدمًا اتَّخذ مُنافسه موقعه أيضًا. فحله الرَّمادي أصغر حجمًا من ثندر، لكنه أصغر سنًّا وأنشط. يرتدي السيْر أوثوْر صفائح معدنيَّةً مطليَّةً بالمينا الأخضر وزردًا مفضَّضًا، وتُرفرف شرائط من الحرير الأخضر والرَّمادي من خوذته الحوضيَّة المدوَّرة، ويحمل تُرسه الأخضر حلزونًا فضِّيًّا. *الدِّرع الجيِّدة والحصان الجيِّد معناهما فديةٌ جيِّدة إذا أسقطته.*

دوَّى بوق.

بدأ ثندر يتقدَّم بخبب وئيد، وميَّل دنك رُمحه إلى اليسار وخفضَه ليستقرَّ بزاويةٍ فوق رأس الحصان. الحائل الخشبي بينه وبين خصمه، ويحمي تُرسه جنب جسده الأيسر. انحنى دنك إلى الأمام وساقاه تنشدَّان إذ انطلقَ ثندر قاطعًا المضمار. *إننا واحد. الرَّجل، الحصان، الرُّمح، نحن كائنٌ واحد من دمٍ وخشبٍ وحديد.*

انقضَّ السيْر أوثوْر بقوَّة، تُثير حوافر حصانه الرَّمادي سحاباتٍ من الغُبار. حينما صارَت المسافة بينهما أربعين ياردةً همزَ دنك ثندر ليُهرول، وسدَّد رأس رُمحه مباشرةً إلى الحلزون الفضِّي. الشَّمس المكفهرَّة، والغُبار، والحرارة، والقلعة، واللوْرد بَتَرول وعروسه، والكمنجي والسيْر ماينارد، والفُرسان، والمُرافقون، والسَّاسة، والعامَّة، كلٌّ هذا اختفى. وحده الخصم بقيَ. المِهماز مجدَّدًا، وانطلقَ ثندر يدحو.

الحلزون يندفع نحوهما، يتعاظَم حجمه مع كلِّ خُطوةٍ من أرجُل الفحل الرَّمادي الطَّويلة... ولكن يسبقه رُمح السيْر أوثوْر بقبضته الحديد. *تُرسي قوي، تُرسي سيحتمل الضَّربة. المهمُّ الحلزون فحسب. اضرب الحلزون والمباراة لي.*

حين لم يتبقَّ بينهما إلَّا ياردات عشر حرَّك السيْر أوثوْر رأس رُمحه إلى أعلى.

ورنَّت في أذن دنك طقطقةٌ إذ ضربَ رُمحه ضربته، وأحسَّ بالصَّدمة في ذراعه وكتفه، لكنه لم يرَ الضَّربة تُصيب هدفها إطلاقًا. أمَّا قبضة أوثوْر الحديد فأصابَته بين العينيْن مباشرةً ووراؤها قوَّة الرَّجل والحصان كاملةً.

***

استيقظَ على ظهره، يُحدِّق إلى قناطر سقفٍ معقود. لوهلةٍ لم يعرف أين هو أو كيف وصلَ إلى هناك. تردَّدت في رأسه أصداء أصواتٍ تتكلَّم، ومرَّت أمامه وجوه سابحة في الهواء: السيْر آرلان العجوز، تانسل مديدة القامة، بِنس صاحب التُّرس البنّي، الأرملة الحمراء، بيْلوْر كاسِر الحراب، إيْريوْن الأمير السَّاطع، الليْدي ڤيْث المجنونة المحزونة. ثمَ إذا بالنِّزال يعود إلى ذاكرته دُفعةً واحدةً: الحرُّ، الحلزون، القبضة الحديد المتَّجهة إلى وجهه. تأوَّه وانقلبَ مستندًا إلى مرفقه، لتجعل الحركة رأسه يدقُّ كطبلة حربٍ فظيعة.

يبدو أنَّ عينيْه كلتيْهما صالحتان على الأقل، كما أنه لا يحسُّ بثقبٍ في رأسه، وهذا خيرٌ حقًّا. رأى أنه في قبوٍ ما، على كلِّ جانبٍ فيه براميل نبيذٍ ومزر، ففكر: *على الأقل الحرارة فاترة ها هنا، والشَّراب في متناول اليد*. ذاقَ دنك في فمه طعم الدَّم، وشعرَ بطعنةٍ من الخوف. إذا قضمَ لسانه فهو الآن أخرس علاوةً على أنه غليظ العقل. «طابَ صباحك». قالها ببحَّةٍ لمجرَّد أن يسمع صوته، وتردَّد صدى الكلمتيْن على السَّقف. حاولَ دنك أن يدفع نفسه إلى النُّهوض، إلَّا أنَّ المجهود دوَّر القبو من حوله.

ـ «على مهلك، على مهلك». قالها صوتٌ متهدِّج قريب، وظهرَ بجوار الفراش رجلٌ عجوز محنيُّ الظَّهر يلبس مِسحًا رماديًّا كشعره الطَّويل. حول عُنقه سلسلة ميْستر من معادن عدَّة، ووجهه مسنٌّ متغضِّن، وعلى جانبَي أنفٍ ضخم شبيه بالمنقار تجاعيد عميقة. «اثبت ودعني أرى عينيْك». دقَّق الرَّجل النَّظر إلى عين دنك اليُسرى ثم اليُمنى وقد فتحَهما بسبَّابته وإبهامه.

ـ «رأسي يُوجِعني».

نخرَ الميْستر بسخرية، وقال: «فلتمتنَّ لأنه ما زالَ مستقرًّا على كتفيْك أيُّها السيْر. هاك، قد يُساعِد هذا بعض الشَّيء. اشرب».

أجبرَ دنك نفسه على ابتلاع كلِّ قطرةٍ من العقَّار كريه المذاق وأمكنَه ألَّا يَبصُقها، ثم قال ماسحًا فمه بظهر يده: «الدَّورة. أخبِرني. ماذا حدثَ؟».

ـ «الحماقة ذاتها التي تَحدُث دائمًا في هذه المشاجرات. رجالٌ يُسقِط بعضهم بعضًا من فوق أحصنةٍ بواسطة عِصِي. ابن أخت اللوْرد سمولوود كسرَ معصمه، وساق السيْر إيدن ريزلي سُحقَت تحت حصانه، لكن أحدًا لم يُقتَل حتى الآن، ولو أنني خشيتُ عليك أيُّها السيْر».

ـ «هل أُسقِطتُ من فوق حصاني؟». لم يزَل يحسُّ كأن رأسه محشوٌّ عن آخِره بالصُّوف، وإلَّا لما طرحَ سؤالًا غبيًّا كهذا. ندمَ دنك على السُّؤال حالما خرجَت الكلمات من فمه.

ـ «بارتطام زلزلَ أعلى المتاريس. مَن راهَنوا عليك بمبالغ فادحة أصابَهُم ذهولٌ عظيم، ومُرافقك كادَ صوابه يطير فرَقًا. لكان جالسًا معك الآن لو أني لم أزجره. لا يلزمني أطفالٌ تحت قدميَّ. لقد ذكَّرته بواجبه».

وجدَ دنك أنه محتاجٌ إلى تذكرةٍ عن نفسه، فسألَ: «أيُّ واجب؟».

ـ «مطيَّتك أيُّها السيْر، أسلحتك ودرعك».

قال دنك متذكّرًا: «نعم». الغُلام مُرافق صالح، يعلم المطلوب منه. *خسرتُ سيف العجوز والدِّرع التي صاغَها لي بيْت الفولاذي.*

ـ «صديقك عازف الكمنجة أيضًا سألَ عنك. قال لي أن تتلقَّى أفضل رعاية. هو أيضًا طردته».

ـ «منذ متى تعتني بي؟». ثنى دنك أصابع يد سيفه وبسطَها، فبدا أنها جميعًا تعمل. *دماغي فقط يُوجِعني، والسيْر آرلا ن اعتادَ أن يقول إنني لا أستخدمه على كلِّ حال.*

ـ «أربع ساعاتٍ حسب المِزولة الشَّمسيَّة».

أربع ساعاتٍ ليست بذلك السُّوء. لقد سمعَ مرَّةً حكايةً عن فارسٍ ضُرِبَ بعُنفٍ أفضى إلى نومه أربعين عامًا واستيقظَ ليجد نفسه عجوزًا ذاويًا. «أتعرف هل انتصرَ السيْر أوثور في نزاله الثَّاني؟». قد يفوز الحلزون بالدَّورة؛ سيخفُّ شيءٌ من وخز الهزيمة إذا استطاعَ دنك أن يقول لنفسه إنه خسرَ أمام أفضل فارسٍ في الميدان.

ـ «هو؟ بالتَّأكيد انتصرَ، على السيْر أدام فِراي، ابن عمومة العروس ورمَّاح شابٌّ واعد. حضرة الليْدي أُغميَ عليها حين سقطَ السيْر أدام، ووجبَت مساعدتها على العودة إلى مسكنها».

أرغمَ دنك نفسه على القيام فترنَّح وهو ينهض، لكن الميْستر أعانَه على الثَّبات. «أين ملابسي؟ يجب أن أذهب. عليَّ... يجب...».

قال الميْستر: «ما دُمت لا تَذكُر فلا يُمكن أنها مسألة في غاية العجلة»، ولوَّح بيده بضيقٍ مُردفًا: «لربَّما اقترحتُ أن تتجنَّب الأطعمة الدَّسمة والمشروبات القويَّة ومزيدًا من الضَّربات بين عينيْك... لكنني تعلَّمتُ منذ زمنٍ طويل أنَّ الفُرسان يصمُّون آذانهم عن صوت العقل. اذهب، اذهب. عندي حمقى آخَرون عليَّ الاعتناء بهم».

مكتبة
t.me/soramnqraa

***

في الخارج أبصرَ دنك بازًا يُحلِّق في دوائر واسعةٍ عبر سماءٍ زرقاء صافية، ولكم غبطَه. كان قليلٌ من السَّحاب يحتشد إلى الشَّرق مدلهمًّا كمزاجه. بينما وجدَ طريق العودة إلى أرض النِّزال انهالَت الشَّمس بضرباتها على رأسه كمطرقةٍ على سَندان، وبدا أنَّ الأرض تتحرَّك تحت قدميْه... أو لعلَّه هو الذي يتمايَل. وهو يرتقي سلالم القبو كادَ يَسقُط مرَّتين. *كان عليَّ أن أصغي إلى إج.*

شقَّ طريقه البطيء في السَّاحة الخارجيَّة حول حافات المتفرّجين. في المضمار يعرج اللوْرد آلن كوْكشوْ اللَّحيم إلى الخارج بين مُرافقيْن، آخِر غزوةٍ للشَّاب جلندُن بوْل، وقد حمل مُرافق ثالث خوذته التي انكسرَت ريشاتها الشَّامخة الثَّلاث. صاحَ الحاجب: «السيْر چوْن الكمنجي. السيْر فرانكلن سليل عائلة فراي، فارسٌ من (التَّوأمتيْن)، مُقسم لسيِّد (المعبر). تقدَّما وأثبِتا بسالتكما».

لم يسع دنك إلَّا الوقوف والمشاهدة فيما خبَّ فحل الكمنجي الأسود الكبير داخلًا المضمار في دوَّامةٍ من الحرير الأزرق والسُّيوف والكمنجات الذَّهبيَّة. صدريَّته مطليَّة بالمينا الأزرق أيضًا، وكذا واقيا رُكبتيْه وواقيا مرفقيْه وكلسته وعُنقيَّته، والحلقات المعدنيَّة تحت درعه مذهَّبة. أمَّا السيْر فرانكلن فيركبَ حصانًا رماديًّا أرقط ذا عُرف فضِّي مسترسل، يتماشى مع الرَّمادي في ثياب صاحبه الحرير والفضِّي في درعه، وعلى التُّرس والمعطف وكسوة الحصان يحمل السيْر فرانكلن بُرجَي فراي التَّوأميْن. كرَّ الفارسان وكرَّا ثانيةً، ووقفَ دنك يُشاهد لكنه لم يرَ شيئًا من نزالهما. قال لنفسه موبّخًا: *دنك الأنوَك، غليظ العقل كسور قلعة. كان على تُرسه حلزون. كيف تخسر أمام رجلٍ على تُرسه حلزون؟*

ارتفعَ تهليلٌ من كلِّ مكانٍ حوله، ولمَّا رفعَ دنك عينيْه رأى أنَّ فرانكلن فراي سقطَ، وقد ترجَّل الكمنجي ليُساعِد خصمه السَّاقط على النُّهوض. فكر دنك: *دنا خُطوةً أخرى من بيضة التنِّين التي يرغب فيها، أمَّا أنا فأين؟*

مع اقترابه من البوَّابة الخلفيَّة لاقى دنك جماعة الأقزام من مأدبة البارحة وهم يستعدُّون للرَّحيل؛ يربطون أفراسًا قزمةً إلى خنزيرهم الخشبيّ المزوَّد بعجلات، وإلى عربة ثانية ذات تصميم أكثر اعتيادًا. ستَّةٌ هُم حسبما رأى، كلٌ منهم أصغر حجمًا وأشدُّ تشوُّهًا من سابقه. قد يكون بعضهم أطفالًا، لكن قِصر قاماتهم الشَّديد جميعًا يُصعّب التَّمييز. في وضح النَّهار وقد ارتدوا بناطيل من جلد الخيل ومعاطف مقلنسة من الخيش، يبدون أقلَّ جذلًا ممَّا بدوا بثيابهم المرقَّعة بشتَّى الألوان. قال دنك من باب الكياسة: «طابَ صباحكم. أأنتم متَّجهون إلى الطَّريق؟ إلى الشَّرق سحاب، قد يعني هذا المطر».

الرَّدُّ الوحيد الذي نالَه نظرةٌ ناريَّة من القزم الأقبح. *أهو الذي سحبته من فوق الليدي بَتَرول الليلة الماضية؟* من قريب رائحة الرَّجل الصَّغير كالمرحاض. نفحةٌ واحدة تكفَّلت بأن يحتَّ دنك الخُطى.

بدا كأن المسيرة عبر (دار الحليب) استغرقَت من دنك الوقت الذي استغرقَه قطعُ رمال (دوْرن) مع إج. حرِصَ على المشي بمحاذاة جِدار، ومن وقتٍ إلى آخَر ركنَ إليه. كلَّما أدارَ رأسه مادَ العالم. *شراب. أحتاجُ إلى شربة ماءٍ وإلاّ فسأسقطُ.*

أخبرَه سائسٌ مارٌّ أين يجد أقرب بئر، وهناك اكتشفَ كايل القِطَّ يتحدَّث بخفوتٍ مع ماينارد بلَم. كانت كتفا السيْر كايل متهدِّلتيْن اغتمامًا، لكنه رفعَ ناظريْه مع اقتراب دنك. «سيْر دنكن؟ سمعنا أنك مُتَّ أو تموت».

فركَ دنك صُدغيْه قائلًا: «ليتني كذلك».

زفرَ السيْر كايل، وقال: «أعرفُ ذلك الشُّعور جيِّدًا. اللوْرد كازول لم يعرفني. عندما قلتُ له إنني نحتُّ سيفه الأوَّل حدَّق إليَّ كأنني فقدتُ عقلي. قال إنه لا مكان في (جسر العلقم) للفرسان الواهنين الذين أظهرتُ أني منهم»، وأطلقَ القطُّ ضحكةً مريرةً مضيفًا: «لكنه أخذَ أسلحتي ودرعي، ومطيَّتي أيضًا. ماذا أفعلُ؟».

لم يحر دنك له جوابًا. حتى المُحارب غير النِّظامي يلزمه حصانٌ ليركبه، ويجب أن يملك المرتزِقة سيوفًا ليرتزِقوا بها. قال دنك وهو يسحب الدَّلو: «ستجد حصانًا آخَر. (الممالك السَّبع) حافلة بالخيول. ستجد لوردًا آخَر يُسلِّحك»، ثم ضمَّ يديْه

وملأهما بالماء وشربَ.

ـ «لوْرد آخَر. أجل. هل تعرف واحدًا؟ أنا لستُ شابًّا وقويًّا مثلك، ولا كبيرًا كذلك. كبار الحجم مطلوبون دومًا. اللوْرد بَتَرول مثلًا يحبُّ فُرسانه كبارًا. انظُر إلى توْم هِدل هذا. هل رأيته في مُثاقفة؟ لقد أطاحَ بكلِّ رجلٍ واجهَه. على أنَّ ولدكُرة النَّار فعلَ المثل، والكمنجي أيضًا. ليتَه هو الذي أسقطَني. إنه يَرفُض أخذ فدية. يقول إنه لا يُريد أكثر من بيضة التنِّين... وإضافةً إلى ذلك صداقة خصومه السَّاقطين. زهرة الشَّهامة ذلك الشَّاب».

ضحكَ ماينارد بلَم قائلًا: «تعني كمنجة الشَّهامة. الفتى يعزف لحن عاصفةٍ مقبلة، وخيرٌ لنا جميعًا أن نرحل من هنا قبل أن تهبَّ».

قال دنك: «لا يأخذ فديةً؟ لفتةً نبيلة».

قال السيْر ماينارد: «اللَّفتات النَّبيلة سهلةٌ وكيس نقودك منتفخ بالذَّهب. يُوجَد درسٌ هنا إذا تحلَّيت بما يكفي من عقلٍ لتعلُّمه أيُّها السيْر دنكن. لم يَفُت أوان رحيلك».

ـ «رحيلي؟ رحيلي إلى أين؟».

هزَّ السيْر ماينارد كتفيْه، وأجابَ: «إلى أيِّ مكان. (وينترفل)، (بهو الصَّيف)، (آشاي عند الظِّل). لا يَهمُّ ما دامَ المكان ليس هنا. خُذ حصانك ودرعك وانسلَّ من البوَّابة الخلفيَّة. لن يفتقدك أحد. الحلزون مشغول بالتَّفكير في نزاله التَّالي، والباقون أعيُنهم لا ترى إلَّا المُثاقفات».

لنصف نبضة قلب أغوَت دنك الفكرة. ما دامَ يحمل سلاحًا ويمتطي حصانًا فسيبقى فارسًا بشكل أو بآخَر، ومن غيرهما فإنه ليس أكثر من شحَّاذ. *شحَّاذ كبير، لكنه شحَّاذ*. لكن أسلحته ودرعه تنتمي إلى السيْر أوثور الآن، وكذلك ثندر. *شحَّاذ أفضل من لصّ*. لقد كان هذا وذاك في (سفح البراغيث) إبَّان مصاحبته ابن مقرَض ورافي وپودنج، بيد أنَّ العجوز أنقذَه من تلك العيشة. يعلم ما كان السيْر آرلان ابن (شجرة البنسات) سيردُّ به على اقتراحات پلَم، وبما أنَّ السيْر آرلان ميت فقد ردَّ دنك نيابةً عنه: «حتى الفارس الجوَّال له شرفه».

ـ «أتُحبِّذ أن تموت بشرفٍ مصون أم تعيش به مدنَّسًا؟ لا، أعفِني، أعلَمُ ماذا ستقول. خُذ غُلامك واهرب يا فارس المشنقة قبل أن يُصبح شعارك مصيرك».

مغضبًا ردَّ دنك: «أنَّى لك بمعرفة مصيري؟ هل رأيتِ حُلمًا مثل چوْن الكمنجي؟ ماذا تعرف عن إج؟».

قال پلَم: «أعرفُ أنه خيرٌ للبيض أن يبقى خارج المقلاة. (الجُدران البيضاء) ليست مكانًا صحِّيًا للغُلام».

سأله دنك: «كيف أبليت في نزالك أيُّها السيْر؟».

ـ «أوْه، لم أغامر بدخول المضمار. النُّذر لم تُبشِّر بخير. مَن تتخيَّله سيظفر ببيضة التنِّين يا تُرى؟».

ـ *ليس أنا*. «**السَّبعة** يعلمون. أنا لا أعلمُ».

ـ «أقدِم على تخمين أيُّها السيْر. إنَّ لك عينيْن».

فكَّر دنك لحظةً. «الكمنجي؟».

ـ «ممتاز. هل تودُّ أن تشرح ما قادكَ إلى هذا الاستنتاج؟».

ـ «إنَّ... لديَّ شعورًا فقط».

قال مِاينارد بِلَم: «وأنا أيضًا. شعورٌ سيِّئ تجاه أيِّ رجلٍ أو صبيٍّ تعوزه الحكمة إلى درجة أن يعترض طريق كمنجيِّنا».

***

كان إج يُمشِّط شعر ثندر خارج خيمتهما، وإن شردَت عيناه. *سقطتي آلمَت الولد بشدَّة*. نادى دنك: «كفى. مزيدٌ من التَّمشيط وسيُصبِح ثندر أصلع مثلك».

أفلتَ إج الفُرشة صائحًا: «سيْر؟ كنتُ أعرفُ أنَّ لا حلزون سخيفًا يستطيع أن يَقتُلك أيُّها السيْر»، وطوَّق دنك بذراعيْه.

اختطفَ دنك القبَّعة القش المرنة من الغُلام ليضعها فوق رأسه، وقال: «الميْستر قال إنك هربت بدرعي».

انتزعَ إج قبَّعته بسخطٍ قائلًا: «لقد جلوتُ زردك ولمَّعتُ كلستك وعُنقيَّتك وصدريَّتك أيُّها السيْر، لكن خوذتك مشروخة ومنبعجة حيث أصابَها رأس رُمح السيْر أوثوْر. عليك أن تأخذها إلى صانع سلاحٍ ليُسوِّيها».

ـ «دع السيْر أوثوْر يُسوِّيها. إنها ملكه الآن». *لا حصان، لا سيف، لا درع. قد يدعني أولئك الأقزام أنضمُّ إلى فِرقتهم. سيكون منظرًا طريفًا؛ ستَّة أقزام يضربون عملاقًا بمئات خنازير.* «ثندر أيضًا ملكه. تعالَ. سنأخذ إليه كلَّ شيءٍ ونتمنَّى له التَّوفيق في بقيَّة نزالاته».

ـ «الآن أيُّها السيْر؟ ألن تدفع فدية ثندر؟».

ـ «بِمَ أيُّها الصَّبي؟ بالحصى وفضلات الخرفان؟».

ـ «لقد فكَّرتُ في ذلك أيُّها السيْر. إذا اقترضنا...».

قاطعَه دنك: «لا أحد سيُقرِضني ذلك المبلغ الكبير يا إج. ما الدَّافع؟ ماذا أنا إلَّا أخرق عظيم دعا نفسه بالفارس حتى كادَ حلزون بعصا يُهشِّم رأسه؟».

قال إج: «طيِّب، يُمكنك أن تأخذ ريْن أيُّها السيْر. سأعودُ أركبُ ميْستر. سنذهب إلى (بهو الضَّيف). بإمكانك أن تلتحق بخدمة أهل بيت أبي. الخيول تملأ إسطبلاته. لك أن تأخذِ برذونًا ورهوانًا أيضًا».

نيَّة إج صافية، إلَّا أنَّ دنك لا يستطيع الذَّهاب ذليلًا إلى (بهو الضَّيف)، لا يستطيع على هذه الحال، مفلسًا مغلوبًا يروم الخدمة دونما مجرَّد سيف. قال: «أيُّها الصَّبي، لُطف منك أن تقترح ذلك، لكنني لا أريدُ فُتاتًا من مائدة السيِّد والدك، أو من إسطبلاته. ربَّما حانَ الوقت ليذهب كلٌّ منا في حال سبيله». باستطاعة دنك دائمًا أن ينسلَّ خلسةً ليلتحق بحرس المدينة في (لانسپورت) أو (البلدة القديمة)، إذ يروقهم الرِّجال كبار الحجم لأجل ذلك العمل. *لقد خبطتُ برأسي كلَّ عارضة في كلِّ خانٍ من (لانسپورت) إلى (كينجز لاندنج). ربَّما آنَ الأوان ليُكسبني حجمي قليلًا من المال بدلًا من مجرَّد رأس متورِّم.* على أنَّ الحُرَّاس لا مُرافقين لهم. «لقد علَّمتك ما أقدرُ عليه، وهو قليل. ستُبلي بلاءً أحسن مع قيِّم سلاح لائق يُشرِف على تدريبك، فارس عجوز شديد يعرف بأيِّ طرفَي الرُّمح يُمسِك».

قال إج: «لا أريدُ قيِّم سلاحٍ لائقًا. أريدك أنت. ماذا إذا استخدمنا...».

ـ «لا. انسَ ذلك تمامًا، لن أسمع كلمةً عنه. اذهب واجمع أسلحتي ودرعي. سنُقدِّمها للسيْر أوثور مع تحيَّاتي. المصاعب لا تزداد إلَّا صعوبةً إذا سوَّفتها».

رفسَ إج الأرض وقد تهدَّل وجهه مثل قبَّعته القش الكبيرة، وقال: «حاضر أيُّها السيِّر، كما تقول».

***

من الخارج بدَت خيمة السيِّر أوثور تقليديَّةً جدًّا؛ غُلبة مربَّعة كبيرة من قُماش الأشرعة البنِّي الرَّمادي، موتَّدة في الأرض بحبالٍ من القنَّب، ويُحلِّي حلزون فضِّي قائمتها المركزيَّة فوق رايةٍ مثلَّثيَّة رماديَّة طويلة، لكن هذه هي الزِّينة الوحيدة.

قال دنك لإج: «انتظِر هنا». يُمسِك الغُلام مقود ثندر، والبِرذون البنِّي الكبير محمَّل بأسلحة دنك ودرعه، بما فيها تُرسه القديم الجديد. *فارس المشنقة. ها قد أثبتَّ أنه ما أتعسني فارسًا غامضًا*. «لن أتأخَّر». قالها وخفضَ رأسه وحنى كتفيْه داخلًا من سديلة الخيمة.

لم يُهيِّئه ظاهر الخيمة لوسائل الرَّاحة التي ألفاها في الدَّاخل. الأرضيَّة تحت قدميْه مفروشة بالبُسط المايريَّة الغنيَّة بالألوان، وتستقرُّ طاولةٌ مزخرفة محاطةً بكراسي المعسكرات، والفِراش المحشو بالرِّيش مغطًّى بوسائد طريَّة، وفي مجمرةٍ حديديَّة يحترق بخورٌ معطِّر.

كان السيّر أوثور جالسًا إلى الطّاولة، أمامه كومةٌ من الذّهب والفضّة وعند مرفقه إبريق من النّبيذ، يعدُّ قطع العُملة مع مُرافقه، وهو شخصٌ تعوزه الرّشاقة يبدو قريبًا من دنك في السِّن. بين فينة وفينة عضَّ الحلزون عُملةً أو نحَّاها جانبًا، وسمعَه دنك يقول: «ما زالَ عليَّ أن أعلّمك أشياء كثيرةً يا ويل. هذه العُملة مقصوصة، والأخرى مكشوطة. وهذه؟». على أصابعه رقصَت قطعةٌ ذهبيَّة. «انظُر بعينيْك إلى العُملات قبل أن تأخذها. هاك، أخبرني ماذا ترى». دارَ التنّين في الهواء، وحاولَ ويل تلقُّفه، لكنه ارتدَّ عن أصابعه وسقطَ أرضًا. اضطرَّ الفتى إلى النُّزول على رُكبتيْه ليجده، ولمَّا فعلَ أدارَه مرَّتيْن قبل قوله: «إنها قطعةٌ جيِّدة يا سِيدي. على أحد الوجهيْن تنّين وعلى الآخَر ملك...».

نظرَ أندرليف نظرةً سريعةً نحو دنك، وقال: «الرَّجل المشنوق. يسرُّني أن أراك تتحرَّك أيُّها السيّر. خشيتُ أني قتلتك. هلَّا أسديت إليَّ معروفًا وأرشدت مُرافقي في طبيعة التّنانين؟ ويل، أعطِ السيّر دنكن العُملة».

لم يملك دنك خيارًا إلَّا أخذها. *لقد أسقطَني. أيجب أن يتَّخذني هُزأةً أيضًا؟* عابسًا، رفعَ العُملة في راحة يده وفحصَ كلا جانبيْها وذاقَها، ثم قال: «ذهب، ليس مكشوطًا أو مقصوصًا. الوزن يبدو سليمًا. كنتُ لآخذها أيضًا يا سِيدي. ما عيبها؟».

ـ «الملك».

أمعنَ دنك النَّظر. الوجه على العُملة شاب، حليق، وسيم. الملك إيْرس ملتح على عُملته، مثله مثل الملك المُسن إيْجوْن، أمَّا الملك ديْروْن الذي أتى بينهما فكان حليقًا، لكن هذا ليس هو. لا تبدو العُملة باليةً كفايةً لتكون من قبل عهد إيْجوْن غير الجدير. زرَّ دنك عينيْه رامقًا الكلمة تحت الرَّأس. خمسة حروف. تبدو مثلما رأى على التَّنانين الأخرى. الحروف تقول «ديْروْن»، إلَّا أنه يعرف وجه ديْروْن الصَّالح، وليس هذا هو. عندما أعادَ النَّظر لمحَ شيئًا غريبًا في شكل الحرف الثَّالث، فليس... اندفعَ يقول: «ديْموْن! تقول «ديْموْن». ولكن لم يُوجَد قَطُّ ملكٌ اسمه ديْموْن، باستثناء...».

ـ «... المدَّعي. ديْموْن بلاكفاير سكَّ لنفسه عُملةً في أثناء تمرُّده».

حاجَّه ويل: «لكنها ذهب. ما دامَت ذهبيَّةً فيُفترَض أنَّ قيمتها كتلك التَّنانين الأخرى يا سِيدي».

لطمَه الحلزون على جنب رأسه، وقال: «معتوه! أجل، إنها ذهب، ذهب متمرّدين، ذهب خونة. خيانةً أن يحوز المرء عُملةً كهذه، وخيانةً مضاعفة أن يتداوَلها. عليَّ أن أصهرها»، وعادَ يضرب الرَّجل قائلًا: «غُر من وجهي. أنا وهذا الفارس الكريم عندنا أمورٌ نُناقِشها».

لم يُضيِّع ويل وقتًا في فراره من الخيمة، في حين قال السيْر أوثوْر لدنك بتهذيب: «تفضَّل بالجلوس. هل تشرب نبيذًا؟». هنا في خيمته يبدو أندرليف رجلًا مختلفًا عمَّا بدا في المأدبة.

حدَّث دنك نفسه متذكِّرًا: *الحلزون يختبئ في قوقعته*. «شُكرًا، لا». نقرَ العُملة الذَّهبيَّة معيدًا إيَّاها إلى السيْر أوثور. *ذهب خونة، ذهب بلاكفاير. إج قال إنَّ هذه دورة مباريات للخونة، لكنني أبيتُ الإصغاء*. إنه مدينٌ للغُلام باعتذار.

أصرَّ أندرليف: «نصف كوب. يبدو من صوتك أنك محتاجٌ إليه»، وملأ كوبيْن بالنَّبيذ وناولَ دنك واحدًا. خارج درعه يبدو الرَّجل أقرب إلى تاجرٍ منه إلى فارس. «أفترضُ أنك أتيت بخصوص الغرامة».

ـ «أجل». أخذَ دنك النَّبيذ. قد يُساعِد على وقف الدَّقِّ في رأسه. «لقد أحضرتُ مطيَّتي، وأسلحتي ودرعي. خُذها مصحوبةً بتحيَّاتي».

ابتسمَ السيْر أوثور قائلًا: «وعند هذه النُّقطة أقولُ لك إنك ركبت في المضمار بهمَّة».

تساءلَ دنك إن كانت «همَّة» طريقةً شهمةً لقول «خَرَق».

«لُطف منك أن تقول هذا، ولكن...

ـ «أظنُّك أسأت سمعي أيُّها السيْر. هل سأتجاوزُ حدودي إذا سألتك كيف نلت الفروسيَّة أيُّها السيْر؟».

ـ «السيْر آرلان ابن (شجرة البنسات) وجدَني في (سفح البراغيث) أطاردُ الخنازير. مُرافقه القديم قُتِلَ في (حقل العُشب الأحمر)، فلزمَه أحدٌ يعتني بمطيَّته ويُنظِّف زرده. وعدَ بتعليمي السَّيف والرُّمح وركوب الخيل إذا ذهبتُ معه لأخدمه، ففعلتُ».

ـ «حكايةٌ بديعة... ولكن لو أني في مكانك لتجاوزت جزئيَّة الخنازير. أخبِرني إذا سمحت، أين سيِّدك السيْر آرلان الآن؟».

ـ «ماتَ. دفنته بنفسي».

ـ «مفهوم. هل أخذته إلى دياره في (شجرة البنسات)؟».

ـ «لم أعرف مكانها». لم يرَ دنك قَطُّ قرية العجوز (شجرة البنسات)، ونادرًا ما تكلَّم السيْر آرلان عنها أكثر ممَّا تعوَّد دنك الكلام عن (سفح البراغيث). «لقد دفنته على جنب تلٍّ يُواجِه الغرب ليرى الشَّمس تغيب». صرَّ كُرسي المعسكرات بطريقةٍ مُقلقة تحت وزنه.

عادَ السيْر أوثوْر يجلس، وقال: «إنَّ عندي درعي، وحصانًا أفضل من حصانك. ماذا أريدُ من ركوبةٍ عجوز مستنزَفة وجوالٍ من الصَّفائح المنبعجة والحلقات الصَّدئة؟».

ردَّ دنك بلمسةٍ من الغضب: «بيْت الفولاذي صنعَ تلك الدِّرع، وإج اعتنى بها خير عناية. لا تُوجَد بُقعةٌ واحدة من الصَّدأ على زردي، والفولاذ ممتاز وقوي».

تبـرَّم السـيْر أوثوْر: «قـويٌّ وثقيـل، وكبيـرٌ للغايـة عـلى أيّ رجـل من الحجم العادي. إنك كبيرٌ على نحو خارق للعادة يا دنكن الطَّويل. أمَّا حصانك فهو أكبر سنًّا من أن يُركَب، ولحمه أقسى من أن يُؤكَل».

ـ «ثندر لم يَعُد بشبابه السَّابق فعلًا، ودرعي كبيرة كما تقول، ولكن يُمكنك بيعها. في (لانسپورت) و(كينجز لاندنج) حدَّادون كُثر سيُخلِّصونك منها».

قال السيْر أوثوْر: «لقاء عُشر قيمتها ربَّما، ولتُصهَر من أجل المعدن فحسب. لا. إنَّ الفضَّة الحُلوة هي ما أقتضيه، لا الحديد القديم. عُملة البلاد. والآن، هل ترغب في دفع فدية أسلحتك أم لا؟».

دوَّر دنك كوب النَّبيذ بين يديْه متجهِّمًا. الكوب من الفضَّة الخالصة، وحول الفوَّهة صفٌّ من الحلزونات الذَّهبيَّة المنقوشة. النَّبيذ أيضًا ذهبيٌّ، وله مذاقٌ مُسكر على اللِّسان. «لو أنَّ المطالب تُلبَّى بالتَّمنِّي، أجل، كنتُ سأدفعُ، وبسرور، لكنني...».

ـ «... لا تملك أيَّلِيْن اثنيْن ليتناطَحا بقرونهما».

ـ «إذا قبلت... قبلت أن تُعيرني حصاني ودرعي فيُمكنني أن أدفع الفدية لاحقًا، حالما أجدُ المبلغ».

بدا أنَّ الحلزون استطرفَ الطَّلب، وقال: «وأين ستجده يا تُرى؟».

ـ «بإمكاني أن ألتحق بالخدمة عند لوْرد ما، أو...». تعسَّر عليه لفظ الكلام الذي أشعرَه أنه متسوِّل. «قد يستغرق الأمر بضع سنوات، لكنني سأدفعُ لك، أقسمُ على هذا».

ـ «بشرفك باعتبارك فارسًا؟».

احتقنَ وجه دنك، وقال: «يُمكنني أن أضع علامتي على رق».

دوَّر السيْر أوثوْر عينيْه في محجريْهما قائلًا: «شخبطة فارس جوَّال على قُصاصةٍ من الورق؟ تَصلُح لأن أمسح بها مؤخِّرتي ليس إلَّا».

ـ «أنت أيضًا فارسٌ جوَّال».

ـ «الآن تُهينني. إنني أركبُ حيثما شئتُ ولا أخدمُ أحدًا إلَّا نفسي، صحيح... لكن أعوامًا طويلةً مرَّت منذ نمتُ أسفل سياج. أجدُ الخانات أكثر راحةً بكثير. أنا فارس مباريات، غالبًا الأفضل بين مَن ستلتقيهم يومًا».

ـ «الأفضل؟». أحنقَ غروره دنك. «قد يُخالفك العاصفة الضَّاحكة الرَّأي أيُّها السيْر، وكذا ليوْ الشَّوكة الطَّويلة، وكذا غاشم براكن. في (مرج آشفرد) لم يتكلَّم أحد عن الحلزونات، فما السَّبب لو أنك بطل مباريات طبَّق صيته الآفاق؟».

ردَّ أندرليف: «هل سمعتني أسمِّي نفسي بطلًا؟ في ذلك الطَّريق تقع الشُّهرة، وأنا أوثرُ أن يُصيبني الجُدري. شُكرًا، ولكن لا. سأفوزُ في مُثاقفتي التَّالية، أجل، ولكن في النِّزال الأخير سأسقطُ. بَتَرول سيُقدِّم ثلاثين تنِّينًا للفارس صاحب المركز الثَّاني، وذلك يكفيني... بجانب بعض الفديات الكبيرة وأرباحي من

الرِّهانات»، وأشارَ إلى كومة الأيائل الفضَّة والتَّنانين الذَّهب على الطاولة متابعًا: «تبدو شخصًا صحيح البدن، وضخمًا. الحجم يُثير إعجابٍ الحمقى دائمًا مع أنه يعني قليلًا فأقلَّ في المُثاقفة. ويل تمكن من الحصول على أرجحيَّة ثلاثة إلى واحد ضدي. اللورد شاوني راهنَ بخمسة إلى واحد، الأحمق»، والتقطَ أيَّلًا فضِّيًا وبدأ يُدوِّره بنقرة من أصابعه الطَّويلة، وواصلَ: «الثَّور العجوز سيَسقُط في الجولة التَّالية، ثم فارس (صفصاف القِطط) إذا نجا حتى ذلك الحين. في ظلِّ المزاج السَّائد، يُفترَض أن أحصل على أرجحيَّةٍ لا بأس بها ضد الاثنيْن. العموم يحبُّون أبطال القُرى».

اندفعَ دنك يقول: «السيْر جلندُن في عروقه دم بطل».

ـ «أوْه، آملُ هذا حقًّا. دماء الأبطال مناسبة لأرجحيَّة اثنيْن إلى واحد، أمَّا دماء العاهرات فأرجحيَّتها أزهد. السيْر جلندُن يتكلَّم عن والده المزعوم كلَّما وجدَ فُرصةً، ولكن هل لاحظت أنه لا يَذكُر أمَّه أبدًا؟ السَّبب وجيه. لقد ولدَته تابعة معسكرات. كان اسمها چني، چني أُم پني كما دعوها حتى (حقل العُشب الأحمر). عشيَّة المعركة ضاجعَت من الرِّجال كثرةً جعلَتها تُعرَف منذ ذلك الحين بچني العُشب الأحمر. كُرة النَّار وطئَها قبل ذلك، لا شكَّ عندي، لكن مئة رجلٍ آخَر فعلوا المثل. صديقنا جلندُن يُغالي في افتراضاته على ما يبدو لي. إنَّ شعره ليس أحمر أصلًا».

ـ *دم بطل*. «يقول إنه فارس».

ـ «أوْه، ذلك الجزء حقيقي. الولد وأخته نشآ في ماخورٍ اسمه

(صفصاف القِطط). بعد موت چني أُم پني رعَتهما العاهرات الأخريات وأوهَمن الصَّبي بحكايةٍ اختلقَتها أمُّه عن كونه من صُلب كُرة النَّار. على مقربةٍ عاشَ مُرافق عجوز مدَّ الصَّبي بتدريبه المحدود مقابل المزر والفروج، ولكن لأنه مجرَّد مُرافق فلم يستطع إسباغ الفروسيَّة على النَّغل الصَّغير. على أنه قبل نصف عام تصادفَ أن زارَت مجموعة فُرسان الماخور، وحدثَ أنَّ رجلًا معيَّنًا اسمه السيْر مؤرجن دنستيْبل استهوَته أخت السيْر جلندُن وهو سكران. بالصُّدفة كانت الأخت لا تزال عذراء، ولم يملك دنستيْبل ثمن بكارتها، وهكذا عُقدَت صفقة. السيْر مؤرجن أسبغَ على أخيها الفروسيَّة هناك في (صفصاف القِطط) أمام عشرين من الشُّهود، وبعدها أخذَته الأخت الصَّغيرة إلى الطَّابق العُلوي وتركَته يقطف زهرتها. وهي ذي الحكاية».

لأيّ فارسٍ أن يُسبغ الفروسيَّة. وقت عمله مُرافقًا عند السيْر آرلانَ، سمعَ دنك حكاياتٍ عن رجالٍ آخَرين اشتروا فروسيَّتهم بمعروفٍ أو بتهديدٍ أو بكيسٍ من العُملات الفضَّة، أمَّا ببكارة أختٍ فهذا ما لم يسمعه قَطُّ. سمعَ نفسه يقول: «تلك مجرَّد حكاية، لا يُمكن أنها حقيقيَّة».

قال السيْر أوثوْر: «لقد سمعتها من كِربي پم الذي يدَّعي أنه كان حاضرًا وشاهدًا على التَّنصيب»، وهزَّ كتفيه وأردفَ: «ابن بطل، ابن عاهرة، أو كلاهما، حين يُواجِهني الصَّبي سيَسقُط».

ـ «قد تُعطيك القُرعة خصمًا آخَر».

قوَّس السيْر أوثوْر حاجبه، وقال: «كوْزجروْف مغرم بالفضَّة

كغيره من الرِّجال. أعدُك بأن النَّور العجوز سيقع من نصيبي في النِّزال التَّالي، ثم الصَّبي. أتودُّ أن تُراهِن؟».

ـ «لم يتبقَّ لي ما أراهنُ به».

لم يدرِ دنك ما كدَّره أكثر: معرفته بأن الحلزون يرشو قيِّم المباريات ليَحصُل على المزاوجات التي يرغب فيها، أم إدراكه أنَّ الرَّجل رغبَ فيه هو. قال وهو يقوم: «لقد قلتُ ما أتيتُ لأقوله. حصاني وسيفي ملكك، وكذا درعي كلُّها».

شبَّك الحلزون أصابعه قائلًا: «لعلَّ لدينا سبيلًا آخَر. أنت لست معدوم المواهب بالكامل. إنك تَسقُط بطريقةٍ في غاية الرَّوعة»، والتمعَت شفتا السيِّر أوثور باللُّعاب عندما ابتسمَ مُكملًا: «سأعيرك جوادك ودرعك... إذا التحقت بخدمتي».

ـ «خدمتك؟». لم يفهم دنك. «أيُّ نوعٍ من الخدمة؟ إنَّ لك مُرافقًا. أيلزمك أن تُزوِّد قلعةً ما بحامية؟».

ـ «ربَّما لو أنَّ عندي قلعةً. لأقول الحقَّ، إنني أفضِّلُ الخانات المريحة. صيانة القلاع باهظة التَّكاليف. لا، الخدمة التي سأطلبها منك هي أن تُواجِهني في مزيد من الدَّورات. عشرون تكفي في تقديري. بإمكانك ذلك بالتَّأكيد، صح؟ ستَحصُل على عُشر أرباحي، وأعدُ بأن أضربك في المستقبل على صدرك العريض هذا، وليس على رأسك».

ـ «تُريدني أن أتنقَّل معك لمجرَّد أن أسقط عن حصاني؟».

قهقهَ السيْر أوثور ببشاشة قائلًا: «إنك عيِّنةٌ قويَّة ضخمة من الرِّجال، ولن يُصدِّق أحدٌ أبدًا أنَّ عجوزًا مستدير الكتفيْن يضع حلزونًا على تُرسه يقوى على غلبتك»، وفركَ ذقنه مواصلًا: «يلزمك عن نفسك شعارٌ جديد بالمناسبة. ذلك الرَّجل المشنوق مُقبض بما يكفي، أقرُّ بهذا، ولكن... إنه مشنوق شنقًا، أليس كذلك؟ ميت ومهزوم. مطلوبٌ شيء أشدُّ. رأس دُبّ ربَّما. جمجمة، أو ثلاث جماجم، أفضل وأفضل. رضيع مخوزَق على حربة. وعليك أن تَترُك شعرك يطول وتُطلق لحيتك، وأفضلُ كلَّما صارَت متشعِّبةً شعثاء. مثل هذه الدَّورات الصَّغيرة أكثر ممَّا تُدرِك. بالأرجحيَّة التي سأنالها سنكسب ما يكفي لشراء بيضة تنِّين قبل...».

ـ «... أنْ ينتشر خبر أني يائس؟ لقد خسرتُ درعي لا شرفي. ستأخذ ثندر وأسلحتي فحسب».

ـ «الكبرياء لا تليق بشحَّاذ أيُّها السيْر. ثمَّة أشياء يُمكنك أن تفعلها أسوأ كثيرًا من الرُّكوب معي. على الأقل بإمكاني أن أعلِّمك شيئًا أو اثنيْن عن المُثاقفة التي تجهلها في الوقت الحالي جهل الخنازير».

ـ «تُريد أن تُبديني كالحمقى».

ـ «لقد فعلتُ ذلك قبل قليل، والحمقى أنفُسهم يجب أن يأكلوا».

أرادَ دنك أن ينزع هذه الابتسامة عن وجهه بلكمة. «أرى سبب وضعك حلزونًا على تُرسك. إنك لست فارسًا حقًّا».

ردَّ السيْر أوثوْر: «تقولها كساذج حقيقي. أأنت أعمى إلى درجة أنك لا ترى الخطر المحدق بك؟»، ووضعَ كوبه جانبًا سائلًا: «أتعرف لِمَ أصبتك حيث أصبتك أيُّها السيْر؟». نهضَ الحلزون ولمسَ دنك بخفَّةٍ في وسط صدره مجيبًا: «كان حدُّ رُمح يضربك هنا سيرميك أرضًا بالسُّرعة ذاتها. الرَّأس هدفٌ أصغرُ، إصابة الضَّربة هدفها أصعب... ولو أنَّ قابليَّتها للقتل أرجح. لقد نُقِدتُ مالًا لأضربك هناك».

تراجعَ عنه دنك. «نُقِدت مالًا؟ ماذا تعني؟».

ـ «ستَّة تنانين مدفوعة مقدَّمًا، أربعة أخرى موعودة عند موتك. مبلغٌ زهيد مقابل حياة فارس. فلتمتنَّ لذلك. لو عُرِضَ أكثر فلربَّما غرستُ رأس رُمحي عبر فتحة الرُّؤية في خوذتك».

عادَ دنك يحسُّ بالدُّوار. *لماذا يدفع أحدهم مالًا لكي أُقتَل؟ إنني لم أوذِ أحدًا في (الجُدران البيضاء)*. مؤكِّد أنَّ أحدًا لا يبغضه إلى ذلك الحدِّ غير إيْريوْن شقيق إج، لكن الأمير السَّاطع في المنفى وراء (البحر الضيِّق). «مَن دفعَ لك؟».

ـ «جلبَ الذَّهب خادمٌ عند الشُّروق، ليس بعد فترةٍ طويلة من تعليق قيِّم المباريات لائحة المزاوجات. كان وجهه مخفيًّا تحت قلنسوة، ولم يَذكُر اسم سيِّده».

ـ «لكن لماذا؟».

ـ «لم أسأل». أعادَ السيْر أوثوْر ملء الكوب قائلًا: «أظنُّ أنَّ لك أعداءً أكثر ممَّا تُدرك أيُّها السيْر دنكن. وكيف لا؟ يُوجَد مَن يقولون إنك السَّبب في ويلاتنا جميعًا».

شعرَ دنك ببردٍ باردة تقبض على قلبه. «قُل ما تعنيه».

هزَّ الحلزون كتفيْه، وقال: «ربَّما لم أكن حاضرًا في (مرج آشفرد)، لكن المُثاقفات عيشي وملحي. إنني أتابعُ المباريات من بُعد مثلما يُتابِع المنْجِمون النُّجوم، وأعرفُ كيف أصبحَ فارسٌ جوَّال معيَّن سبب محاكمةٍ بالسَّبعة في (مرج آشفرد)، أفضَت إلى موت بيْلوْر كاسِر الحراب على يد أخيه ميْكار». جلسَ السيْر أوثوْر ومدَّ ساقيْه متابعًا: «الأمير بيْلوْر كان محبوبًا حُبًّا جمًّا. الأمير السَّاطع كان له أصدقاء أيضًا، أصدقاء لن يزالوا يَذكُرون سبب نفيه. فكِر في عرضي أيُّها السيْر. قد يُخلِّف الحلزون أثرًا من المُخاط، لكن قليلًا من المُخاط لا يضرُّ أحدًا... أمَّا إذا رقصت مع التَّنانين فعليك أن تتوقَّع أن تحترق».

***

بدا النَّهار أقتم حين خرجَ دنك من خيمة الحلزون؛ السُّحب في الشَّرق تعاظمَت وحلكَ لونها، والشَّمس تغوص نحو الغرب ملقيةً بظلالٍ طويلة على السَّاحة. وجدَ المُرافق ويل يفحص أقدام ثندر، فسألَه: «أين إج؟».

ـ «الغُلام الأصلع؟ وما أدراني؟ هربَ إلى مكانٍ ما».

قرَّر دنك في داخله: *لم يُطِق أن يُودِّع ثندر. سيكون في الخيمة مع كُتبه.* على أنه لم يجده هناك. الكتب موجودة، مربوطة بعناية في كومةٍ بجوار لفَّة نوم إج، لكن الغُلام نفسه لا أثر له. شيء ما على غير ما يُرام هنا، شيء شعرَ به دنك. ليس من عادة إج أن يسرح دون إذنه.

كان زوجان أشيبان من الرِّجال المسلَّحين يشربان بيرة الشَّعير خارج سُرادق مقلَّم يَبعُد بضعة أقدام، ويُهمهِم أحدهما: «... طيِّب، سُحقًا لذلك، مرَّة واحدة تكفيني. العُشب كان أخضر لمَّا طلعَت الشَّمس، أجل...». بترَ عبارته إذ لكزَه الرَّجل الآخَر، وعندئذٍ فقط لحظَ دنك. «سيْر؟».

ـ «هل رأيتما مُرافقي؟ اسمه إج».

حكَّ الرَّجل الشَّعر الشَّائب الخشن تحت إحدى أذنيْه قائلًا: «أذكره. شعرٌ أقلُّ من شعري، وفمٌ أكبر من حجمه ثلاث مرَّات. بعض الفِتية الآخَرين خشنَ عليه قليلًا، لكن ذلك حدثَ البارحة. لم أرَه منذ حينها أيُّها السيْر».

قال رفيقه: «أخافوه».

رماه دنك بنظرةٍ قاسية، وقال: «إذا عادَ فقولا له أن ينتظرني هنا».

ـ «حاضر أيُّها السيْر، سنفعل ذلك».

ـ *لعلَّه ذهبَ ليُشاهِد المُثاقفات.* عادَ دنك يتَّجه إلى أرض المجاولات، وفيما مرَّ بالإسطبلات صادفَ السيْر جلندُن بوْل الذي يُمشِّط كرَّارةً جميلةً ذات لونٍ أسمر محمر، فسألَه: «هل

رأيت إج؟».

أجابَه السيْر جلندُن: «جرى مازًا من هنا قبل دقائق قليلة»، وأخرجَ من كُمِّه جزرةً أطعمَها للكرَّارة قائلًا: «هل تروقك فرسي الجديدة؟ اللوْرد كوْستيْن أرسلَ مُرافقه ليدفع فديتها، لكنني قلتُ له أن يدَّخر ذهبه. أنوي الاحتفاظ بها لنفسي».

ـ «حضرته لن يحبَّ ذلك».

ـ «حضرته قال إنني لا أملكُ الحقَّ في وضع كُرة نارٍ على تُرسي، قال لي إنَّ شعاري ينبغي أن يكون أجمةً من صفصاف القِطط. لحضرته أن يذهب وينكح نفسه».

لم يسَع دنك إلَّا أن يبتسم. لقد تعشَّى عن نفسه على تلك المائدة عينها، وابتلعَ رغم أنفه الأصناف المريرة ذاتها التي قدَّمها أمثال الأمير السَّاطع والسيْر ستفوْن فوْسوْواي، وهو ما أشعرَه بأن بينه وبين الفارس الشَّاب شائك الطِّباع آصرة قرابة معيَّنة. *على حدِّ علمي، ربَّما كانت أمِّي عاهرةً أيضًا*. «كم حصانًا ربحت؟».

هزَّ السيْر جلندُن كتفيْه مجيبًا: «لم يَعُد يُمكنني العدَّ. مؤرتمر بوْجز ما زالَ مدينًا لي. يقول إنه يُفضِّل أن يأكل فرسه على أن يَترُكها لنغل عاهرةٍ ليركبها، كما أنه أتلفَ درعه بمطرقةٍ قبل أن يُرسِلها إليَّ. إنها مليئة بالثُّقوب. بإمكاني أن أحصل على شيءٍ مقابل المعدن على ما أظنُّ». حملَ صوته أكثر من الغضب حُزنًا. «كان يُوجَد إسطبل عند الـ... عند الخان الذي رُبِّيتُ فيه. عملتُ هناك في صِباي، واعتدتُ متى استطعتُ أن أتسلَّل بالخيول وأصحابها مشغولون. لطالما برعتُ في ركوب الخيل. خيل رديئة، خيل شُغل، رهوانات، خيل جرٍّ، خيل حرث، خيل

حرب، ركبتها جميعًا، بل وجواد رمالٍ دوْرنيٍ أيضًا. عرفتُ رجلًا عجوزًا علَّمني كيف أصنعُ رماحي بنفسي. فكرتُ أنه إذا أريتهم جميعًا مبلغ مهارتي فلن يجدوا خيارًا إلّا الاعتراف بأني ابن أبي. لكنهم لن يعترفوا. حتى الآن. يَرفُضون أن يعترفوا».

قال له دنك: «بعضهم لن يفعل أبدًا. لا يهمُّ ما تفعله. أمَّا بعض الآخَرين... ليس جميعهم سواءً. لقد قابلتُ بعض الصَّالحين»، وفكّر لحظةً قبل أن يُردِف: «عندما تنتهي الدَّورة أنوي وإج أن نذهب شمالًا لنلتحق بالخدمة في (وينترفل) ونُقاتِل في سبيل آل ستارك ضد الحديديّين. يُمكنك أن تأتي معنا». الشَّمال عالمٌ مستقلٌ بذاته كما قال السيْر آرلان دومًا. على الأرجح لن يعرف أحدٌ هناك بحكاية جني أُم بني وفارس (صفصاف القِطط). *لا أحد سيضحك منك هناك. سيعرفونك بسيفك فقط ويُقدّرونك وفق جدارتك.*

حدجَه السيْر جلندُن بنظرةٍ مرتابة سائلًا: «ولِمَ أريدُ أن أفعل ذلك؟ أتقول لي إنَّ عليَّ أن أهرب وأختبئ؟».

ـ «لا. خطرَ لي فقط... سيفان بدلًا من واحد. الطُّرق ليست آمنةً كما كانت».

قال الفتى على مضض: «صحيحٌ بما فيه الكفاية، لكن أبي وُعِدَ يومًا بموضع بين الحرس الملكي، وأنوي أن أظفر بالمعطف الأبيض الذي لمْ ينَل فُرصة ارتدائه قَط».

أوشكَ دنك أن يقول: *فُرصتك في ارتداء معطفٍ أبيض تُساوي فُرصتي. إنك وليد تابعة معسكرات، وأنا زحفتُ خارجًا من حواري (سفح البراغيث). الملوك لا يُغدِقون بالتّكريم على*

أشباهك وأشباهي. على أنَّ الفتى ما كان ليتقبَّل تلك الحقيقة برحابة صدر، ولذا قال دنك بدلًا من ذلك: «القوَّة لذراعك إذًا».

لم يكد يبتعد إلَّا أقدامًا قليلةً حتى ناداه السيْر جلندُن: «سيْر دنكن، انتظِر. لم... لم يجب أن أتحدَّث بهذه الحدَّة. على الفارس أن يتحلَّى بالكياسة كما تعوَّدت أمِّي أن تقول». بدا أنَّ الفتى يُكافِح ليجد الكلام. «اللوْرد پيك أتى ليراني بعد مُثاقفتي الأخيرة. لقد عرضَ عليَّ مكانًا في (ستارپايك). قال إنَّ في الطَّريق عاصفةً لم تشهد (وستروْس) مثيلتها منذ جيلٍ كامل، إنه سيحتاج إلى سيوفٍ ورجالٍ يحملونها، رجالٍ أوفياء يعرفون كيف يُطيعون الأوامر».

استعصى على دنك تصديق ذلك. جوْرموْن پيك جاهرَ باحتقاره الفُرسان الجوَّالة، على الطَّريق وعلى السَّطح، إلَّا أنَّ العرض سخيٌّ. بحذرٍ قال: «پيك لوْرد كبير، لكنه... لكنه ليس رجلًا يُمكنني الثِّقة به على ما أظنُّ».

توردَّد وجه الفتى، وقال: «نعم. لقد طلبَ ثمنًا. سيضمُّني إلى خدمته، قال... ولكن عليَّ أوَّلًا أن أثبت إخلاصي. سيحرص أن أواجه صديقه الكمنجي في النِّزال التَّالي، وأرادَني أن أقسم أن أنهزِم».

صدَّقه دنك عالمًا أنَّ المفترَض أن يصدمه هذا، غير أنه بطريقةٍ ما لم يُصدَم. «ماذا قلت؟».

ـ «قلتُ إنني قد لا أتمكَّنُ من الانهزام أمام الكمنجي ولو حاولتُ، إنني أسقطتُ بالفعل رجالًا أبرع منه مرارًا، إنَّ بيضة

التنّين ستكون لي قبل ختام اليوم»، وابتسمَ بوْل بخفوتٍ مُردفًا: «ليست الإجابة التي أرادَها. نعتَني بالحماقة حينها، وقال إنه خيرٌ لي أن أتوخّى الحذر. للكمنجي أصدقاء كُثر كما قال، وأنا بلا أصدقاء».

وضعَ دنك يدًا على كتفه واعتصرَها قائلًا: «بل لك صديقٌ أيُّها السيْر. اثنان بمجرَّد أن أعثر على إج».

نظرَ إليه الفتى في عينه مومئًا برأسه، وقال: «يسرُّني أن أعرف أنه ما زالَ في العالم فُرسان حقيقيُّون».

***

ألقى دنك بنظرته الأولى من كثب على السيْر تؤمارد هِدِل وهو يُفتِّش عن إج في الزِّحام حول مضمار النِّزال. ابن اللوْرد بَتَرول الصِّهر متين البنية عريض الصَّدر كالبرميل، ويرتدي صفائح سوداء فوق الجلد المغلي، ويعتمر خوذةً منمَّقةً مشكلةً لتُحاكي شيطانًا ما حرشفيًّا سائل اللُّعاب. حصانه أطول من ثندر بثلاثة أشبار وأثقل منه بحجريْن، حيوانٌ وحش مدرَّع بحلقات المعدن، لكن وزن كلِّ هذا الحديد أبطأه، فلم يتعدَّ هِدِل الخبب وقت انطلاقه في المضمار، غير أنَّ ذلك لم يُعِقه عن التَّغلُّب سريعًا على السيْر كلارنس تشارلتن، وفيما حُمِلَ تشارلتن من المضمار على محفَّة، خلعَ هِدِل خوذته الشَّيطانيَّة. رأسه عريض أصلع، ولحيته سوداء ومربَّعة، وعلى خدِّه ورقبته تتقيَّح دمامل

حمـراء غاضبـة.

يعـرف دنـك هـذا الوجـه. إنـه الفـارس الـذي زمجـرَ فيـه في غُرفـة النَّـوم عندمـا لمـسَ بيضـة التنِّيـن، الرَّجـل صاحـب الصَّـوت العميـق الـذي سـمعَه يتكلَّـم مع اللـوْرد پيـك.

انـدفعَ خليـطٌ مـن الكلمـات إلى ذاكرتـه... *مأدبة الشـحَّاذين التـي فرشـتها أمامنـا... هـل الفـتى ابـن أبيـه... الفـولاذ الأليـم... يحتـاج إلى السَّـيف... صاحـب الدَّم اللَّبني العجـوز يتـوقَّع... هـل الفـتى ابـن أبيـه... أؤكِّـدُ لـك أنَّ غُـداف الـدَّم ليـس مستغرقًا في الأحلام... هـل الفـتى ابـن أبيـه؟*

حـدَّق إلى مدرَّجـات المشـاهدة متسـائلًا هـل وجـدَ إج وسـيلةً مـا ليأخـذ موضعـه المسـتحَقَّ بيـن الأعيـان، لكنـه لـم يـرَ أثـرًا للـغُلام. بَتَـرِول وفـراي أيضًـا غائبـان، مع أنَّ زوجـة بَتَـرِول لا تـزال عـلى مقعدهـا، يبـدو عليهـا الملـل والتَّململ. فكـر دنـك: *غريـبٌ هـذا*. هـذه قلعـة بَتَـرِول، وهـذا زفافـه، وفـراي أبـو العـروس. هـذه المُثاقفـات عـلى شـرفهما، فأيـن عسـاهما ذهبـا؟

جهـورَ الحاجـب: «السـيْر أوثـوْر أندرليـف. السـيْر ثـيوْمور سـليل عائلـة بولـوَر، الثَّـور العجـوز، مـن فُرسـان (التَّـاج الأسـود). تقدَّمـا وأثبِتـا بسـالتكما».

بـدا منظـر الثَّـور العجـوز مخيفًـا بدرعـه الحمـراء القانيـة وخوذتـه الـتي يرتـفع منهـا قرنـا ثـورٍ أسـودان، ولـو أنـه احتـاجَ إلى مسـاعدة مُرافـقٍ مفتـول العـضلات ليسـتطيع ركـوب حصانـه، والطَّريقـة الـتي ظـلَّ رأسـه يتلفَّـت بهـا أوحَـت بـأن السـيْر مِاينـارد أصـابَ في قولـه عـن عينـه، ومع ذلـك تلقَّى الرَّجـل هتافًـا حماسـيًّا إذ دخـلَ المضمار.

أمَّا الحلزون فلا، وهو ما فضَّله لا ريب. في الجولة الأولى ضربَ كلا الفارسيْن ضربةً عابرةً، وفي الثَّانية كسرَ الثَّور العجوز رُمحه على تُرس السيْر أوثوْر، فيما أخطأت ضربة الحلزون هدفها بالكامل. الشَّيء نفسه حدثَ في الجولة الثَّالثة، وهذه المرَّة تمايلَ السيْر أوثوْر كأنه على شفا السُّقوط. أدركَ دنك: *إنه يتصنَّع، يُماطِل لتطول المسابقة لكي تتضاعَف الأرجحيَّة في المرَّة التَّالية*. لم يكن عليه إلَّا أن يُلقي نظرةً سريعةً حوله ليرى ويل منهمكا في العمل، يجمع الرِّهانات من أجل سيِّده. عندها فقط خطرَ له أنه كان بإمكانه أن يُضيف عُملةً أو اثنتيْن إلى كيس نقوده بالرِّهان على الحلزون. *دنك الأنوَك، غليظ العقل كسور قلعة*.

سقطَ الثَّور العجوز في الجولة الخامسة، أطيحَ به جانبًا برأس رُمح انزلقَ بحذقٍ عن تُرسه ليُصيبه في صدره. اشتبكت قدمه بركابه إذ سقطَ، وجرَّه حصانه أربعين ياردةً عبر المضمار قبل أن يتمكَّن رجال بولوَر من كبح جماحه. ومرَّةً أخرى خرجَت المحفَّة لتحمله إلى الميْستر. بدأت قطرات قليلة من المطر تَسقُط فيما حُمِلَ بولوَر، جاعلةً البقاع التي سقطَت عليها في معطفه أغمق. شاهدَ دنك بلا تعبير وهو يُفكِر في إج. *ماذا إذا وضعَ عدوِّي السرِّي هذا يده عليه*؟ الاحتمال معقول كأيِّ احتمالٍ آخَر. *الغُلام ليس ملومًا. لو أنَّ عند أحدهم خلافًا معي فيجب ألَّا يتحمَّل هو عاقبته*.

***

وجدَ دنك السيْر چوْن الكمنجي وهو يُسلِّح للنِّزال التَّالي، يخدمه مُرافقون لا يقلُّ عددهم عن ثلاثة، يربطون أحزمة درعه ويعتنون بكسوة حصانه، فيما يجلس اللوْرد آلِن كوْكشوْ على مقربةٍ يشرب نبيذًا مخفَّفًا بالماء ويبدو مرضوضًا شكسًا. عندما أبصرَ دنك تكلَّم اللوْرد آلِن بسرعةٍ غاضبة ريَّلت النَّبيذ على صدره: «كيف يُمكن أنك ما زلت تمشي؟ الحلزون هشَّم وجهك».

ـ «پيْت الفولاذي صنعَ لي خوذةً قويَّةً ممتازةً يا سِيدي، ورأسي صُلب كالحجر كما اعتادَ السيْر آرلان القول».

ضحكَ الكمنجي قائلًا: «لا تُعر آلِن اهتمامًا. نغل كُرة النَّار أسقطَه من فوق حصانه على عجيزته الممتلئة، وهكذا قرَّر أنه يكره الفُرسان الجوَّالة كافَّةً».

أصرَّ آلِن كوْكشوْ: «ذلك المخلوق التَّعس المبثَّر ليس ابنًا لكونتِن بوْل. لم يجب إطلاقًا أن يُسمَح له بالمنافسة. لو أنَّ هذا زفافي لأمرت بجَلده لقاء اجترائه».

قال السيْر چوْن: «وأيُّ فتاةٍ يُمكن أن تتزوَّجك؟ واجتراء بوْل أقلُّ إزعاجًا بكثير من عبوسك. سيْر دنكن، أيتصادَف أنك صديقٌ لجالتري الأخضر؟ عليَّ بعد قليلٍ أن أفرِّق بينه وبين حصانه».

لم يشكَّ دنك في هذا. «لا أعرفُ الرَّجل يا سِيدي».

ـ «هل تتناوَل كوبًا من النَّبيذ؟ قليلًا من الخُبز والزَّيتون؟».

ـ «أريدُ كلمةً فقط يا سِيدي».

قال الكمنجي: «لك كلُّ الكلمات التي ترغب فيها. فلننتقل

إلى سُرادقي»، ورفعَ له السَّديلة مضيفًا: «ليس أنت يا آلِن. عليك أن تُقلِّل من أكل الزَّيتون إذا أردت الحقَّ».

في الدَّاخل التفتَ الكمنجي إلى دنك، وقال: «كنتُ أعلمُ أنَّ السيْر أوثور لم يَقتُلك. أحلامي لا تُخطئ أبدًا. وعلى الحلزون أن يُواجِهني قريبًا. بمجرَّد إسقاطه سأطالبُ باستعادة أسلحتك ودرعك، وبرذونك أيضًا، مع أنك تستحقُّ مطيَّةً أفضل. هلَّا أخذت واحدًا هديَّةً مني؟».

ـ «أنا... لا... لا يُمكنني ذلك». أزعجَت الفكرة دنك. «لا أقصدُ أن أكون جاحدًا، ولكن...».

ردَّ السيْر چوْن: «لو أنَّ الدَّين ما يُقلِقك فاطرد تلك الفكرة من ذهنك. لستُ محتاجًا إلى فضَّتك أيُّها السيْر، بل إلى صداقتك فحسب. كيف يُمكنك أن تُصبِح واحدًا من فُرساني بلا حصان؟»، ووضعَ قُفَّازيه المصنوعيْن من الفولاذ المشبَّك وثنى أصابعه وبسطَها.

ـ «مُرافقي مفقود».

ـ «هربَ مع فتاةٍ ربَّما؟».

ـ «إج صغيرٌ جدًّا على الفتيات يا سِيدي. لا يُمكن أبدًا أن يَترُكني بإرادته. حتى إن كنتُ أموتُ فسيبقى حتى تَبرُد جثَّتي. ما زالَ حصانه هنا، وكذلك بغلنا».

ـ «إذا أردت، أستطيعُ أن أطلب من رجالي البحث عنه».

ـ *رجالي*. لم يَرُق دنك وقع الكلمة. *دورة مباريات للخونة*. «لستَ فارسًا جوَّالًا».

ـ «نعم». امتلأت ابتسامة الكمنجي بالجاذبيَّة الصِّبيانيَّة. «لكنك عرفت ذلك من البداية. إنك تدعوني بـ«سِيدي» منذ التقينا على الطَّريق، فلِمَ؟».

ـ «الطَّريقة التي تتكلَّم بها. الطَّريقة التي تبدو بها. الطَّريقة التي تتصرَّف بها». *دنك الأنوَك، غليظ العقل كسور قلعة.* «فوق السَّطح ليلة أمس قلتَ أشياء...».

ـ «النَّبيذ يجعلني أكثرُ من الكلام، لكنني عنيتُ كلَّ كلمة. إنَّ مكاننا معًا أنت وأنا. أحلامي لا تكذب».

ردَّ دنك: «أحلامك لا تكذب، لكنك تكذب. چوْن ليس اسمك الحقيقي، صح؟».

ـ «بلى». تلألأت في عينَي الكمنجي العفرتة.

ـ *إنَّ له عينَي إج.*

ـ «اسمه الحقيقي سيُكشَف في القريب العاجل لمَن تلزمهم المعرفة». كان اللوْرد جوْرموْن پيك قد انسلَّ إلى داخل السُّرادق مقطِّبًا. «أيُّها الفارس الجوَّال، إنني أحذِّرك...».

قاطعَه الكمنجي: «أوْه، كفاك يا جوْرمي. السيْر دنكن معنا، أو إنه سيُصبِح كذلك قريبًا. كما أخبرتك، لقد حلمتُ به». في الخارج دوَّى بوق الحاجب، فقال الكمنجي: «إنهم يستدعونني إلى المضمار. أرجو أن تَعذُرني أيُّها السيْر دنكن. يُمكننا استئناف حديثنا بعدما أتخلَّصُ من السيْر جالتري الأخضر».

قال دنك: «القوَّة لذراعك». من الكياسة أن يقول هذا.

مكثَ اللوْرد جوْرمون بعد ذهاب السيْر چون، وقال: «أحلامه ستجلب علينا الموت جميعًا».

سمعَ دنك نفسه يسأل: «كم كلَّف شراء السيْر جالتري؟ هل كفَت الفضَّة أم إن الذَّهب ما يلزمه؟».

علَّق پيك: «أحدهم ثرثرَ لك حسبما أرى»، وأجلسَ نفسه على كُرسي معسكراتٍ قائلًا: «إنَّ معي دستةً من الرِّجال في الخارج. حريٌّ بي أن أناديهم وآمرهم بنحرك أيُّها السيْر».

ـ «ولِمَ لا تفعل؟».

ـ «صاحب الجلالة لن يرضى عن ذلك».

ـ *صاحب الجلالة*. شعرَ دنك كأنَّما لُكِمَ في بطنه، وفكَّر: *تنّينٌ أسود آخَر. تمرُّد بلا كفاير آخَر. وقريبًا حقل عُشب أحمر آخَر. العُشب لم يكن أحمر عندما طلعَت الشَّمس.* «لماذا هذا

الزِّفـاف؟».

ـ «اللوْرد بَتَـرول أرادَ زوجـةً شـابَّةً جديـدةً لتُـدفِّئ فِراشـه، واللوْرد فـراي عنـده ابنـةٌ ملوَّثـة نوعًـا. قرانهمـا زوَّد بعـض اللوْردات مشـتَرَكي الميـول بحُجَّـة مقبولـة للاجتمـاع. معظـم المدعوِّيـن هنـا قاتـلَ في سـبيل التنِّيـن الأسـود ذات يـوم، والبقيَّـة عندهـم أسـباب للسُّـخط على حُكـم غُـداف الدَّم، أو يكنُّون شكاوى أو طموحاتٍ تخصُّهم. كثيـرون منـا أُخِذَ منهـم أبنـاء وبنـات إلى (كينجـز لانـدنج) لضمـان ولائنـا مسـتقبلًا، لكـن أغلـب الرَّهائـن قـضى خلال الوبـاء الرَّبيـعي العظيـم. أيادينـا لـم تَعُـد مقيَّـدةً. لقـد حـانَ وقتنـا. إيْـرس ضعيـف، رجـلٌ محـبٌّ للكُتـب وليـس بمُحـارب. العمـوم بـالكاد يعرفونـه، ومـا يعرفونـه لا يُعجِبهـم، ومحبَّتـه عنـد لوْرداتـه أقـلُّ. أبـوه أيضًـا كان ضعيفًـا، صحيـحٌ هـذا، ولكـن عندمـا هُـدِّدَ عرشـه كان عنـده ابنـان ينـزلان إلى ميـدان القتـال نيابـةً عنـه. بيْـلوْر وميْـكار، المطرقـة والسَّـندان... غيـر أنَّ بيْـلوْر كاسِـر الحـراب راحَ، والأميـر ميْـكار يقبـع واجمًـا في (بهـو الصَّيـف)، في خصـامٍ مع الملـك ويـده».

فكِّـر دنـك: *أجـل، والآن سلَّـم فـارسٌ جـوَّال أحمـق ابنـه المفضَّـل إلى أيـدي أعدائـه. هـل مـن وسـيلةٍ أفضـل تكفـل ألَّا يتحـرَّك الأمـير مـن (بهـو الصَّيـف) أبـدًا؟* قـال: «غُـداف الـدَّم موجـود. إنـه ليـس ضعيفًـا».

قـال اللوْرد پيـك: «نعـم، لكـن أحـدًا لا يحـبُّ المشـعوذين، وقتَلـة الأقربيـن ملعونـون في أنظـار الآلهـة والبشـر. عنـد أوَّل بـادرة ضعـف أو هزيمـة سـيذوب رجـال غُـداف الـدَّم كثلـوج الصَّيـف. وإذا تحقَّـق الحُلـم الـذي حلمَـه الأميـر وظهـرَ تنِّيـنٌ حيٌّ هـا هنـا في (الجُـدران

البيضاء)...».

أتمَّ دنك جُملته: «... فالعرش لك».

قال اللوْرد جوْرموْن بيك: «له. ما أنا إلَّا خادم متواضع»، وقامَ مُتبعًا: «لا تُحاوِل مغادرة القلعة أيُّها السيْر. إذا حاولت فسأعدُّه دليلًا على الغدر، وستدفع الثَّمن بحياتك. لقد قطعنا شوطًا أطول من أن نعود أدراجنا».

***

فيما بصقَت السَّماء الرَّصاصيَّة مطرًا مدرارًا، التقطَ چوْن الكمنجي والسيْر جالتري الأخضر رُمحيْن جديديْن عند طرفَي المضمار المتقابليْن، وقد أخذَ بعض ضيوف الزِّفاف يتدفَّق نحو القاعة الكُبرى منحنيًا تحت المعاطف.

يمتطي السيْر جالتري فحلًا أبيض، وتُزيِّن ريشةٌ خضراء مرتخية خوذته وواحدةٌ مماثلة واقي عُنق حصانه. معطفه مرقَّعٌ من مربَّعات قُماش متعدِّدة، لكلٍّ منها درجةٌ مختلفة من الأخضر، وتَبرُق كلسته وقُفَّازه برصائع من الذَّهب، ويعرض تُرسه تسع نجماتٍ بخُضرة اليشم على خلفيَّةٍ بخُضرة الكرَّاث. حتى لحيته مصبوغةٌ بالأخضر على نهج رجال (تايروْش) وراء (البحر الضيِّق).

تسع مرَّاتٍ كرَّ هو والكمنجي برماح مسدَّدة، فارس الرُّقع الخضراء واللوْرد الشَّاب صاحب السُّيوف والكمنجات الذَّهبيَّة،

وتسع مرَّاتٍ تحطَّمت رماحهما. بحلول الجولة الثَّامنة كانت الأرض قد بدأت تطرى، فخاضَ البِرذونان الكبيران في بِرك من ماء المطر، وفي التَّاسعة كادَ الكمنجي يَسقُط، لكنه استعادَ توازُنه قبل أن يَحدُث ذلك، ونادى ضاحكا: «أحسنتَ الضَّربة. كدتَ تُرديني أيُّها السيْر».

صاحَ الفارس الأخضر عبر المطر: «في القريب العاجل».

ـ «لا، لا أظنُّ». رمى الكمنجي رُمحه المتشظِّي، وناولَه مُرافق واحدًا جديدًا.

كانت جولتهما التَّالية الأخيرة. احتكَّ رُمح السيْر جالتري بلا تأثيرٍ بتُرس الكمنجي، فيما أصابَ السيْر چوْن الفارس الأخضر في منتصف صدره مباشرةً وطرحَه من فوق سرجه ليحطَّ أرضًا في فوضى بنِيَّة عارمة. في الشَّرق رأى دنك وميض برقٍ بعيد.

بدأت منصَّات المشاهدة تَشغُر سريعًا إذ هرعَ العوام واللوْردات على حدٍّ سواءٍ ليحتموا من البلل. «انظُر كيف يَركُضون». غمغمَ آلِن كوْكشوْ بالتَّعليق وهو ينسلُّ ليقف بجوار دنك. «قطرات قليلة من المطر ويذهب اللوْردات العظام جميعًا مصوّتين طلبًا للمأوى. ماذا سيفعلون حينما تثور العاصفة الحقيقيَّة يا تُرى؟».

ـ *العاصفة الحقيقيَّة*. علمَ دنك أنَّ اللوْرد آلِن لا يتكلَّم عن الطَّقس. *ماذا يُريد هذا الرَّجل؟ هل قرَّر فجأةً أن يُصادِقني؟*

من جديدٍ اعتلى الحاجب المنصَّة، وصاحَ فيما هزمَ الرَّعد من بعيد: «السيْر تومارد هِدِل، من فُرسان (الجُدران البيضاء)، في خدمة اللوْرد بَتَرول. السيْر أوثوْر أندرليف. تقدَّما وأثبتا

بسالتكما».

ألقى دنك بنظرةٍ نحو السيّر أوثور في الوقت المناسب ليرى ابتسامة الحلزون تستحيل عبوسًا. *ليس النِّزال الذي دفعَ ليخوضه. قيِّم المباريات خدعَه، ولكن لِمَ؟ شخصٌ آخَر تدخَّل، شخصٌ يُقدِّره كوزجروڤ أكثر من أوثور أندرليف.* تفكّر دنك في الأمر قليلًا، ودُفعةً واحدةً أدركَ: *إنهم يجهلون أنَّ أوثور لا ينوي الفوز، يرونه تهديدًا، ولذا يستهدفون أن يُزيحه تؤم الأسود من طريق الكمنجي.* هِدِل نفسه جزء من مؤامرة پيك، ويُمكن الاعتماد عليه في الخسارة عندما تدعو الحاجة. هكذا لا يتبقَّى إلَّا...

وإذا باللوْرد پيك نفسه يقتحم المضمار الموحل ليتسلَّق السَّلالم إلى منصَّة الحاجب ومعطفه يُرفرف وراءه، ويصيح: «خيانة! لغُداف الدَّم جاسوس بيننا. بيضة التنِّين سُرقَت!».

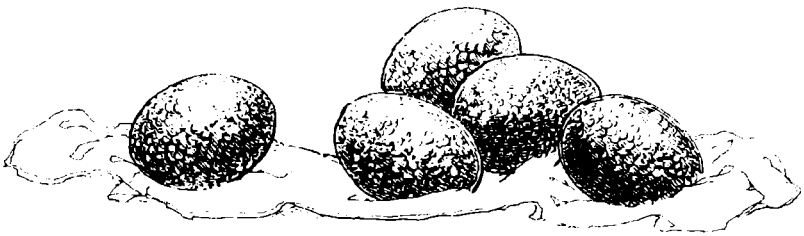

دارَ السيّر چوْن الكمنجي بمطيَّته قائلًا: «بيضتي؟ كيف يُمكن ذلك؟ اللوْرد بَتَرول يضع حرسًا خارج غُرفة نومه ليلًا ونهارًا».

أعلنَ اللوْرد پيك: «قُتِلوا، لكن رجلًا منهم ذكرَ اسم قاتِله قبل أن يموت».

تساءلَ دنك: *أينوي أن يتَّهمني؟* لقد رأته دستةٌ من الرِّجال يلمس بيضة التِّنِّين البارحة عندما حملَ الليْدي بَتَرول إلى سرير السيِّد زوجها.

طعنَت إصبع اللوْرد جوْرموْن الهواء اتِّهامًا إذ قال: «ها هو ذا. ابن العاهرة. اقبضوا عليه».

عند طرف المضمار القصيّ نظرَ السيْر جلندُن بوْل بارتباك. للحظةٍ لم يبدُ أنه يفهم ما يَحدُث، إلى أن رأى الرِّجال يندفعون نحوه من كلِّ اتِّجاه. ثم تحرَّك الفتى بسرعةٍ جاوزَت قُدرة دنك على التَّصديق، فأخرجَ نصف سيفه من غِمده فيما طوَّق الرَّجل الأوَّل حلقه بذراعه، وانتزعَ بوْل نفسه من قبضته، ولكن عندئذٍ انقضَّ عليه اثنان آخَران فارتطما به وجرَّاه إلى الوحل، واحتشدَ حوله رجالٌ غيرهم يزعقون فيه ويَركُلونه. فكر دنك مدركًا: *كان يُمكن أن يكون هذا أنا*، وقد شعرَ بالعجز الذي تملَّكه في (مرج آشفرد) يوم أخبَروه بوجوب فقدانه يدًا وقدمًا.

سحبَه آلن كوْكشوْ إلى الخلف قائلًا: «لا تتدخَّل إذا أردت العثور على مُرافقك ذاك».

التفتَ إليه دنك بحركةٍ حادَّة ليسأله: «ماذا تعني؟».

ـ «قد أعرفُ أين تجد الغُلام».

ـ «أين؟». ليس دنك في مزاجٍ للألعاب.

عند طرف المضمار القصيّ شُدَّ السيْر جلندُن بخشونةٍ ليقف مجدَّدًا، وكُبِّلَ بين رجليْن مسلَّحيْن يرتديان كلاهما زردًا ويعتمر خوذةً قصيرةً. اصطبغَ الفتى بالبنّي من الخصر إلى الكاحليْن،

وانهمرَ الدَّم والمطر على وجنته. *دمُ بطل*. قالها دنك لنفسه فيما ترجَّل توْم الأسود أمام الأسير وسأله: «أين البيضة؟».

قطرَ الدَّم من فم بوْل. «لِمَ أسرقُ البيضة؟ لقد كنتُ على وشك الفوز بها».

فكَّر دنك: *أجل، وذلك شيء ما كان يُمكن أن يسمحوا به.*

ضربَ توْم الأسود بوْل على وجهه بقبضة مغلَّفة بحلقات المعدن، وقال اللوْرد پيك آمرًا: «فتِّشوا خِراج سرجه. سنجد بيضة التنِّين ملفوفةً مخبَّأةً، أراهنُ».

خفضَ اللوْرد آلن صوته قائلًا: «وسيجدونها. تعالَ معي إذا أردت العثور على مُرافقك. لا وقت أنسب من الآن وكلُّهم مشغول»، ولم ينتظر جوابًا.

تبعَه دنك مضطرًّا، وحاذَته ثلاث خُطواتٍ طويلة واسعة باللوْرد الصَّغير. «إذا آذيت إج بأيِّ شكل...».

ـ «الغِلمان ليسوا ذوقي. من هنا. خِفَّ خُطاك».

عبر رُواقٍ مقنطر، ونزولًا على درجاتٍ موحلة، وحول زاوية، تبعَه دنك خائضًا في بِرك الماء فيما يَسقُط المطر حولهما. لزما الحركة قُرب الجُدران ملتحفيْن بالظِّلال، ليتوقَّفا أخيرًا في فِناءٍ مغلق، أرضه المرصوفة بالحجارة ملساء زلقة. المباني هناك متراصَّةٌ على كلِّ جانب، وبالأعلى نوافذ مغلقة مسدلة السَّتائر، وفي منتصف الفِناء بئرٌ محوَّطة بسورٍ حجريٍّ واطئ.

فكَّر دنك: *بُقعة منعزلة*. لم يُعجبه إحساسه بالمكان، وحثَّته الغريزة القديمة على مدِّ يده إلى مقبض سيفه قبل أن يتذكَّر أنَّ

الحلزون فازَ بسيفه، وبينما تحسَّس وركه حيث يُفترَض أن يُعلَّق غِمده، أحسَّ برأس سكِّينٍ يخزه في أسفل ظهره. «دُر لتُهاجِمني وسأستأصلُ كُليتك وأعطيها لطبَّاخ بَتَرول ليُحمِّرها من أجل المأدبة».

انغرسَ السكِّين في ظهر جركينة دنك بإصرار. «إلى البئر. لا حركات مباغتة أيُّها السيِّر».

ـ إذا رمى إج في هذه البئر فسيحتاج إلى ما هو أكثر من سكِّينٍ لُعبة صغير ليُنقِذ نفسه. تقدَّم دنك بتؤدةٍ شاعرًا بالغضب يتنامى في بطنه.

اختفى النَّصل الملتصق بظهره، وقال كوكشوْ: «لك أن تلتفت وتُواجِهني الآن أيُّها

الفـارس الجـوَّال».

فالتفتَ دنك. «سِيدي. ألهذا صلةٌ ببيضة التنّين؟».

أجابَ السيْر آلِن: «لا، بل له صلةٌ بالتنّين. أظننتني سأقفُ بلا حراكٍ وأدعك تسرقه؟»، وتجهَّم مُردفًا: «لقد وجبَ أن أكون أعقلَ من أن آتمِن ذلك الحلزون البائس على قتلك. سأستردُّ ذهبي، كلَّ قطعةٍ منه».

ـ هو؟ *هذا اللوْرد الصَّغير المعطَّر الممتلئ ذو الوجه الممتقع هو عدوّي السرّي*؟ لم يعرف دنك هل يضحك أم يبكي. «السيْر أوثوْر استحقَّ ذهبه. كلُّ ما في الأمر أنَّ لي رأسًا صُلبًا».

ـ «على ما يبدو. تراجع».

فأخذَ دنك خُطوةً إلى الوراء.

ـ «ثانيةً، ثانيةً، مرَّةً أخرى».

خُطوة أخرى والتصقَ بالبئر لتضغط أحجارها على أسفل ظهره.

ـ «اجلس على الحافة. لست تخشى حمَّامًا صغيرًا، أليس

كذلك؟ لا يُمكن أن تزداد بللًا».

ـ «لا أستطيعُ السِّباحة». أراحَ دنك يدًا على البئر فأحسَّ بالأحجار مبتلَّةً، وتحرَّك أحدها تحت ضغط كفِّه.

ـ «يا للأسف. هل ستقفز أم عليَّ أن أخزك؟».

ألقى دنك نظرةً إلى أسفل، فرأى قطرات المطر تُشكِّل غمَّازات في ماء البئر على انخفاض عشرين قدمًا كاملةً، والجُدران مغطَّاةً بلزوجة الطِّحالب. «أنا لم أوذِك قَطُّ».

ـ «ولن تفعل أبدًا. ديْمون لي. سأقودُ حرسه الملكي. أنت لست جديرًا بمعطفٍ أبيض».

ـ «لم أدَّعِ ذلك إطلاقًا». *ديْمون*. رنَّ الاسم في رأس دنك. *ليس چون. ديْمون، على اسم أبيه. دنك الأنوَك، غليظ العقل كسور قلعة*. «ديْمون بلاكفاير أنجبَ سبعة أبناء، اثنان ماتا في (حقل العُشب الأحمر)، توأمان...».

ـ «إيْمون وإيْجون. بلطجيَّان أبلهان مأفونان، مثلك تمامًا. في صِغرنا تلذَّذا بتعذيبي أنا وديْمون. لقد بكيتُ عندما حملَه الفولاذ الأليم إلى المنفى، وبكيتُ ثانيةً عندما أبلغَني اللوْرد پيك أنه عائدٌ إلى الوطن. ثم إنه رآك أنت على الطريق ونسيَ أنني موجود». لوَّح كوْكشوْ بخنجره مهدِّدًا إذ أردفَ: «لك أن تغطس في الماء كما أنت، أو لك أن تغطس فيه وأنت تنزف. أيُّهما تختار؟».

أغلقَ دنك يده حول الحجر المخلخل، فاتَّضح أنه أقلُّ خلخلةً ممَّا أملَ، وقبل أن يستطيع انتزاعه انقضَّ السيْر آلِن. التوى

دنك جانبًا، فشقَّ رأس السكّين لحم ذراع تُرسه، وعندئذ انخلعَ الحجر. أطعمَه دنك لحضرة اللؤرد، وشعرَ بالأسنان تتهشَّم من الضَّربة. «البئر تُريد؟». ثانيةً ضربَ اللؤرد الصَّغير في فمه، ثم أفلتَ الحجر وأطبقَ على معصم كؤكشؤ ولواه حتى انكسرَت عظمةٌ وسقطَ الخنجر فوق الحجارة. «بعدك يا سيدي». بخُطوةٍ إلى الجانب شدَّ دنك ذراع اللؤرد الصَّغير وزرعَ ركلةً في ظهره من أسفل، لينقلب اللؤرد آلِن رأسًا في البئر ويرتفع صوت ماءٍ يتناثَر.

ـ «أحسنت أيُّها السيّر».

أسرعَ دنك يدور على عقبيْه. في المطر لم يُميِّز غير جسم مقلنس وعين بيضاء شاحبة واحدة، وفقط حين تقدَّم الرَّجلُ اتَّخذ الوجه المظلَّل تحت القلنسوة ملامح السيّر مايناردِ بلَم المألوفة، وتبيَّن أنَّ العين الشَّاحبة ليست إلّا دبُّوس حجر القمر الذي يُثبِّت معطفه إلى كتفه.

في البئر بالأسفل كان اللؤرد آلِن يتخبَّط ويَنثُر الماء ويُنادي طالبًا النَّجدة. «جريمة قتل! فليُساعِدني أحد!».

قال دنك: «حاولَ أن يَقتُلني».

ـ «وهو ما يُفسِّر كلَّ هذا الدَّم».

ـ «دم؟». نظرَ فرأى ذراعه اليُسرى حمراء من الكتف إلى المرفق، وغلالته تُلاصِق جلده. «أوْه».

لا يَذكُر دنك أنه سقط، ولكن إذا به على الأرض وقطرات المطر تجري على وجهه. تناهى إلى سمعه نحيب اللؤرد آلِن من

البئر، لكن تخبُّطه صارَ أوهى. قال السيْر ماينارد: «علينا أن نربط هذه الذِّراع»، ودسَّ ذراعه هو تحت دنك قائلًا: «هلمَّ، انهض. لا أستطيعُ حملك وحدي. استخدِم قدميْك».

فاستخدمَ دنك قدميْه. «اللوْرد آلِن. سيغرق».

ـ «لن يفتقده أحد، بخاصَّةٍ الكمنجي».

شهقَ دنك ممتقعًا من الألم، وقال: «إنه ليس كمنجيًّا».

ـ «نعم. إنه ديْموْن سليل عائلة بلاكفاير، الثَّاني من اسمه. أو هكذا سيدعو نفسه إذا ظفرَ بالعرش الحديدي يومًا. سيُدهشك أن تعرف عدد اللوْردات الذين يُفضِّلون ملوكهم شُجعان وأغبياء. ديْموْن شابٌّ وجذَّاب ويبدو حسن المظهر فوق حصان».

الأصوات من البئر تكاد تُصبح أخفت من أن تُسمَع. «ألا يجب أن نُلقي لحضرته حبلًا؟».

ـ «نُنقذه الآن لنُعدمه لاحقًا؟ لا أظنُّ. دعه يأكل الوجبة التي انتوى أن يُقدِّمها لك. هيَّا، اتَّكئ عليَّ». قادَه بلَم عبر الفِناء. من هذا القُرب يبدو في سبكة ملامح السيْر ماينارد شيء غريب؛ كلَّما أطالَ دنك النَّظر بدا أنَّ ما يراه أقلُّ. «لقد حضضتك على الهرب كما تَذكُر، لكنك قدَّرت شرفك أكثر من حياتك. الميتة الشَّريفة شيء طيِّب حسن، ولكن لو أنَّ المعرَّض للخطر ليس حياتك أنت فماذا إذًا؟ هل ستبقى إجابتك كما هي أيُّها السيْر؟».

ـ «حياة مَن؟». من البئر أتى صوت الماء يتناثَر مرَّةً أخيرةً. «إج؟ أتعني إج؟». قبضَ دنك على ذراع بلَم سائلًا بشراسة: «أين هو؟».

ـ «مع الآلهة. وستعرف أنت السَّبب على ما أظنُّ».

الألم الذي تلوَّى في داخل دنك لحظتها أنساه ذراعه، وأنَّ قائلًا: «حاولَ استخدام الحذاء».

ـ «هكذا تقديري. لقد أرى الخاتم للميْستر لوْثار، الذي أخذَ الغُلام إلى بَتَرول، الذي لا شكَّ أنه بالَ في بنطاله لمرأى الخاتم وبدأ يتساءَل هل اختارَ الطَّرف الخطأ وكم يعلم غُداف الدَّم عن هذه المؤامرة. الإجابة عن الشِّق الأخير: كثيرًا جدًّا». قالها بلَم وقهقهَ.

ـ «مَن أنت حقًّا؟».

قال ماينارد بلَم: «صديق، صديقٌ ظلَّ يُراقِبك ويتعجَّب من وجودك في جُحر الأفاعي هذا. والآن الزم الصَّمت إلى أن نُعالِجك».

باقيَيْن في الظِّل، شقَّ كلاهما طريق العودة إلى خيمة دنك، وما إن دخلا حتى أشعلَ السيْر ماينارد نارًا وملأ وعاءً بالنَّبيذ ووضعَه فوق اللَّهب ليغلي. «جرحٌ نظيف، وعلى الأقل ليست ذراع سيفك». قالها وهو يشقُّ كُمَّ غلالة دنك الملطَّخ بالدَّم. «يبدو أنَّ الطَّعنة أخطأت العظم. ولو، علينا أن نغسل الجرح وإلَّا فقد تفقد ذراعك».

ـ «لا يهمُّ». كانت معدة دنك جائشةً، وأحسَّ أنه قد يتقيَّأ في أيَّة لحظة. «إذا ماتَ إج...».

ـ «... فاللَّوم عليك. لقد وجبَ أن تُجنِّبه الاقتراب من هنا تمامًا. على أنني لم أقل إنَّ الغُلام ماتَ. قلتُ إنه مع الآلهة. هل عندك كتَّان نظيف؟ أو حرير؟».

ـ «غلالتي، الغلالة الفاخرة التي اشتريتها في (دوْرن). ماذا

تعني بأنه مع الآلهة؟».

ـ «في الوقت المناسب. ذراعك أوَّلًا».

سرعان ما بدأ النَّبيذ يَبخُر. وجدَ السيْر ماينارد غلالة دنك الحرير الفاخرة وتشمَّمها بشك، ثم استلَّ خنجرًا وشرعَ يُقطِّعها. ابتلعَ دنك احتجاجه، وقال السيْر ماينارد وهو يُكوِّر ثلاث شرائط من الحرير ويُلقي بها في النَّبيذ: «آمبروز بَتَرول لَم يكن قَطُّ بالرَّجل الذي يُمكنك وصفه بالحاسم. لقد خامرَته الشُّكوك بصدد هذه المكيدة من البداية، شكوك ألهبَتها معرفته أنَّ الفتى لا يحمل السَّيف. وهذا الصَّباح اختفَت بيضته بيضة التنِّين، ومعها ثُمالة شجاعته».

قال دنك: «السيْر جلندُن لم يسرق البيضة. لقد قضى النَّهار كلَّه في السَّاحة، يُثاقِف أو يُشاهِد الآخَرين يتثاقفون».

ـ «بيك سيجد البيضة في خراج سرجه رغم ذلك». على النَّبيذ، فوضعَ پلَم قُفَّازًا جلديًّا قائلًا: «حاول ألَّا تَصرُخ»، ثم أخذ شريطًا من الحرير من النَّبيذ المغليّ وبدأ يغسل الجرح.

ولم يَصرُخ دنك؛ كزَّ على أسنانه وعضَّ لسانه وهوى بقبضته على فخذه بعُنف قمين بتخليف رضوض، لكنه لم يَصرُخ. استخدمَ السيْر ماينارد بقيَّة غلالته الفاخرة لعمل ضمادةٍ وربطها حول ذراعه، ولمَّا فرغَ سألَ: «ما شعورك الآن؟».

مرتعشًا أجابَ دنك: «شنيع حقًّا»، ثم سألَ بتصميم: «أين إج؟».

ـ «مع الآلهة، لقد أخبرتك».

مدَّ دنك يده السَّليمة ولفَّها حول عُنق پلَم. «تكلَّم بوضوح.

لقد سئمتُ الغمز واللَّمز. أخبرني أين أجدُ الغُلام وإلَّا كسرتُ رقبتك سواء أكنت صديقًا أم لم تكن».

قال السير ماينارد: «السِّپت. خيرٌ لك أن تذهب مسلَّحًا»، وابتسمَ مضيفًا: «أواضحٌ هذا كفايةً لك يا دنك؟».

***

محطَّته الأولى سُرادق السيْر أوثوْر أندرليف.

عندما خطا دنك إلى الدَّاخل لم يجد إلَّا المُرافق ويل منحنيًا فوق حوض استحمام ليُنظِّف ثياب سيِّده التَّحتيَّة. «أنت ثانيةً؟ السيْر أوثوْر في المأدبَة. ماذا تُريد؟».

ـ «سيفي وتُرسي».

ـ «هل أحضرت الفدية؟».

ـ «لا».

ـ «لماذا أدعك تأخذ أسلحتك إذًا؟».

ـ «إنني محتاجٌ إليها».

ـ «ليس ذلك سببًا وجيهًا».

ـ «ما رأيك في هذا؟ حاوِل أن تمنعني وسأقتلك».

حدَّق ويل فاغرًا فاه، وقال: «إنها في ذلك الرُّكن».

توقَّف دنك خارج سِپت القلعة. *فلتُوفِّقني الآلهة لئلَّا أصل بعد فوات الأوان.* عادَ بِجاده إلى موضعه المعتاد موثقًا حول خصر، وثبَّت تُرس المشنقة إلى ذراعه الجريحة، ليبعث وزنه نبضات ألم تنفذ فيه مع كلِّ خُطوة، حتى إنه خشيَ أنه قد يَصرُخ إذا لمسَه أحَدٌ أخفَّ لمسة. بدفعةٍ من يده السَّليمة فتحَ الباب على مصراعيْه.

في الدَّاخل وجدَ السِّپت معتمًا ساكنًا، لا يُضيؤه إلَّا الشُّموع المتلألئة على مذابح **السَّبعة**. يحظى **المُحارب** بأكثر الشُّموع الموقدة مثلما هو متوقَّع خلال دورة مباريات،

فمؤكَّد أنَّ فُرسانًا كُثرًا أتوا ليُصلُّوا ابتغاء القوَّة والشَّجاعة قبل أن يُغامِروا بدخول مضمار النِّزال، ومذبح **الغريب** محفوفٌ بالظِّلال ولا يشتعل عليه إلَّا شمعة وحيدة، فيما تحترق عشرات الشَّمعات على مذبحَي **الأُم والأب**، وعددٌ أقل نوعًا عند **الحدَّاد والعذراء**، أمَّا تحت قنديل **العجوز** السَّاطع فيركع اللورد آمبروز بَتَرول مُطرقًا، يُصلِّي بصمتٍ ناشدًا الحكمة.

وليس بمفرده. لم يكد دنك يتقدَّم نحوه حتى تحرَّك رجلان مسلَّحان ليقطعا عليه الطَّريق، وجهاهما صارمان تحت خوذتيْهما

القصيرتيْـن. يرتـدي كلا الرَّجليْـن زردًا تحـت معطفـه المخطَّـط بشـرائط عائلة بَتَـرول الخضـراء والبيضـاء والصَّفـراء. قـال أحدهمـا: «توقَّـف أيُّهـا السيْر. ليـس لـك شـأنٌ هنـا».

ـ «بل له. لقد أنذرتكم أنه سيَعثُر عليَّ».

الصَّوت صوت إج.

حيـن خطـا مـن الـظِّلال أسـفل **الأب** ورأسـه المحلـوق يلـمع في ضـوء الشُّـموع، كادَ دنـك يندفع إلى الـغُلام ليختطفه بصيحةٍ فرحة ويسـحقه بيـن ذراعيْـه. عـلى أنَّ شـيئًا مـا في لهجـة إج جعلَـه يتـردَّد. *صوتـه غاضـبٌ أكثـر منـه خائـف، ولـم أرَه مـن قبـل قـطُّ باديًـا بهـذه الصَّرامـة. وبَتَـرول عـلى رُكبتيْـه. شيء مـا غريـب هنـا.*

دفعَ الـلوْرد بَتَـرول نفسـه إلى النُّهـوض، وحـتى في إضـاءة الشُّـموع المعتمـة بـدَت بشـرته شـاحبةً رطبـةً. قـال للحارسـيْن: «دعـاه يمـرُّ»، وعندمـا تراجَعـا أشـارَ لدنـك بالاقتـراب. «لـم أوذِ الـغُلام. لقـد عرفـتُ أبـاه حـقَّ معرفةٍ وأنـا يـد الملـك. عـلى الأمير ميْكار أن يعلـم أنَّ شـيئًا مـن هـذا ليـس فكـرتي».

وعدَه دنك: «سيعلم». *ما الذي يجري هنا؟*

قـال الـلوْرد بَتَـرول: «بيـك. كلُّ هـذا مـن صُنعـه، أقسـمُ **بالسَّـبعة**»، ووضعَ يـدًا عـلى المذبـح متابعًـا: «عـسى الآلهـة أن تُهلكـني لـو أني كاذب. لقـد أملـى عـليَّ مَـن يجـب أن أدعو ومَـن يجب أن يُستبعَدوا، وجـاءَ بهـذا الفـتى المـدَّعي إلى هنـا. لـم أشـأ قَـطُّ أن أكـون جـزءًا مـن أيّ خيانـة، يجـب أن تُصدّقـني. أمَّـا تـوْم هِـدِل، لقـد حرَّضـني، لـن أنكـر هـذا. إنـه ابـني الصِّهـر، متـزوِّج بابنـتي الكُبـرى، لكنـني لـن

أكذب، إنه ضالعٌ في هذا».

قال إج: «إنه نصيرك. إذا كان ضالعًا في هذا فأنت أيضًا ضالع».

أرادَ دنك أن يهدر: *صمتًا. لسانك السَّليط هذا سيتسبَّب في مقتلنا*. ومع ذلك بدا أنَّ بَتَرول انكمشَ خوفًا، وقال: «سيِّدي، لست تفهم. هِدل يقود حاميتي».

قال إج: «مؤكَّد أنَّ لديك بعض حرسٍ مخلصين على الأقل».

ـ «هذان الرَّجلان هنا. قلائل زيادة. لقد تهاونتُ جدًّا، أقرُّ بهذا، لكنني لم أكن خائنًا قَطّ. أنا وفراي ساورَتنا الشُّكوك بشأن مدَّعي اللوْرد پيك من البداية. إنه لا يحمل السَّيف! لو أنه ابن أبيه لسلَّحه الفولاذ الأليم بـ«اللَّهب الأسود». وكلُّ هذا الكلام عن تنِّين... جنون، جنون وحماقة». جفَّف حضرته العرق عن وجهه بكُمِّه، وواصلَ: «والآن أخذوا البيضة، بيضة التنِّين التي جناها جدِّي من الملك نفسه مكافأةً على خدمته الوفيَّة. كانت في مكانها عندما استيقظتُ هذا الصَّباح، وحُرَّاسي يُقسِمون أنَّ أحدًا لم يَدخُل غُرفة النَّوم أو يُغادِرها. يجوز أنَّ اللوْرد پيك اشتراهم، لا يُمكنني الجزم، لكن البيضة اختفَت! مؤكَّد أنها معهم، أو إنَّ...».

ـ *أو إنها انفلقَت عن التنِّين*. إذا ظهرَ تنِّينٌ حيٌّ من جديد في (وستروْس) فسيتوافَد اللوْردات والعموم على حدٍّ سواءٍ إلى أيِّما أميرٍ يستطيع إثبات أحقيَّته فيه. قال دنك: «سيِّدي، أريدُ كلمةً مع... مع مُرافقي إذا تفضَّلت».

ـ «كما ترغب أيُّها السيْر». عادَ اللوْرد بَتَرول يركع ليُصلِّي، فيما سحبَ دنك إج جانبًا وجثا على رُكبةٍ واحدة ليُكلِّمه وجهًا لوجه. «سألطمك على الأذن بقوَّةٍ تُدير رأسك بالعكس، وستقضي بقيَّة حياتك تَنظُر إلى حيث كنت».

ـ «جديرٌ بك أن تفعل أيُّها السيْر». تحلَّى إج بالكياسة ليبدو عليه الخجل. «آسفٌ. لم أقصد إلَّا إرسال غُدافٍ إلى أبي».

ـ *لكي أبقى فارسًا. الغُلام تصرَّف بحُسن نيَّة.* ألقى دنك نظرةً عابرةً إلى حيث يُصلِّي اللوْرد بَتَرول، وسألَ: «ماذا فعلت به؟».

ـ «أخفته أيُّها السيْر».

ـ «أجل، أرى ذلك. ستُغطِّي رُكبتيْه الجُلب قبل انقضاء اللَّيل».

ـ «لم أدرِ ما العمل غير ذلك أيُّها السيْر. الميْستر جلبَني إليهم بمجرَّد أن رأى خاتم أبي».

ـ «إليهم؟».

ـ «اللوْرد بَتَرول واللوْرد فراي أيُّها السيْر. بعض الحرس كان حاضرًا أيضًا. كلُّهم بدا مستاءً. أحدهم سرقَ بيضة التنِّين».

ـ «آملُ أنه ليس أنت».

هزَّ إج رأسه نفيًا، وقال: «نعم أيُّها السيْر. لقد عرفتُ أني في مشكلةٍ حين أرى الميْستر اللوْرد بَتَرول خاتمي. فكَّرتُ أن أقول إنني سرقته، لكنني لم أحسب أنه سيُصدِّقني. ثم تذكَّرتُ تلك المرَّة التي سمعتُ فيها أبي يتكلَّم عن شيءٍ قاله اللوْرد غُداف

الدَّم، عن أنه أفضل أن تُخيف من أن تخاف، ولذا قلتُ لهم إنَّ أبي أرسلَنا لنتجسَّس له، إنه في الطريق إلى هنا بجيش، إنه خيرٌ لحضرة اللورد أن يُطلِق سراحي ويتخلَّى عن خيانته وإلَّا عنى الأمر رأسه»، وابتسمَ ابتسامةً خجلى مُردفًا: «ونجحَت الحيلة أكثر ممَّا ظننتُ أيُّها السيْر».

أرادَ دنك أن يُمسك الغُلام من كتفيْه ويرجّه إلى أن تصطكَّ أسنانه، ولربَّما جأر: *ليست هذه لُعبةً. إنها مسألة حياةٍ أو موت.* «هل سمعَ اللوْرد فراي أيضًا كلَّ هذا؟».

ـ «نعم. لقد تمنَّى للوْرد بَتَرول السَّعادة في زيجته وأعلنَ أنه عائدٌ إلى (التَّوأمتيْن) تـوًّا. عندئذٍ جلبَنا حضرة اللوْرد إلى هنا للصَّلاة».

فكَّر دنك: *فراي بإمكانه الهرب، أمَّا بَتَرول فلا يملك ذلك الخيار، وعاجلًا أو آجلًا سيبدأ يتساءَل لِمَ لم يظهر الأمير مَيْكار وجيشه.* «إذا بلغَ اللوْرد پيك أنك في القلعة...».

انفتحَ باب السِّپت الخارجي بعُنف مدوٍّ، والتفتَ دنك ليرى توْم هِدِل الأسود يُحدِّق بسحنةٍ مربدَّة، يرتدي حلقات المعدن وصفائحه ويتقاطر من معطفه الغارق ماء المطر ليتجمَّع في بِركةٍ عند قدميْه. وراءه وقفَت دستةٌ من المسلَّحين بالحراب والفؤوس، ووراءهم ومضَ البرق أزرق وأبيض في السَّماء ناقشًا ظلالًا مفاجئةً على الأرض الحجريَّة الباهتة، فيما دفعَت هبَّة ريحٍ بليلة كلَّ ما في السِّپت من شموعٍ إلى الرَّقص.

ـ *أوْه، بحقّ الجحائم السَّبع اللَّعينة.* لم يجد دنك وقتًا ليُفكِّر إلَّا في هذا قبل أن يقول هِدِل: «ها هو ذا الغُلام. خُذوه».

قال اللوْرد بَتَرول الذي قامَ: «لا. توقَّفوا. لا يتعرَّضنَّ أحدكم للغُلام. توْمارد، ما معنى هذا؟».

التوَت قسمات هِدِل ازدراءً، وردَّ: «اللَّبن لا يجري في عروقنا جميعًا يا حضرة اللوْرد. سآخذُ الغُلام».

ـ «لست تفهم». استحالَ صوت بَتَرول إلى رعدةٍ عالية رفيعة. «أمرنا انتهى. اللوْرد فراي رحل، وسيتبعه آخَرون. الأمير ميْكار قادمٌ بجيش».

ـ «وهو سببٌ أدعى لأخذ الغُلام رهينةً».

قال بَتَرول: «لا، لا. لم أعُد أريدُ دورًا مع اللوْرد پيك أو مدَّعيه. لن أقاتل».

رمقَ توْم الأسود سيّده ببرود، وبصقَ قائلًا: «جبان. قُل ما تُريد. ستُقاتِل أو تموت يا سيّدي»، وأشارَ إلى إج وقال: «أيَلُّ لأوَّل رجلٍ يُريق الدَّم».

ـ «لا، لا». التفتَ اللوْرد بَتَرول إلى حارسيْه صائحًا: «امنعاهم، أتسمعانني؟ إنني آمركما. امنعاهم»، إلَّا أنَّ الحرس كافَّةً توقَّفوا في ارتباك، متحيّرين في مَن عليهم أن يُطيعوا.

ـ «أيجب أن أفعلها بنفسي إذًا؟». قالها توْم الأسود واستلَّ سيفه.

وفعلَ دنك المثل قائلًا: «ورائي يا إج».

صرخَ بَتَرول: «أغمِدا فولاذكما كلاكما! لن أسمح بسفك الدِّماء في السِّپت! سيْر توْمارد، هذا الرَّجل تُرس الأمير المحلَّف. سيَقتُلك!».

ـ «فقط إذا سقطَ فوقي». أبرزَ توْم الأسود أسنانه بابتسامةٍ عريضة قاسية. «لقد رأيته يُحاوِل أن يُثاقِف».

حذَّره دنك: «إنني أفضل بالسَّيف».

ردَّ هِدِل بنخيرٍ ساخر، وهجمَ.

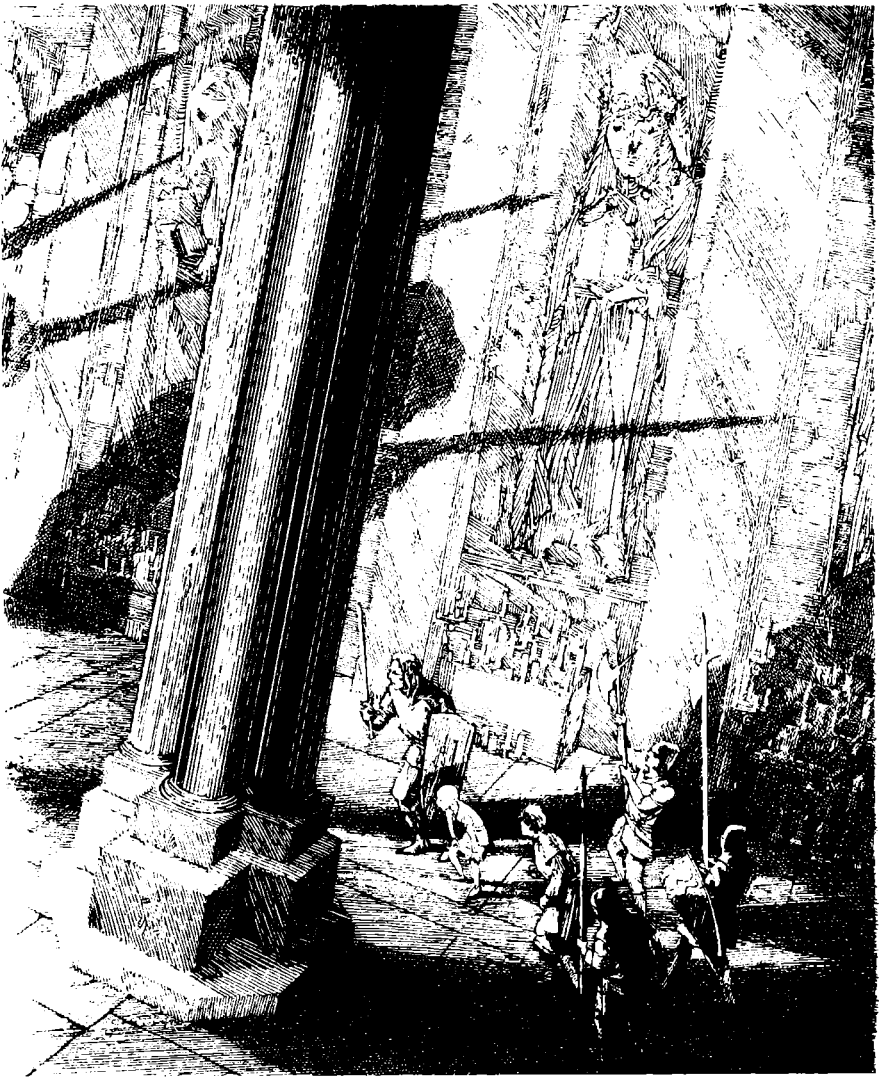

نـحَّى دنـك إج إلى الخلـف بخشـونةٍ ودارَ ليُواجِـه سـيف هِـدِل. الضَّربـة الأولى صدَّهـا عـلى نحـوٍ لا بـأس بـه، لكـن صدمـة توم الأسـود عـلى تُرسـه والجـرح المضمَّـد وراءه بعثَـت في ذراعـه صاعقـةً مـن الألـم طقطقَـت بطولهـا. حـاولَ أن يهـوي بضربـةٍ عـلى رأس هِـدِل ردًّا، غيـر أنَّ توم الأسـود تملَّـص منهـا ونـزلَ عليه بسـيفه ثانيـةً. بالكاد أدارَ دنـك درعـه في الوقـت المناسـب، وتطايـرَت شُـدف الصَّنوبـر وضحـكَ هِـدِل ضاغطًـا في هجومـه، يضـرب إلى أسـفل وإلى أعـلى وإلى أسـفل مـرَّةً أخـرى. تلـقَّى دنـك كلَّ ضربـةٍ عـلى تُرسـه، لكـن كلَّ واحـدةٍ منهـا عـذاب، ووجـدَ نفسـه يتقهقَـر.

سمعَ إج يُنادي: «عليك به أيُّها السيْر، عليك به، عليك به، إنه أمامك مباشرةً!». ذاقَ دنك دمًا في فمه، والأدهى أن جرحه انفتحَ مجدَّدًا. غمرَته موجةٌ من الدُّوار. كان نصل توم الأسود يُحيل التُّرس اللَّوزي إلى شظايا، وفكَّر دنك: *السِّنديان والحديد يقياننـي خير وقاء، وإلَّا فأنا ميِّتٌ وإلى الجحيم الانتهاء*، قبل أن يتذكَّر أنَّ تُرسه من خشب الصَّنوبر. عندما ارتطمَ ظهره بقوَّةٍ بأحد المذابح،

زلَّ ساقطًا على رُكبةٍ واحدة وأدركَ أنَّ مجالًا لم يَعُد للتَّقهقُر.

قال توْم الأسود: «لستَ فارسًا. أهذه دموعٌ في عينيْك أيُّها الأخرق؟».

ـ *دموع ألم*. دفعَ دنك نفسه مرتكزًا على رُكبته، وقامَ صادمًا نفسه من وراء تُرسه بغريمه.

تعثَّر توْم الأسود إلى الخلف، ومع ذلك احتفظَ بوسيلةٍ ما بتوازُنه. أقبلَ عليه دنك بعُنف هاويًا عليه بالتُّرس مرَّةً تلو مرَّة، يستغلُّ قوَّته ليُسقِط هِدِل في منتصف الطَّريق عبر السِّپت، ثم إنه أزاحَ تُرسه جانبًا وضربَ بسيفه الطَّويل، وصرخَ هِدِل إذ نفذَ الفولاذ من الصُّوف إلى عُمق العضلات في فخذه. لوَّح بسيفه بضراوة، لكن ضربته يائسة خرقاء، وتركَ دنك تُرسه يتلقَّاها مرَّةً أخيرةً، ووضعَ وزنه كلَّه في الرَّدّ.

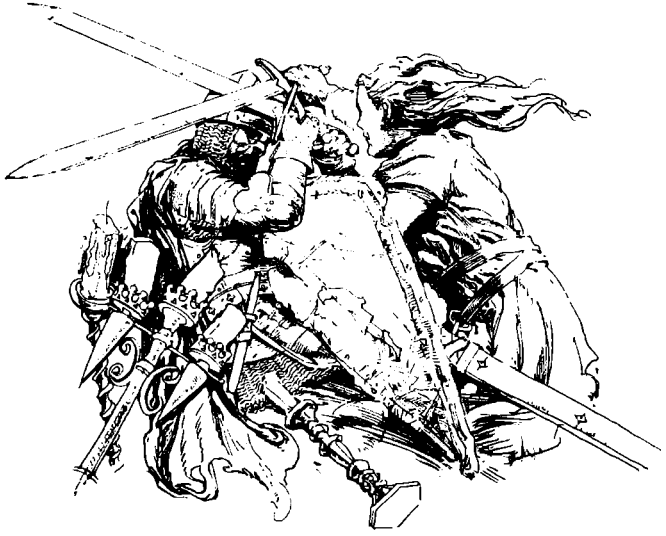

وترنَّح توم الأسود متراجعًا خُطوةً وحملقَ برُعب إلى ساعده الذي يتلوَّى على الأرض أسفل مذبح الغريب، وشهقَ متمتمًا: «أنت، أنت، أنت...».

قال دنك: «لقد أخبرتك»، وطعنَه في حلقه مُكملًا: «إنني أفضل بالسَّيف».

***

فرَّ اثنان من الرِّجال المسلَّحين إلى المطر فيما اتَّسعت بركة من الدَّم من جثَّة توم الأسود، أمَّا الآخَرون فقبضوا على حرابهم متردِّدين، يُلقون بنظراتٍ حذرة نحو دنك وهُم ينتظرون أن يتكلَّم سيِّدهم.

أخيرًا استطاعَ بَترول أن يقول: «هذا... تصرُّفٌ غير مسؤول هذا»، ثم التفتَ إلى دنك وإج قائلًا: «علينا أن نرحل من (الجُدران البيضاء) قبل أن ينقل ذانك الاثنان الخبر إلى جوْرمون بيك. إنَّ له أصدقاء أكثر مني بين الضُّيوف. البوَّابة الخلفيَّة في السُّور الشَّمالي،

سنتسـلَّل مـن هنـاك... هلمَّـا، يجـب أن نُسـرِع».

أغمـدَ دنـك سـيفه بقـوَّة، وقـال: «إج، اذهـب مع الـلوْرد بَتَـرول»، ووضعَ ذراعـه حـول الـغُلام وخفـضَ صوتـه مضيفًـا: «لا تبـق معـه وقتًـا يزيـد عـلى الحاجـة. اتـرُك لريْـن الحبـل عـلى الغـارب وابتعِـد قبـل أن يُبـدِّل حضـرة الـلوْرد فريقـه ثانيةً. اتَّجـه إلى (بِركـة العذارى)؛ إنهـا أقـرب مـن (كينجـز لانـدنج)».

ـ «وأنت أيُّها السيْر؟».

ـ «لا عليك بي».

ـ «إنني مُرافقك».

قـال دنـك: «أجـل، وسـتفعل كمـا آمـرك وإلَّا فسـتنال لطمـةً موجعةً على الأذن».

***

كان بعـض الرِّجـال يُغـادِر القاعـة الكُبـرى في مجموعـة، متوقِّفيـن فقـط ليرفعـوا قلانسـهم فـوق رؤوسـهم قبـل أن يُقدِمـوا عـلى الخـروج في المطـر، ضمنهـم الثَّـور العجـوز واللـوْرد كازوِل المهـزول مخمـورًا مـرَّةً أخـرى. تحـاشى كلاهمـا دنـك، وتفضَّـل عليـه السـيْر مؤرتمـر بوْجـز بنظـرةٍ فضوليَّـة وإن عـدلَ عـن تكليمـه، في حيـن لـم يخجـل أوثوْر أندرليـف، وخاطبَـه وهـو يـضع قُفَّازيْـه: «أتيـت إلى المأدبـة متأخِّـرًا أيُّهـا السـيْر. وأرى أنـك تحمـل سـيفك مـن جديـد».

ـ «ستقبض فديتك عنه لو أنَّ شيئًا لا يهمُّك إلَّا هذا». تركَ دنك تُرسه المحطَّم في السِّبت، وأسدلَ معطفه على ذراعه الجريحة ليُداري الدَّم. «ما لم أمُت. حينئذٍ لك إذني في سلبِ ما أملكُ من جثَّتي».

ضحكَ السيْر أوثوْر، وقال: «أما أشمُّه شهامة أم مجرَّد غباء؟ الرَّائحتان متشابهتان جدًّا حسبما أذكرُ. لم يتأخَّر الوقت على قبول عرضي أيُّها السيْر».

حذَّره دنك: «بل تأخَّر أكثر ممَّا تظنُّ»، ولم ينتظر من أندرليف ردًّا، بل اندفعَ يتجاوَزه داخلًا من الباب ذي الضَّلفتيْن. تفوح في القاعة الكُبرى روائح المزر والدُّخان والأصواف المبتلَّة، وفي الشُّرفة بالأعلى يعزف بعض الموسيقيّين لحنًا خفيفًا، ويُصدي الضَّحك من المائدة العالية حيث يلعب السيْر كِربي بِم والسيْر لوكَس نِايلاند لُعبة شُرب، وفوق المنصَّة ينهمك اللوْرد بِيك في حديثٍ جاد مع اللوْرد كوْستيْن، فيما تجلس عروس آمبروْز بَتَرول الجديدة مهجورةً على مقعدها العالي.

أسفل الملح وجدَ دنك السيْر كايل يُغرِق حسرته في مزر اللوْرد بَتَرول، وقد امتلأ طبقه ببخنةٍ ثخينة مطبوخة بطعام متبقٍّ من اللَّيلة السَّابقة. في محال الأكل بـ(كينجز لاندنج) يُسَمُّون مثل هذه الوجبة بـ«وعاء من البنِّي». واضحٌ أنَّ السيْر كايل لم يستسغها، فدون أن تُمَسَّ بردَت البخنة وتكوَّنت على وجه البنِّي طبقةٌ لامعة من الدُّهن.

انسلَّ دنك جالسًا بجواره على الدكَّة، وبادرَه: «سيْر كايل».

أومأ القِطُّ برأسه قائلًا: «سيْر دنكن. هل تشرب قليلًا من

المـزر؟».

ـ «لا». المزر آخِر ما يحتاج إليه الآن.

ـ «أأنت متوعّك أيُّها السيْر؟ اعذُرني، لكنك تبدو...».

ـ ... *أفضل ممَّا أشعرُ*. «ماذا فعلوا بالسيْر جلندُن بوْل؟».

أجابَ السيْر كايل: «أخذوه إلى الزَّنازين»، وهزَّ رأسه مُتبعًا: «ابن عاهرةٍ أو لا، الفتى لم يُعطِني انطباعًا قَطُّ بأنه لصٌّ».

ـ «ليس كذلك».

زرَّ السيْر كايل عينيْه رامقًا إيَّاه، وقال: «ذراعك... كيف...».

ـ «خنجر». أدارَ دنك وجهه إلى المنصَّة مقطِّبًا. لقد هربَ من الموت مرَّتيْن اليوم، ويعلم أنَّ ذلك يكفي أغلب النَّاس. *دنك الأنوَك، غليظ العقل كسور قلعة*. قامَ مناديًا: «صاحب الجلالة».

وضعَ بعض الرِّجال الجالسين على الدِّكك القريبة ملاعقهم وبتروا محادثاتهم والتفَتوا ناظرين إليه.

ثانيةً قال دنك: «يا صاحب الجلالة»، وتقدَّم بخُطواتٍ واسعة على البساط المايري صوب المنصَّة. «ديْمون».

الآن يُلوذ نصف مَن في القاعة بالصَّمت. عند المائدة العالية التفتَ الرَّجل الذي يدعو نفسه بالكمنجي ليبتسم له، ورأى دنك أنه ارتدى غلالةً أرجوانيَّةً لأجل المأدبة. *أرجواني، ليُبرِز لون* عينيْه. «سيْر دنكن. يسرُّني أنك معنا. فيمَ ترغب مني؟».

قال دنك: «العدالة لجلندُن بوْل».

تـردَّد صـدى الاسـم عـلى الجُـدران، ولنصـف نبضـة قلـبٍ بـدا كأنَّمـا تحجَّـر كلُّ رجـلٍ وامـرأةٍ وطفـلٍ في القاعـة.

ثـم هـوى اللـوْرد كوْسـتيْن بقبضتـه عـلى المائـدة، وزعـقَ: «المـوت مـا يسـتحقُّه لا العدالـة»، فـردَّدت دسـتةٌ مـن الأصـوات الأخـرى قولـه، وأعلـنَ السـيْر هاربـرت پيْـچ: «إنـه نغـل المولـد. النُّغـول كلُّهـم لصـوصٌ أو أسـوأ. الـدَّم يـشي».

للحظـة شـعرَ دنـك باليـأس. *إننـي بمفـردي هنـا*. عـلى أنَّ السـيْر كايـل القِـطَّ دفعَ نفسـه ناهضـا. تـرنَّح الرَّجـل قليـلًا جـدًّا، وقـال: «قـد يكـون الفـتى نغـلًا أيُّهـا السَّـادة، لكنـه نغـل كُـرة النَّـار بجلالـة قـدره. كمـا قـال السـيْر هاربـرت، الـدَّم يـشي».

عقـدَ ديْـموْن حاجبيْـه قـائلًا: «لا أحـد يجـلُّ كُـرة النَّـار أكثـر منـي. لـن أصـدِّق أنَّ هـذا الفـارس الزَّائـف مـن صُلبـه. لقـد سـرقَ بيضـة التنِّيـن وفتـكَ بثلاثـة رجـالٍ صالحيـن فيمـا فعـلَ فعلتـه».

أصـرَّ دنـك: «لـم يسـرق شـيئًا أو يَقتُـل أحـدًا. إذا قُتِـلَ ثلاثـة رجـالٍ فابحـث في مكانٍ آخَـر عـن قاتِلهـم. صاحـب الجلالـة يعلـم مثـلي تمامًـا أنَّ السـيْر جلنـدُن قـضى النَّهـار كلَّـه في السَّـاحة، يركـب في نـزالٍ تلـو نـزال».

ـ «أجـل. لقـد تسـاءلتُ عـن ذلـك عـن نفسـي. لكنهـم وجـدوا بيضـة التنِّيـن بيـن أغراضـه».

ـ «حقًّا؟ أين هي الآن؟».

قـامَ الـلوْرد جوْرموْن پيـك بـارد العينيْـن صلفًـا، وقـال: «آمنـةٌ وتحـت حراسـةٍ مشـدَّدة. وفيـمَ يعنيـك هـذا بـأيِّ شكلٍ أيُّهـا السـيْر؟».

ـ «اجلبها. أودُّ إلقاء نظرةٍ أخرى عليها يا سيدي. اللَّيلة السَّابقة لم أرَها إلَّا لحظةً وجيزةً».

ضاقَت عينا پيك، وخاطبَ ديْمون: «صاحب الجلالة، يَخطُر لي أنَّ هذا الفارس الجوَّال وصلَ إلى (الجُدران البيضاء) مع السيْر جلندُن، ودونما دعوة. واردٌ للغاية أنه شريك في الجريمة».

تجاهلَه دنك، وقال: «صاحب الجلالة، بيضة التنِّين التي وجدَها اللوْرد پيك بين أغراض السيْر جلندُن هي البيضة التي وضعَها هناك. فليجلبها إذا استطاعَ. افحصها بنفسك. أراهنك أنها ليست إلَّا حجرًا مطليًّا».

دبَّت في القاعة الفوضى؛ بدأت مئةٌ من الأصوات تتكلَّم في آنٍ واحد، وهبَّت دستةٌ من الفُرسان تنهض. شابهَ ديْمون منظر السيْر جلندُن في صِغر سنِّه وضياعه عندما اتُّهِمَ، وسألَ دنك: «أأنت سكران يا صديقي؟».

ـ *يا ليتني*. «لقد فقدتُ قليلًا من الدَّم، لكنني لم أفقد عقلي. السيْر جلندُن متَّهم ظُلمًا».

سألَ ديْمون مدهوشًا: «لماذا؟ لو لم يرتكب بوْل جريرةً كما تصرُّ، فلِمَ يَزعُم حضرة اللوْرد أنه فعلَ ويُحاوِل إثبات زعمه بصخرةٍ مطليَّة؟».

ـ «ليُزيحه من طريقك. حضرة اللوْرد اشترى خصومك الآخَرين بالذَّهب والوعود، لكن بوْل لم يكن للبيع».

احتقنَ وجه الكمنجي، وقال ضاغطًا على كلماته: «غير صحيح».

ـ «هو كذلك. أرسِل في طلب السيْر جلندُن وسله بنفسك».

ـ «هكذا تحديدًا سأفعلُ. لوْرد پيك، اجعلهم يُحضِرون النَّغل في الحال. واجلب بيضة التنِّين أيضًا. أودُّ أن ألقي عليها نظرةً من كثب».

حدجَ جوْرموْن پيك دنك بنظرة احتقار، وقال: «صاحب الجلالة، الفتى النَّغل يُستجوَب حاليًّا. بضع ساعاتٍ إضافيَّة وسنَحصُل لك على اعتراف، لا شكَّ عندي».

قال دنك: «بـ«الاستجواب» يعني سِيدي «التَّعذيب». بضع ساعاتٍ إضافيَّة وسيعترف السيْر جلندُن بقتل أبيك يا صاحب الجلالة، وأخويْك الاثنيْن أيضًا».

ـ «كفى!». اربدَّ وجه اللوْرد پيك حتى قاربَ لونه الأرجواني. «كلمةٌ أخرى وسأقتلعُ لسانك من جذوره».

ردَّ دنك: «أنت كاذب. إليك كلمتيْن».

توعَّده پيك: «وستندم على كلتيْهما»، ثم أمرَ رجاله: «خُذوا هذا الرَّجل إلى الزَّنازين وقيِّدوه بالسَّلاسل».

ـ «لا». تكلَّم ديْموْن بصوتٍ خطير من فرط هدوئه. «أريدُ حقيقة هذا الأمر. سندرلاند، ڤيرول، سمؤلوود، خُذوا رجالكم واذهبوا لتجدوا السيْر جلندُن في الزَّنازين. اجلبوه من غير إبطاءٍ واحرصوا ألَّا يُصيبه أذى. إذا حاولَ أيُّ أحدٍ إعاقتكم فأخبِروه أنكم في شأنٍ يخصُّ الملك».

أجابَ اللوْرد ڤيرول: «أمرك».

قال الكمنجي: «سأسوّي هذه المسألة مثلما كان أبي ليُسوّيها. السيْر جلندُن متَّهم بجرائم جسيمة. بصفته فارسًا فله حقٌّ في الدِّفاع عن نفسه بقوَّة السِّلاح. سألاقيه في مضمار النِّزال، ولتبتَّ الآلهة في أمر الذَّنب والبراءة».

***

قال دنك لنفسه حين رمى اثنان من رجال اللوْرد ڤيرول السيْر جلندُن عاريًا عند قدميْه: *دم بطلٍ أو دم عاهرة، لقد نزفَ منه بغزارة.*

ضُربَ الفتى بوحشيَّة. وجهه مكدومٌ متورِّم، وعدَّة من أسنانه مكسورة أو مفقودة، وعينه اليُمنى تذرف دمًا، وأعلى صدره وأسفله جلده محمرٌّ متشقِّق حيث أحرَقوه بمكاوٍ ساخنة.

غمغمَ السيْر كايل: «أنت آمنٌ الآن. لا أحد هنا إلَّا فُرسان جوَّالة، والآلهة تعلم أننا معشرٌ عديم الأذى». أعطاهم ديْمون مسكن الميْستر وأمرَهم بتضميد أيّ جراحٍ مُنِيَ بها السيْر جلندُن والحرص على استعداده للمضمار. فيما غُسلَ وجه الفتى ويديْه من الدَّم، رأى دنك أنَّ ثلاثة أظفارٍ خُلعَت من يد بوْل اليُسرى، وأقلقَه هذا أكثر من سائر الإصابات. «أيُمكنك أن تحمل رُمحًا؟».

ـ «رُمحًا؟». تقاطرَ الدَّم من فم السيْر جلندُن حينما حاولَ الكلام. «ألديَّ أصابعي كلُّها؟».

ـ «عشر، ولكن سبعة أظفارٍ فقط».

أومأ بؤل برأسه قائلًا: «تؤم الأسود كان سيَبتُر أصابعي، لكنه استُدعيَ. أهو مَن سأقاتلُ؟».

ـ «لا. لقد قتلتُه».

ابتسمَ لهذا، وقال: «كان على أحدهم أن يفعلها».

ـ «ستُنازِل الكمنجي، لكن اسمه الحقيقي...».

ـ «... ديمؤن، أجل. لقد أخبَروني. التنّين الأسود». ضحكَ السيْر جلندُن وتابعَ: «لقد ماتَ أبي في سبيل أبيه. كنتُ لأصبح رجله، وبكلّ سرور. كنتُ لأقاتل في سبيله، أقتل في سبيله، أموت في سبيله، لَكنني لم أستطع أن أخسر في سبيله»، وأدارَ رأسه باصقًا سنًّا مكسورةً، وسألَ: «ألي بكوبٍ من النَّبيذ؟».

ـ «سيْر كايل، أحضِر قربة النَّبيذ».

طويلًا عبَّ الفتى الشَّراب عبًّا، ثم مسحَ فمه وقال: «انظُروا إليَّ. إنني أرتجفُ كالفتيات».

سألَه دنك مقطِّبًا جبينه: «أما زالَ بوسعك ركوب حصان؟».

أجابَ السيْر جلندُن: «ساعِدوني على الاغتسال واجلبوا تُرسي ورُمحي وسرجي وسترون ما بوسعي».

***

قاربَ الفجر الطّلوع قبل أن يهدأ المطر بما يكفي لوقوع القتال. تحوَّلت ساحة القلعة إلى مستنقع من الأوحال الطريَّة التي تلمع مبتلَّةً في ضوء مئة مشعل، ووراءً المضمار ارتفعَ ضبابٌ رماديٌّ دافعًا بأصابع شبحيَّةٍ تتسلَّق الجُدران الحجريَّة الشَّاحبة لتقبض على شُرفات القلعة. كثيرون من ضيوف الزِّفاف اختفوا خلال السَّاعات الفاصلة، لكن مَن تبقَّوا عادوا يرتقون مدرَّجات المشاهدة واستقرُّوا على ألواحٍ من خشب الصَّنوبر المشبَّع بماء المطر، وبينهم وقفَ السيّر جوْرمون بيك يكتنفه لفيفٌ من اللوْردات الأدنى شأنًا وفُرسان أهالي البيوت.

لم يمرَّ أكثر من سنواتٍ معدودة منذ رافقَ دنك السيّر آرلان العجوز، ولم ينسَ ما يتضمَّنه هذا، فأوثقَ الأبازيم في درع السيّر

جلندُن التي لا تُناسب مقاساته، وربطَ خوذته إلى عُنقيَّته، وساعدَه على الرُّكوب، وناولَه تُرسه. خلَّفت المسابقات السَّابقة تقعُّراتٍ عميقةً في الخشب، إلَّا أنَّ كُرة النَّار الملتهبة لا تزال مرئيَّةً. فكَّر دنك: *يبدو صغيرًا صِغر إج، غُلامًا خائفًا ومتجهِّمًا*. فرسه السَّمراء المحمرَّة بلا كُسوة، ومضطربة أيضًا. *وجبَ أن يحتفظ بحصانه. لعلَّ الفرس أحسن استيلادًا وأسرع، لكن الخيَّال يركب أفضل ركوبٍ بحصانٍ يعرفه جيِّدًا، وهذه الفرس غريبةٌ عليه.*

قال السيْر جلندُن: «سيلزمني رُمح، رُمح حربي».

ذهبَ دنك إلى الرُّفوف. الرِّماح الحربيَّة أقصر وأثقل من رماح المباريات التي استُخدمَت في جميع النِّزالات السَّابقة، ثمانية أقدام من خشب المُرَّان المصمت تنتهي برأسٍ حديدي. انتقى دنكٌ واحدًا وسحبَه ممرِّرًا يده على طوله ليتأكَّد من خلوِّه من الشُّقوق.

في طرف المضمار الآخَر تناولَ ديْمون من أحد مُرافقيه رُمحًا مماثلًا. لم يَعُد كمنجيًّا، فبدلًا من السُّيوف والكمنجات تعرض كُسوة جواده الحربي الآن تنِّين عائلة بلاكفاير ثُلاثي الرُّؤوس، أسود على خلفيَّةٍ من الأحمر. غسلَ الأمير شعره من الصِّبغة السَّوداء أيضًا، لينسدل إلى ياقته في شلَّالٍ من الفضِّي والذَّهبي يَبرُق كمعدنٍ مطرَّقٍ في ضوء المشاعل. أدركَ دنك: *هكذا سيكون شعر إج إذا تركَه ينمو*. استعصى عليه أن يتخيَّله بتلك الصُّورة، لكنه يعلم أنَّ على الغُلام أن يفعلها يومًا ما إذا عاشا حتى ذلك الحين.

مرَّةً أخرى تسلَّق الحاجب منصَّته، وأعلنَ: «السيْر جلندُن النَّغل

متَّهم بالسَّرقة والقتل، والآن يتقدَّم ليُثبِت براءته مخاطرًا بجسده. ديمون سليل عائلة بلاكفاير، الثَّاني من اسمه، ملك الأندالِيّين والرؤينار والبشر الأوائل شرعيُّ المولد، سيّد (الممالك السَّبع) وحامي البلاد، يتقدَّم ليُثبِت صحَّة الاتِّهامات الموجَّهة إلى النَّغل جلندُن».

وعلى حين غرَّةٍ اختفَت السِّنون وعادَ دنك إلى (مرج آشفرد) من جديد، يُصغي إلى بيلوركاسِر الحراب قُبيل تقدُّمهم ليُقاتِلوا من أجل حياته. ثم أعادَ الرُّمح الحربي إلى مكانه والتقطَ رُمح مباريات من الرَّفِّ المجاور... طوله اثنا عشر قدمًا، رفيع، أنيق. قال للسيّر جلندُن: «استخدِم هذا. إنه ما استخدمناه في (آشفرد) في المحاكمة بالسَّبعة».

ـ «الكمنجي اختارَ رُمحًا حربيًّا. إنه يهدف إلى قتلي».

ـ «عليه أن يضربك أوَّلًا. إذا أحسنت التَّصويب فلن يمسَّك سِنانه أبدًا».

ـ «لا أعرفُ».

ـ «أنا أعرفُ».

اختطفَ منه السيّر جلندُن الرُّمح ودارَ وخبَّ صوب المضمار قائلًا: «ليُنقِذ **السَّبعة** كلينا إذًا».

في مكانٍ ما في الشَّرق طقطقَ البرق في سماءٍ ورديَّة شاحبة. غرزَ ديمون مِهمازه الذَّهبي في جنبَي فحله وانقضَّ كقصف الرَّعد خافضًا رُمحه الحربي برأسه الحديدي المميت، ورفعَ السيّر جلندُن تُرسه وانطلقَ ليُلاقيه محرِزًا رُمحه الأطول من فوق رأس

فرسه ليُسدِّده إلى صدر المدَّعي الشَّاب. تناثرَ الوحل من حوافر حصانيْهما، وبدا كأن لهب المشاعل ازدادَ سطوعًا إذ مرَّ الفارسان مهروليْن.

أغلقَ دنك عينيْه، وسمعَ فرقعةً، وصيحةً، وارتطامًا مكتومًا.

وسمعَ اللوْرد پيك يَصرُخ ملتاعًا: «لا، لاااااا!». لنصف نبضة قلب كادَ دنك يُشفِق عليه. من جديدٍ فتحَ عينيْه. بلا راكب كانَ الفحل الأسود الكبير يُبطئ حركته إلى خبب، فقفزَ دنكٌ إلى المضمار وأمسكه من عنانه، وفي طرف المضمار الآخَر دارَ السيْر جلندُن بوْل بفرسه ورفعَ رُمحه المتشظِّي. اندفعَ الرِّجال إلى الميدان حيث ارتمى الكمنجي بلا حراكٍ على وجهه في بِركة، ولمَّا ساعَدوه لينهض بدا بنِّيًّا من رأسه إلى قدميْه.

صاحَ أحدهم: «التنّين البنّي»، فماجَت الضَّحكات في أنحاء السَّاحة فيما غمرَ الفجر (الجُدران البيضاء).

وبعد بضع نبضات قلب معدودة، فيما عاونَ دنك والسيْر كايل جلندُن بوْل على التَّرَجُّل، دوَّى البوق الأوَّل ودقَّ الخُفراء فوق الأسوار ناقوس الإنذار إذ ظهرَ أمام القلعة جيشٌ منبثقًا من ضباب الصَّباح.

وقال دنك للسيْر كايل مندهشًا: «إج لم يكذب رغم كلِّ شيء!».

مـن (بركـة العـذارى) حضـرَ الـلوْرد موتُـن، ومـن (شـجرة الغِدفـان) الـلوْرد بلاكـوود، ومـن (وادي الغسـق) الـلوْرد داركلـن، في حيـن أرسـلَت الرُّبـوع الملكيَّـة حـول (كينجـز لانـدنج) رجـالًا تابعيـن لعـائلات هايـفوْرد وروْزبـي وسـتوْكوْرث ومـاسي، ومعهـم سـيَّافة الملـك المحلَّفـون، يقودهـم ثلاثـة فُرسـان مـن الحـرس المـلكي ويدعمهـم ثلاثمئـة مـن أسـنان الغِـداف يحملـون أقواسًـا طويلةً بيضـاء مـن خشـب الويـروود. دانـل لوْسـتن المجنونـة نفسـها خرجَـت بفِرقـةٍ ذات بـأسٍ مـن أبراجهـا المسكونـة بالأشـباح في (هارنهـال)، تلبـس درعًـا سـوداء تُلائِمهـا كقُفَّـازٍ حديـدي ويسترسـل شـعرها الأحمـر الطَّويـل.

تلألأ ضـوء الشَّـمس المشـرقة عـلى رؤوسٍ خمسـمئة رُمح وعشـرة أضعافهـا مـن الحـراب، ووُلـدَت رايـات اللَّيـل الرَّماديَّـة مـن جديـدٍ بنصفمئـةٍ مـن الألـوان الصَّارخـة، يعلوهـا جميعًـا تنِّينـان ملكيَّـان على خلفيَّتَيْـن بسـواد اللَّيـل: وحـش الملك إيْـرس تارجاريَـن الأوَّل العظيم ثُلاثي الرُّؤوس بحُمـرة النَّـار، ومخلـوقٌ ضـارٍ أبيـض الجناحيْـن ينفـث لهبًـا قرمزيًّـا.

ـ *ليـس مـيكار في النِّهايـة*. علـمَ دنـك هـذا لمَّـا رأى الرَّايتيْـن. رايـات أميـر (بهـو الصَّيـف) تحمـل أربعـة تنانيـن ثُلاثيَّـة الرُّؤوس، اثنيْـن واثنيْـن، شـعار رابـع أبنـاء الملـك الرَّاحـل ديْـرون تارجاريَـن الثَّـاني. أمَّـا تنِّيـن أبيـض واحـد فيُعلِـن حضـور يـد الملـك، الـلوْرد برينـدن ريڤـرز.

غُداف الدَّم بنفسه جاءَ إلى (الجُدران البيضاء).

***

تمرُّد بلاكفاير الأوَّل بادَ في (حقل العُشب الأحمر) بالدَّم والمجد. تمرُّد بلاكفاير الثَّاني انتهى بالمذلَّة. من شُرفات القلعة جهرَ الشَّاب ديْمون بعدما رأى حلقة الحديد التي طوَّقتهم: «لا يُمكنهم أن يُخيفونا بتهديداتهم، ذلك أنَّ قضيَّتنا عادلة. سنشقُّ طريقنا عبرهم تقتيلًا ونركب بعزيمةٍ إلى (كينجز لاندنج)! انفُخوا في الأبواق!».

وبدلًا من ذلك همهمَ بعض الفُرسان واللوْردات والرِّجال المسلَّحين لبعض بخفوت، وبدأ قليلون منهم ينسلُّون متَّجهين إلى الإسطبلات أو إلى بوَّابةٍ خلفيَّة أو مكمنٍ ما يأملون أن يحفظهم. وحين امتشقَ ديْمون سيفه ورفعَه فوق رأسه، رأوا عن آخِرهم أنه ليس «اللَّهب الأسود».

وعدَهم المدَّعي: «اليوم سنزرع حقل عُشب أحمر آخَر».

ردَّ عليه مُرافق أشيب زاعقًا: «بولٌ على ذلك يا فتى الكمنجة. أوثرُ أن أعيش».

في النِّهاية خرجَ ثاني ديْمون بلاكفاير وحده، وكبحَ حصانه أمام الجيش الملكي ليتحدَّى اللوْرد غُداف الدَّم في نزالٍ فردي. «سأقاتلك، أو ذلك الجبان إيْرس، أو أيَّ نصيرٍ تُريد اختياره». ولكن بدل ذلك حاصرَه رجال اللوْرد غُداف الدَّم وسحبوه من فوق حصانه وكبَّلوه بأغلالٍ ذهبيَّة، والرَّاية التي حملَها عُرسَت في الأرض الموحلة وأُضرمَت فيها النَّار، لتحترق وقتًا طويلًا باعثةً عمودًا ملتويًا من الدُّخان تُمكن رؤيته من بُعد فراسخ في كلِّ اتِّجاه.

الدَّم الوحيد الذي أريقَ يومها أريقَ لمَّا شرعَ رجلٌ في خدمة اللوْرد ڤيرول يتباهى بأنه أحد عيون غُداف الدَّم، وقريبًا سينال مكافأةً مجزيةً. «سيدور القمر عليَّ وأنا أنكحُ العاهرات وأشرب الدوْرني الأحمر». هكذا زُعِمَ أنه قال قُبيل أن يشقَّ أحد فُرسان اللوْرد كوْستيْن حلقه، وفيما غرقَ رجل ڤيرول في دمه قال له الفارس: «اشرب هذا. ليس دوْرنيًّا، لكنه أحمر».

فيما عدا ذلك، كان ما خرجَ بخُطواتٍ ثقيلة من بوَّابة (الجُدران البيضاء) طابورًا واجمًا صامتًا، رمى أفراده أسلحتهم في كومةٍ ملتمعة قبل أن يُقيَّدوا ويُقادوا إلى حيث سينتظرون حُكم اللوْرد غُداف الدَّم. غادرَ دنك مع بقيَّتهم، ومعه السيْر كايل القِطّ وجلندُن بوْل، بعد أن بحثوا عن السيْر ماينارد لينضمَّ إليهم، غير أنَّ پلَم اختفى في وقتٍ ما ليلًا.

في ساعةٍ متأخِّرة من ذلك الأصيل وجدَ السيْر روْلند كريْكهوْل فارس الحرس الملكي دنك بين السُّجناء الآخَرين، وخاطبَه: «سيْر دنكن. أين اختبأت بحقِّ الجحائم السَّبع؟ اللوْرد ريڤرز يسأل عنك منذ ساعات. تعالَ معي إذا سمحت».

تقدَّم دنك ليمشي بجواره. رفرفَ معطف كريْكهوْل الطَّويل خلفه كلَّما هبَّت الرِّيح، أبيض كنور القمر على الثَّلج، وحدا منظره بدنك إلى التَّفكير في كلام الكمنجي فوق السَّطح. *حلمتُ أنك تلبس أبيض على أبيض من رأسك إلى قدميْك، ومن فوق هاتيْن الكتفيْن العريضتيْن يسترسل معطفٌ باهت طويل. نخرَ دنك تهكمًا. أجل، وأنت حلمت بتنانين ينفلق عنها بيضٌ من حجر. هذا سيٌّ ذاك.*

يقع سُرادق اليد على بُعد نصف ميل من القلعة، في ظلِّ دردارةٍ ممتدَّة الفروع، وعلى مقربةٍ منه راحَت دستةٌ من البقرِ ترعى في الكلأ. فكر دنك: *الملوك يقومون ويقعون، ويمضي كلٌ من البقر والعامَّة في حال سبيله*. إنه شيء اعتادَ العجوز قوله. سألَ دنك السيْر رؤلند فيما مرَّا بمجموعةٍ من الأسرى الجالسين على العُشب: «ماذا سيَحدُث لهم جميعًا؟».

ـ «سيُساقون إلى (كينجز لاندنج) ليُحاكَموا. المفترَض أن ينال الفُرسان والرِّجال المسلَّحون عقوبةً مخفَّفةً، فقد تبعوا سادتهم العُلاة لا أكثر».

ـ «واللؤردات؟».

ـ «بعضهم سيُعفى عنه شريطة أن يحكي حقيقة ما يعرفه ويُسلِّم ابنًا أو ابنةً لضمان ولائه مستقبلًا. سيكون العقاب أقسى على مَن نالوا عفوًا بعد (حقل العُشب الأحمر). سيُسجَنون أو يُجرَّدون من أملاكهم. أسوؤهم سيفقدون رؤوسهم».

وهو ما استهلَّه غُداف الدَّم بالفعل كما رأى دنك عندما بلغا سُرادقه. على جانبَي المدخل خُوزقَ رأسا جؤرمؤن پيك وتؤم هِدل الأسود على حربتيْن، وتحتهما تُرساهما. *ثلاث قلاع، أسود على برتقالي. الرَّجل الذي قتلَ رؤچر ابن (شجرة البنسات)*.

حتى في موته بدَت عينا اللؤرد جؤرمؤن قاسيتيْن صوَّانيَّتيْن. أغلقَهما دنك بأصابعه، فقال له أحد الحُرَّاس: «لماذا فعلت هذا؟ الغِربان ستحظى بهما عمَّا قريب».

ـ «كنتُ مدينًا له بهذا القدر». لو لم يَمُت روْچر في ذلك اليوم لما نظرَ السيْر آرلان مرَّتيْن إلى دنك حين رآه يُطارِد ذلك الخنزير في أزقَّة (كينجز لاندنج). *ملكٌ عجوز ميت أعطى سيفًا لابن بدلًا من آخَر، وهكذا بدأكلُّ شيء. والآن هأنذا واقفٌ هنا، ورؤچر المسكين في قبره.*

آمرًا قال روْلند كريْكهوْل: «اليد في الانتظار».

تخطَّاه دنك ليَمثُل أمام اللوْرد برندن ريڤرز، النَّغل والمشعوذ ويد الملك.

أمامه وقفَ إج وقد استحمَّ قبل قليل وارتدى ثياب أمير كما يليق بابن أخ للملك، وعلى مقربةٍ جلسَ اللوْرد فراي على كرسي معسكرات، في يده كوب نبيذٍ وعلى حجره يتلوَّى وريثه الصَّغير البشع. واللوْرد بَتَرول أيضًا حاضرٌ... على رُكبتيْه، ممتقع الوجه يرتجف.

كان اللوْرد ريڤرز يقول: «الخيانة لا تقلُّ خسَّةً إذا اتَّضح جُبن الخائن. لقد سمعتُ ثُغاءك أيُّها اللوْرد آمبروْز، وأصدِّق من كلِّ عشر كلماتٍ واحدةً. بناءً عليه، سأسمحُ لك بالاحتفاظ بعُشر ثروتك. لك أن تحتفظ بزوجتك أيضًا. أرجو أن تجد فيها السَّعادة».

سألَه بَتَرول بصوتٍ متهدِّج: «و(الجُدران البيضاء)؟».

أجابَ ريفرز: «غرامة للعرش الحديدي. أنوي أن أهدمها حجرًا حجرًا وأبذر الأرض التي ترتفع عليها بالملح. في غضون عشرين عامًا لن يتذكر أحد أنها وُجدَت يومًا. الحمقى المسنُّون والنَّاقمون الشُّبَّان ما زالوا يرتحلون إلى (حقل العُشب الأحمر) ليزرعوا زهرًا في البُقعة التي سقطَ فيها ديْمون بلاكفاير. لن أسمح بأن تُصبح (الجُدران البيضاء) نُصبًا تذكاريًّا آخَر للتنّين الأسود»، ولوَّح بيدٍ شاحبة مضيفًا: «والآن ولِّ الأدبار أيُّها الصُّرصور».مكتبة سُر مَن قرأ

ـ «اليد رؤوف». ابتعدَ بَتَرول متعثِّرًا معميًّا بالأسى حتى إنه على ما يبدو لم يتعرَّف على دنك وهو يمرُّ.

أمرَ ريفرز: «لك أيضًا إذني في الذَّهاب أيُّها اللوْرد فراي. سنتحدَّث ثانيةً لاحقًا».

قال فراي: «كما يأمر سيِّدي»، وقادَ ابنه من السُّرادق.

عندئذٍ فقط التفتَ يد الملك إلى دنك.

أكبرُ هو ممَّا يَذكُره دنك، وجهه قاسٍ متجعِّد، لكن بشرته ما زالَت شاحبةً كالعظم، ووجنته ورقبته ما زالتا تحملان الوحمة الخمريَّة القبيحة التي يحسب بعض النَّاس أنها تُشبه غُدافًا. حذاؤه أسود، وغلالته سقلّاتيَّة، وفوقها يرتدي معطفًا بلون الدُّخان، يُثبّته دبُّوس بشكل يد حديديَّة. ينسدل شعره إلى كتفيْه طويلًا وأبيض ومسترسلًا، ومصفَّفًا إلى الأمام بحيث يُخفي عينه المفقودة، العين التي اقتلعَها منه الفولاذ الأليم في (حقل العُشب الأحمر)، أمَّا العين الباقية فحمراء للغاية. *كم عينًا للوْرد غُداف الدَّم؟ ألف عينٍ وعين.*

قال: «لا شكَّ أنَّ الأمير ميْكار كان لديه سببٌ وجيه للسَّماح لابنه بالعمل مُرافقًا لفارس جوَّال، ولو أنني لا أتصوَّرُ إطلاقًا أنه تضمَّن إيصاله إلى قلعةٍ ملأى بخونة يُخطِّطون لتمرُّد. كيف وصلتُ لأجد ابن عمومتي في جُحر الأفاعي هذا أيُّها السيْر؟ اللوْرد بَتَرول يُريدني أن أصدِّق أنَّ الأمير ميْكار أرسلَك إلى هنا لتتقصَّى أمر هذا التَّمرُّد متنكِّرًا في هيئة فارسٍ غامض. أتلك هي الحقيقة؟».

ركعَ دنك على رُكبةٍ واحدة قائلًا: «لا يا سيدي. أعني نعم يا سيدي. هكذا أخبرَه إج. أعني إيْجوْن، الأمير إيْجوْن. ذلك الجزء صحيحٌ إذًا، لكنه ليس ما يُوصَف بالحقيقة الحقيقيَّة».

ـ «مفهوم. إذًا فقد أدركتما وجود هذه المؤامرة ضد التَّاج وقرَّرتما إحباطهما بنفسيْكما، أهكذا المسألة؟».

ـ «ليست كذلك أيضًا. لقد تصادفَ فقط أننا... تعثَّرنا فيها. لك أن تقول هذا على ما أظنُّ».

ربَّع إج ذراعيْه، وقال: «والسيْر دنكن وأنا كنا مسيطريْن على الأمور قبل أن تظهر بجيشك».

أضافَ دنك: «لقد نلنا بعض العون يا سيدي».

ـ «من فُرسان جوَّالة».

ـ «أجل يا سيدي. السيْر كايل القِطُّ وماينارد پلَم، والسيْر جلندُن بوْل أيضًا. هو الذي أسقطَ الكمنـ... المدَّعي».

ـ «نعم، سمعتُ تلك الحكاية من نصفمئة شفةٍ بالفعل. نغل (صفصاف القِطط)، وليد عاهرةٍ وخائن».

قال إج بإصرار: «إنه وليد أبطال. لو أنه بين الأسرى فأريدُ أن يُعثَر عليه ويُطلَق سراحه، وأن يُكافأ أيضًا».

ـ «ومَن أنت لتُملي على يد الملك ما يفعله؟».

لم يجفل إج، وردَّ: «تعلم مَن أنا يا ابن العمّ».

خاطبَ اللؤرد ريڤرز دنك: «مُرافقك وقحٌ أيُّها السيّر. حريٌّ بك أن تضربه حتى ينبذ هذه الخصلة».

ـ «حاولتُ يا سِيدي، لكنه أمير».

قال غُداف الدَّم: «إنَّما هو تنّين. انهض أيُّها السيّر».

فنهضَ دنك.

قال غُداف الدَّم: «لطالما وُجِدَ من قبل الفتح بزمنٍ طويل أفرادٌ من آل تارجاريَن يَحلُمون بأشياء ستَحدُث، فلا ينبغي إذًا أن نندهش إذا أظهرَ واحدٌ من آل بلاكفاير تلك الموهبة من آنٍ إلى آخَر. ديمون حلمَ بأن تنّينًا سيُولَد في (الجُدران البيضاء)، وقد وُلِدَ. الأحمق أخطأ في اللَّون ليس إلّا».

نظرَ دنك إلى إج، ورأى الخاتم. *خاتم أبيه. إنه حول إصبعه وليس محشورًا في داخل حذائه.*

قال اللؤرد ريڤرز لإج: «أميلُ إلى أخذك معنا إلى (كينجز لاندنج) وإبقائك في البلاط باعتبارك... ضيفي».

ـ «لن يُعجِب ذلك أبي».

ـ «على ما أظنُّ. الأمير ميكار ذو... طباعٍ... شائكة. قد يَجدُر بي أن أرسلك إلى (بهو الصَّيف)».

ـ «مكاني مع السيْر دنكن. أنا مُرافقه».

ـ «ليُنقِذكما **السَّبعة**. كما تشاء. لكما أن ترحلا».

قال إج: «سنفعل، ولكن أوَّلًا يلزمنا بعض الذَّهب. على السيْر دنكن أن يدفع للحلزون فديته».

ضحكَ غُداف الدَّم قائلًا: «ماذا دها الصَّبي المتواضع الذي قابلته يومًا في (كينجز لاندنج)؟ كما تقول يا أميري. سآمرُ أمين نقدي بأن يُعطيك ما ترغب فيه من ذهب، في حدود المعقول».

أصرَّ دنك: «باعتباره قرضًا فقط. سوف أسدِّده».

ردَّ اللوْرد ريڤرز: «حينما تتعلَّم المُثاقفة لا ريب»، وأشارَ لهما بالانصراف بحركةٍ من أصابعه، وبسطَ رقًّا وبدأ يُؤشِّر على بعض الأسماء بريشة.

أدركَ دنك: *يُعيّن الرِّجال الذين سيموتون*، ثم قال: «سيِّدي، لقد رأينا الرَّأسيْن بالخارج. أهذا... الكمنجي... ديْمون... هل ستقطع رأسه أيضًا؟».

رفعَ غُداف الدَّم ناظره عن الرَّق، وأجابَ: «القرار في ذلك للملك إيْرس... لكن لديْمون أربعة إخوةٍ أصغر، وأخوات أيضًا. إذا تصرَّفتُ بحماقةٍ وخلعتُ رأسه فستندبه أمُّه، ويلعنني أصدقاؤه بصفتي قاتل أقربين، ويُتوِّج الفولاذ الأليم أخاه هيْجون. ميتًا، الشَّاب ديْمون بطل. حيًّا، هو عقبة في طريق أخي غير الشَّقيق، فلا يُمكنه أن يُتوِّج بلاكفاير ثالثًا ملكًا في حين أنَّ الثَّاني باقٍ حيًّا على نحوٍ مزعج. بجانب ذلك، رهينةٌ نبيلة مثله ستكون

زينةً لبلاطنا وشهادةً حيَّةً على رحمة صاحب الجلالة الملك إيْرس وعطفه».

قال إج: «أنا كذلك عندي سؤال».

ـ «بدأتُ أفهمُ لِمَ أرادَ أبوك الخلاص منك بكلِّ رضا. فيمَ ترغب مني أيضًا يا ابن العمّ؟».

ـ «مَن أخذَ بيضة التنّين؟ لقد وقفَ على الباب حرس، ومزيدٌ منهم على السَّلالم، أي إنه لا سبيل إلى دخول غُرفة نوم اللوْرد بَتَرول دون أن يُرى».

ابتسمَ اللوْرد ريڤرز قائلًا: «لو أنَّ لي أن أخمِّن لقلت إنَّ أحدهم تسلَّق داخل بئر المرحاض».

ـ «بئر المرحاض أصغر من أن يتسلَّقها أحد».

ـ «على رجل، أمَّا طفلٌ فيستطيع».

اندفعَ دنك يقول: «أو قزم». *ألف عينٍ وعين، فلِمَ لا ينتمي بعضها إلى فِرقةٍ من الأقزام الهزليّين؟*

نهاية...
...البداية

مزيدٌ من الأسفار والأخطار في انتظار فارسنا الجوَّال ومُرافقه في السَّنوات المقبلة. من (دوْرن) إلى (الجِدار) ستحملهما رحلاتهما بطول (الممالك السَّبع) وعرضها، بل وإلى خارجها أيضًا وراء (البحر الضيِّق) إلى (أراضي النِّزاع) ومُدن (إسوْس) البرَّاقة.

على الطَّريق سيلتقيان لوْردات وفُرسانًا ومشعوذين، وعديد الفتيات الحسناوات والسيِّدات النَّبيلات، لكي يَسطُرا اسميْهما في سجلَّات (وستروْس) فلا يُنسَيان أبدًا.

لكن تلك حكايات لوقتٍ آخَر.

واصِلوا القراءة.

چوْرچ ر. ر. مارتن

سانتا في

مايو، ٢٠١٥

شُكر وتقدير

على مرِّ الشُّهور الثَّمانية عشرة التي قضيتها في رسم «الممالك السَّبع»، عاونَني أناسٌ كثيرون. الشُّكر لزوجتي چولي، وابنتيَّ نِكي وچينا، ورايا وچۆرچ، وآن جرۆيل، وڤرچينيا نۆري، وكارل جوستافسن، وپات جوستافسن، وراندي برۆكر، وكِاي كرۆن، ووليم وكرستۆفر نيوباور وفۆرتزا للفنون القتاليَّة. أخيرًا، أشعرُ بأشد امتنانٍ لمارسلۆ آنسيانۆ، فإرشاده الفنِّي هو القوَّة المحرِّكة لكثيرٍ من الكُتب التي رسمتها، بما فيها «فارسٌ من الممالك السَّبع».

جاري چياني

مكتبة
t.me/soramnqraa

GEORGE R. R.
MARTIN

A KNIGHT OF THE SEVEN KINGDOMS

قبل مئة عام تقريبًا من أحداث «أغنيّة الجليد والنّار»، جال بطلان غير تقليديّيْن في أنحاء وستروس...

في عصر لم تزل فيه سُلالة تارجاريَن تُسيطر على العرش الحديدي، والذكريات عن آخر التنانين حيّة في وجدان النّاس، نتعرّف فارسًا جوّالًا ساذجًا لكنه شجاع، يرتفع السير دنكن الطويل فوق خصومه بقامته المديدة، لكن كثيرًا من الخبرة لا يزال يعوزه، وفي مغامراته هنا وهناك يصحبه مُرافقه ضئيل الحجم إج الذي يجب أن يُخفي هويّته الحقيقيّة، ذلك أنه في الحقيقة الأمير إيجون تارجارين، ويومًا ما سيصبح ملكًا.

في الرّوايات القصيرة الثّلاث التي يضمّها هذا الكتاب، يأخذنا جورج ر. ر. مارتن إلى أماكن في وستروس لم تسبق لنا زيارتها، نلتقي فيها شخصيّات تاريخيّة قرأنا عنها فقط في «أغنيّة الجليد والنّار»، شخصيّات مؤثّرة ستلعب أدوارًا بارزة في حكايات دنك وإج، وفي مستقبل الممالك السّبع.

telegram @soramnqraa

9 789778 202441